

رفع
المساهم
غفر الله له ولوالديه
السبل المرضية
لطلب العلوم الشرعية
عرض لمدارج الطلب وسبله، وأجوبة على الأسئلة الشائعة
حول مناهج الطلب وكيفية التعلم، وجمع ونظر وترجيح بين أشهر
المناهج العلمية المقترحة، مع تعريف بأشهر المتون والكتب التي تدرّس
لطبقات المتعلمين، مع ذكر لأصح الطبعات، وقوائم مكتبية للقراءة
والاطلاع واستدراك لعلوم لم توضع لها مناهج تعليمية من قبل
صنفه
أبو الأشبال أحمد بن سالم المصري
دار الفاروق



لِطَلَبِ العُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ

عرض لمدارج الطلب وسبله، وأجوبة على الأسئلة الشائعة حول مناهج الطلب وكيفية التعلم، وجمع ونظر وترجيح بين أشهر المناهج العلمية المقترحة، مع تعريف بأشهر المتون والكتب التي تُدَرَّس لطبقات المتعلمين، مع ذكر لأصح الطبعات، وقوائم مكتبية للقراءة والاطلاع واستدراك لعلوم لم توضع لها مناهج تعليمية من قبل

صنعه

أَبُو الأَشْبَال أَحْمَدُ بْن سَالِم المِصْرِيّ

طبعة جديدة مزيدة ومنقحة







الطبعة الأولى
١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

رقم الإيداع
٢٢٩٣٢ / ٢٠١٠



جمهورية مصر العربية - المنصورة
٣ شارع الهادى - عزبة عقل - أمام جامعة الأزهر
٠١٤٥٧٦٤٤٤٠ - ٠١٠٢٢١٨٧٢٧
البريد الإلكترونى
dar el farouk 1 @yahoo.com



عرفاناً بالجميل

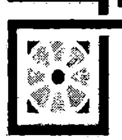
الحمد لله يؤتي الفضل من يشاء ، والشكر لله يسبغ نعمته على من يشاء ، والصلاة والسلام على النبي الخاتم القائل : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » .

وبعد :

فعرفاناً بجميل من كان لي في موضع الأب والأخ والشيخ والمربي أهدي هذا الكتاب ، إلى من غرس الغرس ورعاه حتى أنبت ، إلى الشيخ / محمد عبد الباقي شعبة من وفاء الحق وشذرة من شكر الصنيع لله دره وعليه أجره .

وكتب

أحمد سالم









ديباجة الكتاب

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُهُ ، ونستعينُهُ ، ونستغفرُهُ ، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسنَا ، ومن سيئاتِ أعمالنَا ، مَنْ يهدهِ اللهُ فلا مُضلَّ له ، ومَنْ يُضلِلْ فلاَ هاديَ له ، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ ، وأشهدُ أنَّ مُحمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١].

أمَّا بَعْدُ : فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدىُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور مُحدثاتها ،وكل مُحدثة بدعة وكل بدعة ضلالة .

وبَعْـدُ ...

فإن الناس قد تكلموا فأكثروا عن فضل العلم وأهميته وما أعدَّ الله لطالب العلم من الأجر والجزاء، وانطلق طُلاَّبُ العلم على إثْرِ هذا في الطلب راجين رضى الله ، وما أعدَّ الله لطالب العلم من الأجر العظيم .

وعلى الرغم من التَّضَخُّمِ الكمِّيِّ الظاهرِ فى أوساط طُلاَّب العلم إلاَّ إنَّ المصلحين وجدوا أنَّ النتائج ، والثمرات أقل بكثير من المتوقع من هذه الأعداد من الطلاب ، ممَّا حدَا بهم إلى محاولة تلمُّسِ أسباب هذا العجز فى التوازن . .

فوجدوا أننا نستطيع حصر الأسباب الْمُعِينَةِ لطالب العلم على الوصول إلى مُبتغاه، والاندراج فى سلك العلماء فى الأسباب التالية :

١ ـ توفيق الله تبارك وتعالى .

٢ ـ اتباع المنهجية الصحيحة فى طلب العلم .

٣ ـ الهمة العالية .

٤ ـ الظروف المحيطة بالطلب (من التفرغ للطلب وعدمه ، توفر الشيوخ وقلتهم، والقدرة المادية ، وعدمها . . إلخ) .

٥ ـ الاستعداد الفطري وتوفر الملكة ، (وإنما أخرتها ـ على أهميتها ـ إذ ربما تقعد بالطالب موهبته ، فَتجْبُرُ ذلك وتُقِيمُهُ بقية الأسباب الماضية خاصة الأول) .

ولما كان الأول لا حيلة للطالب فيه إلا الدعاء ، وطاعة الله واجتناب محارمه، فقد أجمع الْمُصلحون على أنَّ غياب المنهجية ، وفساد طُرق التعليم هو العامل الأكبر فى فساد حياتنا العلمية فى أيام الناس هذه .

* فقد ظهر أناس أعجبتهم عقولهم،وظنوا أنَّ بمقدور الواحد منهم أنْ يهجر عمل الأمة فى أربعة عشر قرنًا متواصلة إلى منهج من بنات أفكاره ،وسمادير أحلامه.

* وآخرون استحوذ عليهم الشيطان ، فطلبوا العلم لغير الله ، فلم يكن مقصودهم طلب المنهجية الصحيحة فى طلب العلم ، وإنما كان أعظم مقاصدهم هو طلب المنهجية الصحيحة فى طلب الشهرة والمال !!!

* وصِنفٌ ثالثٌ ابتلاهم الله بالحيرة والتخبط ، فاليوم منهج ، وغدًا غيره ، بالعشي كتاب ، وبالصبح آخر ،وهكذا تخبط مُستمر ، فيمضى الواحد منهم السنين ولا يُحَصِّلُ شيئًا ، وهذا الصنف هم أغلب طلاب العلم فى هذه الأيام . .

* ومراحل صورية للطلب والتعلم ، ليس فيها ترقٍّ واقعيٌّ ، بل مضامين مُتشابهة فى المراحل تتغير فيها أسماء المتون والكتب ، وتزيد حجمًا وكمّاً ، ولكن

من غير تطوير كيفي للمادة المدروسة ، أو تنمية حقيقية لملكات الطالب.

❊ وتوسع زائد في جمع شروح المتن الواحد والتنقل بينها قراءة ودرسًا حتى صار المتن غاية بعد أنْ كان حاقُ أمره أنه مُجَرَّدُ وسيلة . .

❊ وتوسع زائد في حفظ متونٍ يُغنى بعضها عن بعض .

❊ وتغليب للفهم على الحفظ .

❊ وتغليب للحفظ على الفهم .

❊ وتخصص كاذب قاصر .

❊ وتفنن مُدَّعًى مُشَتَّتٌ لا جِماع له .

❊ جمع للكتب ، ورصٌّ لها على الأرفف ، وتغيير لمنهجية الطلب ، والقراءة مع كلِّ زيارة للمكتبات أو المعارض .

❊ تضييع للأوقات في مجالس الحوار والمناظرة في الواقع ، أو على الشبكة العنكبوتية بمنتدياتها ، وبرامج المحادثة فيها ، أكلاً من رأس مالٍ فقيرٍ ضعيفٍ ، حتى يَفنى ، ويُفني معه همة الطالب إن لم يُكسبه تعالمًا وتنفخًا . .

❊ طرائق في التعلم والتعليم سقيمة باردة لا تُساعد على تنمية ملكة الإبداع العلمي في الطلبة .

❊ اشتغال زائد برسم مناهج الطلب من غير طلب حقيقي للعلم ،ولا تطبيق لهذه المناهج .

هذه وغيرها أشهر الآفات التي تلحق طلبة العلم اليوم من جهة منهجية الطلب والتعلم ، وقد حملت على عاتقي بيان سبل علاجها بهذه السلسلة التي عنونت لها بـ « صناعة الفقيه»، ومُرادي الفقيه بالمعنى العام ، والذي يُرادف العالم في أيٍّ باب من أبواب العلم . .

صمدت بهذه السلسلة لإصلاح حال مناهج التعلم والتعليم وِفقَ تجربتي ، ووفق

ما انتخبته من قراءات طويلة مركزة فى أصول هذا الباب العلمية والتربوية والنفسية. .

وهذا الكتاب هو إعادة نشر لكتاب قديم كنت قد نشرته من خمس سنوات تقريبًا بنفس العنوان ، إلا أني غيرت الآن بعض مضامينه ، وزدت فيها ونقصت منها، ومنزلة هذا الكتاب من السلسلة الأم منزلة المدخل المختصر لها ، وفيما وراءه من الكتب تفصيلات كثيرة في كلٍّ جزء من أجزاء منهجية العلم والتعليم ، نُحلِّلُها ، ونرسم صواها ونظهر معالمها نحو صُنع موسوعة متكاملة فى هذا الباب الشريف ، باب إصلاح التعليم الدينى .

وعماد هذا الكتاب ليس تكرارَ المعهود فى كتب أدب الطلب ، والبرامج التعليمية، وإنما خطة هذا الكتاب وغرضه :

١ ـ جواب عن بعض الأسئلة الشائعة عند طلبة العلم ، والتى لم أجد الجواب عنها فى كتاب ، وقابلتنى أثناء تدريسي للعلوم الشرعية .

٢ ـ إثارة الذهن بتحريك بعض الأفكار المهمة فى عملية تطوير وإصلاح التعليم الدينى ، وسأكتفى بإثارة هذه الأفكار فى هذا الموجز ، مع التوسع فى بسطها فيما يُستقبل من كتب هذه السلسلة .

٣ ـ انتخاب بعض الأفكار الجيدة المعينة على الترقي فى مدارج الطلب من بعض المراجع الموجودة فى الباب .

٤ ـ عرض لأشهر برامج التعلم فى العلوم المختلفة فى عبارة مُختصرة ، ثُم انتخاب ما نراه الأفضل من بينها .

٥ ـ ذكر برامج علمية فى بعض الأبواب والعلوم التى لم أرَ من رسم لا برامج من قبل .

٦ ـ سرد قوائم للقراءة والمطالعة في كل علم .

وبعد :

فهذا ما تيسر جمعه ، لكم غُنمه ، وعليَّ غُرمه ، والله وحده المسئول أن يُسبغ

علينا سِتره وفضله .

فما كان فيه من صواب فمن الله ، وما كان فيه من خطأٍ فمنِّي ومن الشيطان، ونستغفر الله منه .

« فَلْيُمعِنِ النَّاظرُ فيه النَّظَرَ ، وَلْيُوسِعِ الْعُذْرَ إنَّ اللَّبيبَ مَنْ عَذَرَ ، ويَأبى اللهُ الْعِصْمَةَ لِكتَابٍ غَيْرَ كِتَابِهِ ، والْمُنْصِفُ مَنِ اغْتَفَرَ قَلِيلَ خَطَأَ الْمَرْءِ فِي كَثِيرِ صَوَابِهِ» ، وبالله التوفيق .

وَصَلِّ اللهم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم . .

وكتب الفقير إلى ربه

أبو الأشبال أحمد بن سالم المصرى

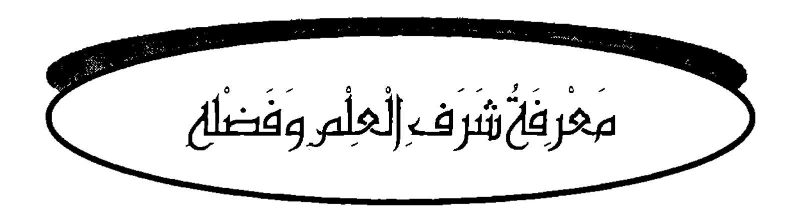
عفا الله عنه

هاتف جوال : ٠١٠١١٧٢١٤١

Ashbal36@ yahoo.com



الْبَابُ الأَوَّلُ
مَدَارِجُ الطَّلَبِ



هذه أوَّل الأبواب التي يجب على طالب العلم فـقهها ، وتبـيُّن أدلَّتها السمـعية والعقلية ، واستصحاب مضامينها طوال عملية الطلب .

والكلام في شرف وفضـل العلوم الشرعية الدينية مـبسوط لا تخفى مـواضعه ، وهو باب رئيس في جميع الكتب التى تُعنى بأدب الطلب وأحكامـه ، وللشيخ محمد سعيد رسـلان كتاب حسن غاية عن فضل طلب العلم ،وله كـتاب حسن آخر عن ذم الجهل فيُنصح بقراءتهما .

أماً العـلوم الشرعـية الدنيـوية وهي التي تكون في زمان ومكان مـعين من لوازم إصلاح حـال الأمة المسلمة وإعـداد قوتها ، فـهي من هذه الجهة تتناولهـا أدلة فضل الكلام بالعلم ، وأدلة فـضل الإعـداد المادي لقوة الأمـة ، وأدلة نفع المسلم لإخـوانه ولأمته ، وأجر القيام بالفروض الكفائية ، وفـصل هذه العلوم فصلًا يهدر اعتبار جهة النفع فيها ليس حسنًا .

ومن أحسن ما يسـتصحبه طـالب العلم غدوة وعشية ، أنه فى طلـبه للعلم ـ ما أخلص واتقى ـ في عبادة شريفة من أكرم العبادات وأحبها للرب ـ سبحانه وتعالى ـ، واستحضار هذا مما يُدخل برد الطمأنينة لـلقلب ، فليس يَعدم الطالب خيرًا ، فهو إنْ لم يُصِبْ مُراده من تحصيل غايته من العلم ، فهـو في عبادة يُثاب فيها على كل نَفَسٍ من أنفاسه .

وقد جـربتُ هذه الطريق مع عدد من إخواننا الذين كـان اليأس والقنوط يُداخل قلوبهم ، ويكاد يستفزَّهم به الشيطان لِيَذَرُوا هذه الطريق الطويلة الشاقة ، فكان توكيد



استحضار هذا المعنى ، وشغل القلب به من أعظم ما يطرد عنه الشيطان .

وطريق ذلك أَنْ يفـقه طالــبُ العلم أنَّ اللهَ لو شاء لجـعل الكتــاب والسنة قطعي الثبوت والدلالــة ، ولجعل جنس الأحكام منصوصًا لفظًا ومــعنى مستوعــبًا للحوادث فهو ـ سبحانه ـ بكل شيء عليم .

وإنَّما أنزل الله الوحى منه مُحْكَمٌ ومنه متشابه ، وتَعَبَّـدَ نبيه ﷺ بالاجتهاد ـ على الراجح ـ وأقرَّ النبيُّ ﷺ الصحابةَ على اجتهــادهم ، وكُتب الأجر للمجتهد في طلب الحق من جهة الوحي ، وما كان كل ذلــك على هذا الوجه ؛ إلا لأَنَّ اللهَ ـ سبحانه ـ يجب أَنْ يرى عباده في جِدٍّ وَكَدٍّ يطلبون فقه مــراده بالوحي كتابًا وسنةً ، ويستفرغون وسعــهم في هذا المطلب الدينيِّ الشريفِ ، لا تلهيــهم عنه أموالهم ، ولا أولادهم ، فهم في عــبادةٍ ما ترددت أنفــاسهم في صدورهــم ،وما خَطَّتْ أقلامــهم سوادها في بياض أوراقهم . .

* * *

السعي في استكمال شعب الإيمان

من أعظم أسباب القوة المادية والمعنوية الـمُعِينَة على الرُّقِيِّ في مدارج الطلب: حِرْصُ الطالب على متابعة تتميم بنائه الإيماني بالعبادات القلبية ، وعبادات الجوارح ، ومكارم الأخلاق العامة ، وآداب الطلب الخاصة ،ولا يبلغ الطالب مُراده حقًّا من طلب العلم الموصل للجنة حتى يَعمُر ظاهره وباطنه بأداء الواجبات الشرعية وترك المنهيات الشرعية ، فلا تكون منه مخالفة الأمر والنهي إلا ما يقع منه الفينة بعد الفينة، فَتَعْقُبُهُ التوبة والأوبة .

ويكمل هذا بالنوافل التى لا يستغني الطالب عن حد أدنى منها يختلف باختلاف أحواله الخاصة ، وجوانب القصور النفسية والقلبية عنده ،وخصائص مكانه وزمانه ، وآكد ذلك رواتب الصلاة والصيام المؤكدة ، والذكر وقراءة القرآن ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة للحق بحسبه ، والإحسان الزائد عن الواجب للوالدين والأهل ، وأُولي القربى ، والمشايخ وطلبة العلم .

وإذا كان طلب العلم لا يقل أجرًا عن الرواتب والنوافل بل قد يفوقها إلا أن ذلك ينفع عند التزاحم الضيق ، أمَّا عند الاختيار فلابد لطالب العلم من رعاية ميزان المفاضلات ، وأنَّ المفضول فى وقت وزمان ولشخص معين قد يكون فاضلًا فى وقت آخر وزمان آخر وشخص آخر [١]، ومن أعظم ما يُستعان به على ضبط هذا نصيحة الشيخ المربي ، ولكن مثل هذا قليل في الناس اليوم والله المستعان .

* * *

(١) انظر : « مجموع الفتاوى » (٢٤/٢٣٦) ، (٢٦/ ٢٨٦) .



مُخْتَارَاتٌ مِنْ كُتُبِ أَدَبِ الطَّلَبِ[١]

الْكِتَابُ الأَوَّلُ : « تَذْكِرَةُ السَّامِعِ وَالْمُتَكَلِّمِ فِي أَدَبِ الْعَالِمِ وَالْمُتَعَلِّمِ » ، تأليف ابن جماعة الكناني ، حققه وعلق عليه محمد هاشم الندوى ، الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ ، دار رمادى [٢].

١ ـ **قال الحسن** : « إِنْ كان الرجل ليخرج فى أدب نفسه السنتين، ثُمَّ السنتين».
وقال حبيب الشهيد لابنه : « يا بني ! اصحب الفقهاء والعلماء ، وتعلم منهم ، وخذ من أدبهم ؛ فإِنَّ ذلك أحب إليَّ من كثيرٍ من الحديث) .

وقال بعضهم لابنه : « يا بني ! لأَنْ تتعلم بابًا من الأدب أحب إليّ تتعلم سبعين بابًا من أبواب العلم » . [ص : ٢٠ ، ٢١] .

٢ ـ « اعلم أنَّه لا رتبة فوق رتبة من تشتغل الملائكة وغيرُهم بالاستغفار والدعاء له، وتضع له أجنحتها ، وإنَّه لينافس في دعاء الرجل الصالح أو من يظن صلاحه ، فكيف بدعاء الملائكة ؟!» [ص : ٣١] .

٣ ـ **قال يحيى بن معاذ** : « لو كانت الدنيا تبرًا يفنى ، والآخرة خزفًا يبقى ؛ لكان ينبغى للعاقل إيثارُ الخزف الباقي على التِّبر الفاني ؛ فكيف والدنيا خزف فانٍ والآخرة تِبر باقٍ ؟! » . [ص : ٤٧] .

٤ ـ **من أدوية الرياء** : الفكر بأنَّ الخلق كلهم لا يقدرون على نفعه بما لم يقضه الله له ، ولا على ضيره بما لم يُقَدِّرْهُ الله ـ تعالى ـ عليه ؛ فلِمَ يحبط عمله ويضير دينه ويشغل نفسه بمراعاة من لا يملك له فى الحقيقة نفعًا ولا ضرًا مع أنَّ الله ـ تعالى ـ يطلعهم على نيته وقبح سريرته ؛ كما صح فى الحديث : « مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ ، وَمَنْ يُرَاءِ يُرَاءِ اللهُ بِهِ » . [ص : ٥٦].

(١) من مقالة للأخ فهد الجريوي على الشبكة العنكبوتية .
(٢) وطبعة مكتبة ابن عباس أصح .

٥ ـ كان جماعة من السلف يستفيدون من طلبتهم ما ليس عندهم . **قال الحميدى ـ وهو تلميذ الشافعى ـ** : « صحبت الشافعي من مكة إلى مصر ، فكنت أستفيد منه المسائل ،وكان يستفيد منى الحديث » ، **وقال أحمد بن حنبل**: « قال لنا الشافعى : أنتم أعلم بالحديث منِّي ، فإذا صح الحديث ؛ فقولوا لنا حتى آخذ به » . وأبلغ من ذلك كله قراءة رسول الله ﷺ على أُبيّ ، وقال : «**أَمَرَنِي اللهُ أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾** قالوا : من فوائده أن لا يمتنع الفاضل من الأخذ عنُ المفضول . [ص: ٦١].

٦ ـ ومن الناس من ينكر التصنيف والتأليف فى هذا الزمان على من ظهرت أهليته وعُرفت معرفته ، ولا وجه لهذا الإنكار ؛ إلا التنافس بين أهل الأعصار ؛ وإلا فمن إذا تصرف في مداده وورقه بكتابة ما شاء من أشعار وحكايات مباحة أو غير ذلك لا ينكر عليه ؛ فلِمَ إذا تصرف فيه بتسويد ما ينتفع به من علوم الشريعة يُنكَر ويُستهجَن ؟! أمَّا من لم يتأهل لذلك ؛ فالإنكار عليه نتيجة لما يتضمنه من الجهل، وتقرير من يقف على ذلك التصنيف به ،ولكونه يضيع زمانه فيما لم يتقنه ، ويَدَعِ الإتقان الذي هو أحرى به منه . [ص : ٦٢] .

٧ ـ **قال محمد بن الحكم** : (سألت الشافعى ـ رضي الله عنه ـ عن المتعة ؛ أكان فيها طلاق ، أو ميراث، أو نفقة تجب ،أو شهادة ؟ فقال : والله ما ندرى.

« واعلم أن قول المسؤول : « لا أدري » لا يضع من قدره ـ كما يظنه بعض الجهلة ـ ، بل يرفعه ؛ لأنه دليل عظيم على عِظَمِ محله ،وقوة دينه ، وتقوى ربه ، وطهارة قلبه ، وكمال معرفته ،وحسن تثبته . وإنما يأنف من قول : « لا أدري » من ضَعُفَتْ ديانته وقلَّت معرفته ؛ لأنه يخاف من سقوطه من أعين الحاضرين ،وهذه جهالة ورِقَّةُ دين ، وربما يشهر خطؤه بين الناس ، فيقع فيما فرَّ منه ، ويتصف عندهم بما احترز عنه . وقد أدَّب الله ـ تعالى ـ العلماء بقصة موسى مع الخضر ـ عليهما السلام ـ حين لم يردَّ موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ العلم إلى الله ـ تعالى ـ

لما سُئِلَ : هل أحد فى الأرض أعلم منك؟. [ص : ٧٩].

٨ ـ ينبغي للمعلم أن يحب لطالبه ما يحب لنفسه كما جاء فى الحديث ، ويكره له ما يكره لنفسه . قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : « **أكرم الناس عليَّ جليسي الذي يتخطى رقاب الناس إليّ، لو استطعت أن لا يقع الذباب عليه ؛ لفعلت** ». ويبنغي أن يعتني بمصالح الطالب ، ويعامله بما يعامل به أعزَّ أولاده ؛ من الحنو ، والشفقة عليه ، والإحسان إليه ، والصبر على جفاء ربما وقع منه ، نقص لا يكاد يخلو الإنسان عنه ، وسوء أدب في بعض الأحيان ، ويبسط عذره بحسب الإمكان ، ويوقفه مع ذلك على ما صدر منه بنصح وتلطف ، لا بتعنيف وتعسف ؛ قاصداً بذلك حسن تربيته ، وتحسين خلقه ، وإصلاح شأنه . [ص : ٨٩] .

٩ ـ ينبغى على المعلم أنْ لا يلقي إلى الطالب ما لم يتأهل له ؛ لأنَّ ذلك يبدد ذهنه ويفرِّق فهمه ، فإن سأله الطالب شيئًا من ذلك ؛ لم يجبه ، ويعرِّفه أن ذلك يضره ولا ينفعه ، وأن منعه إياه منه لشفقة عليه ولطف ، لا بُخلاً عليه ، ثم يرغّبه عند ذلك فى الاجتهاد والتحصيل ؛ ليتأهل لذلك وغيره . وقد رُوي فى تفسير الربانى : أنه يربى الناس بصغار العلم قبل كباره . [ص ٩٠ ، ٩١] .

١٠ ـ على المعلم أنْ يسعى في مصالح الطلبة وجمع قلوبهم ومساعدتهم بما تيسر عليه من جاه ومال عند قدرته على ذلك وسلامة دينه وعدم ضرورته ؛ فإنَّ الله ـ تعالى ـ في عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه ، ومن كان في حاجة أخيه ؛ كان الله ـ تعالى ـ في حاجته ، ومن يسَّر على معسر ؛ يسَّر الله عليه حسابه يوم القيامة ، ولاسيما إذا كان ذلك إعانة على طلب العلم الذي هو من أفضل القربات ، وإذا غاب بعض الطلبة أو ملازمي الحلقة زائدًا عن العادة ؛ سأل عنه وعن أحواله وعن من يتعلق به ، فإن لم يخبر عنه بشيء ؛ أرسل إليه ، أو قصد منزله بنفسه ، وهو أفضل. فإن كان مريضًا ؛ عَادَهُ ، وإن كان في غمٍّ خفض عليه ، وإنْ كان مسافراً تفقد أهله ومن يتعلق به ، وسأل عنهم ، وتعرض لحوائجهم ،ووصلهم بما أمكن ،

وإن كان فيما يحتاج إليه فيه إعانة ، وإن لم يكن شيء من ذلك ؛ تودد عليه ، ودعا له.

(واعلم أنَّ الطالب أعود على العالم بخير الدنيا والآخرة من أعز الناس عليه، وأقرب أهله إليه، ولذلك كان علماء السلف الناصحون لله ودينه يلقون شبك الاجتهاد لصيد طالب ينتفع الناس به في حياتهم ومن بعدهم ، ولو لم يكن للعالم إلا طالب واحد ينتفع الناس بعلمه وعمله وهديه وإرشاده ؛ لكفاه ذلك الطالب عند الله ـ تعالى ـ ؛ فإنه لا يتصل شيء من علمه إلى أحد فينتفع به ؛ إلا كان له نصيب من الأجر. [ص ١٠٣ ، ١٠٤] .)

١١ ـ قال ﷺ : « **إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ ، إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ** » .

وأنا أقول : إذا نظرت ؛ وجدت معاني الثلاثة موجودة في معلم العلم : أمَّا الصدقة ؛ فاقراؤه إياه العلم وإفادته إياه ، وأمَّا العلم المنتفع به ، فظاهر ؛ لأنَّه كان سببًا لإيصال ذلك العلم إلى كل من انتفع به ، وأما الدعاء الصالح له ؛ فالمعتاد المستقرأ على ألسنة أهل العلم والحديث قاطبة من الدعاء لمشايخهم وأئمتهم ، وبعض أهل العلم يدعون لكل من يُذكر عنه شيء من العلم ، وربما يقرأ بعضهم الحديث بسنده ، فيدعو لجميع رجال السند ، فسبحان من اختص من شاء من بعاده بما شاء من جزيل عطاءه . [ص : ١٠٥] .

١٢ ـ على الطالب أن يُطهِّر قلبه من كلِّ غشٍّ ودنس ، وغلٍّ وحسد، وسوء عقيدة وخلق ؛ ليصلح بذلك لقبول العلم وحفظه والاطلاع على دقائق معانيه وحقائق غوامضه ؛ فإن العلم كما قال بعضهم : صلاة السر ، وعبادة القلب ،وقربة الباطن، وكما لا تصح الصلاة التي هي عبادة الجوارح الظاهرة إلا بطهارة الظاهر من الحَدَثِ والخَبَثِ ؛ فكذلك لا يصح العلم الذي هو عبادة القلب إلا بطهارته عن خُبث الصفات ،وحدث مساوئ الأخلاق ورديئها .[ص : ١١١].

١٣ ـ ليحذر الطالب من التقُّيد بالمشهورين ، وترك الأخذ عن الخاملين ؛ فقد عدَّ الغزالي وغيره ذلك من الكِبْرِ على العلم ، وجعله عين الحماقة ؛ لأنَّ الحكمة ضالة المؤمن ، يلتقطها حيث وجدها ، ويغتنمها حيث ظفر بها ، ويتقلد المنة لمن ساقها إليه ؛ فإنَّه يهرب من مخافة الجهل كما يهرب من الأسد ، والهارب من الأسد لا يأنف من دلالة من يدله على الخَلاص كائنًا من كان ، فإذا كان الخامل ممن تُرجى بركته ؛ كان النفع به أعمُّ ، والتحصيل من جهته أتمُّ ، وإذا سبرت أحوال السلف والخلف ؛ لم تجد النفع يحصل غالبًا والفلاح يدرك طالبًا ؛ إلا إذا كان لشيخ من التقوى نصيب وافر ، وعلى شفقته ونصحه للطلبة دليل ظاهر .[ص:١٣٤، ١٣٥].

١٤ ـ أنْ يصبر على جفوة تصدر من شيخه، أو سوء خلق ،ولا يصده ذلك عن مُلازمته وحُسن عقيدته ، ويتأول أفعاله التي يظهر أنَّ الصواب خلافها على أحسن تأويل ، ويبدأ هو عند جفوة الشيخ بالاعتذار والتوبة مما وقع والاستغفار ، ونسب الموجب إليه ، ويجعل العتب عليه ؛ فإن ذلك أبقى لمودة شيخه ، وأحفظ لقلبه ، وأنفع للطالب في دنياه وآخرته . [ص : ١٤٠] .

١٥ ـ إذا سمع الطالبُ الشيخ يَذكر حُكمًا في مسألة ، أو فائدة مستغربة ، أو يحكي حكاية ، أو ينشد شعرًا ، وهو يحفظ ذلك ؛ أصغى إليه إصغاء مستفيد له في الحال ، متعطشًا إليه ، فرحًا به ، كأنه لم يسمعه قط . **قال عطاء** : « إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به منه ، فأريه من نفسي أني لا أحسن منه شيئًا » . فإن سأله الشيخ عند الشروع في ذلك عن حفظه له ؛ فلا يجيب بـ (نعم) ؛ لما فيه من الاستغناء عن الشيخ فيه ، ولا يقل : لا ؛ لما فيه من الكذب ، بل يقول : أحب أن أسمعه من الشيخ ، أو : أن أستفيده منه ، أو : بَعُدَ عهدي ، أو : هو من جهتكم أصحُّ . فإنْ عَلِمَ من حال الشيخ أنه يؤثر العلم بحفظه له مسرة به ، أو أشار إليه بإتمامه ؛ امتحانًا لضبطه وحفظه ، أو لإظهار تحصيله ؛ فلا بأس باتباع غرض الشيخ ابتغاء مرضاته وازدياد الرغبة فيه [ص : ١٥٦ ، ١٥٧] .

١٦ ـ على الطالب أنْ يحـذر في ابتـداء أمره من الاشـتغـال في الاختـلاف بين العلماء ، أو بين الناس مطلقًا فى العقليات والسمـعيات ؛ فإنَّه يحيِّر الذهن، ويدهش العقل ، بل يتـقن أوَّلا كتابًا واحدًا في فن واحـد ، أو كتبًا في فنون إن كـان يحتمل ذلك ، على طريقة واحدة يرتضيها له شيـخه ، فإن كانت طريقة شيخه نقل المذاهب والاختلاف ، ولم يكن له رأى واحد ؛ **قال الغزالى** : « فليحذر منه ، فإن ضرره أكـثـر من النفع به ». وكـذلك يحـذر فى ابتـداء طلبـه من المطالعـات فى تفـاريق المصنفات؛ فـإنه يضيع زمانه ، ويفرِّق ذهنه ، بل يعطى الكتـاب الذى يقرؤه أو الفن الذى يأخذه كُلِّيته حتى يُتقنه ، وكذلك يحـذر من التنُّقل من كتاب إلى كتاب من غير موجب؛ فإنه علامة الضجر وعدم الإفلاح .

أمـا إذا تحقق أهليتـه ، وتأكـدت معـرفتـه ؛ **فـالأولى أن لا يدع فنًا من العلوم الشرعية ؛ إلا نظر فيـه ، فإن ساعده القَدَرُ وطول العمر على التبحُّرِ فيه ؛ فذاك ، وإلا فـقد استـفـاد منه مـا يخرج به من عـداوة الجـهل بذلك العلم** ، ويعتنى من كل علم بالأهمِّ فالأهمِّ ، ولا يغـفلنَّ عن العمل الذي هو المقـصود بالعلم . [ص : ١٧١ ، ١٧٦ .

١٧ ـ على طالب العلم إذا شرح مـحفوظاته المختـصرات ، وضبط ما فـيها من الإشكالات والفوائد المهـمات ؛ انتقل إلى بحث المبسوطات ، مع المـطالعة الدائمة ، وتعليق ما يمر به ، أو يسمعه من الفوائد النفيسة ، والمسائل الدقيقة ، والفروع الغريبة ، وحلِّ المشكلات والفروق بين أحكام المتشابهـات من جميع أنواع العلوم ، ولا يستقلُّ بفائدة يسمعها ، أو يتهاون بقاعدة يضبطها ، بل يبادر إلى تعليقها وحفظها .

ولتكن هِمَّته في طلب العـلم عالية ؛ فلا يكتفى بقليل العلم مع إمكان كـثيرة ، ولا يقنع من إرث الأنبيـاء ـ صلوات الله عليهم ـ بيسـيره ، ولا يُؤخِّرُ تحصـيلَ فائدة تمكَّن منها ، أو يشغله الأمل والتسويف عنها ؛ فإنَّ للتأخير آفات ، ولأنه إذا حصَّلها في الزمن الحاضر ؛ حصَّل في الزمن الثاني غيرها .[ص : ١٨٩ ، ١٩٠] .



١٨ ـ ولْيَحْذَرْ من نظر نفسه بعين الجمال والاستغناء عن المشايخ ؛ فإن ذلك عين الجهل وقلة المعرفة ، وما يفوته أكثر مما يحصله . **قال سعيد بن جبير** : « لا يزال الرجل عالمًا ما تعلم ، فإذا ترك التعلم وظن أنه قد استغنى ؛ أسوأ جهل ما يكون» . [ص : ١٩٠، ١٩١].

١٩ ـ وكما لا ينبغي للطالب أن يستحى من السؤال ؛ فكذلك لا يستحي من قوله : لم أفهم ؛ إذا سأله الشيخ ؛ لأن ذلك يفوت عليه مصلحته العاجلة والآجلة: **أما العاجلة** ؛ فحفظ المسألة ، ومعرفتها ، واعتقاد الشيخ فيه الصدق والورع والرغبة، **والآجلة** : سلامته من الكذب والنفاق ، واعتياده التحقيق . [ص : ٢١٥].

٢٠ ـ على الطالب أن يُرغِّب بقيَّة الطلبة في التحصيل ، ويدلهم على مظانه ، ويصرف عنهم الهموم المشغلة عنه ، ويهون عليهم مؤنته ، ويذاكرهم بما حصَّله من الفوائد والقواعد والغرائب ، وينصحهم بالدين ؛ فبذلك يستنير قلبه ، ويزكو عمله ، ومن بخل عليهم ؛ لم يثبت علمه ، وإن ثبت لم يثمر ، وقد جَرَّبَ ذلك جماعة من السلف ، ولا يفخر عليهم ، أو يعجب بجودة ذهنه ، بل يحمد الله ـ تعالى ـ على ذلك، ويستزيده منه بدوام شكره . [ص : ٢٢٢] .

٢١ ـ وعلى الطالب أن يحذر من المماراة فى البحث والمغالبة فيه ؛ فإنْ ثارت نفسه ؛ ألجمها بلجام الصمت والانقياد ، فإن ذلك أقطع لانتشار الغضب ، وأبعد عن منافرة القلوب . ويجتهد كل من الحاضرين على طهارة القلب لصاحبه ، وخلوه عن الحقد ، وأن لا يقوم وفى نفسه منه شيء ، وإذا قام من الدرس ؛ فليقل ما جاء في الحديث : « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، وَلاَ إِلَهَ أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ فَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي ؛ إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ » . [ص : ٣٠٢ ، ٣٠٣].

الْكِتَابُ الـثَّانِي: « اقْتِـضَاءُ الْعِلْمِ الْعَـمَلُ » ، للخطيب البغـدادي ، تحقـيق محـمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ، مكتبة المعارف .

١ ـ ثم إني موصيك يا طالب العلم بإخلاص النية فى طلبه ،وإجهاد النفس على العمل بموجـبه ، فإنَّ الـعلمَ شجرة ، والعـمل ثمرة ، وليس يعد عـالمًا من لم يكن بعلمه عامًلا . **وقيل** : العلم والد ، والعمل مـولود ، والعلم مع العمل ، والرواية مع الدراية ، فلا تأنس بالعـمل ما دمت مسـتوحشًا من الـعلم ، ولا تأنس بالعلم ما كنت مقصرًا فى العـمل ، ولكن اجمع بينهما ، وإن قلَّ نصيـبك منهما . وما شيء أضعف من عالم ترك الناس علمه لفساد طريـقته ،وجاهل أخذ الناس بجهله لنظرهم إلى عبادته . [ص : ١٨] .

٢ ـ **قال يوسف بـن الحسين** : « في الدنيا طـغيانان : طغـيان العلم ، وطغـيان المال، والذى ينجيك من طغيان العلم العـبادة ، والذي ينجيك من طغيان المال الزهد فيه» . [ص : ٣٢] .

٣ ـ **قال حفص بن حـميد** : « دخلت على داود الطائى أسأله عن مسألة ـ وكان كريمًا ـ فقال : أرأيت المحارب إذا أراد أن يلقى الحرب ؟ أليس يجمع آلته ، فإذا أفنى عمره فى الآلة فـمتى يحارب ؟ إن العلم آلة العمل فـإذا أفنى عمره فى جمعـه فمتى يعمل ؟ » . [ص : ٤٥] .

٤ ـ قال الإمام أحمد بن حنبل وقد سُئل عن رجل يكتب الأحاديث فيكثر ، قال: «ينبغي أن يكثر العمل به على قدر زيادته فى الطلب ، (ثم قال) : سبل العلم مثل سبل المال ، إن المال إذا ازداد ازدادت زكاته » . [ص : ٨٨] .

٥ ـ **قال مـالك بن دينار** : « تلقى الرجل وما يلحن حـرفًا وعمله لحن كله » ، **وقـال إبراهيم بن أدهم** : أعـربنا في الكلام فـما نلحن ، ولحنا فـى الأعمـال فمـا نُعرب. [ص : ٨٩] .

٦ ـ **كتب محمد بن النصر الحارثى إلى أخ له** : « أما بعد فإنك فى دار تمهيد ، وأمامك منزلان لابدَّ من أن تسكن أحدهمـا ولم يأتك أمان فتطمئن ولا براءة فتـقصر

والسلام » . [ص : ٩٤] .

الْكِتَابُ الـثَّالِثُ : « الجَامِعُ لأَخْـلاَقِ الرَّاوِي وَآدَابِ السَّامِعِ » ، للحـافظ الخطيب البـغدادي ، تحـقيـق الدكتـور محـمـود الطحان ، الطبـعـة الأولى ١٤٢٨ هـ ، مكتبـة المعارف. (مطبوع فى مجلدين) .

فوائد من المجلد الأول :

١ ـ الواجب أن يكون طلبة الحـديث أكمل الناس أدبًا ، وأشدَّ الخلق تواضـعًا ، وأعظمـهم نزاهة وتدينًا ، وأقلهم طَيْشًـا وغضـبًا ، لدوام قـرع أسمـاعهم بالأخـبار المشتملة على محاسن أخلاق رسـول الله ﷺ وآدابه ، وسيرة السلف الأخيار من أهل بيتـه وأصحابه ،وطـرائق المحدثين ،ومآثر الماضين ، فـيأخذوا بأجـملها وأحـسنها ، ويصدفوا عن أرذلها وأدونها . [ص : ٧٨] .

٢ ـ **قال إبراهـيم بن حبـيب بن الشهـيد** : قال لي أبي : « يا بني إيت الفـقهاء والعلماء وتعلَّم منهم ، وخُذ من أدبهم وأخـلاقهم وهديهم ، فإنَّ ذاك أحبُّ إليّ لك من كثير من الحديث » . [ص : ٨٠] .

٣ ـ وعلى طالب العلم أن يجعل حفظه للحديث حفظ رعاية ، لا حفظ رواية ، فإن رواة العلوم كثيـر ، ورعاتها قليل . ورُبَّ حاضرٍ كالغـائب ، وعالمٍ كالجاهل ، وحاملٍ للحـديث ليس معه منه شيء ؛ إذ كان فى إطراحـه لحكمه بمنزلة الذاهب عن معرفته وعلمه . [ص : ٨٧] .

٤ ـ **قال سفيـان ابن عيينة** : « إنْ أنا عملت بما أعلم فأنا أعلم الناس ، وإن لم أعمل بما أعلم فليس في الدنيا أحد أجهل مني » . [ص : ٩٠] .

٥ ـ **قال عاصم بن عاصم البيهقي** : « بِتُّ ليلة عند أحمد بن حنبل ، فجاء بالماء فوضعـه ، فلمَّا أصبح نظر إلى الماء فإذا هو كـما كان ، فقال : سـبحان الله ! رجل يطلب العلم لا يكون له وردٌ من الليل » . [ص : ١٤٣] .

٦ ـ **عن أبي عمرو بن حمدان قال** : « سمعت أبي يقول : كنت في مجلس أبي عبد الله المروزي فحضرت صلاة الظهر ؛ فـأذَّن أبو عبد الله ؛ فخرجت من المسجد ؛ فقال يا أبا جعفر إلى أين ؟ قلت : أتطهـر للصلاة . قال : كان ظني بك غير هذا ، يدخل عليك وقت الصلاة وأنت على غير طهارة ! » . [ص : ١٤٣] .

٧ ـ **عن نافع قال** : « سألت ابن عمر عن قول النبى ﷺ : « **اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا** » . فقال : فى طلب العلم ، والصف الأول . [ص : ١٥٠] .

٨ ـ **قـال الشافـعي** : « قـيل لسفـيان ابن عـيينـة : إن قومًـا يأتونك من أقطار الأرض، تغضب عليهم ؟ يوشك أن يذهبوا ويتركـوك . قال : هم حمقى إذن مثلك أن يتركوا ما ينفعهم لسوء خلقي » .

٩ ـ **عن عبد الرحمن بن أبى ليلى أنه قال** : « إحياء الحديث مذكراته ، فتذاكروا . فقـال له عبد الله بن شـداد بن الهاد : رحمك الله ، كم من حـديث أحييـتَهُ فى صدرى قد كان مات » .[ص : ٢٣٨] .

١٠ ـ **أتى لأبي العتاهية بعضُ إخوانه ، فقال له** : أعرنى دفترَ كذا وكذا . فقال: إنى أكره ذاك . فقال له : أما علمت أن المكارم موصلة بالمكاره ؟ فدفع إليه الدفتر» .
[ص : ٢٤١] .

١١ ـ **قال حنبل بن إسحاق** : « رآني أحمد بن حنبل وأنا أكتب خطًا دقيقًا فقال: لا تفعل ، أحوج ما تكون إليه يخونك » . [ص : ٢٦١] .

١٢ ـ **قال قتادة** : « من حدَّث قبل حينه ، افتُضِحَ في حينه ». [ص : ٣٢٢].

١٣ ـ **قال عـبد الله بن المعـتز** : « جهل الشـاب معذور وعـلمه محـقور ». **قال الخطيب البغدادى** : فإنْ احْتِيجَ إليه في رواية الحديث قبل أن يعلو سِنُّه ، فيَجب عليه أن يُحدِّث ؛ ولا يمتـنع ، لأن نشر العلم عند الحـاجة إليه لازم ، والممـتنع من ذلك عاصٍ آثمٌ . [ص: ٣٢٢ ، ٣٢٣] .

١٤ ـ قال هارون بن عبد الله الجمال : جاءنى أحمد بن حنبل بالليل ، فدقَّ عليَّ الباب فقلت : من هذا ؟ فقال : أنا أحمد . فبادرتُ أن خرجت إليه، فمسَّاني ومسَّيته . قلت : حاجة يا أبا عبد الله قال : نعم ، شَغَلتَ اليوم قلبي . قلت : بماذا يا أبا عبد الله ؟ قال : جُزتُ عليك اليوم وأنت قاعد تُحدِّثُ الناس في الفيء ، والناس في الشمس بأيديهم الأقلام والدفاتر . لا تفعل مرة أخرى ، إذا قعدت فاقعد مع الناس . [ص : ٤١١ ، ٤١٢] .

فوائد من المجلد الثانى :

١ ـ كان عبد الملك بن مروان يقول : « اللَّحنُ في الرجل السَّرِيِّ كالجدري في الوجه **وقال الشعبي** : « النحو في العلم كالملح فى الطعام لا يُستغنى عنه ».[ص : ٢٨] .

٢ ـ قال عوف ابن النعمان : « لأَنْ أموتَ عطشان أحبّ إليّ من أكون مِخْلافًا لموعد . [ص : ٥٩] .

٣ ـ عن وهب بن منبه قال : « ينبغي للعالم أن يكون بمنزلة الطباخ الحاذق ، يعمل لكل قوم ما يشتهون من الطعام . وكذلك ينبغي للعالم أن يحدث كل قوم بما تحتمله قلوبهم وعقولهم من العلم » . [ص : ١١٠] .

٤ ـ عن زيد أبي الزرقاء قال : « حدثنا سفيان الثورى ـ ونحن شباب على بابه ـ فقال : يا معشر الشباب ، تعجلوا بركة هذا العلم ، فإنكم لا تدرون لعلكم لا تبلغون ما تؤملون منه ، ليفد بعضكم بعضًا» . [ص : ١٥٠] .

٥ ـ قال عباس الدوري : « سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام يقول : إن من شُكرِ العلم أن تجلس مع الرجل فتذاكره بشيء لا تعرفه ، فيذكر لك الحرف عند ذلك، فتذكر ذلك الحرف الذى سمعته من ذلك الرجل فتقول : ما كان عندى فى هذا شيء حتى سمعت فلانًا يقول فيه كذا وكذا ، فإذا فعلت ذلك فقد شكرت

العلم، ولا توهمهم أنك قلت هذا من نفسك ». [ص : ١٥٤] .

٦ ـ **قال أبو عبيدة مَعْمَرُ بن المثنى** : « قال لى الخليل بن أحمد : لا تردن على معجب خطأ فيستفيد منك علمًا ، ويتخذك به عدوًا » . **قال الرياشى** : فذكرته للجاحظ ، فقال لي : سبحان الله ، هذا واحد فرد ويتيم فذٌّ » . [ص : ١٥٤].

٧ ـ **قال عبد الملك الميموني** : « سمعت أحمد بن حنبل يقول : ثلاثة كتب ليس لها أصول : المغازي والملاحم والتفسير ». **علق الخطيب البغدادى فقال** : « وهذا الكلام محمول على وجه ، وهو أن المراد به كتب مخصوصة في هذه المعاني الثلاثة غير معتمد عليها ،ولا موثوق بصحتها ، لسوء أحوال مصنفيها ، وعدم عدالة ناقليها، وزيادات القصاص فيها ، فأمَّا كتب الملاحم ، فجميعها بهذه الصفة ،وليس يَصِحُّ في ذكر الملاحم المرتقبة ، والفتن المنتظرة غير أحاديث يسيرة اتصلت أسانيدها إلى الرسول ﷺ من وجوه مرضية ، وطرق واضحة جلية ، وأمَّا الكتب المصنفة فى تفسير القرآن، فمن أشهرها كتابا (الكلبي ، ومقاتل بن سليمان) » . [ص: ١٦٢، ١٦٣].

٨ ـ **قال ثعلب** : حدثني الفضل بن سعيد بن سلم قال : « كان رجل يطلب العلم فلا يقدر عليه ، فعزم على تركه ، فمر بماء ينحدر من رأس جبل على صخرة، قد أثر الماء فيها ، فقال : الماء على لطافته قد أثّر في صخرة على كثافتها ، والله لأطلبن العلم . فطلب فأدرك » . [ص : ١٧٩] .

٩ ـ **كان عبد الله بن المبارك يكتب عمّن دُونَهُ** ، مثل رشدين بن سعد ،وغيره، فقيل له : يا أبا عبد الرحمن ، كم تكتب ؟ قال : « لعل الكلمة التي فيها نجاتى لم تقع إليَّ » . [ص : ٢٢٠] .

١٠ ـ **عن أبى عيسى عبد الرحمن بن إسماعيل قال** : قال لي أبي ـ وهو يَحُضُّنِي على النظر في علمي ـ : « اسْتَبَّ رجلان ، فقال أحدهما للآخر : يا رفَقَي، فانخذل

ذلك الرجل ، وظن أنه قد قابله بشيء عظيم ، ثم عمل فى صلاح ما بينهما ، فاصطلحا ، فلما كان فى بعض الأيام تمازحا ، فقال له : كنا استببنا يوم كذا وكذا ، فقلت لى فيما قلت لى : يا رفَفَي ، ما الرففَي ؟ قال : رأيتك تكتب العلم وتضعه على الرف » . [ص : ٢٥٢] .

١١ ـ **قال المنذر للنعمان ابنه** : « يا بني ، أحب لك النظر في الأدب بالليل ، فإن القلب بالنهار طائر ، وبالليل ساكن ، فكلما أوعيت فيه شيئًا علقه » **قال أبو بكر البغدادى** : إنما اختاروا المطالعة بالليل لخلو القلب ، فإن خلوه يسرع إليه الحفظ» [ص : ٢٥٦] .

١٢ ـ **قال عبد العزيز بن أبى حازم قال** : قال أبي : « كان الناس فيما مضى من الزمان الأول إذا لقي الرجل من هو أعلم منه قال : اليوم يوم غُنمي ، فيتعلم منه ، وإذا لقي من هو مثله قال : اليوم يوم مذاكرتى ، فيذاكره ، وإذا لقى من هو دونه علّمه ، ولم يَزهُ عليه . قال : حتى صار هذا الزمان ، فصار الرجل يعيب من فوقه ابتغاء أن ينقطع منه حتى لا يرى الناس أن له إليه حاجة ، وإذا لقي من هو مثله لم يذاكره . فهلك الناس عند ذلك » . [ص : ٢٧٦] .

١٣ ـ **عن هشام بن سالم قال** : قال أبو عبد الله جعفر بن محمد : القلوب تُرب، والعلم غرسها ، والمذاكرة ماؤها ، فإذا انقطع عن التُرب ماؤها جفَّ غرسها . [ص : ٢٧٨] .

الْكِتَابُ الرَّابِعُ : « تَعْظِيمُ الْفُتْيَا »، قرأه وعلَّق عليه ووثَّق نصوصه وخرج أحاديثه مشهور بن حسن آل سلمان ، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ ، مكتبة التوحيد .

١ ـ أُستفتِي الحسن بن زياد اللؤلؤي فى مسألة فأخطأ ، فلم يعرف الذي أفتاه ، فاكترى مناديًا فنادى : أن الحسن بن زياد استُفْتِي يوم كذا وكذا في مسألة فأخطأ ، فمن كان أفتاه بشيء فليرجع إليه ، فمكث أيامًا لا يُفتى حتى وجد صاحب الفتوى ،

فأعلمه أنه قد أخطأ ، وأن الصواب كذا وكذا. [ص : ٩١ ، ٩٢] .

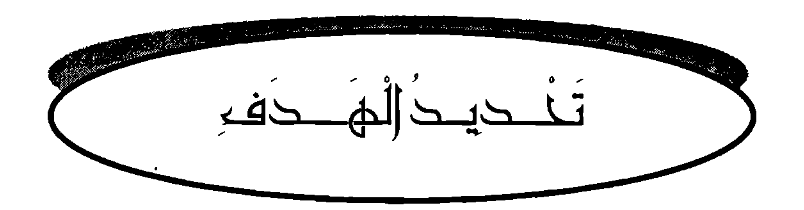
٢ ـ بَلَغَنِي (القائل ابن الجوزى) عن بعض مشايخنا أنه أفتى رجلًا من قرية بينه وبينها أربعة فراسخ ، فلما ذهب الرجل ، تفكر ، فعلم أنه أخطأ ، فمشى إليه فأعلمه أنه أخطأ ، فكان بعد ذلك إذا سُئل عن مسألة توقف ، وقال : ما فيَّ قوة أمشيِ أربعة فراسخ . [ص : ٩٢] .

٣ ـ **عن مالك بن أنس قال** : حدثني ربيعة قال : قال لي ابن خلدة ـ وكان نِعْمَ القاضى ـ : « يا ربيعة أراك تفتى الناس ، فإذا جاءك رجل يسألك فلا يكن همك أن تخرجه مما وقع فيه ، وليكن همك أن تتخلص مما سألك عنه » . [ص : ١٢٦ ، ١٢٧] .

الْكِتَابُ الْخَامِسُ : « كِتَابُ الْعِلْمِ » للحافظ أبي خَـيْثَمَةَ زهير بن حرب النسائي ، حققه وخرج أحاديثه وعلّق عليه الشيخ محمد بن ناصر الدين الألبانى ـ رحمه الله ـ الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ .

١ ـ **عن عون بن عبد الله قال** : « قلت لعمر بن عبد العزيز : يقال : إن استطعت أن تكون عالمًا ، فكن عالمًا ، فإن لم تستطع فكن متعلمًا ، فإن لم تكن متعلمًا فأحبهم ، فإن لم تحبهم ، فلا تبغضهم ، فقال عمر : سبحان الله ! لقد جعل الله ـ عز وجل ـ له مخرجًا » . [ص : ٨] .

٢ ـ عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : وجدت عامة علم رسول الله ﷺ عند هذا الحى من الأنصار ، إنْ كنت لأقيل عند باب أحدهم ،ولو شئت أن يؤذن لي عليه لأذن ،ولكن أبتغي بذلك طيب نفسه . [ص : ٥٤] .



« في البداية قل لنفسك : ما الذي ستكون عليه ، ثم ابدأ في فعل ما يلزم لتحقيق ذلك » [براين تريسى] .

« إنسان بلا هدف كسفينة بلا دفة ، كلاهما سينتهى على الصخور » .[توماس كارليل].

« للعقول العظيمة هدف ، للعقول الأخرى أمنيات فقط ».[فينس لومباردي] .

هذه الأقوال وغيرها تشكل حقيقة واحدة كبيرة فى مجال العمل والإنجاز ،وهي أنَّ ضبط الأهداف وتحديدها هو في حاقِ أمره ضبط لبوصلة الاتجاه وبدونه نتفرق أشتاتًا، ثم لا نصيب شيئًا .

فطالب العلم لابد أن يحدد من بداية طريقه من أي الأصناف هو :

* هل هو متعلم على سبيل النجاة يهدف لضبط فروض الأعيان، والفروض الكفائية ، ومعرفة السنن والمندوبات والمكروهات والمحرمات في العبادات والمعاملات، ثم يدعو لما علمه ، ويسير في أمر دينه ودنياه على ما أراد الله منه غير قاصد لبلوغ منزلة العلماء ، أو التفرغ للدعوة للدين ؟

* أم هو قاصد للغاية العظمى أن يكون عالمًا من علماء الشريعة متخصصًا في علم، أو متفننًا بين العلوم ؟

* أم هو بين هذين قاصد لتحصيل رتبة وُسطى يشارك بها في العلوم لكن تفرغه هو للمهام الدعوية ، أو الإصلاحية ، أو الفكرية ؟

* وإن اختار أن يكون عالمًا هل عَيَّنَ تخصصه ؟

فمن غير إجابة على تلك الأسئلة لن يصل الطالب لهدفه أبدًا ؛ لأنه أصاله لم



يُعَيِّنْ هذا الهدف . ومن غير إجابة عِلمية واضحة فإنه لن يصل وصولًا تامًا ؛ لأن إجابته وتصوره عن هدفه كان في الأصل ناقصًا غبشًا .

وأنا أعلم أن كثيرًا من طلبة العلم في أول طريقهم لا يمكنهم تحديد الهدف بوضوح ، وتَتَنازعهُم أهدافٌ وأمانٍ وأغراض ؛ لذا فاقتراحي للتعامل مع هذه المشكلة يمكن توضيحه فى النقاط التالية :

(١) المرحلة الأولى في أكثر العلوم الشرعية لا غِنىً عنها لطالب العلم ، فمن لم يتضح له هدفه فلا يشغل نفسه بالوصول لتعيين هذا الهدف ، ولينتظر حتى ينهي المرحلة الأولى في العلوم الشرعية ، وغالباً ما ستتبلور رؤيته حينئذ .

(٢) لا يصلح تجاوز المرحلة الأولى إلا لمن وطَّن نفسه على تخطي دائرة المتعلم على سبيل النجاة ، والمرحلة الثانية لا غِنىً عنها حتى لمن لا يقصد لأن يكون عالمًا ، فإذا لم يكن تحدد له هدفه فالمحكم أنه لا يريد أن يقتصر على دائرة التعلم على سبيل النجاة وإنما هو متحير بين الترقي إلى منزلة العلماء ،أو الاكتفاء بدرجة وسطى، ثم الانطلاق لميادين الدعوة والإصلاح ، فليطلب المرحلة الثانية إذن من غير أن يشغل نفسه بالبحث عن إجابة .

(٣) إذا وصلنا للمرحلة الثالثة والتى تَعْقُبُهَا في بعض العلوم رابعة أو يَعْقُبُهَا مباشرة بِدْءُ مرحلة الإطلاع بقصد التفنن ، أو الترقي لمنزلة العلماء، فهاهنا وقبل الدخول في الثالثة يلزم تعيين الهدف ، فيختار المكتفي برتبة الواعظ والداعية ونحوها بالمرحلتين السابقتين،ويتدبر مريد المتخصص أي العلوم التى هي ألصق بتخصصه؛ ليضمها لتخصصه في سلك الترقي ،ويُقبِل المتفنن على باقي المراحل في كل العلوم.

(٤) عند الاختيار يستحسن استشارة شيخ أو أستاذ أو والد عارف بمواهب الشخص وملكاته .

(٥) يستحسن المصارحة التامة والمكاشفة الخالصة ، فغش النفس والكذب عليها



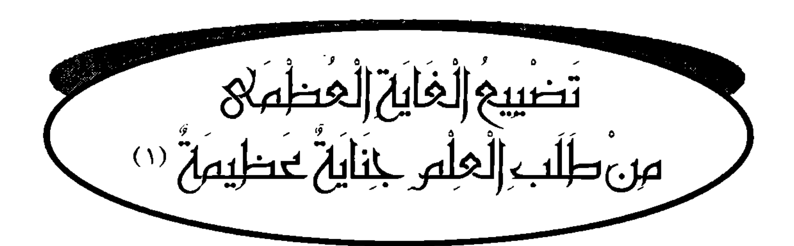
هاهنا قبيح جدًّا ،ولابد من أن يغـالب الطالب طمعه فيما لا تساعـده عليه مواهبه ، فهذا الطمـع ليس طموحًا مشروعًـا ، بل هو داء وَبِيلٌ يقود إمَّا إلى التـعالم وإمَّا إلى الانقطاع .

(٦) حال أهل الزمان أو المكان وثيق الصلة بالطالب ربما كان مؤثرًا في اختياره.

(٧) سيبـقى من ثغور العلم ما هو دقيق لابد من رعايتـه وحفظه على المسلمين، فلا يلفتنك عنـه من يزهدك فيه بدعوى أن الأمة أحـوج إلى كذا وكذا ، بل وازن بين مواهبك ومـا تستطيع أنْ تقـدمه للمـسلمين في هذا الثغـر الدقيق ، وبين الحـاجات العاجلة، واعلم أن من العلماء من هو عالم عامة ، ومنهم من هو عالم خاصة ، ولا تقوم الأمـة بالعلماء وحدهم ، ولا بالوعـاظ وحدهم ، ولا بالفقهـاء وحدهم ، ولا بالمحدثين وحدهم ، والتخـصصات الدقيقة الصغيـرة هي المكون الأهـم للأمة العظيمة إذا تكاثرت وشملت مناحي الدين والدنيا .

(٨) لا يصلح للأمة أن يكون جـميع خاصـتها خطبـاء على المنابر ، أو دعاة في الفضائيات ، والأمة تحتاج لجميع مواهبها في جميع المجالات ، فإياك أن يصرفك عن طريقك الطويل بَرْقٌ خلب أو رعد مُـصِمٌّ ،وبعض البرق والرعد إنما هو من جـهام ، وهو السحاب يرعد ويبرق ولا ماء فيه .

* * *



نعم ، فمن أعظم الجنايات على العلم والمنهج تضييع الغاية ، والهدف السامي للبحث ، والنظر وطلب العلم ، ولا شك أن هناك غاية عظمى هي الإطار الخارجي لكل عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه ، من طلب علم وغيره ، وهي : بلوغ مراضي الله ، ومحابه ، بحيث يوصل ذلك إلى الجنة ، والفرار من مساخط الله ومعصيته ، وما يبغضه ،وما يعقب ذلك من استحقاق النار .

لكن هناك لكل عبادة غاية عُليا تختص بها ، كما إن غاية الصلاة العليا الإتيان بأركانها ، وواجباتها ، ومستحباتها على وجه التمام والكمال ، وكذلك طلب العلم ليس بدعًا ، بل له غاية عليا تختص به إذا فهمتها وعقلتها أعانك ذلك أيما إعانة على طلبك للعلم ، وعلى فهم مُرادنا بالتفنن ، ولما أضاع الناس ـ إلا من رحم الله ـ تلك الغاية أضلتهم عن الاجتهاد ، والإبداع ، والابتكار ، ووقعت بهم في وهدة التقليد والتبعية ، والتقرير المُقَلِد، والشرح المجرد .

وهذا أوان الفحص عن تلك الغاية ؛ كي لا نسرف فى وصف الباطل من غير أن ندل على الحق ...

فالغاية العُليا لطلب أى علم من العلوم الشرعية هى بلوغ الهدي الأول ، واللسان الأول ، وأعني **بالهدى الأول** : معرفة ما كان عليه النبي ﷺ والصحابة، والتابعون وأتباعهم ـ القرون المفضلة ـ في هذا العلم ، ثم الأمثل فالأمثل بعد ذلك من الأئمة والعلماء ما لم يختلط كلامهم ، ومناهجهم بكلام ومناهج الفلاسفة والمتكلمين.

---

(١) مقالة لأبى فهر السلفي على الشبكة العنكبوتية .



وأعنى باللسان الأول : ذلك اللسان الذى عبر به الصدر الأول عن المعاني قبل أن يستبدل قوم الذى هو أدنى بالذي هو خير .

ولعل رجل يعجب فيقول : قد كان لمن سميت بعض كلامٍ في أبواب العلم التى ندرسها اليوم ، ولكنهم لم يستوعبوا كل باب بالكلام ، وثَمَّ أبواب لم يطرقوها قط . . ثم هذا الصدر الأول ذاته قد اختلف أهله في كثير من مسائل العلم ، فأصاب بعضهم ، وأخطأ بعض ، وإنما ينفق قولك لو كانوا قد أجمعوا على شيء فى أبواب العلم تلك . . أما وقد اختلفوا ، فأى هدى تأمرنا أن نطلب ؟؟

ونكشف عجبه ، فنقول :

إِنَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ بعث نبيه بالهُدى ودين الحق ، فكان فرقانًا فرَّق الله به بين الحق والباطل ، فلما مات النبى ﷺ اشتدَّ الناس في طلب الحق الذى جاء به النبى ﷺ ، فكان من هذا الحق أبوابًا بيِّنَتْ بيانًا ظاهرًا لا عذر لأحد في الإعراض عنه ، ولا زالت بينةً إلى يوم الناس هذا .

وكانت منه أبواب هي أبين ما تكون عند السلف الصالح صحابة النبى ﷺ ، ولا زالت بينةً عند من رزقه الله معرفتها ، إلا أنها خفيت على أقوام آخرين ، أو عرفوها وأعرضوا عنها .

وكان من هذا الحق أبواب اختلف السلف فى تمييزها اختلافًا محفوظًا أَذِنَ الله به ، ليبتليهم وليجعل فرض معرفة هذا الحق ، والاجتهاد في طلبه من أعظم وأجل أبواب عبوديته ، وجعل الله هذا الحق مُفرقًا في المسلمين ، فيصيب بعضُهُ بعضَهُمْ ، ويخطئ بعضَهُمْ بعضُهُ ، ويصيب الذى أخطأ أخرى ، ويخطئ الذي أصاب أخرى ، ولم يجعل الله عليهم من حرج ، ولم يحرمهم من أجر ما آمنوا واتقوا ، ولزموا البينة متى ظهرت لهم ، ولم يبغِ بعضهم على بعض .

فطلب الهدي الأول الذى هو غاية كل طالب علم : هو طلب أبواب الحق هذه بمراتبها الثلاث ، مع معرفة قدر كل مرتبة ، وما يتعلق بها من أحكام ، وأن يكون

هذا الطلب وِفْقَ منهاج الصدر الأول في معرفة الحق ، فيكون همك معرفة الحق ، وأن تسلك لمعرفة الحق نهج وسبيل الصدر الأول فى طلب الحق .

وأنت إذا تأملت أحوال هذا الصدر الأول وجدت منهاجهم فى طلب الحق منهاجًا فطريًا سويًا ، وقوامه أمران :

الأول : السنن والآثار ؛ يعرفون بها ما بلغه نبيهم عن ربهم ـ جل وعلا ـ ، وما بلغه نبيهم لصحابته ، وما حُفِظَ عن الصحابة والتابعين وأتباعهم من سنن وهدي يعين على فهم الوحيين ، ثم ما يُنقل بعد ذلك عن أئمة الدين من كلام يكون دليًلا على الحقِّ .

والثاني : العربية ؛ ومعرفة أحكامها وسننها التى يفهم بها مراد القرآن العربيِّ ، ولسان النبيِّ العربيِّ ، وكلام العرب الأقحاح الذين حملوا هذا الدين إلينا .

ذلك أن الباطل يدخل على الإنسان من بابين :

الأول : قبول الكذب .

الثانى : الخطأ في تفسير الصدق .

فكان الاعتصام بالسنن ، وضبط أحكام نقلها ، وأحوال نقلتها عاصمًا من قبول الكذب إلا ما شاء الله .

وكان الفقه بالعربية ، واللسان الأول ، وكيف كانت العرب تتصرف في لسانها الذي جاء الوحي به ، ثم الفقه بلسان كلِّ متكلمٍ من بعد ، وضبط أحكام فهم كلام المتكلم عاصمًا من الخطأ فى تفسير الصدق إلا ما شاء الله .

فالواجب على من طلب علمًا من العلوم إذا كان يروم الهدى الأول ، واللسان الأول أمور :

١ ـ أن يطلب ما يتعلق بكل مسألة من مسائل هذا العلم في كلام الله ، وكلام رسوله .



٢ ـ ثم يطلب ما يتعلق بكل مسألة من مسائل هذا العلم في كلام صحابة النبي ﷺ .

٣ ـ ثم يطلب ما يتعلق بكل مسألة من مسائل هذا العلم في كلام التابعين وأتباعهم القرنين المفضلين بعد الصحابة .

٤ ـ ثم يطلب ما يتعلق بكل مسألة من مسائل هذا العلم في كلام أئمة الهدى بعد القرون المفضلة ، وإلى زماننا هذا .

٥ ـ ثم يطلب ما يتعلق بكل مسألة من مسائل هذا العلم فى كلام أهل الفلسفات والأديان وأهل البدع المصنفين في العلوم الإسلامية من المعتزلة ، والأشاعرة ، وأضرابهم ، وأن يسميهم فى ذلك بأسمائهم تلك ، فهم ما كتبوا فى تلك العلوم إلا بمنهاج يتسق وأسماءهم تلك .

حتى إذا اجتمعت لديه مادة الباب وجب عليه أن يعلم :

٦ ـ أن اللسان الأول العربى الذى نزل به القرآن كان قد بدأ اختلاطه بألسنة المولدين ، وألسنة نقلة العلوم عن اليونانية في آخر دولة بني أمية .

٧ ـ وأن الهدي الأول الذي كانت عليه القرون المفضلة علمًا وعمـلا كان قد بدأ اختلاطه بما نقله المترجمون ، ونشرته المعتزلة وباقي الفرق الناقلة من مذاهب وآراء الفلاسفة .

٨ ـ ولا زالت معاول الهدم تلك تعمل فى بناء الهدي الأول قرنًا من بعد قرن ، فملأت المعتزلة ، والأشاعرة ، وأضرابهم أبواب الإيمان والسنة ضلألا وبدعًا ، وأثر بدع المعتزلة والأشاعرة المولدة من الفلاسفة على أبواب الإيمان والسنة ليس خافيًا على جمهرة المشتغلين بالعلم من أهل السنة ، ولله الحمد .

٩ ـ إلا أن الذى غفل أو تغافل عنه أكثر المشتغلين بالعلوم الإسلامية ، ودسوا رؤوسهم في التراب فرارًا منه ، وزعموا عدم وجوده تارة ، أو قلته تارة أخرى ، أو انحساره في علوم معينة تارة ثالثة هو أثر مولودى الفلسفة « الاعتزال ، والتمشعر »

على باقي العلوم الإسلامية كـ « النحو ، والصرف ، والبلاغة ، واللغويات ، وأصول الفقه ، وعلوم الحديث ، وعلوم القرآن » لم ينجُ علم من علوم الإسلام من هذا الأثر ، وكيف لعلم أن ينجو وجمهرة علماء كل علم بداية من القرن الثالث الهجرى ـ وهو القرن الذى كتبت فيه أصول كتب العلم التى يرجع إليها الناس اليوم هم من المعتزلة وإخوانهم .

١٠ ـ وأئمة المعتزلة لم يشغلوا أنفسهم بضبط منهج التلقي والاستدل ، كما كان عليه الصدر الأول ، وإنما شقوا لأنفسهم منهجًا علميًّا ، ورثوه عن كتب الفلسفة اليونانية ، ومن البين اللائح : أنهم حين يكتبون في أبواب العلم المختلفة إنما يصدرون عن هذا المنهج الذي امتلأت به قلوبهم ، فأنَّى لنا أن نزعم أن كتابابهم هذه ستكون موافقة للهدى الأول ؟؟

١١ ـ وهذا المنهج الذي ساروا عليه هو عين المنهج الذى سطروا وِفْقَهُ مذاهبهم في الإيمان والسنة ، ومعركتهم مع مخالفيهم فى الإيمان والسنة هى أمُّ المعارك ، وكانوا واعين متنبهين لذلك ، فما كتبوا فى علم من العلوم إلا وأصولهم ومذاهبهم في الإيمان والسنة أمام أعينهم يشدون بما يكتبون في كل علم تلك الأصول ، ويعضدونها، ومن كان منهم غافلًا عن هذا ، فيكفي وحدة المنهج العلمي المأخوذ عن الفلسفة اليونانية ؛ ليخرج ما يكتبه عن سنن الهدي الأول .

١٢ ـ وبواسطة معبر المعتزلة هذا وقع الأشاعرة وإخوانهم فيما وقع فيه المعتزلة ، فمقل ومستكثر حتى كان قرن الرازى ، فلم يبقَ بين الأشاعرة والمعتزلة فروق كبيرة فى المنهج ، وكان الأشاعر من القرن الخامس قد تَسلَّموا راية التصنيف في العلوم من المعتزلة .

فباتت الغاية العليا لطالب العلم أَنْ يُخلِّصَ المنهج الحق من المنهج الباطل في كلِّ علم من العلم ، وأن يعلم أن اتباع الهدي الأول في دراسة العلوم ليس هو فقط معرفة الحق في نفس الأمر فى كل مسألة ، بل هو قبل ذلك دراسةُ مسائل العلم وِفْقَ

المنهج الإسلامي الصحيح ، منهج الصدر الأول ، وأَنْ يُخلِّص هذا المنهج من كل قاعدة فلسفية ، وأصلٍ يونانيٍّ ، وطريقة اعتزالية ،ومسلكٍ أشعري في تلقي مسائل العلم ، ودراستها ، ومعالجتها ، وأن يعلم أنه لن يستطيع بيان الحقٍّ الذي كان عليه الصدر الأول ما لم يَفْقَهِ الْباطلَ الذي خرج إليه مَنْ حاد عن سنن الصدر الأول .

وإذن : فالسلف وإِنْ لم يتكلموا في كل علم ،وإِنْ لم يتكلموا في كل مسألة من مسائل العلم ، فقد كان لهم منهج فطري في تناول أبواب العلم ، وقد هَدَى الله لهذا المنهج من يشاء ممن بعدهم ، ومن الأئمة الأربعة ، ومن عاصرهم ، ومن بعدهم ، وضلَّ عنه أكثر الناس ، فكان الواجب طلب هذا المنهج ، والوقوف عليه ودراسة مسائل العلم على سننه ، ومحاولة تَقَيُّلِ طريقة السلف ،وأن نقول في العلم ونفعل ما كانوا ليقولوه، وليفعلوه لو كانوا هم درسوه ، وتكلموا فيه .

ولن تعدم وأنت تقرأ فى مناهج المحدثين ، والنحويين ، والأصوليين ، وغيرهم من يتقبل هذا المنهج ،ولكنهم قليل من قليل .

ولا يهولنك أو تغترَّ بأنك تجد أقوامًا من أهل السنة ،وأتباع السلف قد قالوا ، أو كتبوا ، أو وافقوا شيئًا ممَّا يجري على أصول وقواعد الفلاسفة والمتكلمين ، وأخطؤوا إصابة نهج السلف ، ولتعلم أن الباطل لا يأتي خالصًا قطُّ ، بل لا بد أن يكون مشوبًا بشيء مِنَ الحق ، وأن الكذب لا يأتى صريحًا قطُّ ، بل لا بد وأن يزين بشيء من الصدق ؛ ولذا ربما راجَ على نفر ممن طلبوا منهج السلف ، وأعرضوا عن مناهج المتكلمين = شيئًا غير قليل من طرائق أولئك .

ولتعلم أن هذا الأمر الذي ندعو إليه جِدُّ صعب ، وأنَّ طريقَهُ شاقٌّ عسير ، فنفض غبار اثني عشر قرنًا بما فيها من ظلام كثير ، ونور قليل ، ومحاولة العودة للنور الغالب في الصدر الأول من أشقٍّ ما يكون على فرد واحد ، ولكن إِنْ كَثُرَ السالكون هانَ الوعر .



ولتعلم أنَّ أقوامًا ممن سبقونا من أهل العلم قد حـاولوا هذا الباب حتى فتقوا فيه أشياء ، وهداهم الله إلى شيء غير قليل من الهدى الأول ، كأمثال شيخ الإسلام ابن تيمية ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وغيرهم .

إلا إنهم ابتلوا برجلين :

الأول : من لا يزال مستـمسكًا بزبالات الفلاسفة التي ورثهـا عن كتب النحو ، والبلاغة ، والأصول ، والحـديث ، يعد تحريرات هؤاء الأئمة مجرد رأي خـالفوا فيه من هو أقدم منهم وأعلم ، غافًلا عن أن هذا كـان من هؤلاء الأئمة خرق ، وكشف لحجاب الظلام العائق عن تبين النـور الأول ، وإن أحسن هذا الرجل= قبل ما أتى به الشيخان وأضرابهم فى بعض الأبواب ، كالاعـتقاد والسنة ورَدَّ ما سواه من تحريراتهم في الفقه والأصول العـربية ، كأن أئمته يلبسون ثوب السلفـية إن تكلموا في النحو ، والبلاغـة ، ثم يضعـوه على المشجب مرتـدين ثوب البدعة إن تكلمـوا فى الاعتـقاد والسنة .

الثانى : من يظن أن الشيخين وأضرابهمـا قد أصابوا من باب الكشف عن الهدى الأول كل شىء ، وأنهم ما أخطؤوا منه شيئًا ، فإِنْ جئت تقول له :

ليست المسألة الفلانية مما يجـرى على أصول السلف ، بل هى جارية على أصول المتكلمين = صك وجهك بقوله :

كيف ، وقد تكلم بها شيخ الإسلام ؟؟

وكيف ، ولم ينبه على ذلك شيخ الإسلام ؟؟

وغفلوا أولئك عـن أن الجبهـة أعرض من أن يبلغ الصواب فـيهـا ، ويملك زمام الحق منها واحد من الناس مهما بلغ كـمال عقله ، ووفور علمه ،ورجاحة رأيه، وأن زمان عيش الشيخ وأضرابه كان حافـلا بآلاف المسائل التي ضلَّ الناس فيها عن الهدي الأول، وأن أعمارهم مُحالٌ أن تستوعب الكشفَ عن كلٍّ ضلالة ، أو حتى تشير إليها أو تفقهها .

فبـابُ الاجتهاد ـ لمن كـان أهلا له ـ مفتـوح على مصراعـيه لكل من رَامَ درس العلوم درسًا على مِنهاجِ السلف الصالح ، ولكل من رَامَ أن يهدم لَبِنَةً في ذلكم البناء المتطاول الذى بناه المعتزلةُ ، والأشاعرة فى النحو ، والبلاغة ، والأصول ، والحديث على أساسٍ من المنهج الفلسفى اليوناني .

وكل من تمَّ له ما ندعوا إليه = تمَّ له شرط التجديد في العلم .

يبقى سؤال مهم :

ألا يكون أبدًا في كلام أولئك العلماء المصنفين فى العلوم حقٌّ يستحق أن يقبل؟؟

أم كل ما قالوه باطلٌ يجب رفضه ؟؟

والجواب : إنَّ ديننا علَّمنا أنه حـتَّى إبليس يُجري اللهُ الحق على لسـانه ، وقَبِلَ رسولُ الله ﷺ الحقَّ من يهودي ، وأقرَّهُ عليه ، وأنَّ الحكمة ضالة المؤمن .

لكن الواجب معرفته أنه ما من مسألة شرعية أو قدرية ، من خلق الله أو أمره ، إلا وبيانهـا الشافي في الفرقـان الذي أتى به النبيُّ ﷺ ، وطريق الوصول إليـها وفق منهج الصدر الأول ممكن غير متعذر ، ولا ممتنع .

وهل يمكن لأهل البدع ، والمناهج الفلسفـية ، والطرق الكلامية أن يصلوا لشيءٍ من الحقِّ إذا ساروا على مناهجهم تلك ؟؟

نعم . هذا ممكن غير ممتنع ، كـما أنَّ المقِّلدَ تقليدًا محرَّمًا ، أو المتعـصب لشيخه وإمامه قـد يوافق القول الحقَّ تبعًا لشيـخه ،وما إصابته للحق برافـعةٍ عنه إِثْمَ سلوكه لطريقٍ غيرِ شرعيٍّ في إصابة هذا الحق .

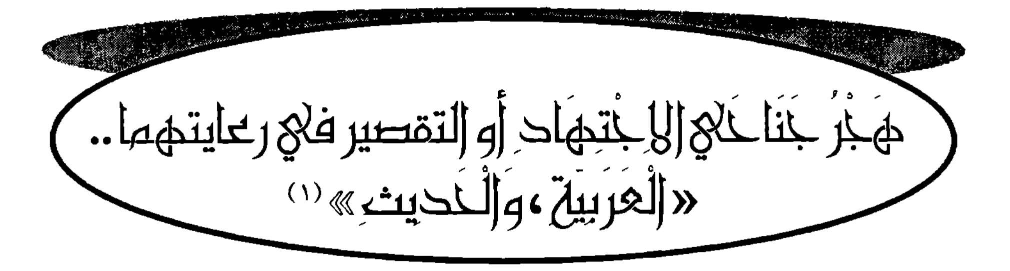
فالواجب عدم الاغـترار بالحق الذي في كلام أولئك اغترارًا يـقود إلى الغفلة عن إعراضهم عن طريق السلف الصالح في التلقي ، والاستدلال .

فإن وجد منهم ـ وهو موجود ـ من يصيب الحق وفق الطريق الشرعى المأذون به، طريق الصدر الأول ، ومنهاجه ، فأهًلا ، وحيَّ هلا ، وهو خير فيهم ، يُحمد ،ولا

يُذمُّ ، بل يذكر فيشكر .

وثَمَّ جهة أخرى للصواب في كلام أولئك ، ترجع لإصابتهم للحق بما بقي معهم من نور الإسـلام ، وترجع لسلامـة شيء من مناهجـهم ، وترجع لنوع من البـحث الصناعي الذى لا يتـعارض مع مـا قررناه ،ولكن لم يتم لـي تحرير عـبارتها بـعد ، فأرجئها إلى حين . . والحمد لله وحده . .

* * *



بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه، ومن والاه وبعد . .

فسبيل تقرير ما تضمنه عنوان هذا الموضوع يرجع إلى بابين :

الأول : بيان مرادنا بالعربية ، والحديث . . .

والثانى : تعليل كونهما فى المنزلة التى وصفنا . .

أما العربية فتدرس كما يقول المحدثون عبر أربعة مستويات ، وإن شئت فقل : محاور . .

المستوى النحوى . .

المستوى الصرفى . .

المستوى الصوتي . .

المستوى الدلالى . .

ومن صور هجر العربية ، والتقصير في رعايتها في زماننا هذا ، وفى الأزمنة قبله بصورة أقل = حصر العربية ـ اهتمامًا واشتغالًا ـ في المستويين النحوي والصرفي، والاهتمام بالمستوى الصوتي من قبل علماء التجويد فحسب . .

أما المستوى الدلالي فهجر أيما هجران ، وقصر الناس في رعايته أيما تقصير . .

والمراد بالمستوى الدلالي هو النظر في ألفاظ العربيـة ، وما تدل عليها من المعاني عند المتكلمين بها . . .

---

(١) من مقال لأبى فهر السلفي على الشبكة .



وهذا المحور من محاور دراسة العربية هو أجل ما يعتني به المجتهد والباحث عن تفسير كلام الله ، وكلام رسوله ، والبون من جهة الأهمية بينه وبين باقي محاور دراسة العربية شاسع جدًا ، وأقرب المحاور إليه من جهة الأهمية هو الصرف لا النحو كما يظن الناس . .

والفقه في العربية عبر مستواها الدلالي هو جناح المجتهد الذي لا ينبغي أبدًا أن يهيض أو يضعف ؛ إذ هو الاشتغال بلسان العرب قوم النبى ﷺ ، وما كانت تدل عليه الألفاظ عندهم من المعانى ، والاستعانة بذلك على تفسير كلام الله ، وكلام رسوله . .

وللتمكن من هذه الآلة طريقان لا بد من سلوكهما معًا :

الأول : إدامة النظر في كتب المعاجم . مع التنبه إلى التالي :

١ - في المعاجم رواية ورأي ، فاحذر أن تضع أحدهما موضع آخر ، فصاحب المعجم إماَّ أن يروي عن الأعراب ، أو عن الشعراء ، أو غيرهما من أدلة العربية ، وإمَّا أن يروي رأيه هو ، وإمَّا أن يخلط الرواية بالرأي ، **ومن أهم أسباب الخلل** : التعامل مع رأي أصحاب المعاجم وغيرهم من علماء العربية على أنه حجة يُستدل بها على المخالف ، وتُقام عليها صروح العلم ، بينما الحال أن رأى العالِم بالعربية هو بمنزلة رأي الفقيه ؛ فيحتاج للاستدلال له ، ولا يجوز الاستدلال بمجرده .

٢ - ليس أئمة العربية المنقول عنهم على درجة واحدة من الثقة والضبط .

وعليه فلا تُعامل منقولاتهم معاملة واحدة ، وفى مقدمة كتاب « تهذيب اللغة » للأزهري تطبيق حسن لهذا الأصل .

٣ - المعاجم تخلط المعانى المولدة للفظ بغيرها من المعاني ، ولا تمحص معاني الألفاظ عند العرب قوم النبى ﷺ وحدها ، بل تخلطها بمعاني تلك الألفاظ عند غيرهم ممن بعدهم .

وأصل هذا الباب : أن العربية الأولى التي تطلب هي عربية اللسان الأول قرن



النبي ﷺ ، فتضبط الألفاظ التي تكلموا بها ، وتحفظ المعاني التى أرادوا الدلالة عليها بهذه الألفاظ ، أمـاً ما حدث بعد هذا القرن من توليـد للألفاظ والمعاني ، والذي لا يزال يتسع إلى يومنا هذا ، فـينبغي الحرص على عـدم خلطه باللسان الأول ، والذي في المعاجم هو شـرح لمعنى اللفظ سواء كان هذا اللفظ من ألفـاظ اللسان الأول ، أم من الألفاظ التي ولدت بعده .

والذي في المعاجم هو ذكر لمعاني اللفظ سـواء كانت تلك المعانى هي معانٍ للفظ عند أهل اللسان الأول ، أم هى معانٍ وُلدت بعدهم .

الثاني : إدامة الاطلاع ، والاستكـثار من النظر فى شعر عرب الجـاهلية ، ومَنْ بعدهم إلى رأس المائة الهجـرية ، وأن يكون هذا الاطلاع بعينٍ يقظةٍ ، وبصرٍ نافذٍ ، يعرف الألفاظ والمعاني التي كانت العرب قـوم النبى ﷺ تستعمل هذه الألفاظ للدلالة عليها[1] .

واعلم أن هذا هو السبيل إلى تمحيص كثير من ركام التقريرات الأصولية واللغوية المتصلة بمنهج الاستنباط والتشريع ، وغيـر ذلك من الأبواب المتصلة بتفسير كلام الله، وكلام رسوله .

واعلم أنه بمقدار استكثار الواحد منا من العربية بهذا المعنى = يحسن ويصيب في تفسير كلام الله ،وكلام رسوله . .

أما الحديث . .

فمرادنا به هـنا أصول نقد الروايات وتمحيـصها ، والبصر بالحكم عـلى الأسانيد والمتون جميعًا . . حتى يكاد يدخلُ فى ذلك قراءات القرآن نفسها ، وأصول نقدها . .

(١) ومن الكتب النافعة في هذا :
١ ـ المعلقات العشر .
٢ ـ المفضليات .
٣ ـ الأصمعيات .
٤ ـ منتهى الطلب ـ لابن ميمون .
٥ ـ نقائض جرير والفرزدق .

ولعلك قد أنكرت نفسك أنَّا عددنا هذا ممَّا قصرَّ فيه طلبة العلم ، وأنت إنما جرك إلى هذا الإنكار ما تراه من الكثرة الكاثرة المُتَّزِرِينَ بإزار علم الحديث . .

وأقول لك : لا تنكر عليَّ يا صاحبى . .

ففي هذه الكثرة الكاثرة من الخلل المنهجي في دراسة هذا العلم ما لم ينجُ منه إلا أقلهم ، ومن صور هذا الخلل :

١ ـ قلة الاحتفال بالتفريق بين مناهج أهل العلم فى نقد المرويات ، وأحسنهم حالًا من يفرق بين طبقة سماهم « المتقدمين » ، وطبقة سماهم « المتأخرين » ، وهل سَلِمَ هذا المُفَرِّقُ ؟؟

لا ـ والله ـ ما سلم على الرغم من كونه لم يبلغ غاية الإصابة فى ذلك . .

٢ ـ قلة الاحتفال بنقد الإسناد ، ورعايته فى المنقولات غير المرفوعة ، وقد أفردنا هذا بكتابة .

٣ ـ قلة الاحتفال بنقد المتون ، والرجوع فى مناط نقدها غالبًا إلى عِلَلٍ تلتمس في الإسناد ، فأصبح نقد المتن عندهم شيء نظري ليس له في واقعهم العملي إلا أمثله قليلة ، وعندي أنه لولا وقوفهم على من علَّلَ هذا المتن قبلهم لما علَّلُوه . .

٤ ـ قلة الاحتفال بتحرير اللفظ المعين الذى قاله النبى ﷺ من بين الألفاظ التي رواها الثقات فيقعدون عن هذا ما دام ليس في هذه الألفاظ لفظ شاذٌّ ، وليس بينها تضاد في المعنى. . .

وعندي أنَّ الاشتغال بتحرير ذلك باب عظيم من أبواب العلم والأمانة في نقل الدين.

٥ ـ الجرأة على الحكم على الروايات قبل استيفاء جمع طرقها ، وقبل النظر في فقهها ،وعندي أنَّ معرفة أقوال الفقهاء في فَهْمِ الحديث مما يعين على الحكم على إسناده ومتنه . .

٦ ـ الظن أنَّ كلَّ رواية قالها النبي ﷺ قـد وصلتنا في زماننا هذا ، وأنَّ كلَّ قول عالم قد وصلنا في زماننا هذا ، وهذا يجرُّ إلـى خلل كبير في العلم ،وفي الفهم عن أهل العلم . .

وأصل ذلك أن الله ـ سبـحانه وتعـالى ـ تعهَّـد بحفظ القرآن الكـريم ، وبحفظ الحقِّ، فلا تجتمع الأمة على إضاعته ، أمـا ضياع رواية ، أو عدم حفظ قول عالم في مسألة ، فلا يخدش ذلك في حفظ الحق ؛ لأنَّ هذا من باب عدم الدليل المعين ، ولا يلزم منه عدم المدلول ؛ لأنه تقوم به دلائل أخر .

فضيـاع حديث صحيح مع وجود مـا يدل على الحقِّ من الأدلة الأخرى واردٌ لا حَرَجَ فيه ،وعدم حفظ قـول عالم مع بقاء الأدلة الأخرى الدالة على هذا القول واردٌ لا حرج فيه .

يقول شـيخ الإسلام : « الذين كانوا قـبل جمع الدواوين كـانوا أعلم بالسنة من المتأخرين بكثير ؛ لأنَّ كثيراً ممَّا بلغهم وصح عندهم قد لا يَبْلُغُنَا إلا عن مجهول ، أو بإسناد منقطع ، أو لا يَبْلُغُنَا بالكُلِّيَّةِ » .

ويقول ابن حجر : « كثير من كتب الحديث أو الأكـثر منها عُدِمَ في بلاد الشرق في الفتن ، فلعل تلك الأحاديث مخرجة فيها ، ولم تصلنا » .

قلت : واعـتبـر بما تقف عليه في كـتب الحـديث والفقـه التي تخرج من عَـالَمِ المخطوطات من سند جديد لمتن ،ومن متن تراه أول مـرة ، ومن نقل عن عَالِمٍ لم تَرَهُ من قبل .

٧ ـ قلة الاحتفال بالموقوفات والمقطوعات ، والاستعانة بمضامينها في معرفة عرف التشريع ،وما هو الأليق بنسبته للنبى ﷺ .

فالوارد عن الصحابة والتابعين وأتباعهم ـ خـير القرون ـ مهم جداً فى ضبط فهم السلف ،وهيئة تلقـيهم للوارد عن النبى ﷺ ، ومفيد جـداً في قطع شيء من فجوة العُجمة بيننا ،وبين زمن التشريع ولسانه .

وبيِّنٌ ظاهرٌ أنه ليس كل الناس يجمع كل هذا الخلل في نفسه ، وإنما هي سمات تُوجد في البعض وتَخفى في البعض ، وتوجد واحدة وتغيب أخرى . .

أما لماذا كان هذان الجناحان هما الجناحين لا غيرهما ؟؟

فاعلم ـ هُديت للرشد ـ أنَّ الخطأ العلمي والمنهجي إنما يدخل على المجتهد من بابين اثنين :

الأول : أن يدخل عليه الخلل بسبب تصديق الكذب ، والكذب هنا هو كل ما لم يكن . .

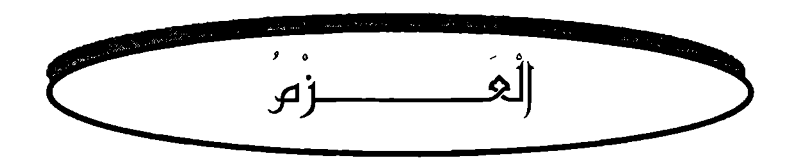
الثاني : أن يدخل عليه الخلل بسبب الخطأ في تفسير الصدق .

ولا عصمة ـ إن طلبت العصمة ـ من تصديق الكذب إلا بالحديث ، وإتقان أصول نقد الأخبار . .

ولا عصمة من الخطأ في تفسير الصدق إلا بمعرفة العربية على الوجه الذي ذكرناه قبل . .

فإذا استوفى الناظر هذان ؛ فقد استوفى جناحي الاجتهاد ،ولا يبقى عليه بعد ذلك إلا حسن التَّأَتِّي في الاستدلال ،وموافقة الدليل للدعوى ، وهو الذى يَطلبُ له البعض علم المنطق ، وعندنا أنه لا المنطق ولا غيره ينفع في هذا ، فهذا خلل لا ينجو منه أحد حتى أئمة الفقه ،ويحتاج لبصر بفطرة العرب في النظر والاستدلال ، ويحتاج إلى قدر كبير من ذكاء النظر المُحَلَّى بالصبر ، والأناةِ والرَّوِيَّةِ مجلَّلٌ كل ذلك بتوفيق الله عز وجل . .

* * *



العزمُ هو اللفظ العربى الذي وَضَعَ الناس مَوْضِعَهُ لفظَ الْهِمَّةِ ، والعزم من أشرف الخصال المُعِينَة على نيل المطالب الدينية والدنيوية ،ولذلك كان من أسباب معصية آدم ـ عليه السلام ـ ما فاته من العزم ، كما قال الله : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ [طه ،ن، : ١١٥] .

ووصف الله أفضل الأنبياء بأنهم أولُوا العزم فقال : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [الأحقاف : ٣٥] .

والحديث عن العزم والهمة ألصق بكتب آداب الطلب ، وإنما أوردناه هاهنا ؛ لكونه من مدارج الطلب التي لا يحصل المطلوب العلمى بغيرها ،ولكنَّا سنكتفى بإيراد نماذج من علو الهمة لا ينبغى أن يخلو مِنْ تَأَمُّلِهَا من يطلب الشرف المروم ، والأمر العظيم ، وعلى قدر أهل العزم تأتى العزائم ، ولا يستطاع العلم براحة الجسم . .

وَلَوْلاَ الْمَشَقَّةِ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمُ   الْجُودُ يُفْقِرُ وُالإِقْدَامُ قَتَّالُ

* * *

أمثلة لشحذ الهمة

الهمـة هي القوة الدافعة لـطالب العلم في مسيـرته ، وقد صنف فيهـا عدد من أفاضل أهل العلم ، وأكتفي هنا بذكر أمثلة تشـحذ الهمم وتعليها ، وأذكرها ؛ لأنها تعين على ترك اليأس والقـنوط ، وعلى عدم احتقـار الذات ؛ لأن بعض الناس يقنط نفسه ويثبطها ،ويجعل لليأس طريقًـا ومسلكًا إلى نفسه ، وقد سبق ذكر هذا ، فعلى الإنسان أن يكثـر من قراءة سيـرة السلف ؛ ففيـها خيـر عظيم ؛ لتعرف قـدر نفسك واهتمامك وحـرصك ، ولا تحقرن شيئًـا ؛ فقد أعطاك الله عقـلا وجوارح ومواهب تعينك على مقصدك .

فَكُنْ رَجُلاً رِجْلُهُ فِي الثَّرَى ... وَهَامَهُ هِمَّتِه فِي الثُّرَيَّا

فلا تحـقرنَّ من المعروف شـيئًا ؛ فـإن بعض الناس تشحـذ همتهم كلمـة واحدة وتفعل فى نفوسهم الأفاعيل ،وأذكر لك أمثلة ثلاثة على تأثير الكلمة الواحدة .

١ ـ **كتاب البخارى** : الصحيح أصح كتاب في الإسلام بعد القرآن الكريم ، هذا الكتاب الذي قـالوا إنه إذا خرج لأحد من الرواة رواية فـيه فقـد جاوز القنطرة ،وإذا قيل: رواه البخارى ؛ يقع في النفس هيبة له ، ما سبب تأليفه ؟ إنها كلمة واحدة فى مجلس واحد ، وقعت في آذان البخاري ، فيسَّر اللهُ له تأليف هذا الكتاب الذى رفع منزلة البخاري في طبقة عالية ، فلقد ذكر لتأليفه الصحيح ثلاثة أسباب :

أشهرها : أنه كان في حلقـة إسحاق بن راهوية فقال : « لو أن أحـدكم يجمع كتابًا فيـما صح من سنة الرسول ﷺ جملة واحدة » قالهـا إسحاق ، فوقع ذلك فى نفس البـخـارى فـصنَّف هذا الكتـاب العظيم الـذي أصبـح أصح كُتـب السُّنَّةِ على الإطلاق. [«هدي الساري » (ص : ٩)] .

٢ ـ **الإمام الذهبى** : هذا الإمام الفَحْلُ ، الذي يقول عنه السبكي : « أما أستاذنا



أبو عبد الله فبصر لا نظير له ، وكنز هو الملجأ إذا نزلت المعضلة ، إمام الوجود حفظًا، وذهب العصر معنًى ولفظًا ، وشيخ الجرح والتعديل ، ورجل الرجال في كل سبيل ، كأنما جُمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها ، ثم أخذ يُخبر عنها إخبارَ مَنْ حضرها . [« سير أعلام النبلاء » (١ / ١٦٩) من المقدمة] .

سبب طلبه لعلم الحديث كلمة واحدة يقول هو بنفسه عن الإمام البرزالي : أنه لما رأى خطه ، قال له : « إن خطك هذا يشبه خط المحدثين » قال : فحَبَّبَ اللهُ إليَّ علم الحديث : [« سير أعلام النبلاء » (١ / ٣٦)] .

فانظر ماذا فعلت هذه الجملة في الإمام الذهبي ؟! فقد صار من أئمة الحديث وحفاظه ونقاده .

٣ ـ ما ذكر محمد بن نصر في « مختصر قيام الليل » قال : وكان صلة بن أشيم يخرج إلى الجبان يتعبد ، فكان يمر على شباب يلهون ويلعبون فيقول لهم : أخبروني عن قوم أرادوا سفرًا فجاروا النهار عن الطريق وناموا الليل ، متى يقطعون سفرهم ؟! فكان كذلك . . يمر بهم فيقول لهم : فمرَّ بهم ذات يوم ، فقال لهم هذه المقالة ، فانتبه شاب منهم فقال : يا قوم إنه ـ والله ـ ما يعنى غيرنا ، نحن بالنهار نلهو وبالليل ننام ، ثم اتبع صلة فلم يزل يختلف معه إلى الجبان فيتعبد معه حتى مات . [« مختصر قيام الليل » (ص : ٣٧)] .

إذن لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا ؛ فربما تقرأ كتابًا صغيرًا ، أو تحضر مجلس علم لطالب علم صغير ، فتسمع كلمة تحدث فى نفسك أمرًا لا تعلم مداه ، فتحصل خيرًا كثيرًا من العلم .

ثم أذكر لك شيئًا من الأمثلة على هِمَّة بعض العلماء ؛ علَّها أن تشحذ هممنا وتزكي نفوسنا :

١ ـ شيخ الإسلام ابن تيمية : كلنا يعرفه ، فقد ذُكِرَ عنه ـ رحمه الله ـ من قوة هِمَّته : أنه كان إذا أعيته مسألة ، لم يقر له قرار حتى يجد بغيته ، وذكر عن نفسه

فى آخر « تفسير سورة النور » قال : إنَّ جـميع ما فى القرآن من آيات الصفات فليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها ، وقد طالعت التـفاسير المنقولة عن الصحابة ، وما رووه من الحديث ، ووقـفت من ذلك على ما شاء الله ـ تعالى ـ من الكتـاب الكبار والصغار ، وأكثر من مائة تفسير ، فلم أجد إلى ساعتى هذه عن أحد من الصحابة ، أنه تأول شيـئًا من آيات الصفـات ، أو أحاديث الصفـات بخلاف مقـتضاها المفـهوم المعروف . [« تفسير سورة النور » (ص : ٢١٠)] .

٢ ـ **الإمام أبو جـعفر مـحمد بن جـرير الطبرى** : هذا الرجل عجيب أمره ، لو قسمت الأوراق التى كتبها على عمـره منذ أن خلق ، لأصبح مقدار ما يكتبه كل يوم ستين ورقة أو أكثر ! وهذا عجيب . ولقد أشار على تلاميذه أن يكتبوا تاريخ الإسلام أو تفسير القـرآن ، فأمر بإحضار ثلاثين ألف ورقة ! فقـالوا : هذه مدة تنقطع دونها رقاب المطيٍّ .

فقال لهـم معاتبًا : الله أكبـر ! ماتت الهمم ، أحضـروا ثلاثة آلاف ورقة !! . [«تذكر الحفاظ » (٢ / ٧١٢)] .

٣ ـ **الإمام النووى** : وأمره عجيب أيضًا ، فقد كان عمره عند موته قرابة خمس وأربعين سنة ، وله فى المكتبات ما يقارب عشرين مجلدًا وأكثر ،ومع هذا كان يحضر في اليوم اثني عشـر درسًا ،وله شرح على « صحيح مسلم » ، وله تهـذيب الأسماء واللغـات ،وروضة الطالبين ، والمجـموع ، ولعله يـعد عند الشـافعـية كـالمغني عند الحنابلة، فـضلا عن الرسـائل الصـغيـرة ورياض الصالحين ، والأذكـار ، والأربعين وغيرها .

٤ ـ **الإمام الحافظ أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني** : صاحب « فتح البارى فى شرح صحيح الـبخارى » ، وقد كان شرح البخـارى دَيْنًا على الأمة حتى وفى به الحافظ ، قال ابن خلدون : إن شرح البخارى إلى الآن دَيْنٌ على هذه الأمة .

قـال أبو الخيـر السخـاوي : لو أن ابن خلدون رأى شرح الـبخارى لابن حـجر

لَقَرَّتْ عينه ولعلم أن ٱلدَّيْنَ قد وُفِّيَ حق ٱلوفاء .

[« سيرة الإمام البخارى » (ص : ١٢٣)] .

هذا الإمام كتبه بالعشرات ، ومع هذا كله كان متفرغًا للتدريس والفتاوى وللخطابة ،وكانت همته عالية ، حتى أنه ذكر عن نفسه أنه تتبع طرق حديث « **إنَّما الأعمال بالنيات** » [رواه البخارى ومسلم] في أكثر من مائة جزء ، كما ذكر عنه : أنه قرأ « معجم الطبرانى الصغير » في جلسة ما بين الظهر والعصر ! إنها همة شحذها وعوَّد نفسه عليها فنفعته ـ بعد توفيق الله تعالى ـ بقية دهره .

٥ ـ **الإمام الجليل محمد بن شهاب الزهري** : نسبة إلى بني زهرة من قريش : يقول الحافظ ابن حجر في « التقريب » : « متفق على جلالته وإتقانه » ، وقال الشيخ مقبل الوادعي : أصاب ابن حجر ، وأحسن في اختيار هذه العبارة : « متفق على جلالته وإتقانه » ؛ لأن الحافظ بهذا طرح جميع الأقوال الشاذة والضعيفة التي تُشير إلى قدحٍ في الزهري رحمه الله .

هذا الإمام ـ الزهري ـ يقولون عنه : كان يأتي إلى العجائز والأشياخ ، والصبيان وذوات الخدور ، والصغير والكبير ، فيسألهم ويباحثهم ، حتى حوى علمًا عظيمًا . [« بستان العارفين » للنووى (١١٤ / ١١٥)] .

٦ ـ **أبو العلاء الحسن بن أحمد** : قال أبو الفضل بن نبهان الأديب : رأيت الحافظ أبا العلاء في مسجد من مساجد بغداد وهو قائم على رجليه ؛ لأن السراج كانت عالية . [« ذيل طبقات الحنابلة » (١ / ٣٢٦)] .

وهذه همة عجيبة جعلت صاحبها من مشاهير علماء الإسلام ، وما أتى له هذا العلم بالتمني والتحلي ،ولكن بشيء وقر في القلب وصدَّقه اللسان والجوارح .

٧ ـ **الأنماطي « مُحدِّث بغداد »** : من همته ـ رحمه الله ـ : أنه كان ينسخ كُتب العلم الكبار ، فنسخ كتاب « الطبقات » لابن سعد ، ونسخ كتاب « تاريخ بغداد ». [« تذكرة الحفاظ » (٤ / ١٢٨٣)] .

ولو جمعنا أجزاء هذين الكتابين لتثاقل ـ أو لعجز ـ كثير منا عن حملها ، فكيف بمن كتبها ورتبها وهذبها ؟

٨ ـ **الإمام المزني** : من همته ـ رحمه الله ـ : أنه قرأ كتاب الرسالة فى أصول الفقه للشافعى ، خمسين مرة ، [انظر : مقدمة محقق « الرسالة » للشافعي (ص : ٤)] .

٩ ـ **عبد الله بن محمد « فقيه العراق »** : طالع كتاب « المغني » ثلاثًا وعشرين مرة. [« ذيل طبقات الحنابلة » (٢ / ٤١١)] .

١٠ ـ **الحر بن عبد الرحمن** : قال : طلبت إعراب القرآن خمسًا وأربعين سنة ، أو أربعين سنة . [« التاريخ الكبير » (٣ / ٨٢)] .

١١ ـ **إبراهيم الحربي** : قال أبو العباس ثعلب : ما فقدته في مجلس نحوٍ ولا لغةٍ نَحْوًا من خمسين سنة . خمسون سنة وإبراهيم الحربي يتردد على حلقات العلم، حتى بلغ في العلم والمنزلة أن شبهه بعض أصحابه بالإمام أحمد ـ رحمه الله ـ . [«طبقات الحنابلة » (١ / ٨٩)] .

١٢ ـ **محمد بن أحمد بن قدامة** : كتب بخطه أشياء كثيرة : فكتب تفسير البغوى، والمغني ،وحلية أبى نُعَيْمٍ ، والإبانة لابن بطة ، والخرقى ،وكتب مصاحف كثيرة . [« ذيل طبقات الحنابلة » (٢ / ٥٣)] .

١٣ ـ **إبراهيم الجوهري يقول الجوهري** : كل حديث لا يكون عندي من مائة وجه فأنا فيه يتيم . [« تذكرة الحفاظ » (٢ / ٥١٦)] .

فهو يرحل لأجل الطلب والتتبع والاستقراء والسبر حتى يجمع أكبر قدر من الطرق .

١٤ ـ **أبو الحصين الأسدي** : كان يبذل نفسه للتعليم ، فقد جلس خمسين سنة في مسجد واحد يُعلِّم الناس ويُفقههم في دين الله . [« تهذيب التهذيب » (٧ / ١٢٧)] .

ولم تفتر له عـزيمة ،ولم تكسر له قناة ،وليس هذا بغريب ، فإذا اجـتمع صدق النية وبذل السبب ؛ يسَّرَ اللهُ ما كان عسيراً ، وقرَّبَ ما كان بعيدًا .

١٥ ـ **خلف بن هشام** : قال حمـدان بن هانئ المقري : سمعـته يقول : أُشْكِلَ عليَّ باب من النحو ، فـأنفقت فيـه ثمانية آلاف درهم حـتى حذقـتـه . [« معـرفة القراء الكبار » (١ / ١٧٢) ، و « سير أعلام النبلاء » (١ / ٥٧٨)] .

ولم يتهاون به ؛ لأنـه علم ، فلهذا لا تتهاون بمسألـة مرَّتْ عليك دون أن تحاول فهـمها ،ولو لم يكن من ذلك إلا أن تُعـوِّد نفسك الحرص والبـحث عما لم تفهـمه لكفى ، وقد يأتيك همٌّ وغمٌّ إذا مرَّت عليك مسألة ، أو مرَّ عليك بحث لم تفهمه ، فهذا الهمُّ الذي فـيك بحدٍّ ذاته نعمة ؛ لأنه يدل ـ إن شاء الله ـ على حُـرْقَةٍ من عدم تحصيل هذه المسألة .

١٦ ـ **أبو الوفاء بن عَقِيلٍ الحنبلي** : ذكر الذهبي في كتاب « معرفة القُرَّاءِ الكبار » أنه أَلَّفَ كتاب « الفنون » وقد بلغ أربعمائة وسبعين مجلدًا !

[« معرفة القراء الكبار» (١ / ٣٨٠)] .

وهذا ليس مستحيلاً ؛ لأنه كان يكتب في هذا الكتاب ما يعلق بذهنه من الشوارد والفرائد والفوائد ، مما يحضر أو مما يقرأ أو مما يسمع من الدروس والتعليقات .

١٧ ـ **زيد بن الحسن الكندي** : ذكر الذهبي أنه قرأ بالقراءات العشر وعمره عشر سنين ! قال الذهبي : وما علمت هذا وقع لأحد أصلًا .

[« معرفة القراء الكبار » (٢ / ٤٦٨)] .

وأنا قد رأيت بعض الصـبية يقرؤون بـعض الآيات بأكثر من قراءة بعـد أن قرأوا القرآن بقراءة حفص عن عاصم ، القـراءة التى نقرأ بها ،وهذا ليس بعجيب ، وليس بعزيز ، فلا تحقرن نفسك ، واستعن بالله ولا تعجز .

والمصيـبة : أن بعضنا هو الذى يثبـط نفسه ، وهذه الأمثلة أسوقـها حتى تكون سببًا فى شحذ الهمم ، والإنســان إذا ما قرأ مثل هذه الأمثلة علم أنه بشر يستطيع أن

يُحَصِّل كما حصَّلوا ، بل ربما أكثر مما حصلوا .

١٨ ـ **قالون** : هذا الرجل بلغ حفظه للقرآن مبلغًا عظيمًا (وكان له حلقة فَيُقْرَأ عليه) ، فمن ذلك ما قال علي بن الحسن الهسنجاني : « كان شديد الصمم فكان ينظر إلى شفتى القارئ ويرد ! » وهكذا ذكر النقلة .

[سير أعلام النبلاء » (١٠ / ٣٢٧)، « معرفة القراء الكبار » (١ / ١٢٩)].

١٩ ـ **عمرو بن ميمون قال الذهبي** : وكان يقول : لو علمت أنه بقيَ عليَّ حرف من السُّنة باليمن لأتيتها . **قلت** ـ أى : الذهبي ـ : هذه الدعوى تدل على سعة علمه.

[« سير أعلام النبلاء » (٦ / ٣٤٦) ، « تهذيب الكمال » (٨ / ١٠٨)] .

٢٠ ـ **سعيد بن عبد العزيز قال** : كنت أجلس بالغدوات إلى ابن أبي مالك ، وأجالس بعد الظهر إسماعيل بن عبيد الله ، وبعد العصر مكحولًا . [« سير أعلام النبلاء » (٨ / ٣٣)] . فكل وقته مشغول بالطلب والتحصيل .

وقد ترد شبهة ، وهي : أنَّ أوقاتنا مشغولة بأمور لابد منها ، ولكن سبق أن ذكرت لك ـ يا رعاك الله ـ أنك لو فتشت الساعات التي لا تُشغل فيها في يومك فسترى أنَّ هناك وقتًا لو استغللته بالطلب والتحصيل ـ بل والله لو استغللت نصفه ، والنصف كثير ـ لرأيت أنك تُحصِّل علمًا في وقت قليل ، والموَفَّقُ من وَفَّقَهُ اللهُ .

٢١ ـ **نعيم المجمر** : جالس الصحابى الجليل أبا هريرة ـ رضى الله عنه ـ عشرين سنة متوالية ، فأصبح من أخصِّ تلاميذه . [« سير أعلام النبلاء » (٥ / ٢٢٧)].

٢٢ ـ **عبد الله بن نافع** : جالس الإمام مالكًا خمسًا وثلاثين سنة .

[« سير أعلام النبلاء » (٨ / ١٠٨)] .

٢٣ ـ **الإمام إسماعيل الجُرجانيّ** : كان يكتب كل ليلة تسعين ورقة بخط دقيق [«سير أعلام النبلاء » (١٣ / ٥٤)] .

أى : أنه كان متأنيًا في الكتابة ، **قال الذهبي** : هذا يمكنه أن يكتب صحيح مسلم في أسبوع .

أخي طالب العلم :

لقد تيسَّرت لنا وسائل وأمكنة وأزمنة وصحة وعافية قد حُرمها قبلنا كثير ،

وحُرمها الآن أيضًـا كثير من الناس ، فلا تفرط ، فـربما ترى بعد حين بعض أقرانك الذين أنت معهم ، قد بلغوا منزلة رفيعة في العلم ، وأنت لا تزال في أول الطلب ، وهذا يعود ـ بعد الإخلاص لله ـ إلى الهمة والعزيمة .

ولقد أخبـرني أحد الإخوة بشيء من هذا فقال ـ بما مـعناه ـ : كنت أعرف فلانًا وفلانًا ، صـبية صغـارًا يلعبون الكرة في الشوارع ، فـكنت أنهاهم عن اللعب وقت الصلاة ، يقـول : حتى رأيتهم من بعد من طلبـة العلم ، وممن حووا علما كـثيرًا ، حتى إن بعضهم إذا أظلنا سقف واحد فألقى كلمة ، أكون عنده كالعامي وكالجاهل ، مع أنيِّ أكبـر منه سنًّا ، وأقدم منه التزامًـا في هذا الطريق ! . لا يقول هذا من باب الحسد ، ولكن من باب الغِبطة .

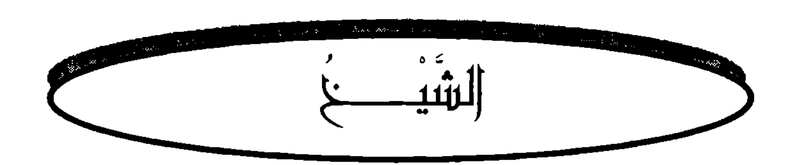
وبكل حال : ما أحسن ما رُوي عن الإمام مالك رحمه الله تعالى : بأنَّ العلم لا يأتي بالوراثة ، ولا بالنـسب ، ولا بالحسب ، ولكنَّـه مِنَحٌ إلهيـة ، وعطايا ربانيـة، يتفضل الله بها على من يشاء من عباده . أو كما ورد عنه رحمه الله تعالى .

فحذارِ حـذارِ من احتقار الذات ، وحذارِ حذارِ من دخـول الضعف والخور إلى النفس ، اللهَ اللهَ في الإخلاص والتـشمير عن ساعـد الجد لاستغلالِ مـا نستطيع من الثواني والدقائق في التحصيل ، سواء سـماعًا أو قراءةً أو حضورًا ، وأنت تستطيع ـ ولله الحمد ـ أن تُسَخِّر نفسك في طلب العلم .

فهذه الوسائل متوفرة : فالحلقات كثيرة ، والكتب كثـيرة ، والأشرطة السمعية كثـيرة ، والبـلاد التي تضم لفيـفًا من طُلاب العلم والمشـايخ فتـحوا صـدورهم قبل بيوتهم، فلا تفـرط في هذه الأمور ، واستغلَّ ما تستطيع ، وسـترى أنك تزداد علمًا بفضـل الله تعالى . [« مسـتفـاد من معـالم في طريق طلب العلم » (ص : ٨١ ـ ٩١)] .







الشَّيْخُ

الشيخ عنصر مهم وفعَّال في عملية الطلب عمومًا ، وفي ضبط المنهجية خصوصًا ، ويمكننا القول : إنَّ مَنْ كان له شيخ ملازم قريب له متابع يكاد يكون اتكاله على هذا الشيخ في ضبط منهجية الطلب والترقي هو الغالب ، وكثير من كتب الطلب ومنهجيته إنما ينتفع بها في واقع الأمر أولئك الشيوخ المربون ، ويكون باقي الانتفاع هو للطلبة الذين يطلبون بطريقة عصامية لا يرتبطون ارتباطًا وثيقًا بشيخ معين.

فقد ظهر إذن أنَّا لا نعني بالشيخ هنا الشيخ العالِم المُعَلِم ، أو الشارح المدرس ؛ فإنَّ هذا لا غنى عنه ، ولم يَعُدْ هناك مجال لادِّعَاءِ عدم وجوده أو عزته خاصة بعد الثورة الهائلة في الاتصالات والتواصل ، والتي جَمَعَتْ في حاسوب على ظهر مكتب بأبسط الوسائل صفوةَ الشُّراحِ والمدرسين من كبار العلماء إلى مبرزي طلبة العلم ومتقدميهم .

وإنما مرادنا بالشيخ هنا الشيخ المربي الذي يتعامل مع الطالب على مستوى قريب جدًا يعرفه فيه باسمه ويتواصل معه تواصلًا علميًا وتربويًا وإنسانيًا خاصًا معينًا مدركًا فيه وبه مواهبه وملكاته وظروف بيئته وعوائقه ونقائصه ،وهذا اللون من المشايخ مَنْ يُرزَقُهُ فقد رُزِقَ خيرًا عظيمًا جدًا ، وأشيرُ إلى نقاط مهمة تتعلق بهذا الباب :

١ ـ آفة التصدُّر قبل التأهُّل قد تؤدي لأنْ يبتلى الطالب بشيخ غير قوي ، أو غير أمينٍ ، واكتشاف هذا عسير خاصة لمن كان في أول طلبه ، ولا حيلة لنا إلا التنبيه على هذا راجينَ أن يكون في ترقي الطالب في مدارج الطلب ما يعينه على كشف المستوى الحقيقى لشيخه هذا ، وعندها إن رآه ليس أهْلًا للموضع الذى كان قد وضعه هو فيه ، أو وضع الشيخ نفسه فيه ؛ فلينسحب من وصايته بهدوء حافظًا له قدرة،



مبقيًا حبل الودِّ موصولًا خاصة إن كان هذا الشيخ من أفاضل الناس خُلقًا وعبادةً ، وإنما كان قد أُتي من جهة نقص العلم فى بلده الذي يضطر معه الإنسان أحيانًا للتصدر من غير حول منه ولا قوة .

٢ ـ لا يلزم أن يكون هذا الشيخ من العلماء الكبار ، أو المتفننين البارعين ، أو المتخصصين المتمكنين ، بل قد يكون الأنفع في ذلك من كانت رتبته أقل من أولئك ؛ لكثرة أشغال الصنف الأول على عكس من دونهم الذين تقل أشغالهم ـ غالبًا ـ وتزداد قدرتهم على متابعة الطلبة .

٣ ـ **أهم خصائص الشيخ المذكور** : أن يكون مشاركًا فى العلوم ، أو أن يكون متقنًا للعلم الذي سيتابع الطلاب فيه على أن يُعدد الطالب مشايخه في باقي العلوم وإنِ اكْتفى بهذا الشيخ من جهة المتابعة العامة والتربية ، وأن يكون هذا الشيخ من ذوي الخُلُقِ الحَسَنِ والعبادة القاصدة المُتَّبِعة ؛ ليقع موقع القدوة من الطالب ، وأن يكون له عناية بآليات التربية والتعليم ، ومنهجية اختبار مستويات الطلاب وتدرجهم وتنمية ملكاتهم الإبداعية ، وأن يحسن التعامل مع الشباب وطلبة العلم ، وأن يتقن وسائل تزكية نفوسهم بهدي قاصد يناسب الترقي في الطلب من غير وَلَعٍ صوفي ولا تفريغ للطالب لمندوبات التعبد يعيقه عن الترقي في الطلب ، وأن يكون سَمْحَ الصدر، لين الجانب ، سهل المأخذ ، حسن العبارة عف اللسان ، رفيقًا رحيمًا متواضعًا ، صادق النصح.

٤ ـ لا مانع من تعديد المشايخ المناط بهم القيام بهذه الوظيفة ، فيكون للطالب مشايخ في العلوم المختلفة ، وشيخ فيما يتعلق بتربية النفس وتزكيتها ، وشيخ فيما يتعلق بمتابعة تطور الجانب العلمي ، وتطبيق منهجية الطلب الصحيحة .

❊ ❊ ❊

الدِّرَاسَةُ النِّظَامِيَّة

الحصـول على الشهادات العلمـية مهم جدًا ،ولا غنى عـنه لطالب العلم ، وقد تفتحت سبله عبر التعليم المفتوح وغيره لمن لم يكن من أول أمره طالبًا فى جامعة تمت للعلوم الشرعية بصلة .

فكليـات الآداب قسم اللغــة العربيــة أو التاريخ ، وكليـة دار العلوم ، وجامـعة الأزهر ، والجامعة الإسلامية ، ودار الحديث الخيرية ، والجامعة الأمريكية المفتوحة ، كل تلك أبواب مشروعة للترقى فى سلك الشـهادات الجامعية الذي ينفع طالب العلم في هذه الأيام التي تربط بين التأهل العلمي والشهادة الجامعية برباط المصداقية .



الاستقرار المالي والتفرغ للطلب

يُعد استقرار مصادر الدخل من أهم معـينات الطلب ، ويُعد الفقر وعدم استقرار الدخل من أكبر معوقات الاستمرار في طلب العلم . ومن الجلي أن هذه الورقات لن تعالج هذه المشكلة الكبيرة ، ولكن فقط أومئ إلى إشارات :

(١) « الجيـوب الفارغة لـم تمنع أحدًا من إدراك النجاح ، بل الـعقول الفـارغة والقلوب الخاوية هي التي تفعل ذلك » [نهرو] .

(٢) مجرد الفقـر لا يعوق ، ولكن المعوق الحقيقى هو فـقر المال مع فقر القلب والنفس من الاستعانة بالغني الحميد سبحانه .

(٣) كـفـالة طلبـة العلـم من أهم حلول هذه المشكلة ، وهـي من أعظم أبواب الإنفاق في سبيل الله ، ولكن لا يمكننا أن نبني عليها وحدها حلَّ هذه المشكلة ؛ فما زال طلبة العلم الفقـراء أكبر من أن يستوعبـهم هذا الحلُّ خاصة مع نقص الوعي عند كثيرٍ من أغنياء المسلمين .

(٤) إن أى مقـارنة بين التفـرغ لطلب العلم وبين الانشـغال به وبالعـمل لكسب العيش لابد أن تميل لصالح التفرغ ، ولكن بالتجربة أقول : إنَّ هذا صحيح من ناحية التجريد الذهني ، أما المشاهد فى أمر الواقع فهو أنَّ كثيرًا من المتفرغين يخونهم الفراغ والرخاء فتضيع أوقاتهم ولا يُنجزون شيئًا ، وكثير ممن يعمل إلى جوار الطلب يكتسب روحًا صلبة مـفعمة بالتـحدي تدفعه للإنجاز ، لذلك فـالذي أراه هو ألا يقتل طالب العلم الذي يضطر إلى العمل همته بنفسه ، ولا يظنن أنَّ اضطراراه للعمل سيقعد به، فالمسألة فقط بحاجة إلى ملكة إدارة الممكن والاستفادة المتاح .

(٥) قليلٌ دائمٌ خـيرٌ من كثـيرٍ منقطعٍ ، والذي أجـزم به أن طالب العلم المضطر للعمل ينجح ويوفق إذا راعى أمرين ، أولهما : أن يختار عملا غير مجهد ، والثاني

أن يداوم عل الطلب لمدة أربع ساعات أو خمس يوميًّا لا تنقص أبدًا ،وحبَّذا لو أعطاها صفوة وقته قبل الذهاب للعمل ، وهذا من حسنات النوم المبكر والاستيقاظ المبكر .

(٦) لا حاجة لأنْ يستهلك الطالب الفقير ماله في شراء الكتب ، فليشتر فقط الكتب التي يذاكرها أو يحفظ منها ،ولا غنى له عن الحاسب الآلي والمكتبات الإلكترونية والكتب المصورة .

(٧) ليس في مسألة تقديم الزواج أو تأخيره رأى قاطع فهي تعتمد على عوامل كثيرة ، والأقرب عندي أن من كان يملك نفقات الزواج ولن يضطر للتفرغ للعمل لتوفيرها ـ فعليه أن يعجل بالزواج ، أما من كان لا يملكها فالرأى عندى أن يؤخر الزواج حتى ينتهي من المرحلة الثانية في كل العلوم الشرعية ، فتكون فترة تفرغه للعمل لتوفير نفقات الزواج فترة بناء بالمراجعة والمطالعة والقراءة المتفرقة ، فلا يلبث أن يعود للطلب بعد مرور هذه الفترة ، والزواج خير كله .

❊ ❊ ❊

شماعة المعوقات.. التواني في طلب العلم بدعوى ضعف المقومات[(١)]

يسوِّل الشيطانُ لبعض الناس أنه معذور في ترك طلب العلم ، أو في تأخيره ، أو في التَّواني فيه ؛ فتارة يخدعه بأنه ما زال طالبًا في الكلية ، وسوف يتفرغ لطلب العلم بعد الانتهاء منها ، وتارة يخدعه بأنه ما زال عزبًا مشغول البال ، وسوف يتفرغ لطلب العلم بعد الزواج ، وتارة يخدعه بأنه لا يعمل ، وسوف يتفرغ لطلب العلم عندما يجد عملًا ، وتارة يخدعه بأنه فقير ، وسوف يتفرغ لطلب العلم عندما يصير غنيًا ،وتارة يخدعه بأنه ما زال صغيرًا ، والعمر أمامه طويل .

ولا يتركه الشيطان مطلقًا ، فمهما حصَّل من المقومات ،وتوفَّر له من الدواعي ، فلا يزال الشيطان به يزين له أمره ، ويصغر في عينه ما حصَّله ، ويعظم ما لم يحصله، حتى لو توفر له المالُ ، وتوفر له الوقت والتفرغ ، وتوفر له الزواج ، وتوفر له العمل، اخترع لنفسه عذرًا فقال : أنا عندي ضيق نفسي ، وتعكُّرٌ في المزاج ، فإذا زال ذلك عنِّي وَصَفَتْ نفسي ، فحينئذ أتفرَّغ لطلب العلم .

اعلم ـ يا أخي ـ أنك لو كنتَ تسير بهذه الطريقة في حياتك ، فلن تطلب العلم مطلقًا ، إذا كنت تقول : سأطلب العلم عندما أصير غنيًا ، فلن تطلبه مطلقًا حتى لو صرت غنيًا ، وإذا كنت تقول : سأطلب العلم عندما أتفرغ ، فلن تطلبه مطلقًا حتى لو تفرغت ، وإذا كنت تقول : ما زلت صغيرًا ، وسأطلبه عندما أكبر ، فلن تطلبه مطلقًا حتى لو كبرت ، وإذا كنت تقول : سأطلبه عندما أتزوج ، فلن تطلبه مطلقًا حتى لو تزوجت .

---

(١) مقالة لأبي مالك العوضي على الشبكة العنكبوتية .



وإذا كنت تظن أنك الآن مشغـول ، وتتوقع أن تصير أقل شغلًا في المستقبل ، فأنت واهم ؛ فالأيام لا تزيد إلا شغلًا ،وهذا مُجَّرب ، فكل الناس يَشْكون من ضيق الوقت وقلة الفـراغ ، ولا يزدادون مع الأيام إلا كـثـرة في الأشغـال ، وضـيقًـا في الوقت.

لن تطلب العلم إلا إذا هيأت نفسـك ،وتماشيت مع ظروفك ، أيًّا كانت ، وفي أى وضع كانت.

لا تقل : أنا فقيـر ، فهناك من هو أفقر منك بكثيـر ، ومع ذلك فهو أعظم منك جدًّا فى طلب العلم بكثير .

لا تقل : أنا مشغـول ، فهناك من هو أكثر شغـلا منك بمراحل ،ومع ذلك فهو ماضٍ فى طلب العلم لا يَتَوانَى .

لا تقل : عندما أتزوج ، فالزواج لن يزيدك إلا شغلًا ،ولن يفيدك إلا ضيقًا في الوقت .

وكم من متزوج تَرَكَ طلب العلم بعد الزواج بعد أن كان مُجِدًّا فيه قبل ذلك !

بعض أهل الغرب كان مـشغولًا طوال يومه ، ولا يجد دقيقـة فراغ ، ولكنه كان يحب القراءة ويكـره هذا الاشتغـال ، فبحث عن حل لمشكـلته ، ووجدها ، فـصار يقتطع كل يوم قبيل وقت نومه ربع ساعة فقط يقرأ فيها ،ومهما كان مُتعبًا أو مُرْهقًا، فإنَّه كان يحـرص على هذه الدقائق من القراءة قـبل نومِه ، وبهذه الطريقة قـرأ مئات الكُتُب ، فصار من أكابر المثقَّفين .

أعرف بعض النـاس ممن تضطرهم الظروفُ للعمل ليلَ نهـار ،ولا يجدون وقـتًا لطلب العلم ، لانشغالهم بالجرْي وراء لُقمة العيش .

لَم يكن لدى هذا الإنسان سـوى ساعة واحدة فـقط يوميًا يمكنه أن يستـغلها فى طلب العلم ، فراح يسـتغلها فى الحفظ ، فـصار يحفظ كل يوم عشـرة أبيات ،وفى سنة واحدة استطاع أن يحفظ ثلاث ألفيـات ! فى حين أنَّ بعض طلَبة العلم المتفرغين

لا يستطيعون أن يحفظوا ألفيةً واحدةً فى العام ، مع أنهم متفرغون ـ فيما يزعمون .

بعض إخـواني جاءني يشـتكي من ضيق الوقت ،وأنه يتـحسـر على هذا الوقت الضائع ، ويتمنى لو يتفرغ لطلب العلم .

فقلت له : سوف أدلك على طريـقة تطلب بها العلم مـن غير أن تخـسر دقيـقة واحدة إضافية ! فقال لى : كيف ؟

فقلت له : أنت طالب فى الجـامعة ، وتروح وتجيء كل يوم إلى الـكلية ، هذا بخلاف خروجك للصلوات وغيرها ، فـإذا اغتنمت فقط أوقات المواصلات والمشى ، فسوف تكفيك لطلب العلم !

ألا تلاحظ أنك تقضي مـا يزيد عن الساعتين يوميًا في مـثل هذه الأمور التي لا تشعر بهـا ؟! هاتان الساعتان كفـيلتان بإخراج طالب علم في مدة يسـيرة مع المواظبة والاهتمام ، فِلمَ التَّوَانِي والتخاذل ؟!

ما الذي يمنعك أنْ تحمل معك كتابًا لتقرأ فيه في المواصلات ؟

أعرف بعض الناس أنهى كُـتبًا ومجلدات كاملةً في المواصـلات ! ما الذي يمنعك أن تحمل في جيبك ورقـة فيها جزء من المتن الذي تحفظه ؟ مـا الذى يمنعك أن تستغل وقت رواحك إلى المسجـد ومجيـئك منه في المراجعة والحـفظ ؟! لا يمنعك شيء من هذا إلا التخاذل والتَّواني .

واللهِ إنِّي لأُعْرِفُ بعض الناس يسـتغلون وقت دخول الخلاء لمراجعـة ما يحفظون من المنظومات في أذهانهم بغير تلفظٍ ! وهذا يذكرنا بإمام الحديث أبى حاتم الرازى ، الذى كان يقرأ عليه ولده في كل وقت حتى في وقت دخوله الخلاء !

المشكلة ليـست في المال ، فكثير مـن أهل العلم وطلبته كـانوا فقـراء لا يجدون قـوت يومهم ، والمشكلـة ليست في الوقت ، فكـثيـر من أهل العلم وطلبـته كـانوا مشغولين أكثر من شـغلنا ، والمشكلة ليست في الزواج ، وليست في العمل ،وليست في كل هذه الأعذار .

المشكلة فينا ، في تخـاذلنا ،وفي توَانينا ،وفي تهاوننا ، وفي الأمراض الكـثيرة التي لدينا ، واللهِ نحن في نِعَمٍ كثـيرة سابغة لا نكاد نشعـر بها ، فأين نحن الآن من أسـلافنا من العلمـاء ؟ لو رأى أحدهم مـا نحن فـيه من النَّـعيم ؛ من الإنتـرنت ، والكتب المصورة ، والأشـرطة ، والتواصل بين طلبة الشرق والغـرب ، وغير ذلك ، لتعجب من هذا التواني الذي نعانيه .

كنت أتمنى أن أعرف ماذا كان سيفعل السيوطي ، أو ابن الجوزي ، أو الطبري ، أو ابن تيمية ، أو غيرهم من فحول العلماء ، لو أدركوا عصرنا هذا ؟

أكاد أقسم أن السيوطي كان سيضع أضعاف ما وضعه من مصنفات ومؤلفات .

ماذا كان سيفعل ابن عساكر لو أدرك عصرنا هذا ؟

أتوقع أنه كان سيصـاب بالعجب عندما يعلم أن كتابه الذي لا يسـتطيعه أحد من أهل عصرنا قد استغرق المحققون في تحقيقه فقط أكثر من عمره !

ويا تُرى ماذا يكون شعـور ابن تيمية عندما يعـرف أن مجرد تحقيق كـتابه « بيان تلبيس الجهميـة » قد استغرق أربعين سنة ؟! مع أنه تحقيق ضعـيف لا يرقى للمستوى المطلوب .

وماذا يكون شعوره إذا عرف أن مجرد تحقيـق كتابه « درء التعارض » قد استغرق خمسًا وعشرين سنة ؟!

وماذا يكون شعور الجـويني إذا عرف أن مجرد تحقيق كتـابه « نهاية المطلب » قد استغرق خمسًا وثلاثين سنة ؟!

وماذا يكون شعور ابن منظور إذا عرف أن مجرد تحقيق كتابه « لسان العرب » قد استغرق عشرين سنة ؟!

تخاذلٌ وضعفٌ ،وهوانٌ وتوانٍ لا مثيلَ له .

وبعـد هذا كله يأتي الواحد منا ، فـيجـهل العلماء ويتـهجم علـيهم ، ويسـفه أحلامهم ، ويرفض أقـوالهم ، ويتعالى عليهم ، ويرد عليهم بألفاظ لا تلـيق بتلاميذ

تلاميذهم .

أين نحن من هؤلاء ؟ أين علمنا من علمهم ؟ أين فهمنا من فهمهم ؟

أين همَّتنا من همَّتهم ؟ أين ذكاؤنا من ذكائهم ؟

أين نحن ممن قال قائلهم : « مَا نَحْنُ فِيمَنْ مَضَى إِلاَّ كَبَقْلٍ فِي أُصُولِ نَخْلٍ طُوَالِ » ؟

أمَّا نحن فلم نبلغ هذا البقل ،وحتى إن بلغناه فليس لدينا من الأدب ما يحملنا على أن نقول مثل هذا القول .

اللهم أصلح أحوالنا ، واهدنا إلى سواء الصراط .

* * *

مَنْ لَزِمَ باباً مِنَ العِلْمِ وانقطعَ لهُ فُتِحَ لهُ (١)

« إنه من أهم ما يجب أن يكون هو أن نبذل في دراسة علومنا القدر الذي بذله كل جيل من أجيال علمائنا الذين سبقونا بإحسان مع زيادة في المجهود ، وزيادة في التحرير والتدقيق وزيادة فى إتقان الوسائل ، وتجويد العمل تتعادل هذه الزيادة مع التقدم السريع الذي تحققه الأجيال في سباقها المحموم نحو التقدم والسبق والغلبة .

وكانت أجيالنا من العلماء الذين سبقونا يبذلون كل وقتهم وكدِّهم وجهدهم في تقريب علم الأمة إلى أجيالها ، وخَلْقِ السُّبل الميسَّرة للتواصل بين أهل الزمان الذي يعيشِ فيه العالِمُ وبين العلم الذي شُغل به ، إيمانًا منهم بضرورة أنْ تُقَارِبُ هذه العلومُ عقول الأجيال ، وأن تساكن نفوسهم وهم يمارسون ما يمارسون من بناءٍ وتقدمٍ ؛ لأنَّ روح الأمة وماهيتها وما تمتاز به بين الناس من خصوصية إنما هو فى هذه العلوم ،وما تتضمن من قيم وأفكار ومعان ومبادئ ، وليس تقريب العلم من روح العصر بالأمر الهين ، ولا هو بتغيير فى أسلوب العلم ولغته وإنما تقريب العلم من روح العصر وأهل الزمن عملٌ أبعدُ من ذلك ، ولا يقف أبدًا عنه اللغة ؛ لأنَّه إعمال العقل في جوهر المعرفة ، وتحوير في هذا الجوهر ، وتعديل في البناء الفكري حتى يتلاءم جوهر العلم مع الزمن الجديد وهذا جهاد آخر لا يقل عن جهاد الذين أسَّسُوا ، واستنبطوا ، ثُمَّ هو نفسه تطوير للفكر ، وتجديد له ، وتحديث له ؛ لأنَّ إعمال العقل لا يكون أمرًا معتدًا به ما لم ينفذ هذا العقل إلى حقائق العلم ، وينفث فيها من روحه ، فيستحسن ما يستحسن من أفكار ، ويطيل الكلام فيه ، ويكشف وجها من وجوه حُسْنِهِ كان مغشى فى كلام من سبق، ويستهين بفكرة ، ويغمض الكلام فيها وكانت بارزة فى كلام من سبق ، وبذلك وغيره كثير يصير هذا العلم مصبوغًا بعقل

(١) من كلام الدكتور حمد أبي موسى ضمنها أبو فهر السلفي مقالة له على الشبكة العنكبوتية.



هذا الباحث الذي درسه وقربه وأحضره لعصره ، ولهذا نرى كلَّ كتاب فى العلم الواحد والذى له ثوابت واحدة يتميز بتميز مُصنِّفِه ،ويحمل روح كاتبه هذه الروح التي تُصِرُّ على أن تظهر من وراء الثوابت الكثيرة والضوابط المطردة .

ولا يكون تقديم العلم إلى الزمن الذى نحن فيه تغييرًا فى الأسلوب فحسب إلا عند الملخصين للمعرفة ، والذين يأخذون ظواهرها ، ولا تتولج قلوبهم وعقولهم في حقائقها وجوهرها .

وقد قالوا : إن كتاب سيبويه مع جودته ، وأنه لم يشذ عنه شيء في بابه ، حتى إن أبا الطيب اللغوي كان يسميه قرآن النحو ، **أقول** : هو مع هذا قالوا فيه : إنه كُتِبَ على شريطة زمانه ، **قال ابن كيسان** : « نظرنا في كتاب سيبويه فوجدناه في الموضع الذي يستحقه ، ووجدنا ألفاظه تحتاج إلى عبارة وإيضاح ؛ لأنه كتاب أُلِّفَ في زمانٍ كان أهله يألفون مثل هذه الألفاظ ؛ فاختصر على مذهبهم » انتهى كلام ابن كيسان . **وقوله** : « وجدنا ألفاظه تحتاج إلى عبارة وإيضاح » لا أفهم منها غرابة الألفاظ ؛ لأن كتاب سيبوية ليس فيه ألفاظ غريبة وإنما الألفاظ هنا المراد بها صياغة الأفكار ، وتركيب الأفكار ، وأنَّ الإيضاح المقصود هو إعادة تركيب الأفكار على الوجه الذي يفهمه أهل الزمان وإن سرَّ وروده في كتاب سيبوية هو أنَّ أهل زمانه كانوا يَأْلَفُونَ هذه الأبنية أعني أبنية الأفكار ،ولذلك نجد أنَّ الغموض الذى ذكره العلماء في كتاب سيبوبه وسأل فيه الأكابرُ الأكابرَ لم يكن راجعًا إلى لفظ غريب ، وإنما كان راجعًا إلى بيان مراد سيبويه من عبارته ، وراجع شروح سيبويه فى الأزمنة المتتابعة تجد كلَّ شرح كأنه صناعة جديدة لعلم سيبوية أعني وعيًا جديدًا للمادة النحوية وبناءً جديدًا لها ، وهذا هو الذى يفسر لن ولع أهل العلم بقراءة « الكتاب » حتى إنَّ أحد نحاة الأندلس ، وهو عبد الله بن محمد بن عيسى كان يختم كتاب سيبويه في كل خمسة عشر يومًا ، **وهذا قاطع في أن المراد ليس هو تحصيل المادة العلمية كما هي فى الكتاب، وإنما المراد التدسس في أعطاف هذه المادة لاستخراج ما خَفِيَ من علم الرجل،** وكان أبو جعفر النحاس يقول : « إنَّ سيبويه جعل من كتابه شروحًا وجعل

فيه مشتبهًا ليكون لمن استنبط ونظر فضل وعلى هذا خاطبهم الله - عز وجل - بالقرآن» .

الذى أريده هو أنَّ اللاحقين من علمائنا بذلوا من الجهد فى مزاولة وتحرير وتدقيق علم من سبقوهم الشيء الكثير ، حتى إنَّك لو قلت : إنهم أكثر كدًا وكدحًا ، ومزاولة وصبرًا لم تتجاوز ، وإن كانوا دائمًا يعترفون بالتقصير وتقديم من سبق ؛ لأن هذا من خُلُقِ وطبع أهل العلم .

لا شك فى أن من شُرَّاحِ سيبويه وممن قرؤوا كتابه وعقبوا عليه من لا يقلُّ فضلًا وعلمًا عن سيبويه ،ولا أتردد فى أن أبا سعيد السيرافى كان من طبقة سبويه في عمله، وذكاءه ووعيه باللسان ،وربما كان أوسع ميدانًا من سيبويه ؛ لأنه كان مفسرًا وفقيهًا ومفتيًا ، وقد وصفه أبو حيان بقوله : « كان أبو سعيد أجمع لشمل العلم، وأنظم لمذاهب العرب ، وأدخل فى كل باب ، وأخرج من كلِّ طريق ، وألزم للجادة الوسطى فى الدين والخلق ، وأقضى في الأحكام ، وأفقه في الفتوى » .

أردت أن أؤكد أنَّ الذين عالجوا نقل المعرفة من جيل إلى جيل على الوجه الأفضل والأشمل والأمكن هم الذين طوروها من خلال هذه المعالجة ، وقد بذلوا في ذلك جهودًا لا تقل عن جهود الذين استنبطوا واستخرجوا ، وأنهم كانوا يعانون التغلغل في أعطاف المعرفة وفي جوهر المعرفة تغلغلًا يكشف لهم خبايها وسرها وفقهها ، وأن زماننا حُرِمَ من هذا الصبر والانقطاع ، وطول الملازمة ، وكل ذلك وما هو أكثر منه واجب في تقريب العلوم واستمرار تيارها وتفاعلها وفعلها في أجيال العامة والخاصة ، ومن الخطر أن يتوقف هذا التيار ، وخصوصًا بعد هجمات التغريب التي دخلت العلوم العربية والإسلامية وهي في أحضان المخلصين لها .

الأصل أنْ يجتهد المشتغلون بعلم البلاغة في زماننا اجتهاد عبد القاهر ، والزمخشري ، والرازي ، وأبو يعقوب ، وابن الأثير ، وابن أبي الإصبع وغيرهم ، وأن يجتهد النحاة اجتهاد الخليل ، وسيبويه ، ويونس ، والأخفش ، والصرفي ، وأبي على، وأبى الفتح ، وأن يجتهد الفقهاء اجتهاد مالك ، والشافعي ، وأحمد ، ومن في

طبقتهم، ولا يكون ذلك إلا بالانقطاع والصبر وطول الملابسة ، والصدق والإخلاص، وهذا هو الطريق الـذي لا طريق للناس سـواه في تطوير المـعـرفـة ونموها وازدهارها ، وليس باللَّغْوِ الكاذب الذي تراه من حولك وتسمعه .

وهذا الاجتهاد ، وهذا الصبر ، وهذا الإخلاص ، وهذا الصدق هو الذي تتخلق فى محيطه النقي الصادق عبقريات لا غنى لحياة الناس عنها ، وأن يكون ذلك في كل ميـادين المعـرفة ، وإن لمن الشيء الذي يجب أن نتـوقف عنده بحذر وخـوف هو أن تنقطع سلسلة النجوم في أي فرع من فروع المعرفـة حتى لا نرى نابها مع كل عقد من الزمن في كل باب من أبواب العلم .

إنه لمن المخـيف بل والمرعب أن تنـسى حـياتـنا ظهـور النوابغ ، وأن تغـفل عن صناعتهم وأن تكون جامـعتنا كالأرض الخراب ليس فيهـا إلا أصداء أصوات الآخرين في كل فروع المعرفة ، وليس لهذا كله سوى علة واحدة هي أننا نسينا مذاهب العلماء في الانقطاع لطلب العلم ، والصبـر على ملازمة الدرس ، والمراجعـة والصدق النقي في طلب وجه الـصواب ، وتخليص النفس من كل شيء إلا لهـذا ولـم تضع يد لبنة فى بناء المعـرفـة في أي باب إلا بـالصـبـر ، وطول المراجـعـة ، وطول الانقطاع ، والصدق، وهؤلاء في تاريخنا هم الشراة الذين اشترى الله منهم أنفسهم .

وهذا الانقطاع الواجب الذى لابد أن يكون في جمهرة الدارسين في كل فرع من فروع المعـرفة ليس مـن الترف وإنما هو من الواجب الذي لا سـبيل إلى التـخلي عنه وذلك لأن طبـيعة المـعرفة لا تـكشف لنا عن جوهرها المكنون إلا بـهذا الصبـر وهذا الانقطاع وأن عبد الله بن محمد بن عيسى الأندلسي الذي كان يختم كتاب سيبويه كل خمـسة عشر يومًـا لم يكن عابثًا ، ولـم يقـتل فراغه بذلك ، وطول المراجـعة لكتب العلماء تكشف جوانب ؛ لأن مدد العلم لا ينقطع ، وشريعته دائمًا زرقاء ـ كما يقول عبد القاهر ـ يعنى فيها الجديد لكل مَنْ طَلَبَ العلم على وجهِهِ ، ووجهُهُ هو الانقطاع والصدق والصبر .

ومعنى قـولهم أن العلم لايؤتيك بعـضه إلا إذا أتيـته كُلَّك أن العلم إذا أعطيـته

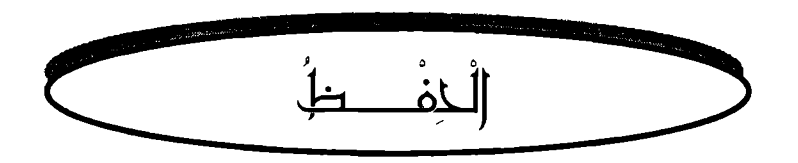


بعضك لا يعطيك شيئًا ، وما طالت مـراجعاتي لباب إلا تكشف به وجوه من المعاني لم تكن قـبل طول المراجعـة ، وتحصـيل العلم وحده هو الخطوة الأولى ، والـدرجة الأولى التى يجب أن يقف عليهـا عامة الناس وخاصتـهم ، ثم تأتي المراقي بعد ذلك مرقاة فوق مرقاة وتمتد بامتداد الحياة وامتداد المراجعة والانقطاع والصبر والصدق .

هذا هو العاصم الذي يعصم عقل الأمة من الانزلاق في مـستنقع التبعية الفكرية التي ترى كثيراً منا غارقًا فيها وهو مغتبط بتبعيته وعبوديته لعدوه الألد .

«ولله في خلقه شئون» .

❋ ❋ ❋



مما ليس محـلا للنظر أو النزاع كون الحـفظ ركنًا من أركان العمليـة التعليمـية ، والتقليل من شأنه لا يقع إلا عن جهل بلوازم التعلم ، أو خلط بين جعل الحفظ ركنًا من أركان العملية الـتعليمية لابد من جمعـه إلى غيره ، وبين جعل العملية التـعليمية قائمـة على الحفظ والتلقين فحـسب ، والأخير لا شك أنه مـذموم لكنه لا يلزمنا ، ومثله الخلط بين العلوم التي تحتاج لقدر يسير من الحفظ كـالعلوم الطبيعية التجريبية ، وبين العلوم التي تحتاج لقدر أكبر منه كـالعلوم المسماة بالعلوم الإنسانية ، ومنها علوم الشريعة .

وإذن : فليس ثَمَّ ارتياب في ضرورة الحفظ ، وأنه من أعمدة العملية التعليمية .

يبـقى بعد ذلك نزاع صنـاعي بين القائلين بلـزوم الحفظ ، وهو في وسـيلة هذا الحفظ وصورته . .

فنحن اتفقـنا من قبل على أن مفـهوم تحصـيل العلوم الشرعـية هو ضبط مـسائل العلوم الشرعية صورها وأحكامها وأدلتها ، وما وقع فيها من الوفاق والنزاع .

وهذا الضبط لا يكون إلا بقدر لازم من الحفظ .

فاختلف الناس في المحفوظ ما يكون ..

فـقـالت طائفـة : هى المتـون ولا طريق غـيـرها أصح وأنفع في تحـصـيل هذا المطلوب، فهى منظومة ومنثـورة كانت طريق الطلب فى القرون العشرة الأخـيرة وبها تخرج سـادات العلماء والأئمـة ، وفيهـا من جمع مسـائل العلم ما لا يُتَـوَصَّل إليه بغيرها.

وقالت طائفة : بل المتون فيها من شدَّة الاخـتصار ، وجمود الألفاظ ، وتوريث هذا الجمود ، وصـرف الجهد في حفظ ألفـاظ ثُمَّ استشراحهـا ما يطيل الطريق ، بل

يقصد الطالب لحفظ المسائل مباشرة من غير واسطة المتون وبهذه الطريقة تخرج جيل الجامعات ومنه علماء أفذاذ . ويجعلون الطريق لحفظ المسائل وضبطها ، هي الكتب المدرسية التي صنفها المعاصرون على وفق مناهج التأليف والتبويب والعرض الحديثة ، فيقدمون دراسة تيسير مصطلح الحديث للطحان (مثلًا) على حفظ نخبة الفكر واستشراحها .

ويجعلون طريقة التعامل مع هذه الكتب المعاصرة هي نفس الطريقة التى يسير عليه طلبة الجامعات فما دونها بحفظ التعريفات ، وضبط صور المسائل ، وما فيها من تقسيمات وفروق ودلائل وتعليلات .

والرأي عندي : هو أنَّه ليس في هذه المسألة رأي جامع وحكم عام ، بل هي من المسائل النسبية التي تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والعلوم ومواهب المتعلم المعين وقدراته وانشراح صدره لطريقة دون أخرى ، **ولعلي أُوضِّح بعض الأمور التى تعين على الاستفادة من الطريقتين :**

(١) الطالب الذي أنس من نفسه سرعة حفظ المتون ، وكانت ملكة الحفظ عنده عالية ؛ فليُقدِّم طريقة المتون ، وغيرُهُ عكسه في الحكم .

(٢) المتخصص في علم ما تقل حاجته لحفظ متن فيه ؛ لاستغراقه فيه استغراقًا تامًا لا يحوجه لمتن للتذكير أو الضبط ، أمـاً المتفنن فيسهل عليه طريق التفنن بحفظ المتون وإن كان التفنن عبر الكتب المدرسية غير ممتنع .

(٣) بعض العلوم لم يصنف طريق لطلبها يعرفه الناس ، ويتتابعون عليه غير المتون ، كعلم القراءات مثًلا .

(٤) ينبغي على حافظ المتن ألا يتعامل مع المتن على أنه حجة بنفسه ، أو منتهى الطلب في الترجيح في هذا العلم ، وألا يعدو بالمتن كونه وسيلة .

(٥) الطالب عبر طريقة الكتب المدرسية يمكنه تكميل النفع بحفظ الأبيات الحاصرة ، كأبيات تجمع علل المنع من الصرف ، أو أبيات تجمع الضمائر ، أو صيغ

الأمر ، أو تنظم القواعد الفقيهة الخمس الكبرى ، فيحور بهذا بعض فضائل المتون فيما يطول ضبطه بالسرد المحض .

(٦) جمهور مُقَدِّمي طريقة المتون يقدمون المتون المنظومة على المنثورة إلا في الفقه.

(٧) من ثَقُلَ عليه حفظ المتون ، وسلك طريق الكتب المدرسية يمكنه حفظ متن صغير في كل علم ويجعله هو المرحلة الأولى ، ثم يجعل المراحل التالية للكتب المدرسية، **ومن أمثلة المتون الصغيرة :**

١ـ العقيدة [سلم الوصول للشيخ حافظ حكمي وتتمتها للعمري] .

٢ ـ الفقه [الدرر البهية للشوكاني أو عمدة الطالب أو متن أبي شجاع] .

٣ ـ الحديث [مختصر ابن أبي جمرة] .

٤ ـ التفسير [كلمات القرآن] . ٥ ـ علوم القرآن [منظومة الزمزمي] .

٦ ـ علوم الحديث [نُخبة الْفِكَرِ أو نظمها] .

٧ ـ أصول الفقه [الورقات أو نظمها] .

٨ ـ النحو [نظم الشنقيطى للأجرومية] .

٩ ـ الصرف [التصريف العزِي أو نظم المقصود] .

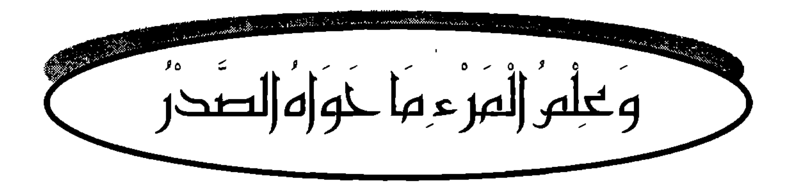
١٠ ـ البلاغة [الجوهر المكنون أو مائة المعانى والبيان] .

١١ ـ القواعد الفقهية [منظومة الفضفرى] . ١٢ ـ المنطق [السُّلم المُنَوْرَقُ] .

وكل ذلك لن يستغرق منه في حفظه ما تستغرقه أَلْفِيَّتَانِ أو زاد المستقنع مثلًا . .

(٨) لا أحبذ حفظ أكثر من متنين في كل علم ، فمختصر ومطول ، وإنما يطلب المتن المطول مُريد التفنن ، أو من كان تخصصه قريبًا من العلم الذي سيحفظ فيه المتن المطول .

❊ ❊ ❊



إن النجوم المتألقة في سماء حضارة هذه الأمة الإسلامية كثيرة ، ولكنك وبقليل من الجهد تلمح على البعد نجمًا متألقًا متميزًا يسطع في تلك السماء ألا وهو : ضبط الصدر .

إنَّ الحفظ هو اللبنة الذهبية فى بناء طالب العلم ، فشرف الشيء وفضله من شرف مقصوده وفضله ، فإذا كان شرف العلم وفضله مسطور مشهور ظاهر ؛ فسيتبع ذلك ولا شك حفظه واستظهاره ، ففضل حفظ العلم إنما هو فرع عن فضل العلم ، والوسائل لها أحكام المقاصد . ولقد رَغَّبَ النبىُّ ﷺ في الحفظ فقال في « خطبة الوداع » : « **فَلْيُبَلِّغُ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ** » .

بل قد دعا النبى ﷺ لمن حفظ ووعى بخير الدعاء وأحسنه ، فقال : « **نَضَّرَ اللهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَحَفَظَهَا وَوَعَاهُ ، وبَلّغَهَا مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لاَ فِقْهُ لَهُ ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ** » .

وقال ﷺ : « **تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرآنِ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا** » .

وقال ﷺ : « **إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الإِبِلِ الْمُعَلَّقَةِ ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا ، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ** » .

قلت : وهذا منه ﷺ غاية المنتهى فى الحثِّ على تعاهد المحفوظ وضبطه ، ولا شك أنَّ العلوم الشرعية جمعاء إنما قامت على حفظ معانى القرآن ومقاصده فشرفها من شرفه . وفضل وأهمية تعاهدها من فضل وأهمية تعاهده ، **والمقصود** : بيان أنَّ استفادة طالب العلم من هذا المنهج أو من غيره موقوفة على مدى اتباعه لسبل الدراسة المستقيمة ، وطرق الطلب الصحيحة .

وأجلُّ ذلك وأعظمه : الحفظُ ، فعناية الطالب واستصحابة للحفظ وحرصُهُ على تقييد العلم بحفظ الصدر هو من الركائز المهـمة التي لن يستقيم بناؤه بغيرها ، وأنت ترى جمًّا غفيرًا من طلبة العلم المستكثرين من القراءة ، والشاكين فى نفس الوقت من ضعف الطلب وسوء التـحصيل ؛ وما ذاك إلا لغفلـتهم عن هذا الأصل المهم ، وقد أكثر أهل العلم من التنبيه على هذه القاعدة الجليلة ،ومما يستحضر من النقول عنهم :

قال أبو زيد بن أخطب ـ رضي الله عنه ـ : « صلى بنا رسول الله ﷺ الفـجر ، وصعد، فـخطبنا حتى حضرت الظهـر ، فنزل فصلى ، ثُمَّ صعد المنبر فـخطبنا حتى حضـرت العصر ، ثم نزل فـصلى ، ثم صعد المنبـر فخطبنا حتى غـربت الشمس ، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن ، فأعلمُنَا أحفظُنَا » . [أخرجه مسلم:(٢٨٩٢)] .

قال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ : إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة ، ولولا آيتان في كتـاب الله ما حدَّثتُ حـديثًا ، ثُمَّ تَلاَ : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ [البقرة : ١٥٩] ، وإنَّ إخواننا من المـهاجرين شـغلهم الصفق فى الأسـواق ، وإن إخواننا من الأنصـار كان يشـغلهم العـمل فى أمـوالهم ، وإنَّ أبا هريرة كـان لزم رسـول الله ﷺ بشـبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون ،ويحفظ ما لا يحفظون ». [أخرجه البخارى: (١١٨) ، ومسلم (٢٤٩٢)] .

وقال الأعمش : « احفظوا ما جـمعتم ؛ فإنَّ الذي يجمـع ولا يحفظ كالرجل كان جالسًا على خوان يأخذ لقمة ، فينبذها وراء ظهره ؛ فمتى تراه يشبع ؟ » [الجامع للخطيب : (١٧٥٠)] .

وقال عبـيد الله بن الحسن : « وجدت أحضر العلم منفعة مـا وعيته بقلبى ولُكْتُهُ بلساني » . [الجامع للخطيب : (١٧٥٥)] .

قال ابن عبد البر ـ رحمه الله تعالى ـ في « جامع بيان العلم وفضله » : « من كره كتابة العلم إنما كـرهه لوجهين ، أحدهما : أن لا يتخذ مع القرآن كـتابًا يضاهي به،

ولئلا يتَّكل الكاتب على ما كتب فلا يحفظ فيقلُّ الحفظ ، كما قال الخليل - رحمه الله - :

لَيسَ بِعلمٍ مَا حوَى القَمْطَرُ … مَا العِلْمُ إلاَّ مَا حوَاهُ الصَّدْرُ

وذكر بإسناد إلى أبي معشر أنه قال في الحفظ :

يَا أَيُّهَا الْمُضَمِّنُ الصَّحَائفَا … مَا قَدْ رُوِيَ تُضَارِعُ الْمَصَاحِفَا

احْفَظْ وَإِلاَّ كُنْتَ رِيحًا عَاصِفًا

وقال أعرابي : حرف في تامورك ، خير من عشرة في كتبك . قال أبو عمر : التامور : علقة القلب ، وذكر بإسناده إلى يونس بن حبيب أنه سمع رجلًا ينشد :

استودِعَ العلمُ قرطاسًا فضيعَهُ … وبئسَ مستودعِ العلمِ القراطيسُ

فقال يونس : قاتله الله ، ما أشد صيانته للعلم وصيانته للحفظ .

إنَّ علمك من روحك ، وإن مالك من بدنك ، فصن علمك صيانتك روحك ، وصن مالك صيانتك بدنك .

ومما يُنسب إلى منصور الفقيه من قوله :

عِلْمِي مَعِي حَيْثُمَا يَمَّمْتُ أَحْمِلُهُ … بَطْنِي وِعَاءٌ لَهُ لاَ بَطْنَ صُنْدُوقِ

إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِي … أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ[1]

وقال عبد الرزاق : كل علم لا يدخل مع صاحبه الحمام فلا تعده علمًا .

وقال عبيد الله بن أحمد الصيرفي :

لَيْسَ بِعلْمٍ مَا حوَىَ القَمْطَرُ … مَا العِلْمُ إلاَّ مَا حوَاهُ الصَّدْرَ

فَذَاكَ فِيهِ شرَفٌ وَفَخْرٌ … وَزِينَةٌ جَلِيلَةٌ وَقَدْرُ

وقال بعض البصريين :

رُبَّ إِنْسَانٍ مَلاَ أَسْقَاطَهُ … كُتُبَ العِلْمِ وَهُوَ بَعْدُ يَخُطُّ

(١) ١ / ٢٩٢ - ٢٩٥ .

فَإِذَا فَتَّشْتَهُ عَنْ عِلْمِهِ قَالَ عِلْمِي يَا خَلِيلِي فِي السَّفَطْ
بِكَرَارِيسَ جِيَادٍ أُحْرِزَتْ وَبِخَطٍّ أَيِّ خَطٍّ أَيِّ خَطّ
فَإِذَا قُلْتَ لَهُ : هَاتِ ، أَرِنَا حَكَّ لَحْيَيْهِ جَمِيعًا وَامْتَخَطَ

وقال محمد بن بشير ـ في أبيات له :

إِذَا لَمْ تَكُنْ وَاعِيًا حَافِظًا فَجَمْعُكَ لِلْعِلْمِ لاَ يَنْفَعُ
أُشَاهِدُ بِالْعِيِّ فِي مَجْلِسٍ وَعِلْمِي فِي الْبَيْتِ مُسْتَوْدَعُ
وَمَنْ يَكُ فِي عِلْمِهِ هَكَذَا يَكُنْ دَهْرُهُ الْقَهْقَرِي يَرْجِعُ

فوائد الحفظ :

للحفظ فوائد كثيرة منها :

١ ـ بقاء المعلومات في الذهن .

٢ ـ الاستفادة من الأوقات في تحصيل العلم زيادة على المحفوظ .

٣ ـ استحضار المعلومات بكل يُسْرٍ وسهولة .

٤ ـ تظهر فائدة الحفظ ومنفعته في حالات منها : فَقْدُ الكتاب ، فَقْدُ الإضاءة ليْلا ، فَقْدُ البصر .

إن الحافظ يُقَدَّمُ على غيره ،وتظهر ميزته بين أهل العلم أنفسهم ،ولهذا قال صاحب الرحبية ـ لما ذكر الفروض المقدورة في كتاب الله ـ قال :

وَالثُّلُثَانِ وَهُمَا التَّمَام فَاحْفَظْ فَكُلُّ حَافظ إِمَامٌ

قال البقري ـ على قوله « فَكُلُّ حَافظ إِمَامٌ » : أَيْ مُقَدَّمٌ على غيره ممن لم يكن مثله ، بأن كان أدون حفظًا ، أو لم يحفظ شيئًا . أ . هـ [1] .

وقال ابن غليون ـ في شرح البيت السابق ـ : أي مُقْتَدًى مُقَدَّمٌ على غيره ، فمن

---

(١) حاشية البقرى على شرح الرحبية .

جَدَّ وَجَـدَ ، ومن فَرَشَ رَقَـدَ ، ومن زَرَعَ حَصَدَ ، ومن كَـسَلَ نَالَ الْهَمَّ ، والنَّدَمَ ، والنَّكَدَ [١] .

وقال الحافظ ابن حجـر فى مقدمة « بلوغ المرام » : أمَّا بعد فهذا مختـصر يشتمل على أصول الأدلة الحديثية للأحكام الشرعية ، حرَّرته تحريرًا بالغًا ، ليصير من يحفظه من بين أقرانه نابغًا [٢] .

طرق إحكام المحفوظ :

الطريق في إحكامه كثرة الإعادة ، والناس يتـفاوتون في ذلك : فمنهم من يثبت معه المحفـوظ مع قلة التكرار ، ومنهم من لا يحفظ إلا بعد التكرار الكثيـر ، فينبغي للإنسان أن يعيد بعد الحفظ ليثبت معه المحفوظ ، ولاسيما في حفظ القرآن الكريم.

فعن أبي مـوسى ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن الـنبي ﷺ قال : « **تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا** »[٣] متفق عليه.

وعن ابن عمـر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أن رسـول الله ﷺ قال : « **إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ الإِبِلِ الْمُعَلَّقَةِ إِنْ عَاهَـدَ عَلَيْـهَا أَمْسَكَهَـا ، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ** » [متفق عليه][٤] .

وقد قِيلَ : السبق حرف والتكرار ألف .

وقِيلَ : حفظ حـرفين خيـر من سماع وِقْـرَيْنَ ، وفهم حـرفين خيـر من حفظ سطرين ، والوقر : الحِمْلُ الثقيل .

وقال الخليل بن أحمد الشجرى ـ رحمه الله تعالى : ـ

اخْـدِمِ الْعِلْمَ خِـدْمَـةَ الْمُسْـتَـفِـيـدِ وَأَدِمْ دَرْسَهُ بِفِـعْـــــلِ حَمِـيـدِ

(١) التحفة فى علم المواريث .

(٢) بلوغ المرام .

(٣) البخارى مع الفتح (٩ / ٧٩) ، صحيح مسلم (١ / ٥٤٣) .

(٤) البخارى مع الفتح (٩ / ٧٩) ، صحيح مسلم (١ / ٥٤٣) .

وَإِذَا مَا حَفِظْتَ شَيْئًا أَعِدْهُ ثُمَّ أَكِّدْهُ غَايَةَ التَّأْكِيدِ
ثُمَّ عَلِّقْهُ كَي تَعُودَ إِلَيْهِ وَإِلَى دَرْسِهِ عَلَى التَّأْبِيدِ
فَإِذَا مَا أَمِنْتَ مِنْهُ فَوَاتًا فَانْتَدِبْ بَعْدَهُ لِشَيْءٍ جَدِيدِ
مَعَ تِكْرَارِ مَا تَقَدَّمَ مِنْهُ وَاقْتِنَاءٍ لِشَأْنِ هَذَا الْمَزِيدِ (١)

يقول الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد في كلام كأنه نفثَةُ مصدور : « فهل من عودة إلى أصالة الطلب في دراسة المختصرات المعتمدة ، لا على المذكرات ، وفي حفظها لا الاعتماد على الفهم فحسب ، حتى ضاع الطلاب فلا حفظ ولا فهم » .

ويُعلِّقُ الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ على عبارة الشيخ بكر فيقول : « أي علم بلا حفظ يزول سريعًا ، وفي الماضى كانوا يعيبون علينا ويقولون : لا تتعب نفسك فى حفظ المتن ، وعليك بالفهم الفهم ، لكن وجدنا أننا ضائعون إذا لم يكن عندنا حفظ ،وما انتفعنا ـ والله ـ إلا بما حفظنا من المتون ولولا أنَّ الله نفعنا بذلك لضاع علينا عِلْمٌ عظيم. فلا تغتر بمن يقول : الفهم ، ولهذا الدعاة القائلون بالفهم لو سألتهم أو ناقشتهم لوجدتهم ضحلاء ، ليس عندهم علم .

ويقول الدكتور محمود الطناحي تحت عنوان : الحفظ ودوره في ضبط قوانين العربية :

« كتب الأستاد الدكتور محمود الربيعي كلمة في أسبوعيات الأهرام ٦ / ٧ / ١٩٩٠ بعنوان « ترتيب الأولويات » قال فيها : « إن تلقين المناهج لطلاب العلم الذين يدرسون فى الجامعات لدينا يجعلهم يتحدثون عن « أعوص » المناهج الغربية الأجنبية كأنهم أصحابها ، فإذا طلبت إليهم أن يقرأوا « مجرد قراءة » نصًا إبداعيًا باللغة التى يُعَدُّون للتخصص فيها « عربية أو أجنبية » لم يقيموا النص قراءة ، فضلًا عن التعمق في فهمه بالتحليل والتركيب والتفكيك» .

وهذا كلام حكيم « بالتنوين والإضافة » وهو أيضًا كلام ظاهر الوضاءة والحسن

---

(١) الحث على حفظ العلم ،وتعليم المتعلم ص (١٠١) .



والتيقُّظِ ، لأنَّه يلخِّصُ المأساة التي نعيشها منذ نحو ثلاثين عامًا ، في هذا المستوى المتدنِّي من علوم العربية : قراءة وكتابة ، ثم هو كلام يُفضي بنا إلى قضية ذات خطر، ليس في الأدب وحده ، بل إن هذا الخطر يمتد ليشمل مختلف فروع التراث العربي ، وأعني تلك الفجوة الواسعة بين النظرية والتطبيق ، أو بين المحفوظ والملفوظ فأنت قد تصادف شخصًا دارسًا للأدب : تاريخه ومذاهبه ومدارسه ، وإذا فاتشته في قضية من قضاياه النظرية تلك ، صال وجال ، ولاك ومضغ ، وخلط عربيًا بعجمي، وأتاك بكل عجيبة وغريبة ، فإذا أخذته إلى نص مما كتبه السابقون الأولون ، وأردته على شيء من التفسير أو التحليل والتذوق حار وأبلس ، « وصار لسانه قطعة لحم خرساء تدور في جوبة الحنك » كما يقول شيخنا محمود محمد شاكر في سياق آخر.

ومثل ذلك يقال في نحوى خالطت بشاشة النحو قلبه ، وخبر سواده وبياضه «زعم » ، أسهر فيه ليله ، وأداب له نهاره ، حتى ظن أنه ملك ناصيته : قواعد وخلافيات ونقدًا ، فإذا أخذ في كلام ، أو أدار قلمه على بياناً خلط ، واعتسف وأخطأ، وما أُتي هذا النحوي وذلك الأديب إلا من قبيل الإغراق في النظريات والمناهج والقواعد ، واطراح الحفظ ، وهجر النصوص ، وإهمال التطبيق .

وقد سرى هذا الداء الخبيث إلى عِلْمَيْنِ جليلين في تراثنا وما كان ينبغي أن يسرى إليهما ، لأنهما ملاك الأمر كله وهما التفسير والحديث ، ففى ميدان التفسير قد تصادف دارسًا يحدثك بإفاضة وإحاطة عن مدارس التفسير واتجاهاته ، من تفسير بالمأثور إلى تفسير بالرأى ، والتفسير الموضوعى للقرآن ، والتفسير الفقهي ، والتفسير الإشاري الصوفي ، إلى آخر هذه القائمة ، فإذا طلبت منه تفسير شيء من كتاب الله لم تظفر منه بشيء إلا شيئًا لا يعبأ به . . . وقد اختفت تلك الصورة الجليلة النبيلة ، حين كنت تستوقف شيخًا فاضلًا عقب صلاة الجمعة ، أو فى طريق عام ، فتسأله عن آية من كتاب الله فإذا أنت أمام علم حاضر وإجابة شافية .

وقُلْ مثل هذا في حديث سيدنا رسول الله ﷺ ، فقد اشتغل به كثير من طلبة العلم الآن : دراسة نظرية ، تعنى بتدوينه وعلومه وتصانيفه من الصحاح والمسانيد. .



إلى غير ذلك مما كان يعرف قديمًا بعلم « الدراية » ، لكنك قَلَّ أن تجد منهم من اعتنى بهذا العلم الجليل « رواية » من حيث حفظ المتون وإتقان الغريب .

وقد أدى هذا الأمر إلى مصيبة كبرى اجتاحت بعض الشباب المسلم المحب لحديث المصطفى ﷺ ، ومعرفة السنة المطهرة ، فقد اتجه كثير منهم في هذه الأيام إلى طلب معرفة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وتجريح الرواة وتعديلهم وهذا بحر لا ساحل له ، ولا يقوى عليه إلا أولو العزم من الرجال ، وقد صرفوا في ذلك جهودًا كثيرة كان الأولى أن تصرف إلى قراءة صحيحي الإمامين الجليلين : البخاري ومسلم، وبقية الكتب الستة التي هي دواوين السنة ، ثم بعض المسانيد الأخرى ، قراءةً فهمًا وبحثًا وإمعانًا ، فإذا أتقنوا ذلك كان لهم أن يبحثوا في الضعيف والموضوع ، وقد بلغت السفاهة ببعضهم أن يقول عن حديثٍ رواه الإمام الجليل أبو عبد الله البخاري : « صححه فلان » يشير إلى أحد العلماء المعاصرين . أفبعد إخراج البخاري للحديث، يُقال : صححه فلان ؟

إن الإسراف في النظريات والمناهج هو الذي أضعف إحساس أبنائنا بالعربية الأولى ، وهو الذي أورثهم العجز الذي يأخذ بألسنتهم وأقلامهم ، فلا يستطيعون قولًا ولا بيانًا .

على أن هذا الذي ذكره الدكتور الربيعي ، والذي ذكرته أنا ، يرجع إلى أننا أهملنا جوانب ضرورية في تَعَلُّمِ العربية . ومن هذه الجوانب التي أهملت جانب النصوص أو الحفظ . . فإنه يشيع في أيامنا هذه كلام عجيب ، يُبَغِّضْ إلى طالب العربية « الحفظ » ويُزَهِّدُهُ فيه ، بل إن الأمر قد تعدَّى ذلك إلى تثبيت قاعدة تجعل «الحفظ » مقابل « الفهم » وأن الطالب الذي يحفظ « صمام » وغير قادر على الفهم والاستيعاب ، ونقرأ لمسئولٍ كبير عن التعليم في مصر قوله : « ولا بد أن يدرك الطالب أن زمن الحفظ والصمامين قد انتهى » .

تراثنا قائم على الرواية :

وهذا الكلام إن صَدَقَ على العلوم المعملية والتطبيقية ، لا يصدق على علوم العربية ، من أدب ولغة ونحو ، وذلك لأن تراثنا كله قائم على الرواية والدراية ، والرواية مقدمة ، ولذلك قالوا : « الرواية من العشرين والدراية من الأربعين » . والجوهري صاحب « الصحاح » يقول فى مقدمته : « قد أودعت هذا الكتاب ما صح عندى من هذه اللغة . . بعد تحصيلها بالعراقين رواية وإتقانها دراية » .

وقد وصل إلينا تراثنا في أول مرة عن طريق الحفظ والرواية ، فقد وعته صدور الرُّواة والنَّقلة ، وسلمته أجيال إلى أجيال ، حتى أظلَّ زمانُ التدوين والكتابة ، فالحفظ هو الأساس ، وقد حثُّوا عليه ومدحوا أهله ، فرُوِيَ عن الأصمعي أنه قال : « كل علم لا يدخل معي الحمام فليس بعلم » يريد أنه حافظه ومستحضره في كلِّ وقت وعلى كلِّ حال . وقال محمد بن يسير من شعراء الدولة العباسية الأولى :

أَأَشْهَدُ بِالجَهْلِ فِي مَجْلِسٍ ... وَعِلْمِي فِي البَيْتِ مُسْتَوْدَعُ
إِذَا لَمْ تَكُنْ حَافِظًا وَاعِيًا ... فَجَمْعُكَ لِلْكُتُبِ لاَ يَنْفَعُ

وقال بعض أهل العلم :

حِفْظُ اللُّغَاتِ عَلَيْنَا ... فَرْضٌ كَفَرْضِ الصَّلاَةَ
فَلَيْسَ يُضْبَطُ دِينٌ ... إِلاَّ بِحِفْظِ اللُّغَاتِ

ولولا الحفظ في تاريخنا التراثي لما أمكن لهذه الطائفة من عباقرة العربية العميان أن يسجلوا لنا هذا القدر الضخم من المعارف الإنسانية ، كالذى نقرأه عند أبي العلاء المعري ، وأبو العلاء فوق شاعريته صاحب لغة ونحوٍ وصرفٍ وعروضٍ ، وابن سيده صاحبُ المحكم والمخصص ، والإمام الترمذيُّ صاحب السنن ، وغيرهم كثير ، مما ذكره صلاح الدين الصفدي في كتابه الطريف « نُكَتُ الْهِمْيَانِ فِي نُكَتِ الْعِمْيَانِ » وحسبك بقراءة القرآن وعلماء القراءات ، كالشاطبي صاحب المنظومة الشهيرة فى القراءات السبع المسماة : « حِرْزُ الأَمَانِي وَوَجْهُ التَّهَانِي » . وفى هذا العصر الحديث

يأتي الدكتور طه حسين ـ رحمه الله ـ على أفذاذ العميان المعاصرين .

إن طبيعة تعلم العربية تقتضي حفظ كثير من النصوص لتثبت القواعد والتمكين للأبنية والتراكب في ذهن طالب العلم . وقد قيل الحفظ والإتقان ، **وذلك ما رواه أيوب بن المتوكل قال** : سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول : كان الرجل من أهل العلم إذا لقى من هو فوقه في العلم فهو يوم غنيمته ، سأله وتعلم منه ، وإذا لقي من هو دونه في العلم علمه وتواضع له ، وإذا لقي من هو مثله في العلم ذاكره ودراسه . وقال : لا يكون إمامًا في العلم من أخذ بالشاذ من العلم ، ولا يكون إمامًا فى العلم من روى كلَّ ما سمع ، ولا يكون إمامًا في العلم من روى عن كل أحد ، والحفظ والإتقان » .

حفظ كلام العرب :

ويقول ابن خلدون : « ووجه التعليم لمن يبتغى هذه المَلَكَةَ ويروم تحصيلها أنْ يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم ، من القرآن والحديث وكلام السلف ، ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم ، وكلمات المُوَلَّدين أيضًا في سائر فنونهم ، حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم » .

ويقول أيضًا : « وتعلم مما قررناه في هذا الباب أن حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب ، حتى يرتسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تراكيبهم فينسج هو عليه ، ويتنزل بذلك منزلة من نشأ معهم ،وخالط عباراتهم فى كلامهم حتى حصلت له المَلَكَةُ المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم » .

ويقول أيضًا عن هذه المَلَكَة التي تحل بالحفظ والدربة : « .... فإن المَلَكَاتِ إذا استقرت ورسخت في مَحَالِّهَا ظهرت كأنها طبيعة وجِبِلَّةٌ لذلك المحلِّ . ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شأن المَلَكَاتِ أنَّ الصواب للعرب في لغتهم إعرابًا وبلاغة أمر طبيعي ، ويقول : كانت العرب تنطق بالطبع ، وليس كذلك ، وإنما هى

مَلَكَةٌ لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت ، فظهرت فى بادئ الرأى أنَّها جِبِلَّةٌ وطبعٌ. وهذه المَلَكَةُ كما تقدَّم إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع ، والتفطنُ لخواص تراكيبه . . وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك ، التي استنبطهاَ أهل صناعة اللسان ، **فإنَّ هذه القوانين إنما تفيد علمًا بذلك اللسان ، ولا تفيد حصول المَلَكَةِ بالفعل فى محلها** » .

وهذا الكلام الأخير هو الذي ينتهى إليه كلام الدكتور الربيعي ، وهو الذي أدرت عليه مقالتي هذه . فإن « معرفة القوانين العلمية التي استنبطها أهل صناعة اللسان » هي « النظريات والمناهج » في أيامنا هذه ، فكما أن الوقوف عند « معرفة القوانين العلمية » هذه لا يصنع مَلَكَةً أدبية لغوية ، كذلك الاكتفاء « بالنظريات والمناهج » لا يُكْسِبُ هذه الملكة .

ويقرر ابن خلدون أيضًا : « أنه لا بد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلم اللسان العربي ، وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته في جنسه وكثرته من قلته تكون جودة المَلَكَةِ الحاصلة عنه للحافظ » .

ويقول القاضى عبد الرحيم بن علي بن شيث الإسنائي القوصي ، في سياق حديثه عن أدوات الكاتب وعدته : « والحفظ في ذلك ملاك الأمر ، فإنه يؤهل ويدرب ، ويسهل المطلوب ويقرِّب » .

هل الحفظ مطلوب ؟!

هذا وقد وقعت على نصٍ خطيرٍ جدًا ، وهو خير ردٍّ وأوفاه على هؤلاء الذين يشترطون للحفظ : الفهم ، ويقولون : لا تطلبوا من الصبي حفظ ما لا يفهم ، فإن هذا غير كُجْدٍ في العملية التعليمية . **يقول أبو الفتح عثمان بن جني** : « قال لنا أبو علي الفارسي يومًا : قال لنا أبو بكر ابن السراج : إذا لم تفهموا كلامي فاحفظوه ، فإنكم إذا حفظتموه فهمتموه » .

وهذا كلام صحيح ، يصدقه الواقع وتؤكده التجربة ، فإن الإلحاح بالحفظ الدائم



المستمر مما يمهد للفهم لا محالة ، وآية ذلك أنَّ صِغار التلاميذ في دور الحضانة والروضة يرددون مع إطلالة كل صباح النشيد الوطني لبلادهم ، وهم بالقطع لا يعرفون شيئًا عن معانى مفرداته فضلاً عن تراكيبه ، ولكنَّهم بمرور الأيام يدركون ويفهمون . والشواهد على ذلك أكثر من أنْ تُحصى في اكتساب وإدراك المعارف .

ونحن الذين حفظنا القرآن صغارًا نعرف هذا من أنفسنا ، فما زلنا نذكر ألفاظ القرآن وتراكيبه الغريبة علينا في مطالع أيامنا ، ثُمَّ إضاءة معانيه في نفوسنا بعد ذلك بالتدريج ، وإِنْ كنَّا لا ندرك بالضبط متى تَمَّ هذا ، كما لا يدرك الناظر في السماء انسلاخ النهار من الليل إلا حين يغشاه نوره ويغمره سناه .

وليس أدلّ على أهمية « الحفظ » في العملية التعليمية في تراثنا ، من هذا القدر الهائل من المنظومات فى اللغة والنحو والفرائض « المواريث » والقراءات ، وعلوم الحديث والأصول والبلاغة والمنطق والعروض والميقات والطب ، وكل ذلك لضبط القواعد وتثبيت الأحاكم . وما أمر « ألفية ابن مالك » ببعيد ! .

ومع المنظومات المطولة فى النحو والصرف كان هناك البيتان والثلاثة والأربعة لضبط القاعدة وترسيخها . فهذا جمع التكسير ينقسم إلى جموع قلة وإلى جموع كثرة، وللأول أربعة أوزان ، وللثانى سبعة عشر وزنًا ، ولصعوبة حصر هذه الأوزان صاغها بعضهم شعرًا ليسهل حفظها ، فجموع القلة جُمعت في قوله :

بأفعل ثم أفعال وأفعلـــه ... وفعلة يعرف الأدنى من العدد

كأفلس وكأثواب وأرغفـــة ... وغلمة فاحفظها حفظ مجتهد

وجموع الكثرة جمعت فى قوله :

فى السفن الشهب البغاة صور ... مرضـــى القلوب والبحار عبر

غلمائهم للأشقياء عمله ... قطـــاع قضبان لأجل الفيلة

والعقلاء شرد ومنتهـــى ... جموعهم في السبع والعشر انتهى

هذا إلى الضوابط النثرية ، مثل « سَأَلْتُمُونِيهَا » لضبط حروف الزيادة ، و«سكَتَ

فَحَثَّـهُ شَخْصٌ » لضبط الحروف المهموسـة . فبهذه الضوابط الشـعرية والنثرية تعلَّمنا الأدب واللغـة والنحو ، وتعلَّم من قـبلنا ، لأنَّنا سَلِمنا ، ولأنهم سَلِمـوا من زلازل التطوير وأعاصير التيسير . وإنه لواجب علينا إذا أردنا الخير لهذا الجيل أن نحيي فيهم مهارات الحفظ ، ونقدم لهم قواعد العربية من خلال النصوص التراثية الموثقة » . إلى هنا انتهت دُرَرُ الطناحي .

تَحْصِيلُ الأَسْبَابِ الْمُعِينَةِ عَلَى الْحِفْظِ

بعد أن عرفنا أهمية الحفظ ومنزلته فى طلب العلم الشرعي ، لا بد من بيان ما يستعان به على الحفظ وأسباب ذلك .

قال أبو الحسين المنادي : « أنا واصف من الآلات ما هو مجمع لكلٍّ قاصد إلى حفظ القرآن ،وإلى جميع أغراض الحق من العلوم والأعمال ، وهو احتشام المناقص جملة ، ذلك أن امرءًا إذ زجر نفسه عن الجريم ، وأقبل إلى الله بالموافقة وعت أذنه وصفا من الرين ذهنه ، فإذا بلغ هذه الحال فعليه بإحضار الذهن عند التعلم ، وإجادة التمييز لما يلقيه إليه المعلم ، وحسم القلب عن كل شاغل ليقهر ما قد شرع فيه .

وليس يخلو من كانت هذه الآلات التي وصفتها من شيمه ، أو تكلفها حتى صارت للعادة كالطعم ، أن ينال الحفظ مراده ، ويدرك منه ـ إن شاء الله ـ بغيته . وليجتهد في كثرة الدرس ، فإنَّه الطريق الثانى للحفظ » أ . هـ .

وكذلك كان السلف يتناولون أنواعًا من المطعومات المشتهرة بالإعانة على الحفظ، كما كان الشافعى ـ رحمه الله ـ يأخذ اللبان للحفظ .

ويمكننا صياغة الأسباب المُعِينَة على الحفظ بالصورة التالية :

الأول حُسن النية :

فإنها مفتاح كلٍّ خير ، وسبب التوفيق والتيسير والبركة فى العلم .

وأورد الخطيب في هذا الباب أثر ابن عباس ﷺ أنه قال : « **إنما يحفظ الرجل على قدر نيته** »[1] .

وقال مَعْمَرُ بن راشد (ت ١٥٤ هـ) : « كان يُقال : إنَّ الرجل ليطلب العلم لغير اللهِ فيأبى عليه العلمُ ، حتى يكون لله عز وجل »[2] .

---

(١) الجامع للخطيب (رقم ١٨٤٣) .

(٢) الجامع لمعمر ـ بذيل مصنف عبد الرزاق ـ (١١ / ٢٥٦)، والمدخل إلى السنن للبيهقى (رقم ٥١٩) .



الثانى : اجتناب ارتكاب المحرمات ومواقعة المحظورات :

قال عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ : « إنِّي لأحسب الرجل ينسى العلم ، بالخطيئة يعملها »[١] .

وقال رجل للإمام مالك : « يا أبا عبد الله ، هل يصلح لهذا الحفظ شيء ؟ قال: إن كان يصلح له شيء ؛ فترك المعاصي »[٢] .

وفى الأبيات المشهورة :

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي ... فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي
وَقَالَ بِإِنَّ حِفْظَ الْعِلْمِ نُورٌ ... وَنُورُ اللهِ لا يُؤْتَاهُ عَاصِي

الثالث : العمل بالحديث الذى يرويه ويحفظه :

قال سفيان الثوري : « العلم يهتف بالعمل ، فإن أجابه وإلا ارتحل »[٣] .

وقال جماعة من السلف ، منهم الشعبي ووكيع : « كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به »[٤] .

والسبب الذي من أجله كان العلم بالحديث مثبتًا الحفظُ ، يظهر جليًا في أن العمل بالحديث يجعل معاني الحديث واقعًا عمليًا ، والمحسوسات أثبت في الذهن من المعنويات .

وأهمُّ من ذلك أنَّ العمل بالعلم سبب لتوفيق الله ـ تعالى ـ إلى العلم والزيادة منه، وكما قال ـ تعالى ـ : ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ** ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

---

(١) أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن (رقم : ٤٨٧) ، وابن عبد البر فى « جامع بيان العلم وفضله » (رقم ١١٩٥)، والخطيب في « الجامع » (رقم : ١٨٥٠) ، وانظر تخريجه في المصدرين الأولين .

(٢) « الجامع » للخطيب (رقم : ١٨٤٦) .

(٣) « جامع بيان العلم » لابن عبد البر (رقم : ١٢٧٤) .

(٤) انظر « جامع بيان العلم » لابن عبد البر (رقم : ١٢٨٤ ، ١٢٨٦) ، و « الجامع » للخطيب (رقم ١٨٥١ ، ١٨٥٢) .

الرابع : اغتنام الأوقات المناسبة فى اليوم للحفظ :

للحفظ أوقات ينبغي لمن أراده أن يراعيها وهذا أمر يختلف فيه الأشخاص . باختلاف أحوالهم وظروف طلبهم للمعاش وغير ذلك ، غير أنَّا سنبني على الغالب المشتهر ، فأجود أوقاته كما يقول أهل التجربة :

١ ـ السَّحَرُ ، بشرط أن يكون طالب العلم قد نام من أول الليل ، وأخذ حاجته من النوم .

ومن جميل الوصايا في ذلك ، ما ذُكر من أنَّ المنذر قال للنعمان ابنه « يا بني ، أحب لك النظر في الأدب بالليل ، فإن القلب بالنهار طائر ، وبالليل ساكن ، وكلما أوعيت فيه شيئًا علقه »[(١)] .

فتعقب الخطيب البغدادي هذه الوصية بقوله : « إنما اختاروا المطالعة بالليل لخلو القلب ، فإنَّ خلوه يسرع إليه الحفظ ، ولهذا لَمَّا قيل لحماد بن زيد : ما أعون الأشياء على الحفظ ؟ قال : قلة الغمِّ » .

قال الخطيب : « وليس تكون قلة الغم إلا مع خلو السر وفراغ القلب ، والليل أقرب الأوقات إلى ذلك »[(٢)] .

وقال إسماعيل بن أبي أويس : « إذا هممت أن تحفظ شيئًا ، فَنَمْ ، ثم قُمْ عند السَّحَرِ ، فأسرج ، وانظر فيه ، فإنك لا تنساه بعد إن شاء الله » .

٢ ـ انتصاف النهار . ٣ ـ أول النهار دون آخره .

٤ ـ حفظ الليل أصلح من حفظ النهار .

هذا في الكثير الغالب ، وقد يناسب إنسانًا ما لا يناسب آخر ، وكل يختار ما هو أصلح له[(٣)] .

---

(١) « الجامع » للخطيب (رقم ١٨٧٢) .
(٢) « الجامع » للخطيب (رقم ١٨٧٢) .
(٣) « الجامع » للخطيب (رقم ١٨٧٣) .



الخامس : اغتنام أماكن الحفظ المناسبة :

وصفة المكان المناسب : أن يكون مريحًا ، لا يشق على النفس المكث به . وأن يكون هادئًا ، بعيدًا عن الأصوات العالية . وأن يكون خاليًا من الملهيات وما يلفت الأنظار ؛ فلا يجلس في حديقة ، ولا فى ممر الناس وأسواقهم ، بل يختار مقصورة أو حجرة في منزله ، يتحفظ فيها[١] .

فأجود أماكن الحفظ :

١ ـ الغرف دون السفل .

٢ ـ كل موضع بعيد عما يلهي ويخلو القلب فيه عما يشغله .

٣ ـ يتجنب الحفظ على شطوط الأنهار ، وقوارع الطرق ، وبحضرة النبات والخضرة[٢] .

السادس : اغتنام فترة الصبا والشباب :

واشتهرت كلمة الحسن البصري التي يقول فيها : « طلب الحديث في الصغر كالنقش في الحجر »[٣] ، **وزاد بعضهم ما معناه** : والعلم فى الكبر كالنقش في النهر[٤] . ولذلك كان السلف يبكرون بأولادهم إلى مجالس الحديث ، **حتى قال عبد الله بن داود الخريبي (ت : ٢١٣ هـ)** : « ينبغي للرجل أن يُكْرِهَ وَلَده على سماع الحديث »[٥] .

وقال علقمة بن قيس النخعي (ت ٦٢ هـ) ، فى بيان قوة حافظة الشاب ورسوخ حفظه : « ما حفظت وأنا شاب ، فكأني أنظر إليه في قرطاس أو ورقة»[٦] .

---

(١) الفقيه والمتفقة (٢ / ٢٠٧) . (٢) الحثُّ على حفظ العلم لابن الجوزي .

(٣) المرجع السابق (٢ / ١٠٧) .

(٤) « جامع بيان العلم » لابن عبد البر (رقم ٤٨٢) ، و « المدخل إلى السنن » للبيهقي (رقم ٦٤٠) .

(٥) انظر : « المدخل إلى السنن » للبيهقي (رقم ٦٤١) ، و« جامع بيان العلم » لابن عبد البر (رقم : ٤٨١) .

(٦) شرف أصحاب الحديث للخطيب (رقم ١٣٧ ، ١٣٩) .



السابع : الصدق في اللُّجْيء إلى الله ـ سبحانه ـ ومراعاة حدوده :

قال تعالى : ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ [محمد : ٧] .

وقال تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٥٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [البقرة : ٤٠] .

الثامن : تطييب الكسب وإصلاح الغذاء وإقلال الطعام ـ

التاسع : الجِدُّ والمواظبة :

قال بعضهم :

بقدر الكد تكتسب المعالي ... ومن طلب العُلا سهر الليالي

تروم العزَّ ثُمَّ تنام ليلًا ... يغوصُ البحرَ من طلب اللآلي

تركت النوم ربي في الليالى ... لأجل رضاك يا مولى الموالي

فوفقني إلى تحصيل علم ... وبلغني إلى أقصى المعالي [(١)]

العاشر : الجهد بقراءة ما يراد حفظه :

ولذلك حكمة ، بينها والد الزبير بن بكار القرشي (ت ٢٥٦ هـ) عندما رأى ابنه يتحفظ سرًا ، فقال له : « إنما لك من روايتك هذه (أي : تحفظك سرًا) ما أدَّى بصرك إلى قلبك . فإذا أردت الرواية (أي : الحفظ) ، فانظر إليها ، واجهر بها ؛ فإنه يكون لك ما أدَّى بصرك إلى قلبك ، وما أدى سمعك إلى قلبك » [(٢)] .

قال محمد عجاج الخطيب: « وهذا تعبير رائع صحيح ، وهذا ما يقول فيه علماء التربية وعلم النفس : كلما كثرت الحواس المشاركة في تلقى موضوع أو تعلمه ، كان حفظه أسرع وأيسر » .

---

(١) جامع بيان لاعلم لابن عبد البر (رقم ٤٨٣) ، والجامع للخطيب (رقم ٦٨٣) .

(٢) انظر الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع (٢ / ٢٥٧) ، وتعليم المتعلم ، ولفته الكبد ، وتذكرة السامع والمتعلم ص (١٦٧) ، وما بعدها .

الحادي عشر : إحكام الحفظ بكثرة تكريره :

يقول ابن الجوزي في « الحثُّ على حفظ العلم » : « الطريق إلى إحكامه كثرة الإعادة . والناس يتفاوتون في ذلك ، فمنهم من يثبت معه المحفوظ مع قلة التكرار ، ومنهم من لا يحفظ إلا بعد التكرار الكثير . وكان أبو إسحاق الشيرازي (ت : ٤٧٦ هـ) يعيد الدرس مائة مرة ، وكان إلكيا الهراسي (٥٠٤ هـ) يعيد سبعين مرة .

وقال لنا الحسن بن أبى بكر النيسابورى الفقيه : لا يحصل الحفظ إلي حتى يُعاد خمسين مرة . وحكى لنا الحسن أن فقيها أعاد الدرس في بيته مرارًا كثيرة ، فقالت له عجوز في بيته : قد ـ واللهِ ـ حفظته أنا ! فقال : أعيديه ، فأعادته ؛ فلما كان بعد أيام ، قال : يا عجوز ، أعيدى ذلك الدرس ، فقالت : ما أحفظه ، قال : إنى أكرر عند الحفظ لئلا يصيبنى ما أصابك » [1] .

الثاني عشر : تعهد المحفوظ ، بإعادة النظر فيه وتكريره فى أوقات مختلفة :

إذ الحافظة مهما كانت قوية لابد أن تسهو ، فالنسيان جبلة الإنسان ، ولا يحافظ على ما فى الصدر من العلم ، إلا مراجعته من حين لآخر ، وعدم الاتكال على الحفظ الأول .

قيل للأصمعي : « كيف حفظت ونسى أصحابك ؟! قال : درست وتركوا»[2].

وقال علقمة النخعي : « أطيلوا كرَّ الحديث لا يدرس »[3] ، أى : لكي لا يبلى ويُنسى .

وعلى طالب العلم أن يجعل له جدوّلا معينًا لمراجعة محفوظة ؛ فمثّلا : يجعل في نهاية كل أسبوع يومًا لمراجعة ما حفظه في ذلك الأسبوع ، وفي نهاية كلِّ شهر يومًا أو يومين لمراجعة محفوظة خلال الشهر كله ، وفى نهاية السنة أسبوعًا أو أسبوعين لمراجعة محفوظة خلال السنة جميعها . وهكذا .

---

(١) الحث على حفظ العلم لابن الجوزى (٤٨ ـ ٤٩) .

(٢) الجامع للخطيب (رقم ١٨٧٩) ، وجامع بيان العلم لابن عبد البر (رقم ٦٤١) .

(٣) الجامع للخطيب (رقم ١٨٧٥) .



الثالث عشر : مأكولات تعين على الحفظ :

عن ابن جريج قال : قال الزهرى عليك بالعسل فإنه جيد للحفظ .

وقال الزهرى أيضًا : من سره أن يحفظ الحديث فليأكل الزبيب[١] .

وينبغى أن يستعمل ما جعله الله ـ تعالى ـ سببًا لجودة الذهن كمضغ اللبان والمصطكى على حسب العادة وأكل الزبيب بُكْرة [٢] .

أحكام الحفظ :

يختلف الحكم التكليفي بالنسبة للحفظ تبعًا لاختلاف ما يُضاف إليه ، فهناك أحكام تتعلق بحفظ القرآن ، وحفظ ما يقرأ في الصلاة ، وحفظ الوديعة إلى غير ذلك من الأحكام ، تراجع في مظانها من كتب أهل العلم[٣] .

صلاة حفظ القرآن :

اشتهر عن علي ـ رضى الله عنه ـ أنه تفلت القرآن من صدره فأمره النبي ﷺ أن يصلى أربع ركعات وأن يدعو في آخرها بدعاء خاص . . إلخ .

إلا أن هذا الحديث لا يصح عند أهل العلم[٤] .

حفظ متن في كل فن ، وشيء من كلام أهل العلم حول المتون والعناية بها :

من المفيد جدًا لطالب العلم أن يحفظ متنًا مختصرًا في كل فن .

قال النووي ـ رحمه الله تعالى ـ : « وبعد حفظ القرآن ، يحفظ من كل فن مختصرًا، ويبدأ بالأهم ، ومن أهمها الفقه والنحو ، ثم الحديث والأصول ، ثم الباقي على ما تيسر ، ثم يشتغل باستشراح محفوظاته . . » [٥] .

وقال ابن جماعة ـ رحمه الله تعالى ـ : « ثم يحفظ من كل فن مختصرًا يجمع

---

(١) الجامع للخطيب (٢ / ٢٦٢) . (٢) تذكرة السامع والمتكلم ص (١٢٣) .
(٣) انظر الموسوعة الفقهية الكويتيه (١٧ / ٣٢٢) .
(٤) الجامع للخطيب (٢ / ٢٥٩) ، الجامع فى الحث على حفظ العلم ص (٢١٨) .
(٥) المجموع (١ / ٦٩) .



فيه بين طرفيه ، من الحديث وعلومه ، والأصولين ، والنحو ، والتصريف ، ولا يشتغل بذلك كله عن دراسة القرآن ،وتعهده ، وملازمة ورده منه في كل يوم ، أو أيام ، أو جمعة ـ كما تقدم ـ وليحذر من نسيانه بعد حفظه ، فقد ورد فيه أحاديث تزجر عنه» [١] .

وقال مرتضى الزبيدي ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفية السند :

فإن أنواع العلوم تختلط وبعضها بشرط بعض مرتبط

فما حوى الغاية فى ألف سنة شخص فخذ من كل فن أحسنه

بحفظ متن جامع للراجح تأخذه على مفيد ناصح

ثم مع الفرصة فابحث عنه حقق ودقق ما استمد منه

لكن ذاك باختلاف الفهم مختلف وباختلاف العلم

فالمبتدي كالفدْم لا يطيق بحثا بعلم وجهه دقيق [٢]

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ـ رحمه الله تعالى ـ :

« الأمور النافعة في الدين ترجح في أمرين : علم نافع ، وعمل صالح ، أمَّا العلم النافع فهو العلم المزكي للقلوب والأرواح ، المثمر لسعادة الدارين ، وهو ما جاء به الرسول ﷺ من حديث وتفسير ، وفقه ، وما يعين على ذلك من علوم العربية ، بحسب حالة الوقت والموضع الذي فيه الإنسان .

وتَعْيِينُ ما يشتغل به من الكتب يختلف باختلاف الأحوال والبلدان ، والحالة التقريبية فى نظرنا هذا : أن يجتهد طالب العلم في حفظ مختصرات الفن الذي يشتغل به ، فإن تعذَّر ، أو قصُر عليه حفظه لفظًا ، فليكرره كثيراً ، حتى ترسخ معانيه في قلبه ، ثم تكون باقي كتب الفن كالتوضيح والتفسير لذلك الأصل الذي أدركه وعرفه .

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم . (٢) إضاءة الحالك ص (١٦٣) .



فلو حفظ طالب العلم « العقيدة الواسطية » لشيخ الإسلام ابن تيمية ، و « ثلاثة الأصول » ، و « كتاب التوحيد » للشيخ محمد ، وفي الفقه : « مختصر الدليل » و« مختصر المقنع » ، وفي الحديث : « بلوغ المرام » ، وفي النحو : « الآجرومية »، واجتهد في فهم هذه المتون وراجع عليها ما تيسر من شروحها ، أو كتب فنها ، فإنها كالشروح لها ؛ لأن طالب العلم إذا حفظ الأصول ، وصار له ملكة تامة في معرفتها، هانت عليه كتب الفن كلها الصغار والكبار ، ومن ضيع الأصول حُرِمَ الوصول .

فمن حرص على هذه العلوم النافعة ، واستعان بالله أعانه وبارك له في علمه ، وطريقه الذي سلكه ، ومن سلك في طلبه للعلم غير الطريقة النافعة ، فاتت عليه الأوقات ، ولم يدرك إلا العناء ، كما هو معروف بالمشاهدة والتجربة .

أمَّا الثاني وهو العمل الصالح ، فالعمل الصالح هو الذي جمع الإخلاص لله ، والمتابعة للرسول ﷺ . . . » [١] .

وفى الشقائق النعمانية فى ترجمة علاء الدين علي بن محمد القوشجي ـ رحمه الله تعالى ـ : « وقد جمع عشرين متنًا في مجلدة واحدة ، كلُّ متن من علم ، وسماه « محبوب الحمائل » وكان بعض غِلمانه يحمله ولا يفارقه أبدًا ، وكان ينظر فيه كل وقت ، يقال إنه حفظ كل ما فيه من العلوم » [٢] .

وكثير من الناس ثكلوا الوصول بتركهم الأصول ، وحقه أن يكون قصده من كل علم يتحراه التبليغ به إلى ما فوقه حتى يبلغ به النهاية .

قال بعضهم :

لقد أصبحت في ندم وهمٍّ ... وما يُغني التندُّم يا خليلي
مُنِعْتُ من الوصول إلى مرامي ... بما ضيَّعتُ من حفظ الأصولِ [٣]

* * *

---

(١) الفتاوى السعدية . (٢) انظر : الذريعة إلى مكارم الشريعة ص (٢٣٦ ـ ٢٣٨) .
(٣) انظر : « الحث على حفظ العلم » لابن الجوزى .



طرق حفظ السنة

يقول الشيخ حاتم العوني : للحفظ طريقتان ، لا يعجز عن إحداهما جميع الناس . ولكلٍّ طريقة منهما مميزاتها وعيوبها ؛ فيحسن أن نذكرهما ، بما لهما من محاسن وعيوب .

الطريقة الأولى (وهي أشهر الطريقتين) :

وهى أنفع للصغار والشباب ومن أُوتِي موهبة الحفظ : وهى بأَنْ يقرر الطالب على نفسه لكل يوم جزءًا يسيرًا من العلم ، كأن يكون حديثًا أو حديثين أو أكثر .

ويستحسن أن يكون قدرًا يسيرًا ، فإن القليل يثبت والكثير لا يحصل؛ فيتحفظ هذا المقرر يوميًّا ، حتى يغيبه فى صدره ؛ ويستقر على ذلك فترة طويلة ، هي سنوات طلبه للعلم ؛ مع تعهد المحفوظ دائمًا ، على المنهج الذى ذكرناه سابقًا في التعهد .

ولهذه الطريقة مميزات وعيوب :

فمن مميزاتها : أنها طريقة منهجية منضبطة ، يمكن للطالب مع التزامها والمداومة عليها حفظ كتب برمتها ، وتغيب مصنفات كاملة .

ومن مميزاتها أيضًا : أنها أسرع حفظًا من الطريقة التالية ، إذ قد لا يجلس الطالب للتحفظ إلا ربع ساعة أو نصفها .

ومن عيوبها : أنها أسرع في التفلت من الطريقة التالية ، وأنها أحوج ما تكون للتعهد للمحفوظ والمراجعة له دائمًا ، وعدم الانقطاع عنه من فترة لأخرى .

ومن عيوبها : أنَّ الذي يلتزم بها الغالب أضيق في الاطلاع من صاحب الطريقة



التالية ؛ لأن الطالب معها مُقيد بمقرر معين .

وأما الطريقة الثانية للحفظ :

وهي أنفع لكبار السن ، ولمن لم يؤتَ موهبة الحفظ : وتتلخص في إدمان مجالسة كتب السنة ، وإدامة القراءة فيها ، والجَلَدِ في ذلك والصبر عليه ، مع الإكثار من النَّسْخِ والكتابة ، وتعويد اليد على ذلك .

ولذلك لما قِيل للإمام البخاري : ما البلاذر ؟ وهو دواء كانوا يظنون قديمًا أنه يقوى الذاكرة وينشط الذهن على الحفظ ، فأجاب الإمام البخارى ، صارفًا لهم إلى البلاذر حقًّا ، حيث قال : « هو إدامة النظر في الكتب »[(١)] .

وقال عبد الله بن المبارك : « من أحب أن يستفيد ، فلينظر فى كتبه »[(٢)] .

وقال الحافظ أبو مسعود أحمد بن الفرات (ت : ٢٥٨ هـ) : « لم نَزَلْ نسمع شيوخنا يذكرون أشياء في الحفظ ، فأجمعوا أنه ليس شيءٌ أبلغَ فيه من كثرة النظر»[(٣)] .

وأما الكتابة وأثرها في الحفظ ، فقد سبق أن ذكرنا أن المحفوظ كلما اشترك فيه أكثر من حاسة ، كلمَّا كان ذلك أقوى له وأرسخ . فإذا نظر القارئ ، وجهر بالقراءة، ثم كتب ؛ فإنه ـ على حد تعبير والد الزبير ابن بكار ـ يكون له ما أدى بصره إلى قلبه ،وما أدى سمعة إلى قلبه ، وما أدت يده إلى قلبه ؛ فلا ينسى ـ بإذن الله تعالى ـ ؛ لأنَّه اشترك في تحفظه ثلاث حواس .

وقد قال الحسن بن علي ـ رضى الله عنهما ـ لبنيه وبني أخيه : « تَعلَّمُوا العلم ، فإنكم صغار قوم ، يوشك أن تكونوا كبارهم غدًا ، فمن لم يحفظ منكم فليكتب»[(٤)] .

---

(١) « جامع بيان العلم » لابن عبد البر (رقم : ٢٤١٤) .
(٢) « الجامع » للخطيب (رقم : ١٨١٣) .
(٣) « الجامع » للخطيب (رقم : ١٨٧٣) .
(٤) « جامع بيان العلم » لابن عبد البر (رقم : ٤٨٤) ، والمدخل إلى السنن للبيهقي (رقم : ٦٣٢، ٧٧٢) .

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي : « ما سمعت شيئًا إلا كـتبته ، ولا كتبته إلا حفظته ، ولا حفظته إلا نفعني »[١] .

ولهذه الطريقة في الحفظ مميزات وعيوب :

فمن مميزاتها : أن صاحبها بطيء النسيان لمحـفوظه ؛ لأنَّ طريقة حفظه تتضمن التعهد معها ، بل هو إنما حفظ بالتعهد الكبير !!

ومن مميزاتها : أن صاحبها أوسع استحـضارًا من صاحب الطريقة السابقة ؛ لأنه أوسع اطلاعًا .

ومن عيـوبها : أن صاحـبهـا لا يستطيع الجزم بـأنه يحفظ كتـابًا ما ، خـاصة المطولات . وأيضًا لا يستطيـع في كثير من الأحيان أن يـؤدي ما حفظ باللفظ ، وإنما يؤديه بالمعنى ؛ وللرواية بالمعنى شروط ، وتحوم حولها أخطار .

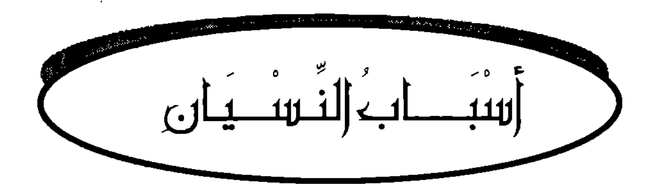
ومن عيـوبها : أنها تـستلزم وقتًـا طويًلا للحفـظ ، وجَلَدًا وصبرًا ، وانقـطاعًا كاملًا ؛ إذا أراد صاحبها أن ينافس صاحب الطريقة الأولى .

وأما من جـمع بين طريقتي الحفظ هاتـين فهو الحفظ الـكامل ، الذي جمع بين محاسن الحفظ ، ونجا من عيوبه كلها .

* * *

---

(١) « جامع بيان العلم » لابن عبد البر (رقم : ٤٤٧) .



للنسيان أسباب كثيرة منها :

١ ـ الاستهانة بأداء فرائض الله ، وتعدي حدوده .

قال ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ : « إنى لأحسب الرجل ينسى العلم كان يعمله بالخطيئة يعملها » .

وقال الضحاك بن مُزاحم ـ رحمه الله تعالى ـ : « ما من أحد تعلَّم القرآن ثُمَّ نسيه إلا بذنب يُحْدِثُهُ وذلك بأن الله ـ تعالى ـ يقول : ﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ** ﴾ [الشورى : ٣٠] ونسيان القرآن من أعظم المصائب .

وسئل سفيان بن عيينة : هل يُسْلَبُ العبد العلم بالذنب يصيبه ؟! قال : ألم تسمع قوله : ﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ** ﴾ [المائدة : ١٣] .

٢ ـ كثرة الأكل .   ٣ ـ الإجهاد والسهر المضني .

٤ ـ كثرة الاهتمام بأمور الدنيا والانشغال عن مراجعة المحفوظ [(١)] .

الحافظ عند المحدثين :

قال ابن سيد الناس ـ رحمه الله تعالى ـ : « وأمَّا المُحَدِّثُ في عصرنا فهو : من اشتغل بالحديث رواية ، ودراية ، وجمع رواة ، واطلع على كثير من الرواة والروايات في عصر ، وتميز في ذلك حتى عرف فيه خطه ، واشتهر فيه ضبطه ، فإنْ توسع في ذلك حتى عرف شيوخه ، وشيوخ شيوخه ، طبقة بعد طبقة ، بحيث يكون ما يعرفه من كل طبقة أكثر مما يجهله منها ، فهذا هو الحافظ . . »[(٢)] .

(١) « تعليم المتعلم » [ص : (١٣٢)] ، و « الجامع في الحثِّ على حفظ العلم » [ص : (٢٦٦)] .

(٢) « تدريب الراوي » (١ / ٣٠) .



وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في « النكت على ابن الصلاح » : للحافظ في عرف المحدثين شروط إذا اجتمعت في الراوى سموه حافظًا :

١ ـ وهو الشهرة بالطلب والأخذ من أفواه الرجال لا من الصحف .

٢ ـ والمعرفة بطبقات الرواة ومراتبهم .

٣ ـ والمعرفة بالتجريح والتعديل وتمييز الصحيح من السقيم حتى يكون ما يستحضره من ذلك أكثر مما لا يستحضره مع استحضار الكثير من المتون .

فهذه الشروط إذا اجتمعت في الراوي سموه حافظًا .

والحفاظ من المحدثين كثيرون ، وقد ذكر ابن الجوزي جماعة منهم ورتبهم على حروف المعجم في كتابه « الحثّ على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ » فانظرهم هناك.

تربية الصبيان على الحفظ :

ينبغي لولي الصبى أن يجتهد معه في التحفظ للقرآن ، وسائر العلوم ، في صِغَرِه ، وكذا كل مبتديء في طلب العلم ، حتى يكون الحفظ سهّلا على الطالب ؛ لأن الحفظ في الصغر كالنقش على الحجر .

وقد جاء عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعًا وموقوفًا : « حفظ الغلام الصغير كالنقش في الحجر ،وحفظ الرجل بعدما يكبر كالكتابة على الماء » وهو صحيح من حيث المعنى ، وإن لم يصح من جهة الرواية [٢].

* * *

(١) النكت على ابن الصلاح (١ / ٢٦٨) ، وانظر تزيين الألفاظ ، والسراج المنير فى ألقاب المحدثين ص ١٢٧ .

(٢) انظر فردوس الأخبار (٢ / ٢٢١) ، كشف الخفاء (١ / ٤٣٣) .



حفظ القرآن أولاً

تعاهُدُ الطلبةِ بتعليم القرآن وحفظه هو هدى النبى ﷺ ، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : « كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن » .

وهذا دال على أن تعليم القرآن أصل يُشَبَّهُ به ما كان يتعاهد النبي ﷺ أصحابه بالتعليم .

قال حذيفة - رضي الله عنه - : حدثنا رسول الله ﷺ حديثين ، رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر ، حدثنا : « **أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جِذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ** ... » الحديث [البخارى : (٧٨٦)] .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : قوله : « ثم علموا من القرآن ، ثم علموا من السنة » كذا في هذه الرواية بإعادة « ثُمَّ » ، وفيه إشارة إلى أنَّهم كانوا يتعلمون القرآن قبل أن يتعلموا السنن ، والمراد بالسنن ما يتلقونه عن النبي ﷺ واجبًا كان أو مندوبًا » أ هـ .

قال الميموني: «سألت أبا عبد الله أيُّهُمَا أحبُّ إليك، أبدأ ابني بالقرآن أو الحديث؟

قال : لا ، بالقرآنِ ، قلتُ : أعلِّمُهُ كله ، قال : إلا أن يعسرَ ، فتعلمه منه .

ثم قال لي : إذا قرأ أوّلا تعلم القراءة ولزمها » أ هـ . [« الآداب الشرعية » لابن مُفلح (٢ / ٣٣)] .

قال ابن مُفلح - رحمه الله - : « وعلى هذا أتباع الإمام أحمد إلى زماننا هذا » . [«الآداب الشرعية » (٢ / ٣٣)] .

وقال محمد بن الفضل : « سمعت جدِّي يقول : استأذنت أبي في الخروج إلى قتيبة ، فقال : اقرأ القرآن أوّلا حتى آذن لك ، فاستظهرت القرآن ، فقال لي : امكث حتى تصلي الختمة ، ففعلت ، فلمَّا عيَّدنا أذن لي فخرجت إلى مرو » أ هـ . [« تذكرة الحفاظ » (٢ / ٧٢٢)] .

وقال أبو عمر بن عبد البر : « طلب العلم درجات ومنازل ورتب لا ينبغي تَعَدِّيهَا، ومن تعدَّاها جملة فقد تعدَّى سبيل السلف ـ رحمهم الله ـ ، ومن تعدَّى سبيلهم عامدًا ضلَّ ، ومن تعدَّى مجتهدًا زلَّ » [« جامع بيان العلم وفضله » (٥٢٦ ـ ٥٢٨)] .

فأول العلم حفظ كتاب الله ـ جل وعز ـ تفهمه ، وكل ما يعين على فهمه فواجب طلبه معه ، ولا أقول : إن حفظه كله فرض ، ولكن أقول : إن ذلك واجب لازم على من أحب أن يكون عالمًا ليس من باب الفرض » أهـ .

وقال الخطيب البغدادي : «ينبغى للطالب أن يبدأ بحفظ كتاب الله ـ عز وجل ـ، إذ كان أجل العلوم ، وأولاها بالسبق والتقديم » أ .هـ .

[« الجامع » للخطيب (١ / ١٠٦)] .

وقال الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ : « وأول ما يَبتدئُ به حفظ القرآن العزيز فهو أهم العلوم ، وكان السلف لا يُعلِّمون الحديث والفقه إلا لمن حفظ القرآن ، وإذا حُفِظَ فليحذر من الاشتغال عنه بالحديث والفقه وغيرهما اشتغالاً يؤدي إلى نسيان شيء فيه أو تعرضه للنسيان » أ هـ .

وقال شيخ الإسلام : « وأمَّا طلب حفظ القرآن فهو مقدَّمٌ على كثير مما تسميه الناس علمًا : وهو إمَّا باطل أو قليل النفع . وهو أيضًا مقدَّمٌ فى التعلم فى حقٍّ من يريد علم الدين من الأصول والفروع ، فإنَّ المشروع في حقٍّ مثل هذا في هذه الأوقات أن يبدأ بحفظ القرآن ، فإنَّه أصلُ علوم الدين ، بخلاف ما يفعله كثير من أهل البدع الأعاجم وغيرهم ، حيثُ يشتغل أحدهم بشيء من فضول العلم ، من الكلام أو الجدال ،والخلاف أو الفروع النادرة والتقليد الذي لا يُحتاج إليه ، أو غرائب الحديث التي لا تثبت ولا ينتفع بها ، وكثير من الرياضيات التي لا تقوم بها حجة ، ويترك حفظ القرآن الذي هو أهم من ذلك كله » أ هـ .

[« الفتاوى الكبرى» (٢ / ٢٣٥)][1] .

---

(١) استفدت هذه المباحث المتعلقة بالحفظ من : « الدليل إلى المتون العلمية » و « نصائح منهجية لطالب علم السنة النبوية » للشريف حاتم و « النبذ فى آداب طالب العلم » لحمد العثمان .

حُسْنُ الْفَهْمِ طَرِيقُ الْعِلْمِ

اعلم أنَّ الفهم والتدبر والدراية هي من أجل مفاتيح العلم ، وأمَّا علم الحديث فله مع الفهم شأن أي شأنٍ ، حتى كان من مأثور كلام مشايخنا : « إن هذا العلم لا يُعطى مفاتيحه لغبي ، ولا يستطيعه إلا الفطن الذكي » .

وقد كان الحرص على التأكيد على أنَّ من أُسُسِ طلب العلم حُسْنُ الفهم : هو ديدن أئمة السلف .

قال تعالى : ﴿ **وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ** ﴾ [الأنبياء : ٧٨ ، ٧٩] .

وعن أبي جحيفة وهب بن عبد الله السوائي قال : قلت لعلى : هل عندكم شيء من الوحى مما ليس فى القرآن ؟ فقال : لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ، إلا فهما يعطيه اللهُ رجلًا في القرآن ، وما فى الصحيفة ، قلت : وما فى هذه الصحيفة ؟ قال: العقل ، وفكاك الأسير ، وأن لا يقتل مسلم بكافر . [البخارى : (١١١)] .

وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه ، ذكر النبي ﷺ قعد على بعيره وأمسكه إنسان بخطامه قال : « **أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟** » فسكتنا حتى ظننَّا أنَّه سيسميه سوى اسمه قال: « **أَلَيْسَ يَوْمُ النَّحْرِ ؟** » قلنا : بلى ، قال : « **فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا ؟** » فسكتنا حتى ظننَّا أنَّه سيسميه بغير اسمه ، فقال : « **أَلَيْسَ بِذِي الْحِجَّةِ ؟** » قلنا : بلى ، قال : «**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ**» . [البخارى (٦٧) ، ومسلم (١٦٧٩)] .

وعن أبى موسى عن النبى ﷺ قال : « **مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ ، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ،**

وكَانَتْ منهَا أجَادبَ أمْسكَت المَاءَ فَنَفعَ اللهُ بهَا النَّاسَ ، فَشربُوا وَسقَوْا وزرعُوا ، وأصَابَتْ منهَا طَائفَةً أُخْرَى إنَّمَا هي قيعَانٌ لاَ تُمْسكُ مَاءً ، ولاَ تُنْبتُ كَلأً ، فَذلكَ مَثلُ مَنْ فقهَ في دين الله ، وَنَفعَهُ مَا بَعثَني اللهُ به ، فَعَلمَ وعَلَّمَ منْ لَمْ يرْفَعْ بذَلكَ رَأسًا ، ولَمْ يَقبلْ هَدْيَ الله الَّذي أُرْسلتُ به » . [البخارى (٧٩) ،ومسلم (٢٢٨٢)] .

قال الخطيب البغدادى :

« قد جمع رسول الله ﷺ في هذا الحديث مراتب الفقهاء والمتفقهين من غير أن يَشُذَّ منها شيء ، فالأرض الطيبة : هى مثل الفقيه الضابط لما روى ، الفاهم للمعاني المحسن لرد ما اخْتُلفَ فيه إلى الكتاب والسنة ، والأجادب الممسكة للماء التي يستسقى منها الناس هى مثل الطائفة التي حفظت ما سمعت فقط ، وضبطته وأمسكته حتى أدته إلى غيرها محفوظًا غير مغيَّرٍ دون أن يكون لها فقه تتصرف فيه ، ولا فهم بالرد المذكور وكيفيته ، لكن نفع الله بها فى التبليغ ، فبلغت إلى من لعله أوعى منها كما قال رسول الله ﷺ : « رربُّ مُبلَّغٍ أَوْعَى منْ سَامعٍ ، وَرُبَّ حَاملِ فقْه لَيْسَ بفَقيه».

ومن لم يحفظ ما سمع،ولا ضبط فليس مثل الأرض الطيبة،ولا مثل الأجادب، بل هو محروم ، ومثله مثل القيعان التي لا تنبت كلأً،ولا تمسك ماءً » أ هـ .

[« الفقيه والمتفقه » (١ / ٤٩)] .

وقال سفيان الثوري : « معرفة معاني الحديث وتفسيره أشد من حفظه » . [«الآداب الشرعية » (٢ / ١١٩)] .

وقال علي بن المديني : « التفقه في معاني الحديث نصف العلم ، ومعرفة الرجال نصف العلم » . أ . هـ . [« مقدمة تهذيب الكمال » (١ / ١٦٥)] .

وقال أبو عبد الله الحاكم : « بعد معرفة ما قدمنا ذكره من صحة الحديث إتقانًا ومعرفةً لا تقليدًا وظنًا معرفة فقه الحديث ؛ إذ هو ثمرة هذه العلوم ، وبه قَوام الشريعة » أ هـ . [« معرفة علوم الحديث » (ص : ٦٣)] .

قال ابن القيم :

« صحة الفهم ، وحسن القصد من أعظم نِعَم الله التي أنعم بها على عبده ، بل ما أُعطيَ عبدٌ عطاءً بعد الإسلام أفضل ولا أجلَّ منهما ، بل هما ساقا الإسلام ، وقيامه عليهما ، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم ، وطريق الضالين الذين فسدت فُهُومُهُمْ ، ويصير من الْمُنْعَمِ عليهم الذين حسنت أفهامهم وقصودهم ، وهم أهل الصراط المستقيم الذين أُمِرْنَا أَنْ نسأل اللهَ أن يهدينا صراطهم في كل صلاة ، وصحةُ الفهمِ نورٌ يقذفه الله في قلب العبد ، يميِّز به بين الصحيح والفاسد ، والحق والباطل ، والهدى والضلال ، والغي والرشاد ، ويمده حسن القصد ، وتحري الحق ، وتقوى الرَّبِّ في السر والعلانية ، ويقطع مادته اتباع الهوى وإيثار الدنيا ، وطلب مَحْمَدَةُ الخلق ،وترك التقوى » أ هـ .

[« إعلام الموقعين » (١ / ٨٧)] .

وقال أيضًا : « والمقصود تفاوت الناس في مراتب الفهم في النصوص ، وإن منهم من يفهم من الآية حكمًا أو حُكْمَينِ ، ومنهم من يفهم عشرة أحكام أو أكثر من ذلك .

ومنهم من يقتصر في الفهم على مجرَّد اللفظ دون سياقه ، ودون إيمائه وإشارته، وتنبيهه واعتباره ، وأخصُّ من هذا وألطف ضمه إلى نص أخر متعلق به فَيَفْهَمُ من اقترانه به قدرًا زائدًا على ذلك اللفظ بمفرده . وهذا باب عجيب من فهم القرآن : لا يتنبه له إلا النادر من أهل العلم ، فإنَّ الذهن قد لا يشعر بارتباط هذا بهذا وتعلقه به، كما فهم ابن عباس من قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا** ﴾ [الأحقاف: ١٥] مع قوله : ﴿ **وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ** ﴾ [البقرة : ٢٣٣] أن المرأة قد تلد لستة أشهر . . » أ هـ .

[اختصره العلامة محمد الأمين الشنقيطي في « أضواء البيان » (٤ / ٧٢١)] .

فمن أجل هذا لا يكفي مجردَّ النص دون فهمه ، فأكمل الناس من مَنَّ اللهُ عليهم بالحفظ والفهم معًا . قال شيخ الإسلام : « فرُبَّ رجلٍ يحفظ حروف العلم

التى أعظمها حفظ حروف القرآن ، ولا يكون له من الفهم ، بل ولا الإيمان ما يتميز به على من أوتي القرآن ، ولم يؤتَ حفظ حروف العلم » . أ هـ .

[« مجموع الفتاوى » (١١ / ٣٩٧ ـ ٣٩٨)] .

وعن عبد الله بن وهب عن مالك بن أنس قال : « إن العلم ليس بكثرة الرواية، وإنما العلم نور من الله يجعله فى القلب » . [« الجامع » للخطيب (ص ١٧٤)].

وقال الخطيب البغدادى : « العلم هو الفهم والدراية ،وليس بالإكثار والتوسع في الرواية » . [المصدر نفسه] .

وقال أيضًا : « وليجعل حفظه للحديث حفظ رعاية لا حفظ رواية ، فإن رواة العلوم كثير ، ورعاتها قليل . ورُبَّ حاضر كالغائب ، وعالم كالجاهل ، وحامل للحديث ليس معه منه شيء ، إذ كان في إطراحه لحكمة بمنزلة الذاهب عن معرفته وعلمه » [« الجامع » (١ / ٨٧)] .

وروى بإسناده إلى الحسن البصري (ت : ١١٠ هـ) ـ رحمه الله ـ قال : «تَعَلَّمُوا ما شئتم أن تَعْلَمُوا ، فلن يجازيكم الله على العلم حتى تعملوا ، فإن السفهاء همتهم الرواية ، وإن العلماء همتهم الرعاية » . [المصدر نفسه (١ / ٩١)] .

وقال أبو عمر يوسف بن عبد البر (ت : ٤٦٣ هـ) : « . . . أما طلب الحديث على ما يطلبه كثير من أهل عصرنا اليوم دون تفقه فيه ، ولا تدبر لمعانيه ، فمكروه عند جماعة أهل العلم » . [« جامع بيان العلم وفضله » لابن عبد البر (٢ / ١٢٧)] .

وقال أيضًا : « الذي عليه جماعة فقهاء المسلمين وعلمائهم ذم الإكثار دون تفقة ولا تدبر ، والمكثر لا يأمن مواقعة الكذب على رسول الله ﷺ لروايته عمن يؤمن وعمن لا يؤمن » **ثم ذكر بإسناده إلى ابن شبرمة قال** : « أقلل الرواية وتفقه » . [المصدر نفسه (٢ / ١٧٢)] .

وقال الحافظ ابن القيم (ت ٥٧١ هـ) : « صحة الفهم ، وحسن القصد من أعظم نِعْمِ الله التي أنعم الله بها على عبده ، بل ما أُعطي عبد عطاءً بعد الإسلام

أفضل ، ولا أجلَّ منهما ، بل هما ساقا الإسلام ، وقيامه عليهما ، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم ،وطريق الضالين الذين فسدت فُهُومُهُمْ ، ويصير من الْمُنْعَمِ عليهم الذين حسنت أفهامهم وقصودهم ، وهم أهل الصراط المستقيم الذي أمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة . وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد ، يميز به بين الصحيح والفاسد ، والحق والباطل . . ، ويمده حسن القصد وتحري الحق تقوى الرب في السر والعلانية ، ويقطع مادته اتباع الهوى وإيثار الدنيا ، وطلب محمدة الخلق ،وترك التقوى » . [«إعلام الموقعين » (١٥ / ٨٧)] .

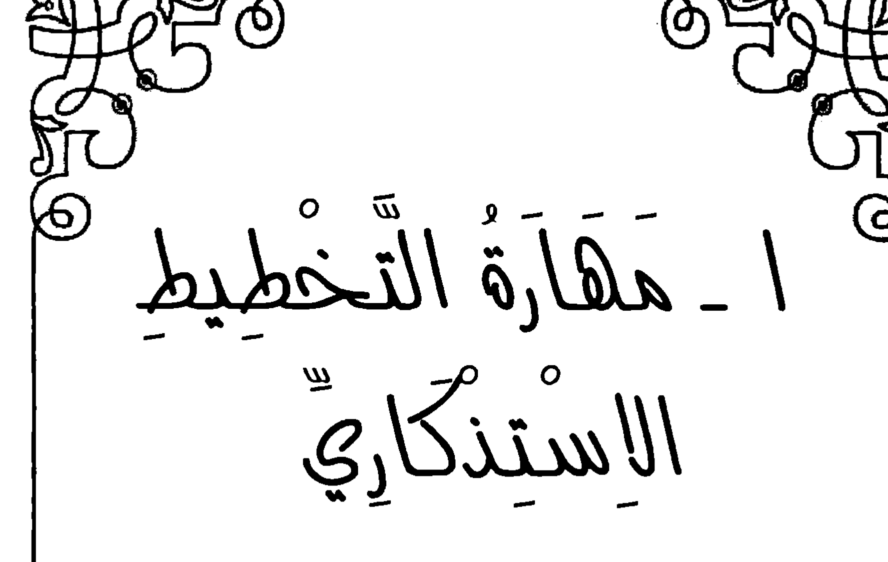
قلت(أحمد) : والفهم يحتاج إلى صبر وأدب وحسن تدسس للألفاظ والمعاني ، وقبل ذلك ومعه وبعده ، وهو رزق يؤتيه الله من يشاء ، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : إذا استعصت عليه آية مَرَّغَ وجهه في التراب وقال : « يا مُعلِّم إبراهيم علمني ، يا مُفهم سليمان فهمني » وقد كانت للعلامة الشيخ عبد القادر بن بدران ـ عليه رحمة الله ـ طريقة حسنة في تناول ما يدرس نذكرها هنا للفائدة ، قال ـ رحمه الله ـ : «واعلم أن للمطالعة وللتعليم طُرُقًا ذكرها العلماء ، وإنَّنا نثبت هنا ما أخذناه بالتجربة، ثُمَّ نذكر بعضًا من طرقهم لئَلاَّ يخلو كتابنا هذا من هذه الفوائد . إذا تمهد هذا فاعلم أننا اهتدينا بفضله ـ تعالى ـ أثناء الطلب إلى قاعدة ، وهي أننا كُنَّا نأتي إلي المتن أوَّلا ، فنأخذ منه جملة كافية للدرس ، ثُمَّ نشتغل بحلٍّ تلك الجملة من غير نظرٍ إلى شرحها، ونزاولها حتى نظنُّ أننا فهمناها ، ثم نقبل على الشرح فنطالعه المطالعة الأولى امتحانًا لفهمنا ؛ فإن وجدنا فيما فهمناه غلطًا صَحَّحناه ، ثم أقبلنا على تفهم الشرح على نمط ما فعلناه في المتن ، ثُمَّ إذا ظننا أننا فهمناه راجعنا حاشيته إن كان له حاشية مراجعة امتحان لفكرنا ، فإذا علمنا أننا فهمنا الدرس تركنا الكتاب واشتغلنا بتصوير مسائله في ذهننا فحفظناه حفظ فهم وتصور ، لا حفظ تراكيب وألفاظ . ثم نجتهد على أداء معناه بعبارات من عندنا غير ملتزمين تراكيب المؤلف ، ثم نذهب إلى الأستاذ للقراءة . وهناك نمتحن فكرنا فى حل الدرس ، نُقَوِّمُ ما عساه أن يكون من اعوجاجٍ ، ونوفر الهمة على ما يورده الأستاذ مما هو زائد على

المتن والشرح . وكنا نرى أن من قرأ كتابًا واحـدًا من فن على هذه الطريقة سهل عليه جميع كتب هذا الفن مختصراتها ومطولاتها ، وتثبت قواعده فى ذهنه » [« المدخل » ص : ٢٦٧ ، ٢٦٨)].

وجُلُّ هذا المبحث مـستفـاد من كتاب الشـيخ محمـد مطر الزهراني « من هدي السلف في طلب العلم » ، ومن كـتاب « التأصـيل في طلب العلم » الشيخ محـمد عمر بازمول .

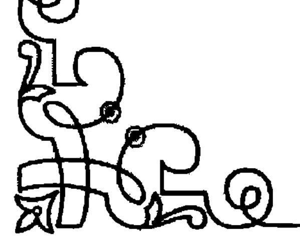
* * *





١ - مَهَارَةُ التَّخْطِيطِ الاِسْتِذْكَارِيِّ

* ما المقصود بالتخطيط الاستذكاري ؟
* ما أهمية جدول المذاكرة ؟
* ما الشروط الخمسة عشر للإعداد الممتاز لجدول المذاكرة ؟
* ما معوقات تنفيذ جدول المذاكرة ؟







التخطيط الاستذكاري هو عبارة عن إعداد جدول المذاكرة بهدف تنظيم الوقت وحسن استغلاله وتوزيعه بنسبٍ مقبولةٍ على المواد الدراسية المختلفة ، بما يساعد الطالب على استيعابها وهضمها قبل حلول وقت الامتحان فيها .

فهو إذن الخطة التي يضعها الطالب لنفسه ليواجه بها مشكلة الدراسة والدروس والنجاح والرسوب . . إلخ .

ففي الأسابيع القليلة قبل الامتحان وحتى تستثمر وقتك ، أوصيك بتكوين جدول للمذاكرة تحدد فيه اسم كل مادة وما هو الوقت المقترح لكلٍّ مادة .

ما أهمية جدول المذاكرة ؟ وما الشروط التى يجب أن نراعيها عند إعداده ؟ . . . وما معوقات تنفيذه ؟ هذا ما سوف نُلقي الضوء عليه في هذا الفصل إن شاء الله.

---

(١) الفصول القادمة عن مهارات المذاكرة مستفادة من كتاب : « أسرار التفوق الدراسي» لمحمد ديماس .



أهمية جدول المذاكرة المنتج

١ - يوفر كثيراً من وقتك ويجعلك تدرك أهمية كلِّ ساعةٍ فى العام الدراسي ، وبذلك يتوفر الوقت الكافي للحفظ والتسميع والمراجعة .

٢ - يساعدك على تحديد الوقت اللازم لمذاكرة كلِّ مادةٍ بحيثُ لا تهمل إحدى مواد الدراسة ، فتكون سببًا في رسوبك .

٣ - يشمل الجدول تحديد المواد للمذاكرة ، وبذلك يوفر على نفسك ضياع الوقت في اختيار أي المواد تذاكر ، خاصة إذا كنت تعانى من القلق والاضطراب .

٤ - إنَّ اتباع جدول لـلمذاكرة بصفة منـتظمة يجعلك تشعـر بالقدرة على تنظيم جميع شؤونك في الحياة .

الشروط الخمسة عشر .. للإعداد الممتاز لجدول المذاكرة :

حتى يكون جدولك نافعًا وغير مبـالغ فيه . . ويحقق أفضل النتائج ، قم بمراعاة الشروط الخمسة عشر الآتية :

١ - حدد مواعيد الاختبارات .

٢ - حدد المواد السهلة والمواد التى تحتاج إلى دراسة بوقت أطول .

٣ - حدد لكل مادة الساعات المتوقعة لها .

٤ - حدد يومـيًا الأوقـات المناسبـة للمراجـعة ، والأفضل أن تكـون في أوقات نشاطك وحضور ذهنك ، وهذه تختلف بشكل بسيط من طالب إلى آخر .

٥ - احسب الأيام المتاحة عندك إلى بداية أول اختبار .

٦ - وزع المواد في هذا الجـدول مع ضرورة أن تـبدأ بالمواد المحـببة السـهلة إلى نفسك والتي عادةً لا تحتاج إلى أوقات طويلة في المذاكرة .

٧ - اتبع الآتي إذا كنت تحب أن تذاكر أكثر من مادة في اليوم الواحد[١] :

---

(١) « طرق الاستذكار من الكتب والأسفار » بتصرف ص ٢٢ .



أ ـ يجب ألاَّ يزيد عـدد المواد التي تختـارها لليوم الـواحد عن ثلاث مـواد[1] دراسية. . عـلى أساس عدم التشـابه بينها من حيث طبيـعتها . ولتكن إحـداها مادة حفظ والأخرى مادة حل والثالثة مادة فهم .

ب ـ اختر مـادة أساسية لهذا اليـوم تعطيها وقتًا أطول وقَـسِّم الوقت الباقي على المادتين الأخريين على حسب كَمٍّ كُلٍّ منها .

ج ـ رتِّب المواد على حساب حبك لها أو ظروفك .

د ـ يفضل أن تبدأ بدراسـة مادة تتطلب وقتًا أقلَّ ، وتنتـهى بمادة تحتاج إلى وقت أطول .

وفيما يلى جدول يُبيِّن كيفية مذاكرة أكثر من مادة فى اليوم الواحد :

اليوم	الزمن بالساعات	المـــــادة	تحقق	لم يتحقق
السبت	٦: ٩ صباحًا	كيمياء (الفصل الأول)		
	٩ : ١٠	راحة (وجبة إفطار)		
	١٠ : ١	جغرافيا ، من الفصل الأول إلى الثانى		
	١ : ٣,٣٠	راحة (صلاة الظهر + وجبة الغذاء = قيلولة)		
	٤ : ٧,٣٠	لغة غربية		
	٧,٣٠ـ ٨,٣٠	راحة (وجبة عشاء)		
	٨,٣٠ـ١٠	قراءة		
الأحد	....			

جدول رقم (١) كيفية مذاكرة أكثر من مادة فى اليوم الواحد

لا تنس أن تعطي نفسك بين ساعة وأخرى دقائق خمس تطلق لنظرك فيها العنان

(١) وعندي أن غير المتفرغ يكتفي بمادتين .



لتريحها من جهد القراءة ، أو تحرك فيها ساقيك بحركات رياضية تُنشِّطها .

أمَّا إذا كنت ممن يحبذ دراسة كلٍّ مادة والانتهاء منها في اليوم الواحد ، ثُمَّ تناول مادة أخرى . . فاحرص على أن تنوع بين المواد العلمية حتى لا تجهد ذهنك . .

تذكَّر أخي الطالب أنَّ للإنسان قدرات واستعدادات فلا تقيد نفسك بالجدول السابق . . فإن كنت تحتاج على سبيل المثال فى مذاكرة اللغة العربية إلى خمسة أيام فنظم جدولك على ذلك وقدر لنفسك ما تحتاج من الوقت لمذاكرة كل مادة ثم أعد جدولك حتى لا تترك مجالًا لوساوس الشيطان أن تسيطر عليك وتشعرك بالإحباط وعدم الثقة بنفسك والخوف من تسرب الوقت منك .

٨ ـ من الأفضل الانتهاء من مذاكرة جميع المواد قبل بداية الاختبارات حتى يتاح مذاكرة المواد مرة أخرى .

٩ ـ راعِ عدم تعاقب المواد المتشابهة عند إعداد الجدول .

١٠ ـ يحسن أن يكون تقسيم الوقت لمذاكرة المادة الواحدة بحيث لا تزيد فترة المذاكرة لهذه المادة عن ساعة على الأكثر إلا في الحالات القليلة .

١١ ـ في تنظيم جدولك يجب أن يكون هناك وقت لا يقل عن نصف ساعة قبل النوم لمراجعة الأجزاء الهامة التي حفظتها مثل القوانين ، النظريات ، النصوص . . . وما شابهها ، وبهذه الطريقة تعمل على تثبيتها تمامًا أثناء فترة النوم .

١٢ ـ حدد فترات الراحة اليومية لتجديد النشاط داخل الجدول . . . على النحو التالي :

أ ـ إعطاء نفسك راحة لمدة ساعة على الأقل بعد الأكل مباشرة عند إعداد الجدول.

ب ـ ضمن الجدول استراحة لمدة ٥ ـ ١٠ دقائق بعد كل ساعة من الاستذكار .

ج ـ ضمن الجدول استراحة لمدة ٣٠ دقيقة بعد كلٍّ ساعتين أو ثلاث ساعات من الاستذكار ؛ لأن في هذا تثبيت لما سبق أنْ حصَّلته من معلومات وإعداد ذهني لما سوف تُحصِّله في المذاكرة القادمة . .

وحـاول في هذه الاستـراحة أن تـشد انتـباهك إلى شيء آخـر بعـيد تمامًـا عن المذاكرة، فـاشغل نفسك بأي شيء مخـتلف ، ولك الحرية في اختـيار هذا الشيء ، ولكن نصيـحتي لك أن تتـجنب الانشغـال بأي شيء قد يؤثر على ذهنك تأثيـرًا قويًا كمشاهدة فيلم سينمائي من أفلام الرعب مـثلا ، أو قراءة كتاب مؤثر يهز المشاعر . . فمن الصعب أن تخرج بسرعة من هذا الجوِّ النفسي المؤثر لتعود لاستكمال المذاكرة .

أُفَـضِّلُ لك خلال هذا الوقت أَنْ تقـوم بجـولة قصـيرة حـول المنزل أو تطلَّ من الشُّرفـة على حسب اتسـاع الوقت ، واشغل نفـسك أثناء ذلك بملاحظة الأشـياء من حولك، خاصة الأشيـاء البعيدة عن مرمى البصر ، كالمنازل البـعيدة ، أو النجوم في السماء ، أو الأفق في البحـر . . فتُعتبر هذه الجولة التأملية الـقصيرة هي أفضل شيء لانشغالك بجوِّ المذاكرة حتى تستطيع أن تعـود لاستكمال ما كنت فيه بنفسٍ راضيةٍ ، وحماسٍ متجددٍ .

١٣ ـ حدِّد راحةً أسبوعية ضِمنَ الجدول .

١٤ ـ حدِّد فترات فراغ ضمن الجـدول لتعويض ما يطرأ على الطالب من ظروف أو زيادة الاهتمام بموضوعات صعبة .

١٥ ـ راعِ القيام بالصلوات عند إعداد الجدول .

معوقات تنفيذ جدول المذاكرة

١ ـ المحيطون بك من أصدقاء وأقارب ، لذلك كان من الأفضل أن تذاكر في مكان لا يستطيع هؤلاء الوصول إليه أو الاتصال بك أثناء مذاكرتك ، فكن حازمًا في هذا الوضع خاصة فيما يتعلق بمقابلة الضيوف والجلوس معهم ،وسوف لا يلومك أحد في هذا ، إذ من المعروف أن الهدف الأساسى لأي طالب هو المذاكرة والنجاح فى الدراسة . . هذا مع مراعاة الآداب الاجتماعية إذا كان لا بد من مقابلة الضيوف أو الأقارب ، وذلك بقضاء فترات قصيرة معهم ثم الاستئذان لمواصلة المذاكرة [1] .

٢ ـ وسائل التسلية الموجودة في المنزل مثل الراديو والتليفزيون ، الحاسوب ، وهذه يجب تنظيم أوقات استعمالها بحزم تام .

٣ ـ تضييع الأوقات في الأمور التافهة .

٤ ـ كراهيتك لبعض مواد الدراسة أو المدرسين القائمين بتدريسها ، وهنا يحسن استشارة الأخصائي الاجتماعي وعرض مشكلتك عليه ، فإنه يستطيع تحسين علاقاتك مع المدرسين ومساعدتك بإمكانياته ووسائله المختلفة .

٥ ـ شعورك بصعوبة بعض مواد الدراسة وفشلك السابق فيها ، وهنا تأكد أنه يوجد كثيرون نجحوا بتفوق وكان نجاحهم قائمًا على فشلهم السابق .

---

(١) وكذلك مراعاة حقوق الوالدين والزوجة والأبناء.





٢ - مَهَارَةُ الْقِرَاءَةِ الْمُتَعَمِّقَةِ

* مهارة القراءة المتعمقه .
* كيف تكون قارئًا ماهراً ؟
* كيف يمكنك تحديد الأفكار الرئيسية ؟
* كيف تعرف سرعتك في القراءة ؟
* كيف تُدَرِّبُ نفسك على القراءة السريعة والمتقنة ؟
* ما الفرق بين القارىء الجيد والقارىء الضعيف ؟
* كيف تطمئن لتقدمك في القراءة السريعة ؟



٢- مَهَارَةُ الْقِرَاءَةِ الْمُتَعَمِّقَةِ

تُعدُّ القراءة المتعمقة من المهارات المهمة والأساسية للمذاكرة الجيدة ، وتعني أَنْ يقوم الطالب بدراسة المادة الدراسية دراسة متعمقة ، تقوم على فهم كُلِّ جزء فيه ، وأن يضع في ذهنه أَنَّهُ يقرأ مادة تحتاج إلى التحليل والفهم ، وتحتاج إلى التوقف عند بعض أجزائها ، وإلى إعادة بعض الأجزاء مرة أخرى .

إِنَّ القراءة المتعمقة تتطلب من الطالب التركيز . لذا عليه أَنْ لا يمر على المادة الدراسية مرور الكرام ، لأَنَّه لا يقرأ مجلة أو قصة ، ولا شك أن المواد الدراسية التي يقوم الطالب بقراءتها متنوعة ، من حيث الموضوعات ومن حيث ارتباط هذه الموضوعات بالقدرات العقلية لديه .

فالمادة العلمية مثًلا كالرياضيات تحتاج من الطالب إلى فهم عميق للقاعدة ، أو فهم ما يتبع هذا القانون أو هذه القاعدة ، بينما نجد أَنَّ مادة كالجغرافيا تحتاج في دراستها وفهمها إلى الاستعانة بالخريطة الموضحة ، والمساعدة في التوصُّل إلى نتائج جيدة ، وتثبيت المادة مدة طويلة في ذهن الطالب .

كيف تكون قارئًا ماهرًا ؟

لقد أثبتت التجارب الحديثة فى الولايات المتحدة الأمريكية أنه من الممكن لأي طالب أن يُحسِّنْ من قدرته على القراءة في وقت قصير وبنسبة قد تزيد عن ٥٠ ٪ .

فكثير من الطلبة يعانون من نقص القدرة على الإدراك والفهم والنجاح في الوصول إلى ما يريد أن يقوله الكاتب في أسرع وقت ممكن أثناء القراءة ، خاصة عند قراءة المواضيع التي لا يشعرون بالانجذاب نحوها ، مما يجعل أمر الانتهاء من قراءتها مُهمة شاقة تستغرق وقتًا طويلًا يملؤه الملل والشكوى والسرحان وتشتيت الأفكار ، وتظهر هذه المشكلة بوضوح في الأسابيع القليلة قبل بدء فترة الامتحانات ، حيث يستهوى الطالب في هذه الفترة أشياء أخرى جذابة للترفيه عن نفسه ، مما يسبب في نقص هذه القدرة ، لانشغال ذهنه بما يصبو إليه .

وإذا كنت ممن تنقصهم القدرة على القراءة فلا داعي للقلق ، فهناك وسائل عديدة لتنمية القدرة بشكل جيد ، قام بإعدادها المختصون في مجال التعليم ، ورغم اختلاف هذه الوسائل من حيث التكوين والمسميات لكنها تهدُف في النهاية إلى أُسُسٍ متشابهة يجب أن تتبعها أثناء القراءة ، خاصَّة عند قراءة المواضيع الطويلة والتي لا تستهويك قراءتها .

لذا ، ولكي تزيد قدرتك على القراءة المتعمقة .. احرص دائمًا على اتباع الخطوات السبع التالية :

١ ـ الإلمام السريع بجوانب الموضوع :

فقبل أن تشرع في القراءة بتمعن قُمْ أوَّلا بتصفح الموضوع بأكمله وبسرعة ، فاقرأ العناوين الرئيسية والعناوين الجانبية ، واستطلع مقدمة كل جزء بسرعة ، وانظر إلى الصور المرافقة إنْ وُجِدَتْ ، واقرأ التعليق على كل صورة .

فهي خطوة تفيد كثيرًا في سرعة فهم الموضوع عند الرجوع إليه بقراءة تفصيلية



ودراسته بإمعان . . كما تساعدك على سرعة الحفظ والقدرة على التركيز والتغلب على السرحان .

٢ ـ حدِّد الغرض من القراءة :

فدائمًا اجعل لقراءتك هدفًا ، بمعنى : اسأل نفسك دائمًا وأنت تقرأ عن الفكرة الرئيسة التي يريد أن يعبر عنها الكاتب في كل جزء من الأجزاء ، ومن أبسط الوسائل التي تساعدك في هذا هو أن تحول دائمًا عناوين أي جزء تقرؤه إلى سؤال وتحاول الإجابة عليه أثناء القراءة . . فمثلا في هذا الجزء من الكتاب أتحدث إليك عن تحسين القدرة على القراءة بشكل جيد ، فحتى تُحفز نفسك على قراءة هذا الجزء وإدراك ما أريد أن أقوله ، يمكنك تحويل هذا العنوان إلى سؤال وهو : كيف يمكن أنْ يُزيد الفردُ من قدرته على القراءة ؟ ثُمَّ تحاول تدريجيًا أثناء القراءة أنْ تصل إلى إجابةٍ عن هذا السؤال .

٣ ـ القراءة بتمعن :

والآن بعد أن أخذت فكرة عامة عن الموضوع (الخطوة الأولى) ، وحددت هدفك من القراءة (الخطوة الثانية) ، اقرأ الآن الموضوع بالتفصيل ، وحاول الإجابة عن السؤال العالق بذهنك ، والوصول إلى الهدف .

٤ ـ استخدم المهارات المُعِينَة على القراءة بعُمق :

المهارات التي تُعينك على القراءة بعُمق ستة ،وهي :

أ ـ لَخِّصْ :

لخص أهم الأفكار الواردة في الكتاب المقرر في بطاقاتٍ صغيرة ، أو في مذكرة خاصة لذلك . . **ومن أهم فوائد التلخيص ما يلي :**

ـ يُساعد على تركيز المادة .

ـ يساعد في استحضار أهم الأفكار قبل الاختبار .

ب ـ استخدم القلم الأصفر :

أعني القلم الفسفوري . وهو على هيئة ألوان عديدة ، حاول استخدامه لتحديد



المعلومات المهـمة ، كتعـاريف مثّلا أو النقـاطِ التي رأيتَ مُدَرِّسَ المادة يركزُ عليـها . كثيـرًا من الطلبة الذين جرّبوا هذه المهارة شعـروا بتحسن كبيـر في دراستهم ، لِمَ لا تجرّب هذه المهارة الآن ؟

ج ـ اكتب على الهامش :

وأنت تقـرأ من أي كتـاب عود نـفسك على الكتـابة فى هامش الكتـاب ، هذه الكتابة قـد تكون تلخيصًـا للفكرة أو تساؤلات أو تعليـقات تتعـارض ، أو تتفق مع الأفكار المعـروضة في النص أو غيـر ذلك ، وتحقـيق هذه المهارة الدراسـية يؤدي إلى تركيز أكبر للمادة المقروءة .

فنحن عندمـا نقرأ الكتـاب نتخيـل أنَّ الكتاب هو مُـحَاضِـرٌ يتحـدث إلينا عـبر صفحاتِ الكتابِ ، وعند قـراءة ما كتبه يمكننا الاستجابة كما نتـعامل مع أي مُحَاضِرٍ عن طريق طرح الأسئلة والاقتراحات .

ولما كان الكاتبُ يتصل بنا عن طريق الكتابة ، فـإنَّ ردَّنا سيكون أيضًا بالكتابة ، وإذا أثار مـا نقرؤه سـؤالا في عقلنـا ، فإننا نسـتطيع كـتابة ذلك السـؤال فى هامش الكتـاب، أمَّا إذا كنا لا نتـفق مع الأشيـاء التي كـتبت في الموضـوع ، فإننا نسـتطيع تسجيل آرائنا ، وإذا قرأنا شيئًا يُذكِّرنا بخبـرة شخصية ، فإننا نستطيع كتابة تعليقٍ في الهامش ليُذكرِّنا بهذه الصلة ، وهكذا .

د ـ ضع خطأ تحت الأفكار المهمة :

البعض لربما لا يُفضل اسـتخدام القلمَ الفسفـوريَّ ، فبإمكانه أنْ يضع خطًّا تحت الكلمات المـهمة ، مع أهمـية الانتبـاه إلى الخطأ الرئيسي الذي يقـوم به الطلاب وهو رسم خطوط تحت أشـيـاء كثـيـرة ، أو وضع خطوط تحت الأفكار الثـانوية بدلًا من الأفكار الرئيسية .

إن القارىء الذى يقـوم بوضع خطوط تحت معظم النص يـدل على أنه لا يوجد لديه هدف للقراءة ، ولذا فإنه يواجه صعوبة في الفصل بين الأفكار الرئيسة والداعمة أو الفرعية ، فكثرة التخطيط غير مفيد عند المراجعة ، والمستوى الجيد للتخطيط يكون

بحدود ١٠ ٪ ـ ٢٠ ٪ من القطعة .

والقارىء الذي يضع خطوطًا قليلة لكنها ليست تحت الكلمات التي تُعبِّر عن الفكرة الأساسية للقطعة ، سيكون لديه صعوبة في التمييز بين الأفكار الرئيسة والفرعية (الداعمة) .

هـ ـ ارسم دائرة :

ومع استخدامك للقلم الفسفوريِّ ، أو طريقة وضع الخطِّ تحت الأفكار المهمة ، بالإمكان تمييز العنوان ، أو المصطلح برسم دائرة حوله .

و ـ تَوَقَّعْ أسئلة :

وأنت تقرأ كتاب المقرر تعود على افتراض أسئلة مُتوقَّعة ، واكتبها على ورقة خارجية ، أو على هامش الكتاب ، ويُستحسن أن تتبادل مع أحد زملائك مثل هذه الأسئلة .

إنَّ وضع الأسئلة المتوقعة سيُعينُك بلا شكٍّ على التركيز ، ثم فهم المادة بصورة أكبر ، كما أنَّ مما يساعدك على اختيار الأسئلة المناسبة هو معرفتك بطريقة مُدرِّسك في وضع الأسئلة ، ويمكن أن تعرف ذلك من خلال سؤاله ، أو الرجوع إلى أسئلة الامتحانات السابقة .

كثيرًا ما تسمع من الْمُدرِّسِ أثناء شرحه .. هذه العبارات :

- هذه النقطة مهمة .
- الفقرة هذه دائمًا تأتي في الامتحانات .
- هذا السؤال دائمًا يُخطىء فيه الطلبة .
- أنا من طَبْعي أنْ أضعَ هذا السؤال فى الامتحانات كلها تقريبًا .

لذا . . وعند المذاكرة دَوِّنْ هذه الأسئلة لهذه النقاط ، وركِّز عليها ، واسأل نفسك ، وجاوب إجابةً كاملة نموذجية عليها . . مما يساعدك على فهم المادة بشكل أفضل وأحسن .



٥ ـ احسب ما استطعت أن تحصله :

قبل أن تغلق الكتاب ، وبعد الانتهاء من القراءة يجب أن تسأل نفسك عن مقدار ما استطعت أنْ تستخلصه من معلومات أثناء القراءة ، وهل هذه المعلومات كافية للردِّ على السؤال ، والأسئلة التي حددتها في ذهنك أثناء القراءة ؟ بهذه الخطوة الأخيرة تستطيع تقييم قدرتك على القراءة الجيدة ، فإذا لم تشعر أنك قد استخلصت قدرًا كافيًا من المعلومات في جزء من الأجزاء ؛ فأقترح عليك إعادة الإلمام به من خلال الخطوة الأولى ، وتحاول أنْ تُراجع مرة أخرى عن طريق الترديد أو الكتابة ، ما استطعت أنْ تستخلصه بعد الإلمام بذلك الجزء مرة أخرى حتى يرسخ في ذهنك .

٦ ـ حَسِّنْ سرعة القراءة دون التضحية بالاستيعاب :

بعض الطلاب بعانون من مشكلة البطء الشديد فى القراءة ويزيد من صعوبة هذه المشكلة في المرحلة الجامعية ، عندما يصبح الطالب مضطرًا لقراءة مئات الصفحات أسبوعيًا .. وللتغلب على هذه المشكلة ولتحسين سرعة القراءة دون التضحية بالاستيعاب ، من الممكن اتباع القواعد التالية :

أ ـ اقرأ في مكان هادىء ؛ لأنَّ الضجيج يُعِيقُ الاستيعابَ فتضطَّر إلى إعادة ما قرأت أكثر من مرة . إنَّ القراءة في مكان هادىء تساعدك على الاستيعاب السريع ، وبالتالي تزيد من سرعة قراءتك .

ب ـ اقرأ في وقت مناسب تتوافر لك فيه شروط النشاط الذهني ؛ لأنك إذا قرأت وأنت مُتعب فسيكون الاستيعاب محدودًا ، والسرعة بطيئة .

ج ـ نَوِّعْ من طبيعة قراءتك حسب هدفك من القراءة .. لا تقرأ كل الكتاب بنفس الطريقة ، وبنفس السرعة .

د ـ نَوِّعْ سرعة قراءتك حسب طبيعة المادة التي تقرؤها حتى لو كنت تقرأ فى نفس الكتاب ، فهناك صفحات تحتاج إلى دقة وتأني ، وهناك صفحات تستطيع أن تقرأها بسرعة [١] ، وينطبق هذا على الصفحة الواحدة ، فهناك فقرات أهم من

(١) كالمقدمات التمهيدية المشتركة بين كتب العلم الواحد .



فقرات وينطبق هذا على الفقرة الواحدة ، فهناك جُمَلٌ أهم من جملٍ ، بل وينطبق على كلمات الجملة الواحدة ، فهناك كلمات أهم من كلمات .

هـ ـ اقرأ قراءة صامتة ، فالقراءة الصامتة تحقق استيعابًا أكبر وسرعة أعلى ، أما القراءة الجهرية فتتعب جهازك الصوتى ، وتزعج الآخرين ، وتحقق استيعابًا أقل وسرعة أدنى .

و ـ اذهب بعينك إلى الأمام على السطور ، لا تتراجع بها إلى ما قرأت إلا للتأكد من فكرة ما . إنَّ التراجع ، إذا أصبح عادة أسهم فى إبطاء سرعتك القرائية .

ز ـ لا تقف طويًلا عند كلِّ كلمة ، اجعل عينيك دائمتي التنقل ، وإلى الأمام فقط .

ح ـ التقط بعينيك مدى واسعًا من الكلمات ، نصف السطر أو كله إذا استطعت، لا تقرأ حرفًا أو كلمة كلمة ؛ لأنك بذلك تقتل تتابع المعاني ، وتسير بسرعة السلحفاة .

ط ـ ركِّز على ما تقرأ ، وعِشْ مع الكتاب ومُؤلفِّه ، وانْسَ الأمور الأخرى ؛ لأن العقل لا يستطيع أن يركز على أمرين متناقضين في آنٍ واحدٍ . . فإما القراءة ، وإما أحلام اليقظة والشرود .

ي ـ توقف عن القراءة عندما تشعر بالملل ، لأن القراءة مع الملل تعود باستيعاب قليل ، وتستهلك الوقت من غير مردود ، ولا يعني أنَّ هذا الملل يجب أن يأتي وِفقًا لهواه ، فلا ملل بعد عشر دقائق من بداية القراءة ، الملل المقصود هنا هو الملل الذي ينشأ عن القراءة لمدة ساعة أو ساعتين .

ك ـ عَوِّدْ نفسك أنْ تقرأ أحيانًا تحت ضغط الوقت ، كأن تحدد لنفسك نصف ساعة لقراءة عشر صفحات ، ثُم نصف ساعة لقراءة إحدى عشرة صفحة ، ثم نصف ساعة لقراءة ثلاث عشرة صفحة ، وهكذا ، إن القراءة تحت ضغط الزمن هي من أحسن عوامل تحسين سرعة القراءة .

ل ـ تَعرَّف على الكتاب ، فهذا يُساعدك على تفهم طريقة المؤلف في العرض ،

ويساعـدك على التعرف على كـيفية التـعامل مع الكتاب ، الأمـر الذي يسهل عليك قراءته .

م ـ اقرأ فقط الأفكار الرئيسية :

انْتَقِ مما تقـرأ ، مهـما كان الهـدف من قراءتك ، فـلا تعتـقد أنَّ كلَّ كلمـة في الكتاب تتساوى في الأهمية مع كلِّ كلمـة أخرى ،ولا تعتقد أن كل جملة في الكتاب تساوى غيرها في الأهمية ، ابحث عن الأفكار والمفاهيم الرئيسية وركز عليها أكثر من سواها ، هذا الانتقـاء يمكنِّك من توفير الوقت ، فبـدلًا من أنْ تقرأ كلَّ شيء ، تقرأ الأفكار الرئيـسيـة فقط ، وبدلًا من أن تُعـيد قراءة كلَّ شـيء ، تُعيد قـراءة الأفكار الرئيسة فقط .

كيف يمكنك تحديد الأفكار الرئيسية ؟

يمكن تحديد الأفكار الرئيسة على النحو التالي :

١ ـ تصـفح الكتاب واسـتعـرض محـتـوى الفصل أو الموضـوع المراد مذاكـرته استعراضًـا سريعًا بالاطلاع على عناوينه الرئيسية والفـرعية ، واقرأ بعض السطور هنا وهناك ، وبعض الفقرات ، أو مُلخَّص الفـصل إنْ وُجِدَ . . وبذلك تكون قد كوّنت فكرة عامة قبل الدخول في تفاصيله .

٢ ـ حدد أسئلة مُعيْنة ، كأن تقـول لنفسك : « ما هي الأسئلة التي ينبغي إيجاد إجابات عنها وأنا أذاكر هذا الفصل ؟» فوجود مـثل هذه الأسئلة يجعل المذاكرة عملية ذات أهداف محددة .

٣ ـ اقرأ الموضوع بهدف التعرف على الأفكار الرئيسة واستيعابها بدقة .

٤ ـ ضع خطوطًا تحت الأفكـار الرئيـسة أو القـوانين أو التـعـريفـات ، أو ضع تعليـقات في هامش الكتـاب ، أو أرقامًـا ، أو أيَّةَ ملاحظاتٍ ، وبذلك تكـون قد انتهيت من تحديد الأفكار الرئيسة في الموضوع المراد مذاكرته .

٥ ـ اسأل المُدَرِّسَ عن الأفكارِ والمعـاني التي لم تفهـمها في الكتـاب ، فالتظاهر بمعرفة كلِّ شيء لا يفيد أبدًا ، بل هو خِداع للنفس .

كَيْفَ تَعْرِفُ سُرْعَتَكَ فِي الْقِرَاءَةِ؟

١ ـ افتح إحـدى صفحاتِ الكتـاب ، واعرف متوسط عـدد الكلمات في السطر الواحد ، وكذلك متوسط عدد السطور في الصفحة الواحدة .

٢ ـ احسب الزمن اللازم لك لقراءة أحد الموضوعات بحيث تفهم ما قرأت .

٣ ـ احسب عدد السطور التي قرأتها .

٤ ـ اضرب عـدد السطور في متوسط كلمـات كلٍّ سطر مجمـوع الكلمات التي قرأتها .

٥ ـ اقسم مجموعَ الكلمات على الزمن يعطيك سرعتك في القراءة في الدقيقة.

كيف تدرب نفسك على القراءة السريعة ؟[(١)]

استخدم الطريقة السابقة في التعرف على سرعتك في القراءة ، وإذا كانت أقل من ١١٠ كلمة في الدقيقة ، فأنت قارىء ضعيف وتحتاج إلى تدريب .

وفيما يلي أهم الملحوظات الخاصة بالتدريب التي تساعدك لتصل إلى سرعة ٦١٥ كلمة في الدقيقة :

١ ـ حدد لنفسك ساعة للتدريب يوميًا ، ولا مانع أن تبدأ بنصف ساعة إذا كنت ممن يسأمون بسرعة حتى تصل إلى ساعة .

٢ ـ في بداية كل فترة تدريب احسب سرعتك في القراءة بعد ١٠ دقائق .

٣ ـ استمر في التدريب بطريق القراءة الصامتة .

٤ ـ قبل نهاية فترة التدريب اليومي بعشر دقائق ، احسب لنفسك سرعتك مرة ثانية لتتبين التقدم الذي حققته .

٥ ـ احتفظ لنفسك بجدول تدون فيه مدى سرعتك في القراءة في نهاية كلِّ فترة تدريب .

٦ ـ أثناء التدريب يجب ملاحظة ، أنك تفهم وتهضم ما تقرأ ، ولاحظ ألا تخدع نفسك .

٧ ـ يحسن أن تكون بعض فترات التدريب مع جماعة تتفق على قراءة أجزاء معينة بحيث تناقشها بعد قراءتها لتتبين مدي استيعاب كلِّ شخص لما قرأه .

٨ ـ عندما تتقدم في القراءة الصامتة ، فإنه ليس من المهم قراءة كلِّ كلمة ، ويكفي التعرف على المقصود من الموضوع بقراءة بعض الجمل والعبارات . . وهنا يحتاج القارىء إلى قدرة كبيرة على حصر ذهنه .

(١) يجب الانتباه إلى أن مجال القراءة السريعة هو المطالعات العامة التي لا تحتاج لتأمل ونظر.



٩ - الاهتمام بالصور والرسوم التوضيحية ، فهذه تبين في سهولة وسرعة المقصود من الدرس أو الموضوع .

١٠ - ولكي تساعد نفسك في التدريب على القراءة السريعة ، يحسن أن تلاحظ الفارق بين القارىء الجيد والقارىء الضعيف .

مقارنة بين القارىء الجيد والقارىء الضعيف

	القارىء الجيد		القارىء الضعيف
١	يستطيع في لمحة عين قراءة كلمتين أو ثلاثة على الأقل وبذلك فهو سريع في القراءة .	١	يقرأ كل كلمة، وبذلك يفقد جزءًا كبيرًا من الوقت مما يجعله بطيئًا في القراءة .
٢	تسهل عليه القراءة الصامتة بحيث لا يحرك شفتيه ، ولا أوتار الصوت مما يساعد على سرعة القراءة .	٢	يجد صعوبة في القراءة الصامتة ويحاول تحريك شفتيه ، وأوتار الصوت .
٣	القارىء الجيد يتقدم في قراءته بسرعة ، وبذلك يستطيع تذكر الموضوع الذي يقرأه بسهولة .	٣	لا يتقدم في السطور التي يقرأها بل هو يعود لتكرار ما سبق قراءته؛ لأنَّه يفقد المقصود من الموضوع بسبب بُطئه في القراءة مما يجعل ذهنه متبلدًا في كثير من الأحيان.
٤	يهتم بسلامة عينيه أو نظارته بحيث تكون مضبوطة .	٤	يهمل رعاية عينيه ، ولا يدقق في التأكد من سلامة وضبط نظارته .

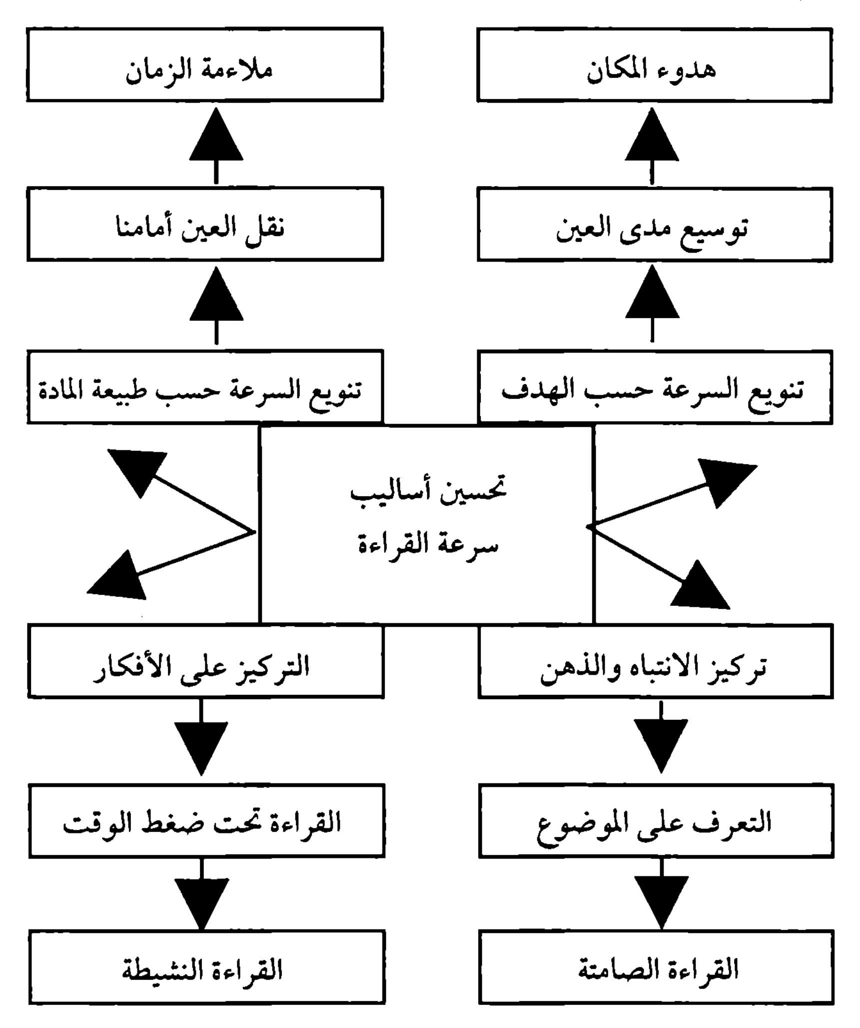
تمرين
كيف تطمئن لتقدمك في القراءة السريعة؟

- اختبر نفسك لترى هل أنت على طريق التقدم فى القراءة السريعة .

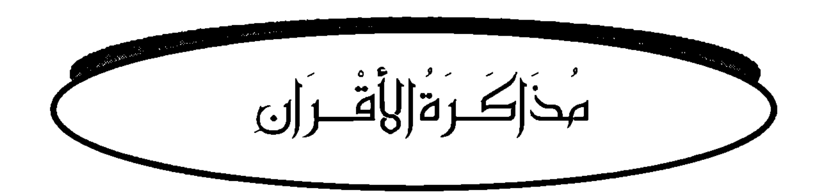
م	الموضوع	نعم	لا
١	هل تحدد لنفسك وقتًا لقراءة واستيعاب المطلوب ؟		
٢	هل عادةً تقرأ الدرس دفعة واحدة، ثم تعيد قراءته بالتفصيل؟		
٣	هل تهتم عادةً بالتعرُّف على أهم النقاط في الدرس والعناوين الهامة قبل قراءة الدرس بأكمله بالتفصيل ؟		
٤	عندما تصادفك كلمة صعبة أثناء الدرس ، فهل تهتم بمعرفتها سواء بالرجوع إلى القاموس أو بالسؤال عنها ؟		
٥	هل تحتفظ بمحاضرات ودروس كلِّ مادةٍ في مذكرات وكراسات منظمة ؟		
٦	عندما تتذكر واجبًا عليك فهل تؤديه عادةً دفعة واحدة ؟		
٧	هل تحاسب نفسك من آن لآخر لترى مدى تقدمك أو تأخر في الدروس؟		
٨	هل تستفيد من معلومات إحدى المواد لمذاكرة مادة أخرى؟		
٩	هل أنت معتاد على مراجعة الدروس التي تستذكرها من آن لآخر ؟		
١٠	هل تعرف في كل صباح كيف ستقضى يومك وتنظم أوقاتك؟		
١١	هل يوجد في مكان مذاكرتك ما يشغل فكرك عن المذاكرة ؟		
١٢	هل تسهر كثيراً في المذاكرة عند اقتراب الامتحانات ؟		



امنح نفسك درجة عن كل سؤال إجابته (نعم) من الأسئلة من ١ ـ ١٠ ، واخصم درجة عن كل سؤال إجابته (نعم) من السؤالين ١١ ـ ١٢ ، فإذا حصلت على أقل من (٨) درجات ، فإنك تحتاج للعناية بتحسين طريقتك في المذاكرة مع التدريب المستمر .



شكل رقم (٢) أساليب سرعة القراءة



للمذاكرة معنيان شائعان :

الأول : بمعنى درس العلوم وقد سبق الكلام عنها .

والثاني : اصطلاحٌ يستخدمه المحدثون ، يعنون بها مطارحات علمية ومساجلات حديثية ، يعرض فيها الجلساء من حفاظ الحديث وطلبته لذكر فوائد الأحاديث وغرائب الأسانيد وخَفِيِّ التعليلات ، يسأل بعضهم بعضًا عن ذلك ، ويفيد الواحد منهم الآخر ما غاب عنه . وقد كانت المذاكرة هذه من أبرز سمات المحدثين في عصوره الأولى (مثل الرحلة في طلب الحديث) ، ولها آدابها ، وشروطها المنصوص عليها ، وفوائدها ، وأخبارها المروية فيها [(١)] .

ولمذاكرة الأقران وغيرهم ـ على المعنى السابق ـ فائدة عظيمة في تثبيت الحفظ ، من جهة أنه تعهد للمحفوظ بتكريره ومراجعته خلال المذاكرة ، وتذكير لما نُسي منه ، ودون إملال أو إضجار ، بل في جوٍّ من النشاط والتنافس العلمي البناء .

ولذلك قال عبد الله بن بريدة : « قال لي علي بن أبي طالب ـ رضى الله عنه ـ : تزاوروا ، وتذاكروا هذا الحديث ، فإنَّكم إن لم تفعلوا يَدْرُسْ علمكم » [(٢)] ، أي : يبلى ويَخْلَقُ .

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : « كُنَّا نكون عند النبي ﷺ فنسمع منه الحديث ، فإذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه » . [« جامع بيان العلم وفضله » لابن عبد البر (١ / ١٠١ ـ ١٠٤) ، « الجامع » للخطيب (١ / ٢٣٦ ـ ٢٣٨)].

---

(١) انظر : « معرفة علوم الحديث » للحاكم (١٤٠ ـ ١٤٦) ، والجامع للخطيب (٢ / ٤٠٤ ـ ٤٢١) .

(٢) « جامع بيان العلم » لابن عبد البر (رقم ٦٢٣ ، ٦٨٧) ، وشرف أصحاب الحديث للخطيب رقم : (٢٠٢ ـ ٢٠٣) .



وعن عطاء عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ، قال : « إذا سمعتم منّي حديثًا فتذاكروه بينكم » . [المصدر السابق] .

وقال أبو سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ : « تحدثوا وتذاكروا ، فإنّ الحديث يذكر بعضه بعضًا » . [المصدر السابق] .

وعن ابن أبي ليلى عن عطاء ، قال : « كنا نكون عند جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ فيحدثنا ، فإذا خرجنا من عنده تذاكرنا حديثه ، قال : فكان أبو الزبير أحفظنا للحديث » [المصدر السابق] .

قال أبو هريرة رضي ـ الله عنه ـ : « جزأت الليل ثلاثة أجزاء : ثلثًا أصلى ، وثلثًا أنام ، وثلثًا أذاكر فيه حديث رسول الله ﷺ » . [المصدر السابق] .

وعن ابن جرير : « كان عمرو بن دينار يجزئ الليل ثلاثة أجزاء : ثُلثًا ينام ، وثُلثًا يصلي ، وثُلثًا يُذاكر فيه الحديث » . [المصدر السابق] .

وقال عبد الله بن المعتز : « من أكثر مذاكرة العلماء لم ينس ما علم ، واستفاد ما لم يعلم » .

وعن عبد العزيز بن أبي حاتم ، قال : قال لي أبي : « كان الناس فيما مضى من الزمان الأول إذا لقي الرجل من هو أعلم منه قال : اليوم يوم غُنمي ، فيتعلم منه ، وإذا لقي من هو مثله قال : اليوم يوم مذاكرتي فيذاكره ، وإذا لقي من هو دونه علّمه ولم يَزْهُ عليه » قال : « حتى صار هذا الزمان ، فصار الرجل يعيب من فوقه ابتغاء أن ينقطع منه حتى لا يَرى الناس أنّ له إليه حاجة ،وإذا لقي من هو مثله لم يذاكره ، فهلك الناس عند ذلك » . [« الجامع » للخطيب (٢ / ٢٧٦)] .

وقال جماعة من السلف عبارة أصبحت شعاراً للمذاكرة ، وهي قولهم : « إحياء الحديث مذاكرته »[١] .

---

(١) انظر : « جامع بيان العلم » لابن عبد البر رقم : (٦٢٧ ، ٦٣١ ، ٦٣٩) و « شرف أصحاب الحديث » للخطيب رقم : (٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٥) ، (الجامع) للخطيب رقم: (١٨٨٤ ـ ١٨٨٥) .



ومن فوائد المذاكـرة أيضًا : أنها سـبب كبير ، وداع عظيم للتنافس المحـمود بين طلبة العلم . والتنافـس في الخير هو الأمل الجاهد لبـلوغ الغايات العظام ، ولولاه لما سعى للعلياء ماجد ، ولما سما للرفعة طامح .

ولشدة التنافس أثناء المذاكرة بين المحدثين كانت من لذائذ علم الحديث ومن متعه الجليلة ؛ حتى قـال الوزير ابن العميد : « ما كنت أظن أنَّ فـي الدنيا حلاوة ألذ من الرئاسة والوزارة التي أنا فيهـا ، حتى شاهدت مذاكرة سليمـان بن أحمد الطبراني ، وأبي بكر الجعابي بحضرتى ، ثم ذكر تلك المذاكرة ، التي غلب فيها الطبراني أبا بكر الجعابي ، ثم قال : « فوددت في مكانى أن الوزارة والرئاسة ليتها لم تكن لي وكنت الطبراني ،وفرحت مثل الفرح الذى فرح به الطبرانى »[1] .

وقـال على بن المديني : « سـتة كـادت تذهب عـقولهم عنـد المذاكرة : يحـيى القطان، وعبـد الرحمن بن مهـدي ، ووكيع ، وابن عيـينة ، وأبو داود الطيالسي ، وعبد الرزاق ؛ من شدة شـهوتهم لها . وتذاكر وكيع وعبد الرحـمن ليلة في المسجد الحرام ، فلم يزالا حتى أذن المؤذن أذان الصبح »[2] .

وقال عبد الله بن المبارك :

مـا لذَّتي إلا رواية مسـنـدا ... ت قـيـدت بفـصـاحـة الألفـاظ
ومـجـالس فـيـهـا تحل سكـيـنة ... ومـذاكـرات مـعـاشـر الحـفـاظ
نالوا الفـضـيلة والكرامـة والنهى ... من ربهـم برعـايـة وحـفـاظ
لاظوا بـرب العـرش لما أيـقـنوا ... أن الجنـان لعـصـبـة لـواظ

ومن فوائد المذاكرة أيـضًا ومن آدابها : إفادة طلبـة العلم بعضهم بعـضًا ، وفي ذلك استعجال لأجر وثواب التعليـم ، قبل بلوغ الدرجة التي يحق فيها لطالب العلم جلوس مجـالس المعلمين . وما أدرى طـالب العلم ؟ لعله يموت قل أن يصل إلى أن تتحلق حوله الطلبة !! .

---

(١) الجامع للخطيب (رقم ١٩٠٠) .
(٢) الجامع للخطيب (رقم ١٨٩٩) ، بتصرف يسير .

يقول عبد الله بن المبارك : « إِنَّ أول منفعة الحديث : أن يفيد بعضكم بعضًا»[١].

ويقول الإمام مالك : « بركة الحديث : إفادة بعضهم بعضًا » [٢] .

ويقول سفيان الثورى : « يا معشر الشباب ، تعجلوا بركة هذا العلم ، فإنكم لا تدرون ، لعلكم لا تبلغون ما تؤملون منه ، ليفد بعضكم بعضًا » [٣].

ينبغي أن يتذاكر مع زملائه ما وقع في مجلس الشيخ من الفوائد والقواعد والضوابط وغير ذلك ، وأن يعيدوا ما سمعوه بينهم ، فإنَّ في المذاكرة نفعًا عظيمًا .

قال الخطيب البغدادي : « وأفضل المذاكرة مذاكرة الليل ، وكان جماعة من السلف يبدؤون في المذاكرة من العشاء فربما لم يقوموا حتى يسمعوا أذان الصبح».

« فإنْ لم يجد الطالب من يذاكره ذاكر نفسه بنفسه ،وكرر معنى ما سمعه ولفظه على قلبه ، فإنَّ تكرار المعنى على القلب كتكرار اللفظ على اللسان سواء بسواء ، وقل ما يفلح من يقتصر على حضور الفكر والعقل فى مجلس الشيخ خاصة ، ثم يتركه ويقوم ولا يعاوده بالمذاكرة .

وقال ـ رحمه الله ـ : « وإذا لم يجد الطالب من يذاكره ، أدام ذكر الحديث مع نفسه وكرر على قلبه » . [« الجامع للخطيب » (١ / ٢٣٨)] [٤] .

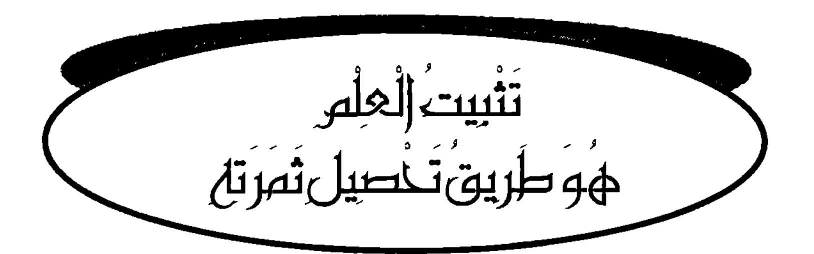
---

(١) الجامع للخطيب (رقم ٨٨٥) .

(٢) المدخل إلى السنن للبيهقى (رقم ١٤٩٣) ، ولابن معين عبارة نحوها فى الجامع للخطيب (رقم ١٤٩٤) .

(٣) الجامع للخطيب (رقم ١٤٩٢) .

(٤) جل الفصل مستفاد من : « هدي السلف في طلب العلم » لمحمد مطر الزهري ، و «التأصيل في طلب العلم » لمحمد عمر بازمول .



من أهم وسائل تثبيت العلم : العمل به ، وتعليمه ، والتأليف فيه . وهذه الأصول هي المشار إليها في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر : ١ ـ ٣] .

فقد حكم الله بالخسران على جميع الناس ، ثم استثنى من ذلك الذين آمنوا ، ما دام آمنوا ، فقد حصَّلوا العلم النافع ، ثم عملوا ، ثم دعوا إلى هذا العمل والعلم النافع الذي كان لديهم .

فأهم وسائل تثبيت العلم : العمل به ، وتعليمه ، والتأليف والتصنيف .

والعمل بالعلم من أهم ما يثبت العلم ، بل هو المقصد الأصلي لطلب العلم .

وقد جاء عن السلف : « هتف العلم بالعمل ، فإن أجاب وإلا ارتحل » .

قال وكيع : « كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به » .

[«سير أعلام النبلاء» (٦ / ٢٢٨)] .

وتحت العمل بالعلم يأتي الكلام عن ترك الذنوب والمعاصي ؛ إذ الوقوع فيها خلاف مقتضى العلم .

وفي هذا المعنى الأبيات الشهيرة :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأنبأني أن العلم فضل ... وفضل الله لا يُؤتى لعاصي

عن محمد بن النضر الحارثي قال : « كان يقال : أول التعليم الإنصات له ، ثم الاستماع له ، ثم حفظه ، ثم العمل به ، ثم النشر » .



قال سفيان : « العالم لا يمارى ، ولا يدارى ، ينشر حكمة الله ، فإن قبلت ؛ حمد الله ، وإن ردت ؛ حمد الله » . [« شعب الإيمان » (٢ / ٢٢٨)] .

عن جابر قال : « تعلموا الصمت ، ثم تعلموا الحلم ، ثم تعلموا العلم ، ثم تعلموا العمل ، ثم انشروا » . [المصدر السابق] .

وقد كانوا يحرصون على العمل بالأحاديث التي تبلغهم عن رسول الله ﷺ ، حتى ولو لم يظهر فيها معنى التعبد ؛ ابتاعًا لما كان عليه المصطفى ﷺ .

قال عبد الرحمن بن مهدي : سمعت سفيان يقول : « ما بلغني عن رسول الله ﷺ حديث قط ؛ إلا عملت به ولو مرة » .

[« سير أعلام النبلاء » (٧ / ١٢٤٢)].

وقال أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ : « ما كتبت حديثًا إلا وقد عملت به ، حتى مَرَّ بى أن الرسول ﷺ احتجم ، وأعطى أبا طيبة دينارًا ؛ فأعطيت الحجام دينارًا حين احتجمت » . [« سير أعلام النبلاء » (١١ / ٢١٣)] .

فإذا أخلص في العلم والعمل ؛ كان تطلعه للآخرة ، وإنما يمشي على الأرض هونًا .

عن إبراهيم بن أدهم يقول : « من طلب العلم خالصًا ، ينفع به عباد الله ، وينفع نفسه ؛ كان الخمول أحب إليه من التطاول ، فذلك الذي يزداد في نفسه ذُلًا ، وفي العبادة اجتهادًا ، ومن الله خوفًا ، وإليه اشتياقًا ، وفي الناس تواضعًا ، لا يبالي على ما أمسى وأصبح من هذه الدنيا » . [« شعب الإيمان » (٢ / ٢٨٨)] .

وتعليم العلم يثبته ، وليس معنى هذا أن يحرص الحدث على التصدر ، ولكن المراد أنْ يسعى إلى أنْ يذاكر بعلمه ، ويبذله لمن يسأله من زملائه ومن هم دونه ، فيعلمهم ويعيد عليهم الدرس ، لا سعيًا للمشيخة عليهم ، والتصدر قبل الأوان ، فإنَّ هذا من المخاطر العظيمة .

حتى قالوا : « تَزَبَّبَ قبل أن يُحصرم » .

وقال الشافعي : « إذا تصدر الحدث ؛ فاته خير كثير » .



والتصنيف فيه أن يدون المسائل ويرتبها ، ويقيم بحثه فيها على أساس الدليل ، وجمع كلام أهل العلم في كلِّ مسألة مصنفًا ومرتبًا ، متجنبًا الغرائب والشواذ ، حريصًا على طلب الحق .

وليس المقصود من اشتغال الطالب بالتصنيف أن يسعى ويقصد إخراجه للناس ؛ فإنَّ الطالب في هذه المرحلة لما يبلغ هذا الحد بعد ، وإنما يعرض كتبه ومصنفاته على أهل العلم ومن فوقه وقبله في الطلب ؛ مسترشدًا مستأنسًا بكلامهم وتوجيهاتهم .

المقصود : أنَّ التصنيف في العلم يساعد على حفظ العلم والمسائل .

ومن وسائل التثبيت أيضًا :

أ ـ حُسْنُ الفهم : وقد سبقت الإشارة إلى اهتمام السلف به .

ب ـ حفظه والعمل به : قال عامر بن شراحبيل الشعبي (ت ١٠٣ هـ) : « كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل ، ونستعين على طلبه بالصوم » .

[« جامع بيان العلم » (٢ / ١١)] .

وقد أُثِرَ عن غير واحد من السلف واشتهر عن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل قوله : « ما بلغني حديث إلا عملت به ،وما عملت به إلا حفظته » .وقال وكيع بن الجراح (ت : ١٩٧ هـ) : « إذا أردت أن تحفظ الحديث فاعمل به » .

[« علوم الحديث » لابن الصلاح (ص ٢٢٣)] .

ج ـ مذاكرته مع الشيوخ والأقران :

لم يكتفِ السلف ـ رحمهم الله ـ بالحثِّ على المذاكرة وبيان أهميتها وأوقاتها المناسبة، بل تجاوزوا ذلك إلى التطبيق العملي ، فمارسوا مذاكرة العلم بشتى الصور مع الشيوخ والأقران .

قال أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ : « كنا نكون عند النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ فنسمع منه الحديث ، فإذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه » .

[«الجامع للخطيب » (١ / ٢٦)] .



وقال الخطيب : « وأفضل المذاكرة مذاكرة الليل ، وكان جماعة من السلف يبدئون في المذاكرة من العشاء ، فربما لم يقوموا حتى يسمعوا أذان الصبح » .
[«تذكرة السامع والمتكلم » (ص ١٤٤)] .

د ـ الصبر والمثابرة والدأب في التحصيل : ولا أدلَّ على ذلك من تلك الرحلات إلى البلدان المختلفة وتحمل المشاق في سبيل تحصيل العلم ، وقد بدأها الصحابة الكرام ـ رضي الله عنهما ـ حيث كان أحدهم يرحل فى الحديث مسيرةَ شهرٍ . [انظر في ذلك : كتاب « الرحلة » للخطيب البغدادي ، وقد خصه لرحلات مَنْ رحلَ لحديث واحد] .

قال سعيد بن المسيب (ت : ٩٤ هـ) : « إن كنت لأسير في طلب الحديث الواحد مسيرة الليالي والأيام » .

[« طبقات ابن سعد » (٥ / ١٢٠) ، و « المعرفة والتاريخ » (١ / ٤٦٨)] .

وكان كثير من السلف يُوصي تلاميذه بالصبر والتحمل وعدم التعجل . قال يونس بن يزيد : « قال لي الزهري : لا تأخذ العلم جملة ، فإن مَنْ رَامَ أخذه جملة ذهب عنه جملة ، ولكن الشيء بعد الشيء مع الأيام والليالي » .

[« جامع بيان العلم » (١ / ١٠٤)] .

وفى رواية مَعْمَر عن الزهرى : « من طلب العلم جملة فاته جملة ، وإنما يُدرك العلمُ حديث وحديثانَ » . [« الجامع » للخطيب (١ / ٢٣٢)] .

هـ ـ الورع مع الحرص على نشر العلم وإخفاء العمل :

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : « أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار ما فيهم من أحد يسأل عن شيء إلا ودَّ أن أخاه كفاه ، ولا يُحدث حديثًا إلا ودّ أن أخاه كفاه » .

وعن مطرف بن عبد الله بن الشِّخير قال : « فضل العلم أحب إلى من فضل العبادة ، وخير دينكم الورع » [« كتاب العلم » لأبي خيثمة (ص ٨ ج ١٣)] .

وفي باب « كيف يقبض العلم » من كتاب العلم من صحيح البخاري : « كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم : انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه ، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، ولتفشوا العلم ، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم ، فإنَّ العلم لا يهلك حتى يكون سِراً » .

وقال بشر بن الحارث : « إنما يراد من العلم العمل ، اسمع وتعلم ، واعلم وعلم واهرب ، ألم ترَ إلى سفيان الثورى كيف طلب العلم ، فعلم وعلم وهرب ، وهكذا العلم إنما يدل على الهروب عن الدنيا ليس على طلبها » .

[« جامع بيان العلم » (٢ / ٨)] .

٦ ـ ومن تلك المعالم أيضًا ترك الجدل والممارة في العلم والبعد عن مجادلة ومجالسة أهل الأهواء ، وقد أكثر السلف ـ رحمة الله عليهم ـ من ذم أصحاب الأهواء والتحذير من مجالستهم ، أو مجادلتهم ، أو الاشتغال بالردِّ عليهم . وقد أورد عبد الله بن بطة العكبرى (ت : ٣٨٧ هـ) في كتاب « الإبانة الكبرى » عن ذلك أكثر من ثلاثمائة وأربعين نصًا ثم عقَّب على ذلك بقوله :

« فاعلم يا أخى أنى لم أرَ الجدال والمناقصة والخلاف والمماحلة والأهواء المختلفة والآراء المخترعة من شرائع النبلاء ، ولا من أخلاق العقلاء ، ولا من مذاهب أهل المروءة، ولا مما حُكِيَ لنا عن صالحي هذه الأمة ، ولا من سير السلف ، ولا من شيمة المرضيين من الخلف ، وإنما هو لهو يُتعلم ، ودرايةُ يتفكه بها ، ولذة يُستراح إليها، ومهارشة العقول وتذريب اللسان بمحق الأديان ، وضراوة على التغالب ، واستمتاع بظهور حجة المخاصم ، وقصد إلى قهر المناظر ، ومغالطة في القياس ، وبهت في المقالة ، وتكذيب الآثار ، ومكابرة لنص التنزيل ، وتهاون بما قال الرسول، ونقض لعقدة الإجماع ، وتشتيت الألفة وتفريق لأهل الملة ، وشكوك تدخل على الأمة وضرواة السلامة وتوغير للقلب ، وتوليد للشحناء في النفوس عصمنا الله وإياكم ، وأعاذنا من مجالسة أهله » . [« الإبانة » (٢ / ٥٣١)] .

التدرج والتأني مفتاح الوصول

اعلم أنَّ من رَامَ العلم جُـملةً ، ذهب عنه جُملةً ، واعلم أنَّ الـنسيان آفـة العلم وعلة النسيان العجلة ، وآفة كثيـر من المتعلمين اليوم إنما تكمن في العجلة فما إن تطأ قدمه رحـاب علم من العلوم حتى يرجع بصره في كـتبه وفنونه وعلمائه فـيرتد عليه بصره مشيرًا عليه برأي فاسدٍ مفاده : أسرع اقرأ هذا بسرعة ، وذاك في ليلة والمهم هو الفهم فالحفظ يضيع الوقت ، نريد أنْ نصل ، لا تقعد هكذا ؟

إلى آخر وساوس السوء هذه ، فترى الواحد من هؤلاء يمسك بكتاب اليوم وبآخر غدًا ، ويضع البرنامج بالليل ، ليهدمه بالنهار : اليوم أصول ، لا بل حديث ، لا لا بل فقـه ، فإذا بالعام يمر تلو الـعام ، وهو فى مكانه كمـا يُقال « محلك سـر» فالله المستعان .

وقد بدا لي أن أنقل لك أخي الكـريم بعضًا من وصايا أهل العـلم للمعلمين في الرفق والحث على التدرج فى تعليم الطلاب عساك تستفيد منها :

قـال عـبد الرحـمن بن مـحـمـد بن خلدون (ت : ٨٠٨ هـ) : « اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفـيدًا إذا كان على التدريج شيئًا فشـيئًا ، وقليًلا قليًلا . يُلقي عليـه أولاً مسـائل من كل باب من الفن هي أصـول ذلك الباب ، ويقـرب له شرحهـا على سبيل الإجمال ، ويراعي في ذلك قـوة عقله واستعداده لقـبول ما يرد عليه حـتى ينتهى إلى آخر الفن ، وعند ذلك يحصـل له ملكة في ذلك العلم إلا أنها جزئية وضـعيفة ، وغايتهـا أنها هيأته لفهم الفنِّ وتحصـيل مسائله . ثم يرجع به إلى الفنِّ ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها ، ويستوفي الشرح والبيان ويخرج عن الإجمـال ، ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجـهه ، إلى أن ينتهي إلى

آخر الفن ، فتجود ملكته ، ثم يرجع به وقد شَدّ فلا يترك عويصًا ولا مهمًا ولا مغلقًا إلا وضحه وفتح له مقفله ، فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته » ، ثم قال: « هذا وجه التعليم المفيد ، وهو كما رأيت إنما يحصل في ثلاثة تكرارات وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك » [المقدمة (٣/ ١١١٠)] .

قال الشيخ عبد الحميد بن باديس (ت : ١٣٥٩ هـ) : « فهم قواعد العلم وتطبيقها حتى تحصل ملكة استعمالها ، هذا هو المقصود من الدرس على الشيوخ ، فأمَّا توسيع دائرة الفهم والإطلاع فإنما يتوصل إليه الطالب بنفسه بمطالعته للكتب ، ومزاولته للتقرير والتحرير . ثم إن الدروس إنما تحصل فيها قواعد بعض العلوم ، وتبقى فنون كثيرة من فنون العلم يصل إليها الطالب بمطالعته بنفسه وحده ، أو مع بعض رفاقه ، فلا ينتهي من مدة دراسته العلمية في الدروس إلا وقد اتسع نطاق معلوماته بفنون كثيرة . ونرى الطلاب اليوم في أكبر المعاهد ـ كالزيتونة ـ لا يخرج الطالب عن كتبه الدراسية إلى مطالعة شيء بنفسه مما يكسبه علمًا أو خبرة بالحياة ، فيخرج الطالب بعد تحصيل الشهادة وهو غريب عن الحياة . فعلى الطلبة والمتولين أمر الطلبة أن يسيروا على خطة التحصيل الدرسي ، والتحصيل النفسي ليقصدوا ويتسعوا في العلم ، ويوسعوا نطاق التفكير» .

* * *

إرْشَادُ الْمُعَلِّمِ فِي تَعْلِيمِهِ

عن ذلك يقول ابن خلدون : « وقد شاهدنا كثيرًا من المعلمين في هذا العهد الذي أدركنا يجهلون طرق التعليم وإفادته ، ويُحضرون للمتعلم فى أول تعليمه المسائل المقفلة من العلم ، ويُطالبونه بإحضار ذهنه في حلها ، ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها ، وقبل أن يستعد لفهمها . فإنَّ قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجيًا ،ويكون المتعلم أول الأمر عاجزًا عن الفهم بالجملة إلا في الأقل، وعلى سبيل التقريب والإجمال وبالأمثال الحسية . ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلًا بمخالفة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه والانتقال فيها من التقريب إلى الاستيعاب الذي فوقه حتى تتم الملكة في الاستعداد ثم في التحصيل ويحيط هو بمسائل الفن، وإذا ألقيت عليه الغايات فى البداءات وهو حينئذٍ عاجز عن الفهم والوعي ، وبعيد عن الاستعداد له= كلَّ ذهنه عنها وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه ، فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله ، وتمادى في هجرانه ، وإنما أُتي ذلك من سوء التعليم » .

[من «مقدمة ابن خلدون » (٣/ ١١١١] .

١ ـ ويرى الشيخ عبد القادر بن بدران أن من أسباب تنفير الطالب من العلم :

الجهل بطرق التعليم ، فيقول : « وهذا وقع فيه غالب المعلمين ، فتراهم يأتي إليهم الطالب المبتدئ ليتعلم النحو مثلًا فيشتغلونه بالكلام على البسملة ، ثم على الحمدلة أيامًا بل شهورًا ليوهموه سعة مداركهم ، وغزارة علمهم . ثم إذا قدر له على الخلاص من ذلك أخذوا يلقنونه متنًا أو شرحًا بحواشيه وحواشي حواشيه . ويحشرون له خلاف العلماء ، ويشغلونه بكلام من ردَّ على القائل ، وما أُجيب به



عن الردِّ ،ولا يزالون يضـربون له على ذلك الوتر حـتى يرتكز في ذهنه أنَّ نوال هذا الفن من قبـيل الصعب الذي لا يُوصل إليه » . ثم ذكر صِنفًـا آخرَ من المعلمين على عكس الصنف السابق ، وهم من أنزل نفسه منزلة العلماء المحققين وجلس للتعليم ، فيأتيه الطالب بكتاب مطول أو مختصر ، فيتلقاه منه سردًا لا يفتح له منه مغلقًا ، ولا يحل له طلسمًا فإذا سأله ذلك الطالب المـسكين عن مشكل انتفخ أنفه وورم ، وقابله بالسب والشتم ، وأشاع عنه أنه يطلب الاجتهاد . ثم قال : « ومن هؤلاء من يقول: إنما نقرأ الكتب للتبرك بمصنفيها !! » . [« المدخل إلى مذهب الإمام أحمد » (ص: ٢٦٥)].

٢ ـ **قال ابن خلدون أيضًا** : « ولا ينبغي للمعلم أن يزيد متعلمه على فهم كتابه الذي أكبَّ على التعلُّم منه بحسب طاقته ، وعلى نسبة قبوله للتعليم ، مبتدئًا كان أو منتهيًـا . ولا يخلط مسائل الكتاب بغـيرها حتى يَعِيه مـن أوله إلى آخره . ويحصل أغراضه ويستـولى منه على ملكة بها ينفذ في غيره ، لأنَّ المتـعلم إذا حصل ملكة ما في علمٍ من العلوم استـعـد بها لقـبول مـا بقي ، وحصل له نشـاط في طلب المزيد والنهوض إلى ما فوق ، حتى يستولى على غايات العلم . وإذا خُلِّطَ عليه الأمر عجز عن الفهم ، وأدركـه الكلال ، وانطمس فكره ويئس من التـحصيل ، وهـجر العلم والتعليم ، والله يهدي من يشاء » . ثم قـال : « وكذلك ينبغي لك أن لا تطول على المتعلم في الفن الواحد بتفريق المجالس ، وتقطيع ما بينها ؛ لأنه ذريعة إلى النسيان ، وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض ، فيعسر حصول الملكة بتفريقها، ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجـبة في التعليم أنْ لا يخلط على المتعلم علمان مـعًا، فإنَّه قلَّ أن يظفرَ بواحـد منهما ، لما فيـه من تقسيم البـال ، وانصرافه عن كلِّ واحد منهـما إلى تفهم الآخر فيستـغلقان معًا . . وإذا تفرغ الفكر لتعليم ما هو بسبيله مـقتصرًا عليه ، فربما كـان ذلك أجدر لتحـصيله ، والله ـ سبـحانه وتعـالى ـ الموفق للصواب . [« مُقدمة ابن خلدون » (٣/ ١١١١)] .

٣ـ يرى الشيخ عبد القادر بن بدران أنَّ الواجب على المعلم إذا أراد إقراء المبتدئين أنْ يُقرئهم متنًا مختصراً ،ويشرح لهم ذلك المتن بلا زيادة ولا نقصان ، بحيث يفهم ما اشتمل عليه ، وأنْ يصور مسائله في ذهنه ، ولا يشغله بما زاد على ذلك . ثم ذكر عن شيخه محمد بن عثمان الحنبلي المعروف بخطيب دوما (ت : ١٣٠٨ هـ) أنَّه قال : « لا ينبغي لمن يقرأ كتابًا أن يتصور أنَّه يريد قراءته مرة ثانية ؛ لأنَّ هذا التصور يمنعه عن فهم جميع الكتب ، بل يتصور أنه لا يعود إليه مرة ثانية أبدًا » . **وكان يقول** : « كل كتاب يشتمل على مسائل ما دونه وزيادة ، فحقق مسائل ما دونه لتوفر جهدك على فهم الزيادة » أ .هـ . ثم قال : « ولما أخذت نصيحته مأخذ القبول لم أحتجْ في القراءة على الأساتذة في العلوم والفنون إلى أكثر من ست سنين، فجزاه الله خيراً . .» . [« المدخل إلى مذهب الإمام أحمد » (ص ٢٦٦)] .

وقال ـ رحمه الله ـ : « ثم إنَّ الأولى في تعليم المبتدئ أن يجنبه أستاذه عن إقرائه الكتب الشديدة الاختصار العسرة على الفهم كـ « مختصر الأصول » لابن الحاجب ، و « الكافية » له في النحو ؛ لأن الاشتغال بمثل هذين الكتابين المختصرين إخلال بالتحصيل لما فيهما وفي أمثالهما من التخليط على المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه ، وهو لم يستعدَّ لقبولها بعد ، وهو من سوء التعليم . ثُمَّ فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها ، فينقطع في فهمها حظ صالح من الوقت . . . » . ثُمَّ **قال** : « وحاصل الأمر أنَّ الأستاذ ينبغي أن يكون حكيمًا يتصرف في طرق التعليم بحسب ما يراه موافقًا لاستعداد المتعلم ، وإلا ضاع الوقت بقليل الفائدة ، وربما لم توجد الفائدة أصلًا . وطرق التعليم أمر ذوقي ، وأمانة مودعة عند الأساتذة ، فمن أدَّاها أُثيب على أدائها ،ومن جحدها كان مُطالَبًا بها » .

[المصدر السابق (ص : ٢٦٨، ٢٦٩)] .

قال الشيخ عبد الحميد بن باديس (ت : ١٣٥٩ هـ) : « أغلب المعلمين في



المعاهد الإسلامية الكبرى كالأزهر لا يتصلون بتلاميذتهم ، إلا اتصالًا عامًّا لا يتجاوز أوقات التعليم ، فيتخرج التلامذة فى العلوم والفنون ، لكن بدون تلك الروح الخاصة التى ينفخها المعلم في تلميذه إذا كان للمعلم روحٌ ، ويكون لها الأثر البارز في أعماله العلمية في سائر حياته . فعلى المعلم الذي يريد أن يكون من تلامذته رجالًا أن يشعرهم واحدًا واحدًا أنَّه متصل بكل واحد منهم اتصالًا خاصًّا زيادة على الاتصال العامِّ ،وأن يصدق لهم هذا بعنايته خارج الدرس بكلٍّ واحد منهم عناية خاصة في سائر نواحي حياته حتى يشعر كلٌّ واحدٍ منهم أنه في طَور تربية وتعليم ، في كفالة أبٍ روحيٍّ يعطف عليه ، ويُعنى به مثل أبيه أو أكثر » .

[« ابن باديس ، حياته وآثاره» للدكتور عمار الطالبى (٤ / ٢٠٢)] .

* * *

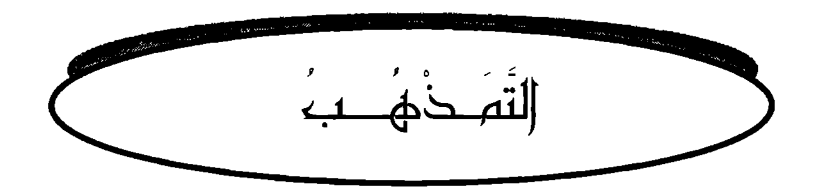
كَثْرَةُ التَّآلِيفِ فِي الْعُلُومِ عَائِقَةٌ عَنِ التَّحْصِيلِ

قال ابن خلدون : « اعلم أنه مما أضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غايته كثرة التآليف ، واختلاف الاصطلاحات في التعليم ، وتعدد طرقها ، ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك ، وحينئذ يسلم له منصب التحصيل ، فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلها أو أكثرها ، ومراعاة طرقها ، ولا يَفِي عمره بما كُتب في صناعة واحدة إذا تجَّرد لها ، فيقع القصور ، ولابدَّ دَونَ رتبة التحصيل ، ويمثل ذلك من شأن الفقه في المذهب المالكي بكتاب المدونة مثَلا وما كتب عليها من الشروحات الفقهية مثل كتاب ابن يونس ، واللخمي ، وابن بشير ، والتنبيهات ، والمقدمات ، والبيان ، والتحصيل على العتبية ، وكذلك كتاب ابن الحاجب وما كُتب عليه . ثم إنه يحتاج إلى تمييز الطريقة القيروانية من القرطبية ، والبغدادية ، والمصرية ، وطرق المتأخرين عنهم ، والإحاطة بذلك كله ، وحينئذ يُسَلَّمُ له منصب الفتيا ، وهي كلها متكررة والمعنى واحد ، والمتعلم مطالب باستحضار جميعها وتمييز ما بينها ، والعمر ينقضي في واحد منها .

ولو اقتصر المعلمون بالمتعلمين على المسائل المذهبية فقط لكان الأمر دون ذلك بكثير ، وكان التعليم سهلا ،ومأخذه قريبًا ، ولكنه داء لا يرتفع لاستقرار العوائد عليه . فصارت كالطبيعة التي لا يمكن نقلها ولا تحويلها ، ويمثل أيضًا علم العربية من كتاب سيبويه ، وجميع ما كُتب عليه ، وطرق البصريين والكوفيين والبغداديين والأندلسيين من بعدهم ، وطرق المتقدمين والمتأخرين مثل ابن الحاجب وابن مالك وجميع ما كُتب في ذلك ، وكيف يطالب به المتعلم وينقضي عمره دونه ، ولا يطمع

أحد فى الغاية منه إلا فـي القليل النادر ؛ مثل ما وصل إلينا بالمغرب لهـذا العهد من تأليف رجل من أهل صناعة العربية من أهل مصر يعرف بابن هشام ، ظهر من كلامه فيهـا أنَّه استولى على غاية مـن ملكة تلك الصناعة لم تحصل إلا لسيـبوية وابن جني وأهل طبقـتها لعظم ملكته ، ومـا أحاط به من أصول ذلك الفن وتفاريعـه ، وحسن تصرفه فيه ، ودلَّ على أنَّ الفضل ليس منحصـرًا في المتقدمين سيما مع ما قدمناه من كثرة الشـواغب بتعدد المذاهب والطرق والتآلف ؛ ولكن فـضل الله يؤتيه من يشاء ؛ وهذا نادر من نوادر الوجود . وإلا فالظاهر أنَّ المتعلم ولو قطع عمره في هذا كله فلا يَفِي له بتحصيل علم العربية مثًلا الذي هو آلة من الآلات ووسيلة ؛ فكيف يكون في المقـصـود الذي هو الثـمـرة : ﴿ **وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْـدِي مَن يَشَـاءُ** ﴾ [البـقـرة : ٢٧٢] . (٣/ ١١٠٧).

* * *



هذه المسألة مما شَغل به طلبة العلم أنفسهم بين مؤيدٍ ومانعٍ ، وهي عندنا كمسألة المتون مسألة صناعية في المفاضلة بين وسائل الطلب ، ليست مسألة سمعية شرعية ، وليس فيها رأيٌ قاطعٌ ، وليست مما يوجب تطويل الخلاف .

تحرير محل النزاع :

محل النزاع في التمذهب هو التمذهب المدرسي الذي يُستعان به على ضبط مسائل الفقه . . صورها وأحكامها وأدلتها والخلاف حولها ، وهذا التمذهب وسيلة من وسائل تعلم الفقه الذي هو العلم المعين ، ويسير فيه الطالب وفق المذهب لأجل الدراسة ، وقد يسير في تعبده على المذهب إن كان مترجحًا عنده ، وقد يغادره إن ترجح عنده غيره ، مستعملًا في كل ذلك رتبة الاجتهاد التي وصل إليها بحسبها.

فإذا تقرر ذلك فمن المقررين لمناهج الطلب من لا يرى وسيلة أحسن من التمذهب لتحصيل هذا الضبط ، ومنهم من يرى أنَّ الكتب المعاصرة المنسوجة على طريقة ذكر المسألة وحجتها من غير التقُّيد بمذهب= أرجح وأحسن . .

والذى أراه : أنَّ ما في زماننا من قعودِ هِمَمِ طلبة العلم ، وعدم اكتمال ملكاتهم العلمية يجعل صورة المسألة تمذهب في الحالتين ؛ إذ فيهما يكون الطالب أسيرًا للمؤلف ،ولو كانت ملكات الطلبة أحسن لرأينا لهم النظر الفقهي على طريقة السلف بتتبع المسائل ، وأقوال الفقهاء فيها والترجيح بينها ترجيحًا تتغير صفته بترقي الطالب من غير حرج من تغير الترجيح ، فذلك من زيادة العلم .

فإذا كان الغالب هو ضعف ملكات الطلبة عن التفقه بتلك الطريقة العالية ، وكان المآل للتمذهب وإن كان في صورة درس كتاب منسوج بطريقة فقه الدليل ، والحال أن

الطالب سيكون أسيرًا لفهم المؤلف المعاصر للدليل= كان الأولى عندنا التمذهب على مذهب من المذاهب المتبوعة المضبوطة المخدومة بالشروح ، وتعاقب أنظار العلماء مع رعاية أمور :

١ ـ عدم الاستغراق في الترقي في كتب المذهب إلا لمن سيتخصص في المذهب، أما من سيتخصص في الفقه المقارن ، أو لن يتخصص في الفقه أصًلا فله صورة أخرى في الترقي يستعمل فيها كتب المذهب إلى حد معين ، ولا يترقي في المذهب عبر تدرجه الطبيعي ؛ إذ لا يحتاج إلى ذلك إلا من سيتخصص في المذهب ، وسنوضح هذه النقطة عند سرد المنهج العلمي .

٢ ـ تقديم المذهب المخدوم والمتن المخدوم ، على غيره ، وأكثر المذاهب خدمة في زماننا هو الحنبلي ويليه الشافعي ، فالمالكي فالحنفي .

٣ ـ إدامة استحضار أنَّ المذهب وسيلة وليس غاية .

٤ ـ العناية بصور المسائل وضبطها ، وضبط تقسيماتها وعدم الاشتغال بالترجيح.

أما التمذهب بمعنى التعبد باتباع مذهب معين لا يخرج عنه المكلف في رخصه وعزائمه ، لا يخرج عنه ولا يجتهد في الترجيح بينه وبين غيره ، ففي هذه المسألة ثلاثة أقوال :

القول الأول : أنَّ ذلك لا يجوز ، وأنَّ على كلِّ مُكلَّفٍ قدر ما من الاجتهادِ في كلِّ مسألة لابد له من استعماله بحسب استطاعته، وألا يلتزم مذهبًا بعينه ، فيقلد فيما يجوز له فيه التقليد وفيما لا يجوز . وهذا هو المنصوص عن أحمد ، وهو قول الشافعي .

القول الثاني : جواز ذلك ، ولو على من قدر على الاجتهاد ، وهو قول محمد بن الحسن ، وبعض أتباع الأئمة .

القول الثالث : وجوب لزوم مذهب معين وحرمة الخروج عنه . وهو قولٌ مُبْتَدَعٌ

حادثٌ بعد القرن الخامس الهجري . وقال به جمهرة الفقهاء المقلدة من علماء المذاهب الأربعة .

وبعد هذا العرض المختصر ناسب هاهنا أنْ نُذَكِّرَ بأمورٍ لعلها تضبط لطالب العلم بعض فصول هذه المسألة :

١ - لم يَدْعُ واحدٌ من الصحابة والتابعين وأتباعهم ، أو أئمة المذاهب الأربعة إلى تقليده فيما يقول .

٢ - الاطمئنان لقول عالمٍ معين فروعًا وأصولا كان يقع في طبقات الصحابة فمن بعدهم ، إلا أنَّ ذلك كان لا ينفك عن المخالفة لهذا العالِم أحيانًا ، وملازمة غيره ومتابعته أحيانًا أخرى ، فالاستدلال بهذه الملازمة والمتابعة على قدم التمذهب استدلالٌ فاسدٌ ، وهو كالاستدلالِ بزهد الصحابة على التصوف ، والاستدلال بمناصرة علي - رضي الله عنه - على التشيُّعِ ، والاستدلال بالاختلاف الجزئي في تفسير بعض آيات الصفات على التحريف الذي يسمونه تأويلاً.

٣ - القول بوجوب اتباع واحد من المذاهب الأربعة بحيث لا يخرج عنه المكلف - سواء أجاز الخروج لواحد من الأربعة دون غير الأربعة أو لم يُجزِ الْخروجَ عن المذهب مطلقًا - ولو ظهرت له الحجة والبينة= قول مُحْدَثٌ مردودٌ ، وهذا القول مع القول بغلق باب الاجتهاد كانا من أجلِّ وأعظم أسباب تخلف الأمة وقعودها ، ونزولها عن منزلها الذي أنزله لها الله . .

٤ - أمَّا القول بجواز دون وجوب هذا التقليد للعامي ، بحيث يقلد مذهبًا واحدًا في كلِّ مسائله : فقد قال به نفر من علماء المذاهب الأربعة ، وهو قول مرجوح إلا أنَّه ليس ضعيفًا ضعف سابقه .

٥ - **أما الراجح - والله أعلم -** : فهو أنَّ الاجتهاد فى مسائل الدين واجب على كل أحد بحسب طاقته ، وواجب على كلِّ واحد من المكلفين أنْ يكون له من النظر

والسعي لتحصيل القدرة على الاستدلال ما يمكنه ، وبحسب ما استطاع من ذلك وجب عليه ، فإنْ وقعت له مسألة لا يطيقها اجتهاده من كلٍّ وجه ، أو ضاق وقته عن الاجتهاد فيها = جاز له تقليد من يثق بعلمه ودينه دون أن يحجر عليه بواحد من المذاهب الأربعة .

٦ ـ القول بجواز تقليد واحد من المذاهب الأربعة أو غيرها ، فلا يخرج عنه المكلف فإنَّه ـ ولو زعم هذا المكلف أنه طلب الدلائل على مذهبه فاطمئن بها = يقود غالبًا إلى التعصب ، فلا يكاد يُنجى منه ، وهذه ذريعة معتبرة يجب التنبه لها .

٧ ـ مرتبة الاتباع هي في حقيقتها من رتب التقليد ، إلا أنها أرفع قليًلا ، وفيها يقلد الرجل غيره في القول وفي الاستدلال ، وليس هذا مما يخرج صاحبه من ربقة التقليد ولا عدمه مما يذم به الرجل مطلقًا ، وإنما المرجع في المدح والذمِّ هو : هل لهذا المكلف قدرة على أعلى من هذا فَرَضِيَ بما هو دونه من غير عذر ؟؟

٨ ـ التمذهب كمرحلة ، أو صورة من صور ومراحل الدرس الفقهي يُستعان بها على تصور مسائل الفقه ، أو يسد فيها ثغر بضبط مذهب إمام معين لا بأس به ما لم يكن طلبًا لدنيا محضة ، أو يقترن بالموالاة والمعاداة على المذهب ، أو يؤدى بصاحبه للتعبد ، أو ـ وتلك يغفل عنها الناس ـ أنْ يظنَّ أنَّ هذا التمذهب يرفع عنه واجب السعي لطلب رتبة الاجتهاد ، بحيث يتعبد وِفقًا للمذهب من غير سعي هو يقدر عليه لتحرير الصواب في المسألة .

٩ ـ تقليد الأئمة الأربعة المتبوعين جائز ، وكذا تقليد غيرهم من الأئمة ، والقول بعدم جواز الخروج عن المذاهب الأربعة قول شاذ فاسد ضعيف .

١٠ ـ هذه بعض النقولات المهمة تجد فيها تصديق بعض ما تقدم :

قال شيخ الإسلام : « وأصل هذه المسألة أنَّ العاميَّ هل عليه أن يلتزم مذهبًا معينًا يأخذ بعزائمه ورخصه ؟ فيه وجهان لأصحاب أحمد ، وهما وجهان لأصحاب

الشافعي ، والجمهور من هؤلاء وهؤلاء لا يوجبون ذلك ، والذين يوجبونه يقولون : إذا التزمه لم يكن له أن يخرج عنه ما دام ملتزمًا له ، أو ما لم يتبين له أن غيره أولى بالالتزام منه .

ولا ريب أنَّ التزام المذاهب والخروج عنها إن كان لغير أمر دينى مثل : أن يلتزم مذهبًا لحصول غرض دنيوى من مال أو جاه ونحو ذلك ، فهذا مما لا يُحمد عليه ، بل يُذمُّ عليه في نفس الأمر ؛ ولو كان ما انتقل إليه خيرًا مما انتقل عنه ، وهو بمنزلة من لا يسلم إلا لغرض دنيوى ، أو يهاجر من مكة إلى المدينة لامرأة يتزوجها أو دنيا يصيبها ، وأَمَّا إنْ كَانَ انتقالُهُ منْ مَذْهَبٍ إلى مَذْهَبٍ لأمرٍ ديني مِثْلَ أنْ يَتَبين رُجْحَانَ قَول عَلَى قَوْل فَيرجعَ إلى القَوْلِ الذي يَرى أنهُ أقربُ إلى الله وَرَسُولِه : فَهُوَ مُثَابٌ عَلى ذَلكَ ؛ بَلْ وَاجبٌ عَلَى كُل أحدٍ إذَا تبينَ لَهُ حُكْمُ اللهِ وَرَسُولِه في أمْرٍ ألا يَعْدلَ عَنْهُ وَلا يَتبعَ أحَدًا في مُخَالفَة الله وَرَسُوله فَإنْ الله فَرَضَ طَاعَة رَسُوله ﷺ عَلى كُل أحدٍ في كُل حَالٍ وَقَال تَعالَى : **﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)﴾** [النساء] وَقَالَ تَعالَى : **﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾** [آل عمران: ٣١] وقَالَ تَعالَى: **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾** [الأحزاب: ٣٦] . وَقَدْ صَنَّفَ الإمَامُ أحْمَد كِتَاباً في طَاعَةِ الرسُولِ ﷺ وَهَذَا مُتفَقٌ عَلَيْه بَيْنَ أئمة المُسلمينَ فَطَاعَةُ الله وَرَسُولِه وتَحْليلُ مَا حَلَلَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ وتَحْريمُ مَا حَرمَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ وإيجابُ مَا أوْجَبَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ : وَاجِبٌ عَلَى جَميعِ الثقلَيْنِ : الإنْسِ والْجِن وَاجِبٌ عَلَى كل أحد في كل حال : سرًا وعلانية لكن لما كان من الأحكام ما لا يعرفه كثير من الناس رجع الناس في ذلك إلى من يعلمهم ذلك ؛ لأنَّه أعلم بما قاله الرسول ، وأعلم بمراده ، فأئمة المسلمين الذين اتبعوهم وسائل وطرق وأدلة بين الناس وبين الرسول يبلغونهم ما قاله ، ويفهمونهم

مراده بحسب اجتهادهم واستطاعتهم ، وقد يخص الله هذا العالم من العلم والفهم ما ليس عند الآخر وقد يكون عند ذلك فى مسألة أخرى من العلم ما ليس عند هذا . وقد قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء : ٧٨ ، ٧٩] ، فهذان نبيان كريمان حكما في قضية واحدة فخص الله أحدهما بالفهم ؛ وأثنى على كل منهما . والعلماء ورثة الأنبياء ، واجتهاد العلماء في الأحكام كاجتهاد المستدلين على جهة الكعبة ؛ فإذا صلى أربعة أنفس كل واحد منهم بطائفة إلى أربع جهات لاعتقادهم أن القبلة هناك : فإن صلاة الأربعة صحيحة ، والذي صلى إلى جهة الكعبة واحد وهو المصيب الذى له أجران كما فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال : «إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِنِ اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ» . وأكثر الناس إنما التزموا المذاهب بل الأديان بحكم ما تبين لهم فإنَّ الإنسان ينشأ على دين أبيه أو سيده أو أهل بلده كما يتبع . الطفل في الدين أبويه وسَابِيهِ وأهل بلده ، ثم إذا بَلَغَ الرجلُ فعليه أن يقصد طاعة الله ورسوله حيث كانت ، ولا يكون ممن إذا قيل لهم : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ [البقرة : ١٧٠] فكل من عدل عن اتباع الكتاب والسنة وطاعة الله والرسول إلى عادته وعادة أبيه وقومه فهو من أهل الجاهلية المستحقين للوعيد ، وكذلك مَنْ تبين له فى مسألة من المسائل الحقَّ الذي بعث الله به رسوله ، ثم عدل عنه إلى عادته ، فهو من أهل الذمِّ والعقاب ، وأمَّا من كان عاجزًا عن معرفة حكم الله ورسوله ، وقد اتبع فيها مَنْ هو مِنْ أهل العلم والدين ، ولم يتبين له أنَّ قول غيره أرجح من قوله ، فهو محمودٌ يُثابُ لا يُذمُّ على ذلك ، ولا يُعاقب وإنْ كان قادرًا على الاستدلال ومعرفة ما هو الراجح ؛ وتوقى بعض المسائل فعدل عن ذلك إلى التقليد ، فهو قد اختلف فى مذهب أحمد المنصوص عنه . والذي عليه أصحابه أنَّ هذا آثم أيضًا ، وهو مذهب الشافعي وأصحابه ، وحُكي عن محمد بن الحسن وغيره أنه يجوز له التقليد مطلقًا ، وقيل : يجوز تقليد الأعلم ،

وحكى بعضهم هذا عن أحمد كما ذكره أبو إسحاق فى اللمع ، وهو غلط على أحمد ؛ فإن أحمد إنما يقول هذا في أصحابه فقط على اختلاف عنه في ذلك ، وأمَّا مثل مالك والشافعي وسفيان ؛ ومثل إسحاق بن راهوية وأبي عبيد ، فقد نص في غير موضع على أنه لا يجوز للعالِم القادر على الاستدلال أنْ يقلدهم وقال : لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكًا ولا الشافعي ولا الثوري ، وكان يحب الشافعي ، ويثني عليه ، ويحب إسحاق ويثني عليه ، ويثني على مالك والثوري وغيرهما من الأئمة ، ويأمر العامي أن يستفتي إسحاق ، وأبا عبيدة ، وأبا ثور ، وأبا مصعب . وينهى العلماء من أصحابه كأبي داود ، وعثمان بن سعيد ، وإبراهيم الحربي ؛ وأبي بكر الأثرم وأبي زرعة ؛ وأبي حاتم السجستاني ومسلم وغيرهم : أنْ يقلدوا أحدًا من العلماء . ويقول : عليكم بالأصل بالكتاب والسنة» [٢٠/ ٢٢٤].

ويقول : « والتفقه في الدين : معرفة الأحكام الشرعية بأدلتها السمعية . فمن لم يعرف ذلك لم يكن متفقها في الدين ، لكن من الناس من قد يعجز عن معرفة الأدلة التفصيلية في جميع أموره ، فيسقط عنه ما يعجز عن معرفته لا كل ما يعجز عنه من التفقه ، ويلزمه ما يقدر عليه . وأما القادر على الاستدلال ؛ فقيل : يحرم عليه التقليد مطلقًا ، وقيل : يجوز مطلقًا ، **وقيل : يجوز عند الحاجة ؛ كما إذا ضاق الوقت عن الاستدلال ، وهذا القول أعدل الأقوال** . والاجتهاد ليس هو أمرًا واحدًا لا يقبل التجزؤ والانقسام ، بل قد يكون الرجل مجتهدًا في فن ، أو باب ، أو مسألة دون فن ، وباب ، ومسألة ، **وكل أحد فاجتهاده بحسب وسعه** ، فمن نظر في مسألة تنازع العلماء فيها ورأى مع أحد القولين نصوصًا لم يعلم لها معارضًا بعد نظر مثله فهو بين أمرين :

إمَّا أن يتبع قول القائل الآخر لمجرد كونه الإمام الذي اشتغل على مذهبه ؛ ومثل هذا ليس بحجة شرعية ، بل مجرد عادة يعارضها عادة غيره ، واشتغال على مذهب إمام آخر . وإما أن يتبع القول الذى ترجح في نظره بالنصوص الدالة عليه ، وحينئذ

فتكون موافقته للإمام يقاوم ذلك الإمام ، وتبقى النصوص سالمة في حقه عن المعارض بالعمل ، فهذا هو الذي يصلح . وإنما تنزلنا هذا التنزل لأنه قد يقال : إنَّ نظر هذا قاصر وليس اجتهاده قائمًا في هذه المسألة ؛ لضعف آلة الاجتهاد في حقه . **أمَّا إذا قدر على الاجتهاد التام الذي يعتقد معه أن القول الآخر ليس معه ما يدفع به النص ، فهذا يجب عليه اتباع النصوص ، وإن لم يفعل كان متبعًا للظنِّ وماتهوى الأنفس ،** وكان من أكبر العصاة لله ولرسوله بخلاف من يقول : قد يكون للقول الآخر حجة راجحة على هذا النصِّ ، وأنا لا أعلمها ، فهذا يقال له : قد قال الله ـ تعالى ـ : ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ [التغابن : ١٦] وقال النبي ﷺ : « **إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ** » والذى تستطيعه من العلم والفقه في هذه المسألة قد دلك على أن هذا القول هو الراجح فعليك أنْ تتبع ذلك ، ثم إن تبين لك فيما بعد أنَّ للنص معارضًا راجحًا كان حكمك في ذلك حكم المجتهد المستقل إذا تغير اجتهاده ، وانتقال الإنسان من قول إلى قول لأجل ما تبين له من الحق هو محمود فيه بخلاف إصراره على قول لا حجة معه عليه ، وترك القول الذي وضحت حجته ، أو الانتقال عن قول إلى قول لمجرد عادة واتباع هوى ، فهذا مذموم . وإذا كان الإمام المقلد قد سمع الحديث وتركه ـ لا سيما إذا كان قد رواه أيضًا ـ فمثل هذا وحده لا يكون عذرًا في ترك النص، فقد بينا فيما كتبناه في « رفع الملام عن الأئمة الأعلام » نحو عشرين عذرًا للأئمة فى ترك العمل ببعض الحديث وبينا أنهم يعذرون فى الترك لتلك الأعذار وأما نحن فمعذورون في تركها لهذا القول . فمن ترك الحديث لاعتقاده أنه لم يصح ؛ أو أن راوية مجهول ، ونحو ذلك ؛ ويكون غيره قد علم صحته وثقة راويه ، فقد زال عذر ذلك في حق هذا ، ومن ترك الحديث لاعتقاده أنَّ ظاهر القرآن يخالفه ؛ أو القياس ؛ أو عمل لبعض الأمصار ؛ وقد تبين للآخر أن ظاهر القرآن لا يخالفه ؛ وأن نص الحديث الصحيح مقدم على الظواهر ؛ ومقدم على القياس والعمل : لم يكن عذر ذلك الرجل عذرًا في حقه ؛ فإن ظهور المدارك الشرعية للأذهان وخفاءها

عنها أمر لا ينضبط طرفاه لاسيما إذا كان التارك للحديث معتقداً أنه قد ترك العمل به المهاجرون والأنصار أهل المدينة النبوية وغيرها الذين يقال : إنهم لا يتركون الحديث إلا لاعتقادهم أنه منسوخ ، أو معارض براجح ، وقد بلغ من بعده أنَّ المهاجرين والأنصار لم يتركوه بل عمل به طائفة منهم ؛ أو من سمعه منهم ؛ ونحو ذلك مما يقدح في هذا المعارض للنص . وإذا قيل لهذا المستهدي المسترشد : أنت أعلم أم الإمام الفلاني ؟ كانت هذه معارضة فاسدة ؛ لأن الإمام الفلاني قد خالفه في هذه المسألة من هو نظيره من الأئمة ، ولست أعلم من هذا ، ولا هذا ، ولكن نسبة هؤلاء إلى الأئمة كنسبة أبي بكر وعمر عثمان وعلي وابن مسعود وأُبَيٍّ ومعاذ ونحوهم إلى الأئمة وغيرهم ، فكما أنَّ هؤلاء الصحابة بعضهم لبعض أكفاء في موارد النزاع ؛ وإذا تنازعوا في شيء ردوا ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول ، وإن كان بعضهم قد يكون أعلم في مواضع أخر : فكذلك موارد النزاع بين الأئمة ، وقد ترك الناس قول عمر وابن مسعود في مسألة تيمم الجنب ، وأخذوا بقول من هو دونهما كأبي موسى الأشعري وغيره لما احتج بالكتاب والسنة ، وتركوا قول عمر في دية الأصابع وأخذوا بقول معاوية لما كان معه من السنة أن النبي ﷺ قال : « **هَذِه وَهَذِه سَوَاءٌ** » . وقد كان بعض الناس يناظر ابن عباس في المتعة ، فقال له : قال أبو بكر وعمر ، فقال ابن عباس : « يوشك أن ينزل عليكم حجارة من السماء ، أقول : قال رسول الله ﷺ ، وتقولون : قال أبو بكر وعمر ؟ » .

وكذلك ابن عمر لما سألوه عنها ، فأمر بها فعارضوا بقول عمر ، فتبين لهم أنّ عمرلم يرد ما يقولونه ، فألحوا عليه فقال لهم : « أمر رسول الله ﷺ أحق أن يتبع ، أم أمر عمر ؟ » مع علم الناس أنَّ أبا بكر وعمر أعلم ممن هو فوق ابن عمر وابن عباس . ولو فتح هذا الباب لوجب أن يعرض عن أمر الله ورسوله ، ويبقى كل إمام في أتباعه بمنزلة النبي ﷺ في أمته وهذا تبديل للدين يشبه ما عاب الله به النصارى في قوله : ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا**

لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣١] والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم ، والحمد لله وحده » [٢٠ / ٢١٢ ـ ٢١٦] .

يقول الشيخ ناصًا على ما في التقليد من رتبة اجتهاد : « فهذا حال من كتم علم الرسول وذاك حال من عدل عنها إلى خلافها ، والعادل عنها إلى خلافها يدخل فيه من قلد أحدًا من الأولين والآخرين فيما يعلم أنه خلاف قول الرسول سواء كان صاحبًا أو تابعًا أو أحد الفقهاء المشهورين الأربعة أو غيرهم . وأمَّا من ظن أنَّ الذين قلدهم موافقون للرسول فيما قالوه ؛ فإنْ كان قد سلك فى ذلك طريقًا علميًّا ، فهو مجتهد له حكم أمثاله ، وإن كان متكلمًا بلا علمٍ ، فهو من المذمومين » [١٩ / ٢٦٦] .

وقال ابن القيم فى « إعلام الموقعين » (٤ / ٢١٦) : « الاجتهاد حالة تقبل التجزؤ والانقسام ، فيكون الرجل مجتهدًا في نوع من العلم مقلدًا في غيره ، أو في باب من أبوابه .

كمن استفرغ وُسعه في نوع العلم بالفرائض وأدلتها واستنباطها من الكتاب والسنة دون غيرها من العلوم ، أو في باب الجهاد ، أو الحج ، أو غير ذلك .

فهذا ليس له الفتوى فيما لم يجتهد فيه ، ولا تكون معرفته بما اجتهد فيه مسوغة له الإفتاء بما لا يعلم في غيره .

وهل له أن يُفتي فى النوع الذي اجتهد فيه ؟ **فيه ثلاثة أوجه :**

أصحها : الجواز ، بل هو الصواب المقطوع به ، **والثانى** : المنع ، **والثالث** : الجواز في الفرائض دون غيرها .

فحجة الجواز : أنه قد عرف الحق بدليله ،وقد بذل جهده في معرفة الصواب ، فحكمه في ذلك حكم المجتهد المطلق في سائر الأنواع » .

وقال أيضًا : « فإن قيل : فما تقول فيمن بذل جهده في معرفة مسألة أو

مسألتين، هل له أن يفتي بهما ؟ » .

قيل : نعم ، يجوز في أصح القولين ، وهما وجهان لأصحاب الإمام أحمد ، وهل هذا إلا من التبليغ عن الله وعن رسوله ،وجزى الله من أعان الإسلام ولو بشطر كلمة خيرًا . ومنع هذا من الإفتاء بما علم خطأ محض . وبالله التوفيق » .

وقال شيخ الإسلام : « والذى عليه جماهير الأمة أن الاجتهاد جائز في الجملة ، والتقليد جائز في الجملة ، ولا يوجبون الاجتهاد على كل أحد ويُحرِّمون التقليد ، ولا يوجبون التقليد على كل أحد ويُحرِّمون الاجتهاد » .

قال ابن القيم في « الإعلام » (٤ / ٢٦١ ـ ٢٦٢) : « هل يلزم العامي أن يتمذهب ببعض المذاهب المعروفة أم لا ؟ **فيه مذهبان** :

أحدهما : لا يلزمه . وهو الصواب المقطوع به ؛ إذ لا واجب إلا ما أوجبه الله ورسوله ، ولم يوجب الله ولا رسوله على أحد من الناس أن يتمذهب بمذهب رجل من الأمة فيقلد دينه دون غيره ، وقد انطوت القرون الفاضلة مبرأة ، مبرأ أهلها من هذه النسبة » .

وسئل شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ : « هل يسوغ تقليد هؤلاء الأئمة كحماد بن أبي سليمان ، وابن المبارك ، وسفيان الثوري ، والأوزاعي ، وقد قال عنهم رجل ـ أعني هؤلاء الأئمة المذكورين ـ هؤلاء لا يلتفت إليهم . فصاحب هذا الكلام ما حكمه ؟ .

فأجاب : وأمَّا الأئمة المذكورون فمن سادات أئمة الإسلام ؛ فإنَّ الثوري إمام أهل العراق ، وهو عند أكثرهم أجل من أقرانه كابن أبي ليلى والحسن بن صالح بن حيٍّ وأبي حنيفة وغيره ، وله مذهب باقٍ إلى اليوم بأرض خراسان . والأوزاعي إمام أهل الشام وما زالوا على مذهبه إلى المائة الرابعة بل أهل المغرب كانوا على مذهبه قبل أن يدخل إليهم مذهب مالك ، وحماد بن أبي سليمان هو شيخ أبي حنيفة .

ومع هذا فهذا القول هو قول أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية وغيرهما . ومذهبه باقٍ إلى اليوم وهو مذهب داود بن علي وأصحابه . ومذهبهم باقٍ إلى اليوم ، فلم يجمع الناس اليوم على خلاف هذا القول ؛ بل القائلون به كثير في المشرق والمغرب **ليس في الكتاب والسنة فرق في الأئمة المجتهدين بين شخص وشخص** . فمالك والليث بن سعد والأوزاعي والثوري : هؤاء أئمة في زمانهم وتقليد كل منهم كتقليد الآخر ؛ **لا يقول مسلم إنه يجوز تقليد هذا دون هذا ، ولكن من منع من تقليد أحد** هؤلاء في زماننا فإنما يمنعه لأحد شيئين :

أحدهما : اعتقاده أنه لم يبقَ من يعرف مذاهبهم وتقليد الميت فيه نزاع مشهور . **فمن منعه قال** : هؤلاء موتى ، **ومن سوغة قال** : لابد أن يكون في الأحياء من يعرف قول الميت .

والثانى : أن يقول : الإجماع اليوم قد انعقد على خلاف هذا القول وينبني ذلك على مسألة معروفة في أصول الفقه وهي أن الصحابة مثلًا أو غيرهم من أهل الأعصار إذا اختلفوا في مسألة على قولين ، ثم أجمع التابعون أو أهل العصر الثاني على أحدهما ، فهل يكون هذا إجماعًا يرفع ذلك الخلاف ؟ وفي المسألة نزاع مشهور في مذهب أحمد وغيره من العلماء . **فمن قال** : إن مع إجماع أهل العصر الثاني لا يسوغ الأخذ بالقول الآخر واعتقد أنَّ أهل العصر أجمعوا على ذلك يركب من هذين الاعتقادين المنع . ومن علم أن الخلاف القديم حكمه باقٍ ؛ لأن الأقوال لا تموت بموت قائلها : فإنه يسوغ الذهاب إلى القول الآخر للمجتهد الذى وافق اجتهاده. وأمَّا التقليد فينبني على مسألة تقليد الميت وفيها قولان مشهوران أيضًا في مذهب الشافعي وأحمد وغيرها . وأمَّا إذا كان القول الذي يقول به هؤلاء الأئمة أو غيرهم قد قال به بعض العلماء الباقية مذاهبهم فلا ريب أنَّ قوله مؤيد بموافقة هؤلاء ويعتضد به ويقابل بهؤلاء من خالفه من أقرانهم : فيقابل بالثوري والأوزاعي أبا حنيفة ومالكًا؛ إذ الأمة متفقة على أنه إذا اختلف مالك والأوزاعي والثوري وأبو حنيفة لم يجزْ أن يقال قول

هذا هو صواب دون هذا إلا بحجة . والله أعلم »

[مجموع الفتاوى (٢٠ / ٥٨٣) .

ويقول مفضّلا تقليد السلف : « ولا يخلو أمر الداعي من أمرين : الأول : أن يكون مجتهدًا أو مقلدًا فالمجتهد ينظر في تصانيف المتقدمين من القرون الثلاثة ؛ ثم يرجح ما ينبغي ترجيحه . الثاني : المقلد يقلد السلف ؛ إذ القرون المتقدمة أفضل مما بعدها » [٢٠ / ٩] .

قال شيخ الإسلام : « أنهم قالوا يمنع من الفتاوى الغريبة المردودة عند الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة المسلمين .

والحكم به ـ أي بهذا المنع ـ باطل بالإجماع ؛ فإنَّ الأئمة الأربعة متفقون على أنه إنما ينقض حكم الحاكم إذا خالف كتابًا أو سنة أو إجماعًا أو معنى ذلك ، فأمًّا ما وافق قول بعض المجتهدين في « مسائل الاجتهاد » ، فإنه لا ينقض لأجل مخالفته قول الأربعة وما يجوز أن يحكم به الحاكم يجوز أن يفتي به المفتي بالإجماع ؛ بل الفتيا أيسر ؛ فإن الحاكم يلزم والمفتي لا يلزم . فما سوغ الأئمة الأربعة للحاكم أن يحكم به فهو يسوغون للمفتي أن يفتي به بطريق الأولى والأحرى ومن حكم بمنع الإفتاء بذلك ، فقد خالف الأئمة الأربعة وسائر أئمة المسلمين . **فما قالوه هو المخالف للأربعة وسائر أئمة المسلمين فهو باطل بالإجماع** » .

« وإذا كان الرجل متبعًا لأبي حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد : ورأى في بعض المسائل أن مذهب غيره أقوى فاتبعه كان قد أحسن في ذلك ولم يقدح ذلك في دينه . ولا عدالته بلا نزاع ؛ بل هذا أولى بالحق وأحب إلى الله ورسوله ﷺ ممن يتعصب لواحد معين غير النبى ﷺ كمن يتعصب لمالك أو الشافعي أو أحمد أو أبي حنيفة ويرى أن قول هذا المعين هو الصواب الذي ينبغى اتباعه دون قول الإمام الذي خالفه . فمن فعل هذا كان جاهلًا ضالًا ؛ بل قد يكون كافرًا ؛ فإنه متى اعتقد أنه

يجب على الناس اتباع واحد بعينه من هؤلاء الأئمة دون الإمام الآخر ، فإنه يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قُتل . بل غاية ما يُقال : إنه يسوغ أو ينبغي أو يجب على العامي أن يقلد واحدًا لا بعينه من غير تعيين زيد ولا عمرو . وأمَّا أن يقول قائل : إنه يجب على العامة تقليد فلان أو فلان فهذا لا يقوله مسلم . ومن كان مواليًا للأئمة مُحبًا لهم يُقلد كلٌ واحد منهم فيما يظهر له أنه موافق للسنة فهو محسن في ذلك . بل هذا أحسن حالًا من غيره ، ولا يُقال لمثل هذا مذبذب على وجه الذمِّ . وإنما المذبذب المذموم الذى لا يكون مع المؤمنين ولا مع الكفار بل يأتي المؤمنين بوجه ويأتي الكافرين بوجه قال تعالى فى حق المنافقين : ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً** ﴾ [النساء : ١٤٢] . وقال النبى ﷺ : « **مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ : تَعِيرُ إِلَى هَؤُلاَءِ مَرَّةً وَإِلَى هَؤُلاَءِ مَرَّةً** » . فهؤلاء المنافقون المذبذبون هم الذين ذمهم الله ورسوله . . فأئمة الدين هم على منهاج الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - والصحابة كانوا مؤتلفين متفقين وإن تنازعوا في بعض فروع الشريعة في الطهارة أو الصلاة أو الحج أو الطلاق أو الفرائض أو غير ذلك ، فإجماعهم حجة قاطعة. **ومن تعصب لواحد بعينه من الأئمة دون الباقين فهو بمنزلة من تعصب لعلي دون الخلفاء الثلاثة وجمهور الصحابة** ، وكالخارجي الذي يقدح في عثمان وعلي - رضي الله عنهما - . فهذه طرق أهل البدع والأهواء الذين ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أنهم مذمومون خارجون عن الشريعة والمنهاج الذي بعث الله به رسوله ﷺ . فمن تعصب لواحد من الأئمة بعينه ففيه شبه من هؤلاء ، سواء تعصب لمالك أو الشافعي أو أبي حنيفة أو أحمد أو غيرهم . ثم غاية المتعصب لواحد منهم أن يكون جاهلًا بقدره فى العلم والدين وبقدر الآخرين فيكون جاهلًا ظالمًا والله يأمر بالعلم والعدل وينهى عن الجهل والظلم . قال - تعالى - : ﴿**وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً** ﴾ ﴿ **لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ**﴾ [الأحزاب : ٧٣] إلى آخر

السورة . وهذا أبو يوسف ومحمد أتبع الناس لأبي حنيفة وأعلمهم بقوله وهما قد خالفاه في مسائل لا تكاد تحصى لما تبين لهما من السنة والحجة ما وجب عليهما اتباعه وهما مع ذلك معظمان لإمامهما . لا يقال فيهما مذبذبان : بل أبو حنيفة وغيره من الأئمة يقول القول ثم تتبين له الحجة في خلافه فيقول بها ولا يُقال له مذبذب ؛ فإن الإنسان لا يزال يطلب العلم والإيمان. فإذا تبين له من العمل ما كان خافيًا عليه اتبعه وليس هذا مذبذبًا ؛ بل هذا مهتدٍ زاده الله هدى . وقد قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤] . فالواجب على كل مؤمن موالاة المؤمنين وعلماء المؤمنين ، وأن يقصد الحق ويتبعه حيث وجده ، ويعلم أن من اجتهد منهم فأصاب فله أجران ، ومن اجتهد منهم فأخطأ فله أجر لاجتهاده ، وخطؤه مغفور له. وعلى المؤمنين أن يتبعوا إمامهم إذا فعل ما يسوغ . . فمن شفع الإقامة فقد أحسن، ومن أفردها فقد أحسن ، ومن أوجب هذا دون هذا فهو مخطئ ضال ، ومن والى من يفعل هذا دون هذا بمجرد ذلك فهو مخطئ ضال . وبلاد الشرق من أسباب تسليط الله التتر عليها كثرة التفرق ، والفتن بينهم في المذاهب وغيرها حتى تجد المنتسب إلى الشافعي يتعصب لمذهبه على مذهب أبي حنيفة حتى يخرج عن الدين ، والمنتسب إلى أبي حنيفة يتعصب لمذهبه على مذهب الشافعي وغيره حتى يخرج عن الدين ، والمنتسب إلى أحمد يتعصب لمذهبه على مذهب هذا أو هذا ، وفي المغرب تجد المنتسب إلى مالك يتعصب لمذهبه على هذا أو هذا . وكل هذا من التفرق والاختلاف الذي نهى الله ورسوله عنه . وكل هؤلاء المتعصبين بالباطل المتبعين الظن وما تهوى الأنفس المتبعين لأهوائهم بغير هدى من الله مستحقون للذم والعقاب. وهذا باب واسع لا تحتمل هذه الفُتيا لبسطه ؛ فإن الاعتصام بالجماعة والائتلاف من أصول الدين والفرع المتنازع فيه من الفروع الخفية ، فكيف يقدح في الأصل بحفظ الفرع ، وجمهور المتعصبين لا يعرفون من الكتاب والسنة إلا ما شاء الله ، بل يتمسكون بأحاديث ضعيفة أو آراء فاسدة أو حكايات عن بعض العلماء والشيوخ قد

تكون صدقًا وقد تكون كذبًا ، وإن كانت صدقًا فليس صاحبها معصومًا يتمسكون بنقل غير مصدق عن قائل غيرمعصوم ، ويدعون النقل المصدق عن القائل المعصوم وهو ما نقله الثقات الأثبات من أهل العلم ودونوه في الكتب الصحاح عن النبي ﷺ . فإن الناقلين لذلك مصدقون باتفاق أئمة الدين والمنقول عنه معصوم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى قد أوجب الله ـ تعالى ـ على جميع الخلق طاعته واتباعه . قال ـ تعالى ـ : ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء : ٦٥] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [النور : ٦٣]. والله ـ تعالى ـ يوفقنا وسائر إخواننا المؤمنين لما يحبه ويرضاه من القول والعمل والهدى والنية ـ والله أعلم ـ . والحمد لله وحده » [٢٢ / ٢٤٩] .

وأما قول القائل : « لا أتقيد بأحد هؤلاء الأئمة الأربعة » . إن أراد أنه لا يتقيد بواحد بعينه دون الباقين فقد أحسن ؛ بل هو الصواب من القولين . وإن أراد : أني لا أتقيد بها كلها بل أخالفها فهو مخطئ في الغالب قطعًا ؛ إذ الحق لا يخرج عن هذه الأربعة في عامة الشريعة ؛ ولكن تنازع الناس : هل يخرج عنها في بعض المسائل ؟ على قولين . وقد بسطنا ذلك في موضع آخر . وكثيرًا ما يترجح قول من الأقوال يظن الظانُّ أنه خارج عنها ويكون داخلا فيها . لكن لا ريب أن الله لم يأمر الأمة باتباع أربعة أشخاص دون غيرهم . هذا لا يقوله عالم ؛ وإنما هذا كما يقال : أحاديث البخارى ومسلم ؛ فإن الأحاديث التي رواها الشيخان فصححاها قد صححها من الأئمة ما شاء الله ؛ فالأخذ بها لأنها قد صحت ؛ لا لأنها قول شخص بعينه .

وأما من عرض عليه حديث فقال : لو كان صحيحًا لما أهمله أهل مذهبنا . فينبغي أن يُعزَّر هذا على فرط جهله وكلامه في الدين بلا علم . والكذب في حديث رسول الله ﷺ من أعظم الذنوب ، وقد اختلف : هل هو فسق أو كفر ؟ على قولين.

ولا يجب تقليد واحد بعينه غير النبي ﷺ لكن إن كان معتقدًا في مسألة باجتهاد أو تقليد فانفصاله عنه لابد له من سبب شرعي يرجح عنده قول غير إمامه ؛ فإذا ترجح عند الشافعي مثلا قول مالك قلده ، وكذلك غيره . وأمَّا انتقال الإنسان من قول إلى قول بلا سبب شرعي يأمر الشرع به ففى تسويغه نزاع .

لا يجب على المالكي ولا غيره تقليد أحد من الأئمة بعينه في جميع الدين باتفاق الأئمة الكبار .

وأمًّا لزوم « التمذهب بمذهب » والامتناع عن الانتقال منه إلى غيره في مسألة : ففيه وجهان ، وفاقا لمالك والشافعي ، وعدمه أشهر وفي اللزوم طاعة غير النبي ﷺ في كل أمره ونهيه ، وهذا خلاف الإجماع . قاله شيخنا . وقال : جوازه فيه ما فيه . قال : ومن أوجب تقليد إمام بعينه استتيب ، فإن تاب وإلا قُتل . وإن قال: ينبغي كان جاهلًا ضالًا . قال : ومن كان متبعًا لإمام فخالفه في بعض المسائل لقوة الدليل أو لكون أحدهما أعلم وأتقى ، فقد أحسن ولم يقدح في عدالته بلا نزاع . وقال أيضًا : في هذه الحال يجوز عند أئمة الإسلام . وقال أيضًا : بل يجب وأن أحمد نص عليه . ومن ادعى العصمة لأحد في كل ما يقوله بعد الرسول ﷺ فهو ضال، وفي تكفيره نزاع وتفصيل .

ومن قلد مَن يسوغ له تقليده ، فليس له أن يجعل قول متبوعه أصح من غيره بالهوى بغير هدى من الله ، ولا يجعل متبوعه محنة للناس فمن وافقه والاه ومن خالفه عاداه ؛ فإنَّ هذا حرمه الله ورسوله باتفاق المؤمنين ؛ بل يجب على المؤمنين أن يكونوا ، كما قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا** ﴾ [آل عمران : ١٠٣ ، ١٠٤] إلى قوله : ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ** ﴾ [آل عمران : ١٠٤ ،

١٠٥] قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : تبيض وجوه أهل السنة والجماعة ، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة ، وفي جواز تقليد الميت قولان في مذهب أحمد وغيره [مختصر الفتاوى المصرية (١/ ٦١)].

١٢ ـ قال أبو العباس : « النبيه الذي سمع اختلاف العلماء وأداءهم في الجملة وعنده ما يُعرف به رجحان القول ، وليس للحاكم وغيره أن يبتدئ الناس بقهرهم على ترك ما يشرع وإلزامهم برأيه اتفاقًا ، ولو جاز هذا لجاز لغيره مثله ، وأفضى إلى التفرق والاختلاف وفي لزوم التمذهب بمذهب وامتناع الانتقال إلى غيره وجهان في مذهب أحمد وغيره ، وفي القول بلزوم طاعة غير النبي ﷺ في كل أمره ونهيه ، وهو خلاف الإجماع وجوازه فيه ما فيه . **ومن أوجب تقليد إمام بعينه استتيب ، فإن تاب وإلا قتل** وإن قال ينبغي كان جاهلًا ضالًا ، ومن كان متبعًا لإمام فخالفه في بعض المسائل لقوة الدليل ، أو لكون أحدهما أعلم وأتقى فقد أحسن » [الفتاوى الكبرى].

أَهَمِّيَّةُ الْوَقْتِ

الوقت هو رأس مالِ طلب العالم ، وما أفلح قط طالب علم مضيع لوقته ، وما أنجح من أنجح من طلبة العلم إلا بمحافظتهم على أوقاتهم وبضنهم بساعات زمانهم على القاصي والداني ، ودونك درر ملتقطات ونماذج منتخبات من صور حفاظ أهل العلم على وقتهم :

ابْنُ عَبْدِ الْقَيْسِ : أَمْسِكِ الشَّمْسَ

١ ـ جاء رجل إلى عامر بن عامر بن عبد القيس ـ وهو أحد العابدين التابعين الزهاد ـ وقال له : كلمني .

فقال له عامر : « أمسك الشمس » . [قيمة الزمن عند العلماء لأبي غدة ١٤].

ومعنى كلام ابن عبد القيس : أنَّ الشمس دائمة الجري ، لا تتوقف ، وهذا يعني أن العمر لا يتوقف ، فكيف تريدني أنْ أقف وأكلمك ؟!

أَبُو يُوسُفَ وَالْمُدَارَسَةُ وَهُوَ يَحْتَضِرُ

قال القاضي إبراهيم بن الجراح : مرض أبو يوسف ، فأتيته أعُوده ، فوجدته مغمًى عليه . فلما أفاق قال لي : يا إبراهيم : ما تقول في مسألة ؟

قلت : وأنت في هذه الحالة ؟ **قال** : لا بأس بذلك ، ندرس ، لعله ينجو به ناج !

ثم قال لي : يا إبراهيم : أيهما أفضل في رمي الجمار ، أن يرميها ماشيًا أو راكبًا؟

قلت : يرميها راكبًا . **قال** : أخطأت .

قلت : يرميها ماشيًا . **قال** : أخطأت !



قلت : قل فيها ، يرضى الله عنك .

قال : أما ما كان يوقف عنده للدعاء ، فالأفضل أن يرميه ماشيًا . وأما ما كان لا يوقف عنده للدعاء فالأفضل أن يرميه راكبًا .

ثم قمت من عنده . فما بلغت باب داره حتى سمعت الصراخ عليه . فإذا هو قد مات . رحمة الله عليه . [المرجع السابق : ١٥] .

* * *

كِتَابُ الْوَزِيرِ ابْنِ خَاقَانَ فِي كُمِّهِ

٣ ـ كان الفتح بن خاقان أديبًا شاعرًا ، حريصًا على طلب العلم ، وقد اتخذه المتوكل وزيرًا عنده . ومع ذلك كان شديد الحرص على وقته ، وعلى طلب العلم .

فكان يكون بين يدي المتوكل ـ الخليفة العباسى ـ وكان يُخفي الكتاب في كُمِّه أو خُفِّه ، فإذا قام من أمام المتوكل للبول أو للصلاة ، أخرج الكتاب فنظر فيه وهو يمشي، حتى يبلغ الموضوع الذي يريده ، ثم يصنع مثل ذلك فى رجوعه ، إلى أن يأخذ مجلسه . فإذا أراد المتوكل القيام لحاجة ، أخرج الفتح الكتاب من كُمِّه أو خُفِّه، وقرأه في مجلس المتوكل ، إلى حين عودته . [المرجع السابق : ١٦] .

* * *

بَرْنَامَجُ الطَّبَرِيِّ الْيَوْمِيِّ

٤ ـ كان الإمام محمد بن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ حريصًا على وقته وعلى تقييد العلم .

قال السمسمي : مكث ابن جرير أربعين سنة، يكتب كل يوم منها أربعين ورقة.

[المرجع السابق : ١٨] .

وقال القاضي أبو بكر بن كامل ـ تلميذ الطبرى ـ عن نوم الطبري ويقظته وحسن



تقسيمه لوقته :

كان الطبري في الصباح إذا أكل نام في الخيش ـ وهي ثياب في نسجها رقة ، وخيوطها غلاظ ، تتخذ من مشاقة الكتاب ، تلبس في الحر عند النوم ، لبرودتها على الجسم ـ ويلبس قميصًا الأكمام ، مصبوغًا بالصندل وماء الورد .

ثم يقوم فيصلى الظهر في بيته ، ويكتب في تصنيفه إلى العصر ، ثم يخر فيصلي العصر ، ويجلس للناس يُقرئ ويُقرأ عليه ، إلى المغرب ، ثم يجلس للفقه والدرس بين يديه إلى العشاء الآخرة . ثم يدخل منزله .

وقد قسم ليله ونهاره في مصلحة نفسه ، ودينه ، والخلق . [المرجع السابق : ١٩] .

وما ضيع الإمام الطبرى دقيقة من حياته بدون فائدة أو إفادة أو استفادة .

قال المعافي بن زكريا : كنت بحضرة أبى جعفر بن الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ قبل موته ، وتوفى بعد ساعة أو أقل منها ، فذكر أمامه دعاء عن جعفر الصادق ، فاستدعى ابن جرير محبرة وصحيفة فكتبه !

فقيل له : أتكتبه وأنت في هذه الحال ؟ فقال : ينبغى للإنسان أن لا يدع طلب العلم حتى الممات ! [المرجع السابق : ١٩ ـ ٢٠] .

* * *

الْبَيْرُونِي يَحْفَظُ الْعِلْمَ قُبَيْلَ مَوْتِهِ

٥ ـ وحدث الفقيه أبو الحسن بن عيسى عن اهتمام أبي الريحان البيروني بالعلم، فقال : دخلت على أبي الريحان وهو يجود بنفسه ، وقد حشرج نفسه ، وضاف به صدره ـ وقد بلغ من العمر ثماني وسبعين عامًا ـ .

فقال لي في تلك الحال : كيف قلت لي يومًا في حساب الجدات الفاسدة في



الميراث ؟

فقلت له إشفاقًا عليه : أفي هذه الحالة ؟

فقال لي : يا هذا : أودع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة ، خير من أن أودعها وأنا جاهل بها !!

فأعدت المسألة عليه ، وحفظ ، وعلمني ، وخرجت .. ولما كنت في الطريق سمعت الصراخ عليه ، حيث مات ، رحمه الله . [المرجع السابق : ٢١ ـ ٢٢] .

* * *

سليم الرازي وقراءته القرآن

٦ ـ وكان الإمام سليم الرازي مهتمًا بوقته . قال عنه التاج السبكي : كان ـ رحمه الله ـ من الورع على جانب قوى ، يحاسب نفسه على الأوقات ، لا يدع وقتًا يمضي بغير فائدة ، إما يدرس ، أو ينسخ ، أو يقرأ .

قال سليم الرازي وقد نزل إلى داره يومًا ورجع : لقد قرأت جزءًا في طريقي.

وحدث المؤمل بن الحسن أنه رأى سليم الرازي ، وقد حفى عليه القلم ، فإلى أن أصلحه كان يحرك شفتيه ، فعلم أنه يقرأ القرآن أثناء إصلاح القلم ، لئلا يمضى عليه زمان وهو فارغ . [المرجع السابق : ٢٢ ـ ٢٣] .

* * *

متى ينام الجويني ويأكل

٧ ـ قال الإمام عبد الملك الجوينيُ ـ إمام الحرمين ـ أنا لا أنام ولا آكل عادة ، وإنما أنام إذا غلبنى النوم ، ليلاً كان أو نهاراً ، وآكل إذا اشتهيت الطعام ، أي وقت كان .

فكانت لذته ونزهته في مذاكرة العلم ، وطلب الفائدة .



[المرجع السابق : ٢٣].

* * *

أبو الوفاء بن عقيل في طعامه وفكره

٨ ـ كان الإمام أبو الوفاء علي بن عقيل البغدادي الحنبلي يقول : إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري ، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة أو مناظرة ، وبصري عن مطالعة ، أعملتُ فكري في حال راحتي ، وأنا منطرح ، فلا أنهض إلا وقد خطر لى ما أسطره .

وإني لأجد من حرصي على العلم ، وأنا في عشر الثمانين ، أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين سنة .

وأنا أُقَصِّرُ بغاية جهدي أوقات أكلي ، حتى أختار سف الكعك وتحسِّيه بالماء على الخبز، لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ ، توفرا على مطالعة ، أو تسطير فائدة، وإنَّ أجلَّ تحصيل عند العقلاء ـ بإجماع العلماء ـ هو الوقت ، فهو غنيمة تنتهز فيها الفرص ، فالتكاليف كثيرة .

ولما احتضر الإمام ابن عقيل وأدركته الوفاة ، بكت النساء حزنًا على فراقه ، فقال لهن : قد وقعت عن الله خمسين سنة ـ لأنه كان يوقع الفتاوى التى يبين فيها أحكام الله للسائلين ـ فدعونى أهنأ بلقاء الله !

ولما توفي هذا الإمام ، لم يخلف من الدنيا كتبه وثياب بدنه ،وكانت بمقدار كفنه وأداء دينه . [المرجع السابق : ٢٥ ـ ٢٦] .

* * *

نقول لابن الجوزي في « صيد الخاطر »

٩ ـ أورد الإمام أبو الفرج بن الجوزي فى كتابه اللطيف « صيد الخاطر » أقوالًا

لبعض السابقين حول الاهتمام بالأوقات . **من هذه الأقوال :**

- **قال الفضيل بن عـياض ـ رحمه الله ـ :** « أعرف من يعد كلامه من الجمعة إلى الجمعة » .

- **ودخل قوم على رجل عابد مـن السلف ، فقالوا :** « لعلنا شغلناك ؟ » فقال : «أصدقكم القول نعم ! كنت أقرأ ، فتركت القرآن لأجلكم !!» .

- وجاء عـابد إلى السَّريِّ السقطـيِّ ، فرأى عنده جمـاعة جالسين ، فـقال له : «صرت مناخ البطالين !! » ، ثم مضى ولم يجلس .

- وقعد قوم عند معروف الكرخي ، فأطالوا ، فقال لهم : « إن ملك الشمس لا يفتر عن سوقها ، فمتى تريدون القيام ؟!»

- وكان داود الطائي يستف الفتيت ، ويقـول : « بين سف الفتيت ، وأكل الخبز قراءة خمسين آية » .

- وكان عثـمان الباقلاوي دائم الذكر لله ، وقـال يومًا : إني وقت الإفطار أحسُّ بروحي كأنها تخرج ! لأني أشتغل بالأكل عن الذكر .

- وأوصى أحد السلف أصـحابه فقـال : إذا خرجتـم من عندي فتفـرقوا ، لعل أحدكم يقرأ القرآن في طريقه ، ومتى اجتمعتم تحدثتم !! [المرجع السابق : ٢٩] .

* * *

بَرَايَةُ أَقْلَامِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ

١٠ - وكان الإمام ابن الجوزيِّ يجمع براية الأقلام التي كان يكتب بها ، ويحتفظ بها في مكانٍ خاص . ولما حضرته الوفاة أوصى أن يسخن الماء الذى سَيُغَسَّلُ به ببراية **تلك الأقلام !** .

ولما مات نفذوا وصيته ، فكفت براية أقلامـه لتسخين مائه ، وزاد منها شيء بعد

ذلك !! [المرجع السابق : ٣٢] .

* * *

البرنامج النموذجي للحافظ المقدسي

١١ ـ روى الضياء المقدسى عن برنامج شيخه الحافظ عبد الغني المقدسى ، فقال: كان لا يضيع شيئًا من زمانه ، فكان يصلى الفجر ، ثم يلقن ويعلم الناس القرآن ،وربما لقنهم الحديث ، ثم يقوم ، فيتوضأ ويصلى ثلاثمائة ركعة ، بالفاتحة والمعوذتين إلى قبيل الظهر ، ثم ينام نومة ، فيصلى الظهر ، ويشتغل بالتسميع أو النسخ إلى المغرب ، فيفطر إن كان صائمًا ،ويصلى العشاء ، ثم ينام إلى نصف الليل أو بعده ، ثم يتوضأ ويصلى ، ويتوضأ ويصلى ، إلي قريب الفجر ، وربما توضأ سبع مرات أو أكثر ،ويقول : تطيب لى الصلاة ما دامت أعضائى مبتلة ، ثم ينام نومة يسيرة قبل الفجر . [المرجع السابق : ٣٣ ـ ٣٤] .

* * *

تأسف الرازي على وقت الأكل

١٢ ـ كان الإمام المفسر فخر الدين الرازي يقول : « والله إنى لأتأسف فى الفوات عن الاشتغال بالعلم في وقت الأكل ، فإنَّ الوقت والزمان عزيز ! » .

[المرجع السابق : ٣٤] .

* * *

ابن مالك يحفظ الشعر ساعة موته

١٣ ـ مما ورد في ترجمة الإمام النحوي ابن مالك صاحب الألفية في النحو «ألفية ابن مالك » : كان ـ رحمه الله ـ كثير المطالعة ، سريع المراجعة ، لا يكتب شيئًا من

محفوظه حتى يراجعه في محله ـ وهذه حالة المشايخ الثقات والعلماء الأثبات ـ وكان ابن مالك لا يرى إلا وهو يصلي ، أو يتلو ، أو يصنف ، أو يقرأ ! .

ومن أغرب الأمثلة على اعتنائه بالعلم أن ابنه جاءه في اليوم الذي مات فيه ، ومع ثمانية أبيات من الشعر ، فطلب من ابنه أن يلقنه الأبيات الثمانية رغم مرضه ، فحفظها قبل وفاته ـ رحمه الله ـ ! .

ويصدق فيه قول القائل : بقدر ما تتعنى ، تنال ما تتمنى . .

[المرجع السابق : ٣٤ ـ ٣٥] .

* * *

ابْنُ النَّفِيس يُدَوِّنُ الْعِلْمَ فِي الْحَمَّامِ

١٣ ـ الإمام علاء الدين ابن النفيس هو الطبيب المشهور ، الذي اكتشف الدورة الدموية في القرن السابع .

وكان إذا أراد التأليف والتصنيف ، توضع له الأقلام مبرية ، ويدير وجهه إلى الحائط ، ويأخذ في التصنيف إملاء من خاطره ، ويكتب مثل السيل إذا انحدر ، فإذا كَلَّ القلم وخفى ، رمى به وتناول غيره ، لئلا يضيع عليه الزمان في بري القلم . وكان يكتب ـ إذا صنف ـ من صدره ، من غير مراجعة للكتب .

ودخل مرة الحمام ليغتسل ، وبينما كان يغتسل خرج إلى مكان نزع وارتداء الملابس ، واستدعى بداوة وقلم وورق ،وكتب مقالة فى النبض إلى أن أنهاها ! ثم عاد وكمل اغتساله !!! [المرجع السابق : ٣٧ ـ ٣٨] .

* * *

ابْنُ عَسَاكِر الزَّاهِدُ فِي الْمَنَاصِبِ

١٥ ـ أما الإمام المؤرخ أبو القاسم ابن عساكر صاحب « تاريخ دمشق » فقد

حدَّث ابنه القاسم عنه قائلًا : كان أبي - رحمه الله - مواظبًا على الجماعة والتلاوة ، يختم كل جمعة ، ويختم في رمضان كل يوم ، ويعتكف في المنارة الشرقية من جامع دمشق وكان كثير النوافل والأذكار .

وقال عنه تلميذه أبو المواهب : لم أرَ مثله ، ولا من اجتمع فيه ما اجتمع فيه ، من لزوم طريقة، واحدة مدة أربعين سنة ، من لزوم الصلوات في الصف الأول إلا من عذر ، والاعتكاف في شهر رمضان وعشر ذي الحجة ،وعدم التطلع إلى تحصيل الأملاك وبناء الدور ، حيث أسقط ذلك عن نفسه ، وأعرض عن طلب المناصب من الإمامة والخطابة ، وأباها بعد أن عرضت عليه ، وأخذ نفسه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا تأخذه في الله لومة لائم . . . [المرجع السابق : ٥٠ ، ٥١] .

أبيات فريدة في الاهتمام بالوقت والعلم :

١٦ - وقد أورد الشيخ عبد الفتاح أبو غدة بعض الأبيان الشعرية في الاهتمام بالوقت والحرص على طلب العلم ، منها :

قال بهاء الدين ابن النحاس :

اليوم شيء وغداً مثله ... من نخب العلم التي تلتقط

يحصل المرء بها حكمة ... وإنما السيل اجتماع النقط

وقال ابن نباتة السعدي :

أعاذلتي على إتعاب نفسي ... ورعيي في الدُّجى روض السُّهاد

إذا شام الفتى برق المعالي ... فأهون فائت طيب الرُّقاد

وقال الإمام السيوطي :

حدثنا شيخنا الكناني ... عن أبهِ صاحب الخطابة

أسرع أخا العلم في ثلاث ... في الأكل والمشي والكتابة

وقال الأديب عمارة اليمنى :

إذا كان رأس المال عمرك فاحترز … عليه من الإنفاق في غير واجب

فبين اختلاف الليل والصبح معرك … يكُرُّ علينا جيشه بالعجائب

وقال أمير الشعراء أحمد شوقي :

دقات قلب المرء قائلة له … إنَّ الحياة دقائق وثوانِ

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها … فالذكر للإنسان عمر ثانِ

وقال الإمام أحمد بن فارس الرازي صاحب « مقاييس اللغة » :

إن كان يؤذيك حرُّ المصيف … ويبسُ الخريف وبردُ الشتا

ويلهيك حسنُ زمان الربيع … فأخذك للعلم قل لي : متى ؟!

وقال الوزير الصالح الفقيه يحيى بن هبيرة :

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه … وأراه أسهل ما عليك يضيع

هذه بعض النماذج التي انتقيناها من رسالة الأستاذ الشيخ عبد الفتاح أبو غدة : « قيمة الزمن عند العلماء » . وننصح الإخوة القُرَّاءَ بقراءة هذه الرسالة ، وقراءة كتابه اللطيف المفيد « صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل » ، فإنه فريد في بابه ، يثير حماس الراغب فى العلم والمعرفة .

ونقدم هذه النماذج للإخوة الرقاء ، لتكون حافزًا لهم لبذل المزيد من الحرص والاهتمام بالعلم ، والاهتمام بالوقت ، وليقتدوا بالعلماء الأعلام ، الذين صدرت عنهم تلك التعبيرات ، أو حصلت منهم تلك المواقف واللقطات .

[مستفاد من كتاب « خطة براقة » للدكتور صلاح الخالدي] .

* * *

مَفْهُومُ إِدَارَةِ الْوَقْتِ[1]

إدارة الوقت تعني أولًا إدارة الذات ، فهي نوع من إدارة الفرد لنفسه بنفسه .

إدارة الوقت هي إدارة الأعمال التي نقوم بمباشرتها في حدود الوقت المتاح ، يوميًا ١٤ ساعة ، أو أسبوعيًا ١٦٨ ساعة .

إدارة الوقت هي محاولة ترويض الوقت وفرض سيطرتنا عليه ، بدلًا من أن يفرض هو سيطرته علينا .

إدارة الوقت في إدارة السلوك والشخصية .

ومن خلال التعريفات السابقة نلاحظ أنَّ إدارة الوقت تعني إدارة الفرد لنفسه بنفسه وتوجيه مشاعره وأفكاره وإمكانياته نحو الأهداف والإنجازات التي يصبو إلى تحقيقها .

والنفس كالطفل إن تهمله شب على ... حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

دقات قلب المرء قائلةٌ له ... إنَّ الحياة دقائق وثوانِ

أحمد شوقي

* * *

(١) مستفاد من كتاب : « إدارة الوقت » ، لمحمد ديماس .



أهمية إدارة الوقت

تعد إدارة الوقت أمرًا ضروريًا لتحقيق النجاح ، فالوقت وقتك ، وهو يرتبط بشخصك في المقام الأول ، فإذا تفهمت المبادىء الأساسية لإدارة الوقت وحاولت تحويل هذه المبادىء إلى عادات ؛ فإن نجاحك في إدارة وقتك سيحقق لك بإذن الله تعالى الآتي :

- إنجاز أكبر عدد ممكن من الإنجازات في العمل .
- إرضاء رؤساءك في العمل .
- تنظيم وحسن استغلال الجهود المبذولة .
- الشعور بالرضا وتحقيق الذات .
- التوفيق بين العمل وحياتك الخاصة .
- القدرة على القيام بالأدوار المتعددة .

إن تنظيمك الجيد لوقتك يمكنك من إدارة عملك وحياتك بكفاءة وفاعلية .

الشخص الذي لا يستطيع إدارة وقته ، لا يستطيع إدارة أي شيء غيره .

تمرين
ما مدى كفاءتك في إدارة وقتك ؟

تجد في الأسفل عشر عبارات تعبر عمومًا عن مبادىء مقبولة لإدارة فعالة للوقت . أجب عن هذه الأسئلة بوضع دائرة حول الرقم الذي يُعبِّر عن مدى قيامك بعملك(١) بكل صراحة وأمانة مع نفسك .

١ ـ أحدد كل يوم وقتًا بسيطًا للتخطيط والتفكير فى عملى .

٠ ـ نادرًا ١ ـ أحيانًا ٢ ـ غالبًا ٣ ـ دائمًا .

٢ ـ أحدد أهدافًا معينة ومكتوبة ، وأحدد مواعيد لتحقيقها .

٠ ـ نادرًا ١ ـ أحيانًا ٢ ـ غالبًا ٣ ـ دائمًا .

٣ ـ أعدُّ قائمة عمل يومية وأرتبها حسب أهميتها ، وأنفذ أهمها في أسرع وقت ممكن .

٠ ـ نادرًا ١ ـ أحيانًا ٢ ـ غالبًا ٣ ـ دائمًا .

٤ ـ أعرف قاعدة (٨٠ ـ ٢٠) وأستخدمها في العمل . (تشير هذه القاعدة إلى أنَّ ٨٠ ٪ من فعاليتك ستظهر عندما تنجز ٢٠ ٪ فقط من أهدافك) .

٠ ـ نادرًا ١ ـ أحيانًا ٢ ـ غالبًا ٣ ـ دائمًا .

٥ ـ أحتفظُ بجدول مفتوح لكي أكون مستعدًا للأزمات وللأمور غير المتوقعة .

٠ ـ نادرًا ١ ـ أحيانًا ٢ ـ غالبًا ٣ ـ دائمًا .

٦ ـ أفوض كلَّ ما يمكننى إلى الآخرين ليقوموا به .

٠ ـ نادرًا ١ ـ أحيانًا ٢ ـ غالبًا ٣ ـ دائمًا .

---

(١) دايل تيمت . إدارة الوقت / وليد هوانه (ص : ٧٠ ـ ٧١) بتصرف .

٧ ـ أحاول أنْ أهتم بكلٍّ ورقة مرة واحدة فقط .

٠ ـ نادرًا ١ ـ أحيانًا ٢ ـ غالبًا ٣ ـ دائمًا .

٨ ـ أتناول غداء خفيفًا حتى لا أشعر بالنعاس بعد الظهر .

٠ ـ نادرًا ١ ـ أحيانًا ٢ ـ غالبًا ٣ ـ دائمًا .

٩ ـ أقوم بجهد فعَّال لأمنع حدوث المعترضات أو المقاطعات الشائعة (كالزوار، والاجتماعات ، والمكالمات الهاتفية) ، التى تعترض عملي باستمرار .

٠ ـ نادرًا ١ ـ أحيانًا ٢ ـ غالبًا ٣ ـ دائمًا .

١٠ ـ أستطيع أنْ أقول « لا » عندما يطلب الآخرون وقتي ، خاصة إذا كان ذلك سيحول دون إكمال إنجاز المهام الرئيسية .

٠ ـ نادرًا ١ ـ أحيانًا ٢ ـ غالبًا ٣ ـ دائمًا .

إجابة تمرين
ما مدى كفاءتك في إدارة وقتك ؟

حتى تعرف درجتك أعط نفسك :

ثلاث نقاط لكل إجابة « دائمًا » .

نقطتين لكل إجابة « غالبًا » .

نقطة واحدة لكل إجابة « أحيانًا » .

صفرًا لكل إجابة « نادرًا » .

اجمع نقاطك لتحصل على درجتك النهائية ، فإذا حصلت على :

صفر ـ ١٥ الأفضل أنْ تفكر قليًلا في إدارة وقتك .

١٥ ـ ٢٠ لا بأس ، لكن يمكن لك أن تتحسن قليًلا .



٢٠ ـ ٢٥ ـ جيد جدًا .

٢٥ ـ ٣٠ ممتاز .

كل فائت يُستَدرك إلا فائت الزمن ، لذلك تذكر قول أمير الشعراء : « إن الحياة دقائق وثوان » .

تمرين : ما هي معايير الوقت الفعال ؟

ضع علامة (√) أمام المعايير أو الصفات التي تعتقد أنَّ الشخص لو تحلى بها فإنه يستعمل وقته بفاعلية .

ـ يستيقظ مبكرًا .

ـ ينام متأخرًا .

ـ مشغول دائمًا .

ـ قائد غير محبوب .

ـ غير مركزي .

ـ لديه أهداف واضحة .

ـ تصعب مقاطعته .

ـ يحترم أوقات الآخرين .

ـ يكمل عمله في المنزل .

ـ تحتاج موعدًا لمقابلته .

ـ يحقق النتائج المطلوبة في الوقت المحدد .

ـ يحدد الأولويات في عمله .

ـ لا يتردد بقول (لا) للأعمال التي لا يرغب بها .

ـ لا يتردد في اتخاذ القرار .

الإجابة النموذجية :

إذا أجبت بعلامة (√) على المعايير التالية فـإجابتك صحيحة : (١ ، ٦ ، ٧ ، ٨، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤) .

ساعـد الناس كي يصلوا إلى أفـضل إمكاناتهم واضبطهـم وهم يؤدون عمـلا ما بشكل صحيح .

مَفْهُومُ مُضَيِّعَاتِ الْوَقْتِ

هو مفهوم ديناميكي يتغيـر بتغير الظروف والأزمان والأمكنة والأشخاص ، وهو نشاط يأخذ وقتًا ، أو يستخدم وقتًـا بطريقة غير ملائمة ، أو أنه نشاط لا يعطي عائدًا يتناسب مع الوقت المبذول من أجله .

ما هي مضيعات الوقت ؟

ـ المقاطعات والزيارات المفاجئة .

ـ الاتصالات الهاتفية غير المنتجة .

ـ عدم التفويض أو التفويض غير الفعال .

ـ الاجتماعات غير الفعالة .

التسويف أو التأجيل بأعذار واهية .

ـ الأهداف غير الواضحة .

ـ المعلومات الضعيفة / (النقص في المعلومات) .

ـ عدم تحديد الأولويات .

ـ عدم القدرة على قول : « لا » .

ـ عدم تخطيط الوقت .



- انخفاض الروح المعنوية .

- سُوءُ التنظيم الشخصي .

- الأحاديث الاجتماعية .

- الإصغاء غير الجيد .

- مشكلات الموظفين .

كَيْفَ تُسَيْطِرُ عَلَى مُضَيِّعَاتِ وَقْتِكَ ؟

- حدد أهم مضيعات وقتك .

- حدد كم من الساعات في اليوم تقضيها في هذه المضيعات .

- حدد كم من الساعات في اليوم يجب أن تقضيها في هذه المضيعات .

- حدد أسباب مضيعات الوقت لديك .

- ضع حلولًا للقضاء على مضيعات الوقت .

- ضع هدفًا لنفسك ، بأن تحدد المقدار الذي ترغب في الوصول إليه لتخفيض الوقت الضائع .

- حدد درجة الفعالية والكفاءة التي ترغب في أن تكون عليها في استخدامك لوقتك .

« إنَّ السبب في انتصاري على الإمبراطورية النمساوية يكمن في أنَّ أعدائي لم يعرفوا جيدًا قيمة الدقائق الخمس » نابليون .

تخطيط جيد للوقت + إجراءات إيجابية لمواجهة مضيعات وقت = إدارة فعالة للوقت .



١٠- قواعد لإدارة وقتك بفاعلية

١ ـ حدد أهدافك وأولوياتك .

٢ ـ فوض صلاحياتك .

٣ ـ كُن قادرًا على قول : « لا » .

٤ ـ أَتْقِنْ فن الاتصال الهاتفي .

٥ ـ لا تسوف ولا تماطل .

٦ ـ أدر الاجتماعات بشكل فعال .

٧ ـ استخدم الإدارة بالتوجيه .

٨ ـ أَتْقِنْ فن التعامل مع الزيارات المفاجئة .

٩ ـ أَدِرْ مكتبك بشكل فعال .

١٠ ـ التزم الاستراتيجيات الذكية .

١- حَدِّدْ أَهْدَافَكَ وَأَوْلَوِيَّاتَكَ

كثير من الساعات تضيع عندما يعمل الإنسان بدون أهداف محددة ، ونتيجة لذلك لا يستطيع تحقيق ما يبغي إنجازه .

وحتى تكون الأهداف محققة للإنجازات المطلوبة يجب أن تكون حسب المواصفات الآتية :

١ ـ محددة specific (واضحة) .

٢ ـ قابلة للقياس measurable. ٣ ـ متفق عليها Agreable.

٤ ـ واقعية ممكنة التحقيق Realistic .

٥ ـ مرتبط إنجازها بزمن Timed .

وهذه مواصفات الهدف الذكي Smart obgective التي من شأنها جعل الهدف يتحقق بشكل واضح وسهل .

وتعد الأولويات Priorities من العوامل المساعدة على إدارة الوقت بفعالية .

والإنسان بطبعه ينزع إلى التعامل مع الأمور العاجلة ، والتي تكون الحاجة لها مُلِّحة أكثر من الأمور الهامة التي ـ نادرًا ما ـ تكون الحاجة لها عاجلة .

وهذا بدوره يتطلب من الإنسان أن يحدد أولوياته بشكل صحيح لكي يستطيع أن يحقق أهدافه ، وحتى يتمكن من ذلك عليه أن يبحث في المسائل الآتية :

ـ ما هي الأولويات ذات الأهمية العظمى .

ـ وما هي الأولويات الأقل أهمية ؟

ـ ما هي نتائج الأهداف المطلوب تحقيقها .

إنَّ المصفوفة التالية ذات قيمة عالية في تحديد الأمور الهامة ، والأمور العاجلة على النحو التالي :

كيف يمكن أن تجعل الأهداف جزء من حياتك ؟

إليك تلميحات قد تساعدك [١] :

كُن عليمًا في الأهداف .

كُن موضوعيًا في توقعاتك .

احذر الإحباط .

ركِّز على مجالات تعطيك أفضل الفرص للتحسن .

راقب إنجازاتك ، وتابع أعادة ترتيب أهدافك ، يوميًا . . أسبوعًا . . شهريًا . .

---

(١) خليل فهد سيباني / إدارة الوقت / (ص : ٤٠) .

سنويًا . . تابع سؤال نفسك : ماذا فعلت ، كيف ، وإلى أين الآن .

تذكر إذا أردت أن تسيطر على وقتك وتزيد من فعاليته عليك أن تحدد أهدافك ، وأن تعمل على تحديثها ومراجعتها باستمرار .

تذكر لكي تنجح في الحياة وتحقق ما تريد من أهدافك أن تتعلم كيف تدبر ذاتك.

إذا لم تعرف طريقك جيدًا فلن تصل إلى نهايته .

٢- فوِّضْ صلاحياتك

يعد التفويض Delegation من أهم الوسائل المساعدة على كسب وإدارة الوقت! .

وخير من استخدم هذه الطريقة العملية هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، عندما استشاره أبو عبيدة في دخول الدروب خلف العدو ، فيكتب إليه عمر : « أنت الشاهد ، وأنا الغائب ، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، وأنت بحضرة عدوك ، وعيونك يأتونك بالأخبار ، فإذا رأيت الدخول إلى الدروب صوابًا فادخل وابعث إليهم السرايا» .

وعندما استقبله معاوية في الشام في موكب ملوكي فخم أثار غضبه اعتذر له معاوية بأنه في بلاد عدو ، ولا بد من هيبته قال : « إن نهيتني عن ذلك انتهيت ، وإن أمرتنى به أقمت عليه » .

فقال عمر : « إن كنت صادقًا فإنه رأي لبيب ، وإن كنت كاذبًا فإنها خدعة أريب لا آمرك ولا أنهاك » .

وكأن عمر هنا يفوض معاوية في الأمر في أن يتصرف بنفسه حسب مقتضيات الظروف والأحوال التي يعرفها بنفسه .

٣ـ كن قادرًا على قول: «لا»

للأسف كثير من الناس يجد صعوبة في رد طلب الآخرين لأسباب عدة منها :

ـ قول : « لا » قد يبدو تحديًا .

ـ إخبار شخص ما بـ« لا » قد يفهم بأنه رفضٌ لهذا الشخص .

ـ الرغبة في صحبة الناس ، والخشية من كراهيتهم .

ويترتب على ذلك تداخل الأعمال والواجبات ، والتأجيل والتسويف ، وعدم الإتقان ، وضياع الأوقات .

إنَّ الأصل في المرء أن يكون إيجابيًا لا سلبيًا ، والرفض هو آخر الدواء ، وهو استثناء ، وليس أصل ، يمارسه الإنسان أحيانًا حتى يستطيع حفظ وقته وتنظيمه ، وإعطاء كل ذي حقٍّ حقَّه ،وتقديم الأهم على المهم . وفيما يلي عدد من الوسائل التى تمكنك من قول : « لا » دون خسارة الآخرين :

ـ قل : « لا » . لكن ليس قبل أخذ الوقت الكافي أولًا لشرح الأسباب التى بنيت عليها قرارك ، ففي ذكر المبررات وأسباب الرفض قبل قولك « لا » تهيئة للسامع بأن المسألة مرفوضة .

ـ قل : « لا » بتأدب ، وبصوت غير مرتفع ، ولا منفر ، بل بأسلوب أخوي ومؤدب.

ـ قل : « لا » مع ذكر البدائل .

قل : « لا » المشروطة أحيانًا كأن يقول المدير : « أنا آسف لأنني مضطر إلى أن أقول : « لا » لطلبك ، ولكن إذا فعلت كذا وكذا ، قد أكون قادرًا على مساعدتك».



اترك الباب مفتوحًا لتقول « نعم » فيما بعد ، إذا استوجب الأمر كذلك .

قـد يكون السبب الـرئيسي في قـيـام ٢٠ بالمئة من النـاس بإنجاز ٨٠ بالمئـة من الأعمال هو إن لديهم مفهومًا مبالغًا فيه أو أنهم لم يتعودوا أن يقولوا : « لا » .

٤ـ أتْقِنْ فَنَّ الاتِّصَالِ الْهَاتِفِيِّ

الهاتف يمكن أن يكون لعنة للإدارة ، ويمكن أن يكون رحمةً لها .

الهاتف سلاح ذو حدين ، فبإمكانه أن يوفر الوقت ، وبإمكانه أن يضيع الوقت.

٢٠ توصية لتحسين فعالية إدارة الهاتف

١ ـ قُمْ بإعداد دليل خاص بإرقام الهواتف التي تتعامل معها باستمرار .

٢ ـ حدد الهدف من المكالمة الهاتفية ،وقدم أجوبة مختصرة للأسئلة .

٣ ـ حدد زمن المكالمة قبل أن تبدأ بها .

٤ ـ كلف السكرتير بالرد على المكالمات .

٥ ـ تعرف وراعِ أفضل الأوقات للاتصال بالآخرين .

٦ ـ حدد واكتب النقاط (رؤوس الموضوعات) التي تريد أن تغطيها المكالمة الهاتفية ؛ لأن ذلك سيساعدك على التركيز وعدم نسيان أي من النقاط المهمة .

٧ ـ اجمع كل الأوراق والملفات التي تحتاجها عند المكالمة .

٨ ـ عرف نفسك عند الاتصال ، ورحب بعبارات التحية والسلام الخفيفة ، وقلل من المجاملات التي تسبق حديث العمل ، أو موضوع المكالمة .

٩ ـ امتنع أو قلل من الحديث الاجتماعي الذي لا تخلو منه مكالمة هاتفية ، كالحديث عن الطقس ، أو القضايا العامة التي لا يمتلك أحد منا تغييرها أو التأثير فيها.

١٠ ـ ساعد الطرف الآخر أثناء المكالمة على استرجاع الموضوع والتركيز على النقطة التي تريد أنت أن يركز عليها ، وذلك من خلال استخدام كلمات : « بالرجوع إلى مكالمتنا في الأسبوع الماضي » كمقدمة تهيئ الطرف الآخر على التذكر وفسح

المجال للاستذكار .

١١ ـ اجعل الوقت أهم عامل ، وذلك عندما تفكر وتقرر ما إذا كنت تكلم أحد بالهاتف ، انظر إلى الهاتف كآلة توصيل .

١٢ ـ استخدم لغة الهاتف لإشعار الطرف الآخر بأنك « معه على الخط » ومهتم بالموضوع .

١٣ ـ تنبه إلى الأخطاء الشائعة أثناء الاتصال الهاتفي ، ومنها : التحدث بصوت مرتفع وبسرعة ، استعمال كلمات معقدة غير واضحة .

١٤ ـ قم بتدوين الملاحظات أثناء إجراء المكالمة الهاتفية ، وضع إشارة على النقاط التى تم تغطيتها ،ولا تنس أنْ تشكر المتحدث ، وتؤكد له ما تم الاتفاق عليه .

١٥ ـ لا تتسرع في الحكم والاستنتاج ، فمقاطعة المتكلم وإكمال جملة بدلا منه تسبب سوء التفاهم وضياع الوقت .

١٦ ـ لا تترد في السؤال عن شيء تعتقد أنك ، غير متأكد من فهمه ، أو عن أمر غير واضح بالنسبة لك ، اطلب الإعادة والتوضيح ، وهذا أفضل بكثير من عدم السؤال ؛ بسبب الإحراج ، أو الوقوع في الخطأ فيما بعد ، أو التسبب في حدوث سوء تفاهم بينك وبين الطرف الآخر .

١٧ ـ تأكد من أنك تدير وقتك أثناء المحادثة .

١٨ ـ انهِ المكالمة بعد أنْ تستوفي أبعادها الأساسية .

١٩ ـ اختم بلباقة في حالة بقاء الطرف الآخر مستمرًا في الحديث : « قبل أن نختم أود أن أقول : لدى ٣ دقائق قبل أن أختم حديثي معك » .

٢٠ ـ طور مهارات المرؤوسين في استخدام الهاتف .

ـ كثير من المديرين عبيد للهاتف عندما لا يتمتعون بالقدرة على إنهاء المناقشات.

ـ اعلم أنَّ لله عملًا بالنهار لا يقبله بالليل ، وعملًا بالليل لا يقبله بالنهار .



يُفَضَّلُ وَلاَ يُفَضَّلُ اسْتِخْدَامُ الْهَاتِفِ

يفضل استخدام الهاتف عند الرغبة في الآتي :

- توفير خطوات أو مراحل معينة أو تجنب السفر .
- نشر معلومات تكون الحاجة فورية لبثها .
- جمع معلومات تكون الحاجة فورية إليها .
- استمرار الاتصال مع الآخرين المهمين .
- معرفة مدى سير العمل بسرعة .

لا يُفضل استخدام الهاتف في الحالات الآتية :

- استخدامه كبديل عن رسالة رسمية مكتوبة .
- استخدامه لمناقشة مسائل حساسة معقدة .
- استخدامه للحصول على بيانات وأرقام عديدة .

الْمَهَارَاتُ الْخَمْسُ لإِدَارَةِ الاِتِّصَالِ الْهَاتِفِي

- مهارة أول ٣٠ ثانية .
- مهارة الإنصات .
- مهارة التلخيص وإعادة الصياغة .
- مهارة طرح الأسئلة .
- مهارة إعطاء المعلومات .

لا تُسَوِّفْ، ولا تُماطِلْ

التسويف Procrastination هو فقط تأجيل ما يجب عمله ، بعبارة أخرى تقديم ما له أولوية تالية، على ما له أولية عالية .

ويُعدُّ التسويف من أهم المشكلات التى تواجه إدارة الوقت ، فهو حجر عثرة يعوق أي شخص يريد تحسين مدى استخدامه واستفادته من وقته .

إنَّ التسويف يقهر الخطط ، ويَحُول دون تحقيق الأهداف ، ويضيع الوقت ، ويخرب الأخلاق ، ويدمر السعادة ، ويقصر الحياة ، ويمنع النجاح ؛ لأن النجاح يعني القيام بالأشياء المهمة التي تؤدي إلى نتائج ، في حين يعني التسويف تقديم ما له أولوية تالية على ما له أولوية عالية . وتأجيل ما هو مهم ، وتقديم ما هو عاجل لمواجهة حالات الضغط والطلبات المتزايدة .

إن الخطوة الأولى على طريق التخلص من التسويف أو التخفيف منه هي الاعتراف به ، فعندما يعترف المرء بأنه يسوف لعلا ، فإنه يستطيع أن يحدد أسباب ذلك، وربما يتخطاها إذا ما توافرت لديه الرغبة فى ذلك .

٤٠ سَبَبًا لِلتَّسْوِيفِ

لتأجيل الإنجاز ، وتأخير الأعمال أسباب كثيرة ، ولعل أهم سببًا ، هي[١] :

١ ـ ممل .

٢ ـ لم يحن وقته .

٣ ـ أنجز أكثر تحت الضغط .

٤ ـ لعلي لا أحتاج لأدائه إن لم أفعل شيئًا .

(١) طارق سويدان ، القيادة الإدارية ، مركز الإبداع الخليجي.



٥ ـ ما زال الوقت مبكرًا اليوم .

٦ ـ الوقت متأخر اليوم .

٧ ـ لا أحمل أوراقي معي .

٨ ـ العمل صعب .

٩ ـ لا أرغب بعمله الآن .

١٠ ـ عندي صداع .

١١ ـ التأخير لن يضر .

١٢ ـ قد يكون مهما ، ولكنه غير مستعجل .

١٣ ـ قد يؤلم .

١٤ ـ أنوي فعله ولكني أنسى .

١٥ ـ لعل شخصًا آخر يفعله إن لم أفعله .

١٦ ـ يمكن أن يسبب إحراجًا .

١٧ ـ لا أدري من أين أبدأ .

١٨ ـ أحتاج أن آكل أوًلا .

١٩ ـ أنا تعبان الآن .

٢٠ ـ أنا مشغول الآن .

٢١ ـ لا أجد فيه متعة .

٢٢ ـ قد لا ينجح .

٢٣ ـ يجب أن أنظم نفسي أوًلا .

٢٤ ـ أحتاج أن أفكر أكثر في الأمر .

٢٥ ـ لن يمانع أحد التأخير .

٢٦ ـ لا أعرف كيف أفعله .

٢٧ ـ هناك برنامج مهم في التلفزيون .

٢٨ ـ عندما أبدأ ففي الغالب سيقاطعني أحد .

٢٩ ـ يحتاج لمزيد من الدراسة .

٣٠ ـ لا أظن الوقت مناسب .

٣١ ـ لا أحد يلح علي لفعله .

٣٢ ـ إذا فعلته الآن فسيعطوني عملًا آخر .

٣٣ ـ الجو تعيس .

٣٤ ـ الجو جميل (عليَّ الاستماع به) .

٣٥ ـ أحتاج فترة راحة قصيرة قبل أن أبدأ .

٣٦ ـ أحتاج أن أنجز بعض الأمور قبل أن أبدأ .

٣٧ ـ مزاجي مضطرب .

٣٨ ـ لدي وقت كثير للإنجاز .

٣٩ ـ سأغير طريقتي مع بداية العام .

٤٠ ـ قد تأخرت ولا يمكن اللحاق الآن .

إجراءات الوقاية من التسويف :

ـ اعترف بالتسويف إذا حصل .

ـ ليكن شعارك « الآن الآن وليس غدًا » .

ـ قُم بوضع الأهداف والأولويات (التسويف يأتي من الفجوة القائمة بين ما يجب أن يفعله المدير ، وما يقوم به فعلا) .

ـ حلل عاداتك وقم بالإجابة على الأسئلة المثارة التالية :

ما هي المهام التي ترغب في تأجيلها غالبًا ، أو بصورة مستمرة ؟

ما هي نتائج التسويف الإيجابية والسلبية على عمل المدير ؟

ما هي أسباب التسويف ؟ وما هي الطرق التي يمكن اللجوء إليها للتغلب عليه؟

١٠ قواعد لعلاج التسويف

١ ـ تعرف على أسباب المماطلة واتخذ خطوات لتلافيها .

٢ ـ ابتكر نظامًا للحوافز لنفسك ولمرؤوسيك .

٣ ـ ضع جدولًا للأشياء المطلوبة ، واحرص على تنفيذه .

٤ ـ تعلم أنْ تكبح النشاطات غير المجدولة ، والتي غالبًا ما تخفي وراءها عملية التأجيل .

٥ ـ قسم المهمة إلى أجزاء صغيرة (سياسة الخطوة خطوة في الإنجاز) .

٦ ـ شدِّد على نفسك ، واتخذ لنفسك شعارًا « الآن الآن وليس غدًا » .

٧ ـ شجع نفسك وتغلب على الخوف من الفشل .

٨ ـ أدر وقتك .

٩ ـ ارفع درجة طاقتك .

١٠ ـ تجنب استخدام عبارات المسوفين « الوقت متأخر ، لم يحن وقته .. إلخ» .

لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد .

على المرء أنْ يقضي عشر دقائق في نهاية كلِّ يوم للتخطيط لنشاطات اليوم التالي .

أتقن فن التعامل مع الزيارات المفاجئة

تعد المـقاطعات المعـوق الرئيسي لإنجـاز الأمور ، قـد تكون خارجـية (زُوَّار أو مكالمات) ، أو داخلية (أحلام اليقظة أو ببساطة عدم التركيز) .

لذا من الضروري اتخاذ السُّبل الكفيلة لمواجهة هذه المقـاطعات إذا أردنا النجاح والتميز في العمل .

١٤ طريقة لمواجهة الزيارات المفاجئة

- انظر إلى المقاطعات على أنها جزء في وظيفتك .
- اسمح عندما تخطط لوقتك ببعض المقاطعات ، وضَعْ قائمة الأولويات .
- لا ترحب بمكوث الزائر فـتـرة طويلة ، ودَعْ السكرتيـر يعـرف الزائر بأن المدير على موعد .
- اطلب ممن يريد أن يدخل عليك أنْ يقرع الباب ، أو أن يراعي ذلك مستقبلًا .
- لا تتبنى سياسة الباب المفتوح على إطلاقها .
- خصص وقتًا معينًا لمقابلة المرؤوسين .
- ضع حدود للوقت عند مناقشة المرؤوس في موضوع يرغب في مناقشته .
- اطلب من كل من يود مـقـابلتك أن يزودك بملخص سـريع عن مـا يرغب في مناقشته .
- اطلب عرض المشكلات كتابة .
- حاول العثور على مكان هادىء .



ـ لا تدخل في مناقشـات غير ضـرورية ، أو تعليقات طويـلة عند زيارة شخص لك في مكتبك .

ـ أظهر تقديرك أولاً للآخرين عندما يأتونك بحديث لا تود الاستماع إليه ثم بين لهم أنك لا ترغب في التحدث عنه .

ـ قابل من لا ترغب في مـقابلته (خـارج المكتب) ، لاسيـما إذا لم يعلن عن أهداف المقابلة .

ـ تحدث مع الزائر وقـوفًا ، وبالتالي فإن الزائر لن يسـتطيع الجلوس ما دام المدير واقفًا، وستكون حينئذ فترة مكوثه فترة قصيرة .

« الوقت هو الحياة ، فمـا حياة الإنسان إلا الوقت الذي يقضيـه من ساعة الميلاد إلى ساعة الوفاة » حكيم عربي .

« تسود الفوضي عندما نترك الوقت نهبًا للصدقة » فكتور هوجو .

الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك .

الوقت أنفس ما عنيت بحفظه وأراه أسهـل مـا عليك يضيع

أدر مكتبك بشكل فعال

١ ـ لا تستخدم أدراج المكتـب لخزن الأوراق ؛ لأنها ـ أي (الأوراق) ـ ستكون بعيدة عن مجال رؤية المدير ، وبالتالي عن فكره .

٢ ـ لا تدع البريد يتراكم ، وذلك باتخـاذ قرار بشأن كل ورقة ، بتمـزيقها ، أو وضعها داخل ملف ، أو اتخاذ الإجراء اللازم بشأنها . وإذا ترددت في رمي الأوراق التي لا لزوم لها ، احفظها في صندوق خاص ، فإن لم تحتجْ إليها بعد عدة شهور ، ارمها ، فلن تحتاج لها أبدًا .

٣ ـ طوِّر نظام عمل الملفات ، حتى لا تكون الملفات سببًا لضياع وقتك .

٤ ـ احتفظ فقط داخل مكتبك بالملفات التى تحتاجها بشكل منتظم (Active files) والملفات التى لا تحتاجها فتحفظ في مكان آخر خارج المكتب ، وتُلقى الملفات غير المرغوب فيها في سلة المهملات .

ادخل واستخدم التقنيات الحديثة (الحاسوب ـ البريد الإلكتروني ـ الإنترنت ـ آلة التصوير ـ الفاكس) إلى مكتبك ، ولا تجعل المعدات القديمة سببًا لسرقة وقتك فكر بشعار شركة آى . بى . أم « على الآلات أن تعمل » .

اكتب قائمة بما تود القيام به ضمن مدة محددة ورتبها تدريجيًا حسب الأولوية ، ثم اشطب ما أتممته فتشعر أنك أنجزت شيئًا .

اسأل نفسك ماذا سيحدث إذا لم يكن لدي هذه الورقة ؟ إذا أجبت لا شيء ، إذن إلقِ بها بعيدًا ، وإذا أجبت أنها مهمة ، احفظها في الملف الخاص بها .

راجع ملفاتك كل ثلاثة أشهر وتخلص من القديم منها .

إلجأ إلى المكننة في تيسير أعمالك ، لأنه على سبيل المثال لا الحصر ، بعض الناس يصر على عقد إجتماع فى حين تَفِي مكالمة هاتفية بالغرض ، أو ربما تكون أفضل . لذا كلما كان ممكنًا إلجأ إلى المكننة في تيسير أعمالك .

ضع خطًا تحت السطر أو الكلمة المهمة للتمييز بين المهم وغير المهم ، فهى تقنية ممتازة تختصر الوقت عندما تعود مرة أخرى لقراءة جملة أو فقرة أو إحصائية مكتوبة. إن التشديد والتخطيط يشبهان وضع العلامات حين تتجول في البر . فقد تجد طريق عودتك إلى المخيم بدون علامات ، لكن العلامات تساعد بشكل مؤكد .

التزم الاستراتيجيات الذكية

أ ـ كن حازمًا :

إن التردد في شخصية الإنسان من العوامل التي تؤدي إلى ضياع وقته ، وصدق الشاعر عندما قال :

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فإنَّ فساد الرأي أن تترددا

إنَّ الحزم استراتيجية مطلوبة في شخصية الإنسان لاستثمار الوقت خير استثمار .

ب ـ لا تبدأ دائمًا من الصفر :

هل تبدأ من الصفر كلما أردت أن تقوم بعمل ما ؟ أم إنك تستعين بالخبرات والتقارير والتجارب السابقة في إنجازك للعمل المطلوب .

إن الاستعانة بالخبرات السابقة والتقارير والتجارب من شأنه أن يوفر لنا كثيرًا من الوقت الذي يضيع من خلال البدء بالعمل من لاصفر ، دون الرجوع إلى الخبرات السابقة .

ت ـ درب أعوانك :

إنَّ التدريب من الاستراتيجيات الرئيسة لجعل الموظف يحسن إدارة وقته ، لذا لابد من تدريبه ، وتزويده بالمطلوب حتى لا يضطر القيام بأعمال وجهود لا نحتاج إليها.

ث ـ كون علاقات إيجابية مع معاونيك :

إنَّ الود والتعاون والتغاضي عن الهفوات والمشاركة في الأفراح والأحزان ، من الاستراتيجيات المهمة إذا أردت من معاونيك أن يساعدونك في إنجاز ما تريده بأسرع وقت ممكن .

إنَّ احترامك لوقت الآخرين ، يضمن احترامهم لوقتك واهتمامهم به .



جـ - تعرف على مضيعات وقتك وتجنبها :

هناك أشياء كثيرة نتعامل معها يوميًا ولكنها تسلب منا أثمن الأوقات . تعرف على جميع ما يضيع وقتك ، وقم بإلغائها من حياتك .

حـ - حفز ذاتك :

تؤثر الروح المعنوية في مقدار العمل الذي يقوم به الشخص أي تؤثر في مدى استغلال الوقت من عدمه ، لذا من الضرورى تحفيز ذاتك .

خـ - ضع التوتر تحت سيطرتك :

كن متفائلا وانظر إلى الأخطاء كفرص للتعلم .

ارفض أن تسمح للآخرين بتوتيرك .

اضحك ، ثم اضحك ، ثم اضحك ، تضحك لك الدنيا .

قل أشياء إيجابية تعزز الثقة والافتخار بنفسك .

هنىء نفسك عندما تقوم بعمل جيد .

هـ - تعلم القراءة السريعة :

توقف مرتين عند كل سطر ، وحرك عينيك بشكل أسرع بين الوقفة والأخرى .

لا تحرك ثفتيك وأنت تقرأ .

برمج نفسك على أنك مدير فعال للوقت .

لا تقل (لو فعلنا هذا بدل ذاك ، لما حصل الذي حصل) ، فإنه من الممكن أن تضيع وقتك في أشياء لا يمكن استردادها ووقتها أنت لن تنجح مطلقًا .

نظم نفسك ودون أهدافك .

خطط وقتك

التخطيط هو مفتاح النجاح ، وهو طريقك لبناء مستقبلك ، فهو يخبرك كيف تصل إلى ما تصبو إليه ، ويبين لك ما تحتاجه للوصول إلى ما تريد . وبالتخطيط تعرف متى تبدأ المهمة حتى تنتهى منها في موعدها .

وتأخذ الخطط مستويات ثلاثة :

الخطة السنوية :

ابدأ أولًا بإعداد خطتك عن العام القادم ، ابدأ في إعداد الخطة من الآن . . لا تؤجل . . إنَّ السنة تخطيطيًا لا تبدأ في شهر يناير أو مع سنة مالية جديدة إنها تبدأ الآن .

الخطة الشهرية :

وزع أهداف ومهام خطتك السنوية على أشهر السنة الإثنتى عشر ، وضع تفاصيل خطتك الشهرية مع بداية كل شهر ، ومن الضرورى أن يتضمن جدول الخطة الشهرية مواعيد الاجتماعات الشهرية التي يجب حضورها .

الخطة الأسبوعية :

وزع أهداف ومهام خطتك الشهرية على الأسابيع الأربع في الشهر ، وضع خطة الأسبوع القادم في نهاية الأسبوع الحالي .

« إنه التخطيط الضرورى لإيجاد نوع من التوازن الجيد بين المتاح من مساحة الوقت والأعمال المطلوب إنجازها وصولًا إلى الأهداف المحددة ، كل ذلك في ضوء العروض المتاحة والقيود المفروضة »[1] .

---

(١) رضوان يونس / الإدارة والقيادة / (ص : ١٢١) .

إن القصور الشائع لدى الإداريين في تعاملهم مع الوقت هو غياب خطة لاستعمال الوقت ، فإذا كنت تسعى وراء الوقت لاستثماره ، يجب أن يكون عندك خطة تبين لك أين تبدأ ، وكيف تسير في عملك ، وأي الأعمال يحتل الأولوية ، وأيهما أقل أهمية ، فوجود خطة للوقت يوفر وقتًا كبيرًا ربما يضيع أثناء تفكيرك في تقرير ماذا تعمل في غياب هذه الخطة .

إنَّ تخطيط الوقت يقلل من الوقت الضائع المهدور . فقد ثبت أنَّ بضعة دقائق يقضيها الإداري في التكفير والتخطيط توفر له ساعة من العمل . وقد ذكر المختصون في هذا المجال أنَّ على الإداري في تخطيط وتنظيم عمله بما يضمن الاستغلال الأفضل لأوقاته مراعاة الآتي(١) :

أ ـ **وضع جدول الأعمال اليومي حسب الأولويات** ، على أن يتضمن هذا الجدول بعض الأوقات للظروف الطارئة ، والمقاطعات غير المتوقعة ، والفتكير الذاتي، وبعض الأعمال التي يرغب القيام بها كمكافأة له على جهد كبير شاق .

ب ـ **تفويض الصلاحيات للقيام ببعض الأعمال لمساعديه** ، عندما يتأكد من قدرتهم على القيام بها . فتفويض الصلاحية مبدأ هام في توفير وقت الإداري ، وعامل مساعد في تنمية وإعداد المساعدين لتولي المسؤولية من بعده .

ج ـ **إعادة النظر في بعض الأعمال وكيفية القيام بها** . فهل يمكنه دمج البعض ، أو حذف البعض الآخر ؟ وهل يمكن علاج المشاكل المتشابهة بالمكاتبة ، أو المقابلة ، أو استعمال التليفون ؟ وهل يمكن تطوير خطوات العمل وإجراءاته بما يسهل القيام به ويوفر الكثير من الوقت .

د ـ **تحديد التقارير** ، الأوراق ، والمنشورات ، التي يعتقد أن اطلاعه عليها ضروريًا ، فمثل هذه الأعمال قد تُغرق الإداري وتستنفد جزءًا كبيرًا من وقته ، إذا لم

---

(١) مذكرة إدارة الوقت ، زهير الكايد ، معهد التنمية الإدارى (ص : ١٣ ـ ١٥) .



يُحسن الاختيار في النوعية والأهمية لما يقرأ .

هـ - وضع قواعد وأسس للزيارات والمكالمات الرسمية وغير الرسمية ، تضمن التنسيق والسيطرة على الوقت . كأن يحدد وقتًا معينًا لهذه النشاطات ومواعيد مسبقة لها ، وبذلك يتجنب المفاجآت والمقاطعة فى العمل ويُعوِّد الناس داخل المؤسسة وخارجها على مراعاة ذلك ، إذ ستصبح عرفًا داخل المؤسسة .

وعلى الإداري أن يكون حاذقًا في إدارة المقابلات (الزيارات) ، فإذا كانت لبحث مشكلة أو موضوع يفضل أن يكون الإدارى مُطَّلعًا على جوهر المشكلة ومستعدًا لمناقشتها ، قبل دخول الشخص المعني .

وعلى الإداري كذلك أن يتولى زمام المبادرة في سير المقابلة ليكون قادرًا على إنهائها في الوقت المحدد لها . ومن أفضل الطرق المتبعة في ذلك هي أن يعيد الإداري عرض المشكلة على مسمع صاحبها ، وتلخيص ما جرى من حديث ، ثم الاختتام بجملة تشير إلى انتهاء المقابلة كأن يقول : (شكرًا على مجيئك) أو (سأتصل بك في وقت قريب) . وقد يكون ذلك سهلًا على الإداري في التطبيق على العاملين داخل المؤسسة ، ولكن الصعوبة في التعامل مع من هم خارج المؤسسة أثناء المقابلات، إذ على الإداري الموازنة بين التعامل بلطف والحفاظ على وقت العمل . وعليه كذلك أن يدرك بأنه أحيانًا هو المسؤول عن ضياع الوقت بالاحتفاظ بالزوار أكثر مما يجب .

و - وضع قواعد وأسس لعقد الاجتماعات الرسمية ، إذ تعتبر الاجتماعات مهربًا لوقت الإداري ، فنجد أحيانًا أن أكثر من ربع وقت الإدارى مُكَرَّي للاجتماعات الرسمية لبحث قضايا ومشاكل قد يكون حضوره فيها غير ضروري . فإذا لم تكن القضايا واضحة ، والاجتماع مخطط له ومُعد له بدقة ، فإنه سيقتل وقت المجتمعين سيما وأنَّ الابتعاد عن جوهر القضايا المطروحة والتشعب في النقاش هو من خصائص الاجتماعات الكثيرة والكبيرة .

لذا على المدير قبل الدعوة إلى اجتماع أن يسأل : هل من الضروري عقد هذا الاجتماع ؟ وهل نحن بحاجته ؟ وإذا كانت الإجابة بنعم ، عليه أن يدعو ذوي العلاقة بالمواضيع المطروحة ، وأن يعمم هذه المواضيع والمعلومات الخاصة به سلفًا على المدعويين لدراستها قبل انعقاد الاجتماع . وفي ذلك توفير كبير للوقت ؛ لأن الجزء الكبير من عمل الاجتماع يجب أن يتم قبل انعقاده .

ز ـ **تحديد آخر وقت ممكن (Dead line) لإنجاز كل عمل** ؛ لأن تحديد هذا الوقت يحث الإداري ويذكره بواجبه باستمراره ، وضرورة القيام به .

وهنالك طرق كثيرة لتدوين هذا الوقت كالتقويم والجداول الزمنية ، والخطط الأسبوعية ، والشهرية ، التى تعلق على لوحات فى مكتب الإداري ، وعلى مرأى دائم منه . وعليه أن لا ينسى أن تكون الأوقات المحددة لبدء وانتهاء أى عمل معقولة، وواقعية تتناسب مع حجم العمل وإمكانات المؤسسه .

ح ـ **السرعة فى اتخاذ القرار بعد توفر المعلومات اللازمة** ، فالإداري المتردد وغير القادر على اتخاذ القرار يقضي وقتًا طويلًا في التفكير والتخوف من عواقب قراره ، ويسوف القرار إلى مزيد من التفكير والمشاورة .

لقد بينت بعض الدراسات أنَّ الإداري الناجح يتميز بالسرعة فى اتخاذ القرار بعد أنَّ توفر له المعلومات اللازمة . ويمكن للإداري الالتحاق بدورات تدريبية لتنمية المهارة فى اتخاذ القرار ، والتعرف على مراحل هذه العملية .

ط ـ **وأخيرًا الحرص على ترتيب ونظافة مكتب الإداري ، إذ من المعروف أنَّ جزءًا** كبيرًا من الوقت يضيع عند بداية الدوام ومباشرة العمل المكتبي ، ومما يساعد على تلافى ذلك هو العمل بجو نفسي مريح على مكتب مرتب نظيف ، لا تسوده الفوضى والأوراق المبعثرة .

فترتيب الأوراق والمعاملات على المكتب في نهاية الدوام تساعدك على المباشرة



بالعمل في صباح اليوم التالي .

إن أفضل وقت لتخطيط نشاطات الغد هو نهاية اليوم الذي يسبقه حيث يجد الإداري نفسه منذ بداية اليوم مستعدًا للعمل الفوري بدلًا من أن يضيع جزءًا من وقته « حائرًا » في أي عمل يبدأ .

لن تستطيع إدارة أي شيء حتى تتمكن من إدارة الوقت .

ليكن إنجازك للعمل من خلال التخطيط الفعال والدقيق .

خطط كتابة على الورق بدلًا من التخطيط الذهني .

كن في الدنيا كالنحلة ، إِنْ أَكَلَتْ أَكَلتْ طيبًا ، وإن أَطْعَمَتْ أَطْعَمَتْ طيبًا ، وإِنْ سقطت على شيء لم تكسره ، ولم تخدشه .

٥٠ تَوْصِيَةً عَمَلِيَّةً

لإِدَارَةِ وَقْتِكَ بِشَكْلٍ فَعَّالٍ

١ ـ اعتبر وقتك جزء لا يتجزأ من حياتك .

٢ ـ كن دائمًا متفائلًا .

٣ ـ ابْنِ حياتك على التفوق .

٤ ـ استيقظ مبكرًا ، ونم مبكرًا .

٥ ـ إلجأ إلى المكننة .

٦ ـ حدد أهدافك .

٧ ـ فوض سكرتيرك بالمكالمات الهاتفية والأعمال الروتينية .

٨ ـ لا تضيع وقتك عندما تفشل في أي مهمة .

٩ ـ لا تضيع وقتك بالشعور بالندم إذا لم تفعل شيء .

١٠ ـ لا ترد على الرسائل إذا لم تفرض الحاجة ذلك .

١١ ـ لا تؤجل أو تماطل .

١٢ ـ لا تحاول إضاعة وقت الآخرين .

١٣ ـ لا تخف من العمل .

١٤ ـ استعرض في قراءتك للكتب الأفكار الرئيسة .

١٥ ـ استخدم وقتك الممتع والمفضل بشكل فعال .

١٦ ـ اختبر الممارسات ، أو العادات القديمة .

١٧ ـ احمل في جيبك « مفكرة الجيب » .

١٨ ـ احتفظ بقائمة بالأشياء الأساسية المطلوب إنجازها كل يوم ، نظمها على

شكل أولويات ، ثم اعمل على إنجاز أهمها بأسرع وقت ممكن .

١٩ ـ أَعْطِ نفسك بين وقت وآخر إجازة ، وكافىء نفسك مكافأة خاصة ، عندما تتجز الأشياء الهامة .

٢٠ ـ اعمل أولًا الأشياء الأولية .

٢١ ـ اعمل بذكاء ، وليس بصعوبة .

٢٢ ـ احتفظ بالأوراق الهامة ، وتخلص من الأوراق غير المفيدة قدر الإمكان .

٢٣ ـ اسأل نفسك دائمًا : ما هي أحسن طريقة لإدارة وقتي ؟

٢٤ ـ اعتمد على شخص ما للتعامل مع البريد الخاص بك .

٢٥ ـ اعمل الأشياء الإبداعية لوحدك في الصباح .

٢٦ ـ اعمل مواعيد لنفسك ، وللآخرين .

٢٧ ـ اجعل لديك ثقة في حكمك فى الأولويات ، اسعَ لإنجاز هذه الأولويات رغم الصعوبات .

٢٨ ـ أعط نفسك وقتًا كافٍ للتركيز على الأولويات العالية .

٢٩ ـ احرص على الاستمرارية والكفاح والتحمل ، عندما تشعر أنك سوف تفوز .

٣٠ ـ استغل ساعات الصفاء الذهنى ، وقم بأكثر الأعمال صعوبة .

٣١ ـ اجمع المهام المتشابهة .

٣٢ ـ ركز على عمل شيء واحد في نفس الوقت .

٣٣ ـ ركز جهودك على العناصر التي سوف تعطيك العائد طويل المدى .

٣٤ ـ قسم المهام الكبيرة إلى صغيرة .

٣٥ ـ قلل من المقاطعات وتسرب الوقت .

٣٦ ـ تعامل مع كـل ورقة مثل : « خطابات ،رسـائل ، دعوات » مـرة واحدة بمعنى اتخذ قرار حيالها مرة واحدة ، ولا تعود إليها .

٣٧ ـ تعوَّد الراحة في عطلة الأسبوع .

٣٨ ـ تعامل مع المشكلات الاستـثنائية فقط ، والتي تحتاج للصبـر ، وابتعد عن الغوص فى التفاصيل ، بل وَفِّرِ ، الوقت بأن تحصل على معلومات مرتدة (Feed-back) بشكل موجز، واترك الأفراد يراقبون الروتين والأعمال العادية .

٣٩ ـ تحدث قليًلا أثناء ساعات الدوام .

٤٠ ـ فوِّض كل شيء للآخرين .

٤١ ـ خطط في نهاية يومك للأعمال التي ستؤديها في اليوم التالي .

٤٢ ـ حافظ على طاولة مكتبك نظيفة ، واجـعل الأشياء الهامة بالقرب منك في وسط مكتبك .

٤٣ ـ حدد موعد الانتـهاء إذا شعرت أنَّ الشخص يمكن أن يضيـع وقتك ، فهذا يجعله ينهي حديثه في الموعد المحدد .

٤٤ ـ درب نفـسك على عمـل قائمـة ينهي بالأولويات ، دون إهمـال الأشيـاء الصعبة .

٤٥ ـ نظم أوراقك ، واجعل كل شيء في مكانه المناسب .

٤٦ ـ وفر نـظام مناسب لحفظ الملفـات يضمن اسـترجـاع المعلومة بأسـرع وقت ممكن.

٤٧ ـ استخدم النماذج في المراسلات ، فهي تعرض ما فيها بشكل أسرع ، وأكثر دقة .

٤٨ ـ اكتفى أحيانًا بقراءة فهرس المجلات ، والكتب ، والمقالات .

٤٩ ـ استخدم مبدأ « استخدام الهاتف أكثر والكتابة أقل » ففي استخدام الهاتف توفير للوقت وتمهيد لكتابة رسالة مفيدة .

٥٠ ـ احرص على تعلم القراءة السريعة .

ختامًا : نقول : الناس الذين لديهم شعور جيد تجاه أنفسهم يقدمون نتائج أفضل في أعمالهم .



كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم (١)

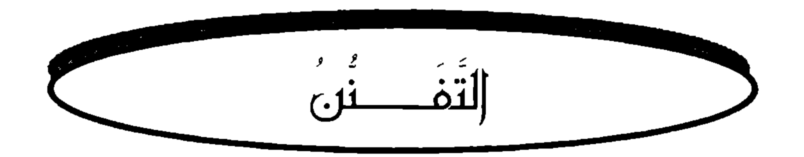
قال ابن خلدون : ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم يولعون بها ، ويدونون منها برنامجًا مختصرًا في كل يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن .

وصار ذلك مخلًا بالبلاغة وعسرًا على الفهم . . وربما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان فاختصروها تقريبًا للحفظ كما فعله ابن الحاجب في الفقه وأصول الفقه ، وابن مالك في العربية ، والخونجي في المنطق وأمثالهم . وهو فساد في التعليم ، وفيه إخلال بالتحصيل . وذلك لأن فيه تخليطًا على المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه ، وهو لم يستعد لقبولها بعد ؛ وهو من سوء التعليم كما سيأتي . ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها . لأنَّ ألفاظ المختصرات تجدها لأجل ذلك صعبة عويصة ، فينقطع في فهمهما حظ صالح من الوقت . ثم بعد ذلك فالملكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات إذا تم على سداده ولم تعقبه آفة فهي ملكة قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة بكثرة ما يقع في تلك من التكرار والإحالة المفيدين لحصول الملكة التامة وإذا اقتصر عن التكرار قصرت الملكة لقلته كشأن هذه الموضوعات المختصرة . فقصدوا إلى تسهيل الحفظ على المتعلمين فأركبوهم صعبًا يقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكنها . ومن يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له (٣/ ١١٠٩).

* * *

(١) ورعاية هذا الفصل مهمة لمن يظن أن المتون والمختصرات هي طريق العلماء بدءًا وانتهاءً.





التَّفَنُّن

التفنن ـ هُديتَ للرشد ـ لفظٌ مُوَلَّدٌ غير عربي ، مشتق من لفظه الفن ، والفن واحد فنون وأفنان ؛ وهو النوع أو الضرب من الشيء . . يقال افتن الرجل في كلامه وخصومته : إذا توسع وتصرف ، وافتن الحمار بأتنه : إذا أخذ في طردها وسوقها يمينًا وشمالًا ، ويقال فتن فلان رأيه : إذا لونه ولم يثبت على رأي واحد(١).

فإطلاق هذا اللفظ في هذا الموطن يُراد به التوسع والتصرف والاشتغال بأبواب مختلفة من العلم .

اعلم ـ وفقنا الله وإياك ـ أنَّ الكلام هنا جارٍ على شرطنا نحن وما اخترناه ، لا على ما جرى عليه الناس ، وليس الذي نتكلم في نعته هاهنا بالطارف الذي لا يعرفه السابقون من أهل العلم ، وإنما ساقَ إلى التمسك في نعت التفنن بشرطنا نحن أنَّ حال الاشتغال والمشاركة في علوم شتى كان واقعًا في حياة السلف ، فلما جاء المعاصرون واقتبسوا شعبًا من طرائق الغرب في الدرس والتعليم ؛ فكان منها فكرة التخصص الأكاديمي ، والذي يُكتفى فيه بما درسه الطالب قبل المرحلة الجامعية من مبادئ العلوم ، ثم يُقاد إلى التخصص في علم معين ، ثم في باب واحدٍ من أبواب هذا العلم ، فلا يكاد الطالب يخرج عن بابه هذا إلا ما شاء الله ، وإن سولت له نفسه الخروج هتف به : أَنِ الْزَمْ مكانك . . ليس هذا بعشك فادرجي ، وساعد على تعضيد تلك الفكرة وتقريرها تلك الفوارق البينة الظاهرة بين واقع السلف . وواقعنا بركة في الوقت . . وقلة في الشواغل . . وضعفًا في العوارض ؛ فرأى الناس أن التخصص بصورته الجامعية أليقُ بأهل زماننا من غيره .

(١)انظر : الصحاح : (٦ / ٢١٧٧) ، ولسان العرب (٦ / ٣٤٧ ـ ٣٤٧٦) .



وكثر دعاة التخصص المكثرون من بيان فضائله ، المثنون على طالبه ، المزرون على من يهجره .

وما كان دعاة التخصص هؤلاء بالغافلين عن أهمية تحصيل قدر كافٍ من باقي علوم الشرع ، ولكنهم اجتزأوا فى تحصيل هذا القدر بما يدرسه الطالب قبل المرحلة الجامعية ، وبالنسبة لغير المتتسبين للدراسة النظامية بما يدرسونه من المتون الأولى في كل علم في الحلقات والدورات العلمية . ثم يعكف الطالب بعد ـ عندهم ـ على تخصصه لا يكاد يجاوزه . .

وتلك هي حال الناس اليوم ، وكذلك يفعلون . .

ولما خشينا أن يفهم البعض أنَّا نعني بالتفنن تلك الإلماعة المبتسرة التي يحصِّلها الطلاب قبل دخول عتبة التخصص .

ولما خشينا أن يفهم البعض أنَّا نعني بالتفنن مجرد الاطلاع الواسع والمضي على غير سبيل ، في كل وادٍ يهيم (١).

لما خشينا أن يفهم الناس أنَّا نريد بالتفنن أحد تلك المعاني التي تسبق إلى أذهان الناس اليوم إذا سمعوا لفظ التفنن عمدنا إلى الكشف عنه وتفسيره خاصين ذلك بما هو عندنا نحن ، على ما نراه صالحًا لأحوال الناس اليوم ، وأشبه شيء يكون بأحوال سلفهم أمس .

فالتفنن عندنا هو أنْ يحصِّلَ الطالب من كل علم من العلوم الشرعية (علوم الوسائل والمقاصد) ما يعينه على الاجتهاد الجزئي في كل هذه العلوم ، ويؤهله لأنْ ينظر في أقوال أهل تلك العلوم نظر الناقد البصير القادر على الترجيح ، والقادر على أن يزن هذه الأقوال بميزان ما كان عليه الصدر الأول والقرون المفضلة ، ولا يغره تتابع الناس فيها على قول ما أفاده بحثه مخالفة هذا القول لما كان عليه الصدر الأول، أو

(١) وهذا هو التفنن الشائع واسلم الثقافة أو المشاركة أولى به.



ما كان ليكون عليه الصدر الأول لو تكلموا في الباب نفسه وفق أصولهم ونهجهم في النظر ، الذي لم يدخله ما دخل على كثير من المصنفين في النحو والصرف والبلاغة وأصول الفقه من الخلل المنهجي الناتج عن الإعراض عن نهج النظر العربى والتأثر بغيره من مناهج النظر العربي ، والتأثر بغيره من مناهج النظر التي دخلت بلاد المسلمين مع الفتوح والنقل والترجمة .

فلا يشترط في المتفنن أن يكون ذا نظر خاص واجتهاد ينسب إليه في أكثر مسائل العلم فهذا عمل المتخصص ، وإنما صفة العلاقة بين المتفنن وبين العلم ، هو معرفته بمسائله وكتبه ومناهج البحث فيه وطرائفه ما يؤهله بالقوة لتحرير أي مسألة فيه إذا ما أقبل عليها واستفرغ وسُعه في طلب الحق فيها .

والوصول لهذه الرتبة يحتاج للأدوات التالية :

(١) إتقان مسائل جمهور مسائل العلم وتصور ما وقع فيها من النزاع والوفاق ومعارك النظار .

(٢) الفقه التام بتاريخ العلم وتطوره ونقلاته المحورية ، ومشاهير المجتهدين فيه ومناهجهم ومناهج التصنيف في هذا العلم ولسان أهله واصطلاحهم .

(٣) إتقان التعامل مع كتب العلم ومعرفة مظان وطرئق البحث فيها .

(٤) إدمان الاتصال بالمتخصصين في العلم ومشاورتهم ومحاورتهم .

(٥) إدراك أن التفنن في جنس العلوم صعب لا يكاد يدرك ، فالغالب على الطالب أنه سيطلب من ذلك ما يستطيع لكنه لن يدرك ملكة الاجتهاد الجزئي هذه إلا في قدر من العلوم يزيد أو ينقص لكنه لن يبلغ تمام العلوم الشرعية وما يتصل به إلا من كان مخصوصًا بمزيد عناية من الله ـ عز وجل ـ هو وحده يؤتي الفضل من يشاء.

(٦) على المتفنن ألا يغره تفننه ويدفعه للكبر أو العجب أو العجلة في الأحاكم ، بل هو من أحوج الناس للأناة وتهيئة الرأي الفطير ؛ فالخطأ إليه أسرع من غيره .

طالب العلم والتخصص

لا شك أنَّ الاتجاه السائد اليوم بين المؤسسات والهيئات العلمية هو الدعوة إلى التخصص ، والإزراء بمدعي التفنن ودعاته بناء على عسر الأمر وشدته .

يقول الشيخ الشريف حاتم بن عارف العوني : « إنَّ التخصص منهج ضروري لا حياة ولا بقاء للعلوم إلا به . وقد نبه العلماء قديمًا على أهمية التخصص في العلوم.

فقال الخليل ابن أحمد الفراهيدى (ت : ١٧٠ هـ) : « إذا أردت أن تكون عالمًا فاقصد لفن من العلم ، وإذا أردت أن تكون أديبًا فخذ من كل شيء أحسنه » .

[« جامع بيان العلم » لابن عبد البر (رقم ٨٥٠)] .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام (ت : ٢٢٤ هـ) : « ما ناظرني رجل قط وكان مفننًا في العلوم إلا غلبته ، ولا ناظرني رجل ذو فن واحد إلا غلبني في علمه ذلك»

[« جامع بيان العلم » لابن عبد البر (رقم ٨٥٢)] .

إنَّ هذه العبارة وأمثالها من الأئمة الدالة على فضل المتخصص في علم واحد على الجامع لأطراف العلوم (أو على رأي الخليل بن أحمد : الدالة على فضل العالم على الأديب المتفنن) ، جاءت لتؤكد أن كل علم من العلوم بحر من البحور ، لا يعرفه ويصل إلى كنوزه وخفاياه إلا من غاص أعماقه ، وقصر حياته على الغوص فيه، أما من اكتفى بالسباحة على ظهر كل بحر من بحور العلم ، فإنه إنما عرف ظواهر تلك البحور ، وما عرف من كنوزها شيئًا .

وأخص بالذكر أهل عصرنا ، فإن العلوم قد ازدادت تشعبًا ، وعظم كل علم عما كان ، بمؤلفات أهله فيه على امتداد العصور السابقة ، وبزيادة اختلافهم وأدلة



كل صاحب قـول منهم ؛ ومع ذلك فقد ضعفت الهـمم ، ونقصت القدرات عـما علمناه من أئمـتنا السالفين ؛ وذلك بـين واضح لمن عرف سـيرهم وأخبـارهم ووازن بينهما وبين حـالنا ؛ أولئك كانوا بما تعلموا وعلموا وألفوا وجـاهدوا وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكـر كأن أعمـارهم ليست بين الستين والسـبعين ، وإنما بين مـائة وستين ومائة وسبعين !! بل والله أكثر !!! أولئك كانت حيـاتهم كرامة ، ووجهدهم معجزة خارقة للعادات!!! فأين نحن من أن نحوى علومهم ؟! وأنى لنا أن نستوعب علمَ ما خلفوه لنا ؟! ومع ذلك فقد تكلم هؤلاء أنفسهم عن فضل التخصص في العلم ، فما أجهلنا إن حسبنا أننا بغير التخصص سنفهم علمًا من العلوم !!!

ولقد سبرت بعض أحوال المتعلمين ، فوجدت أكثرهم علمًا وإنصافًا وتواضعًا ، وأدقهم نظرًا وفهمًا ، وأحسنهم تأليفًا وإبداعًا : هم أصحاب التخصصات . في حين وجدت أقلهم علمًـا وإنصافًا ، وأكـثرهم كبرًا وتعـاليًا وتعالمًا ، وأبعـدهم عن الفهم والتدقيق وعن الإبداع والإحـسان في التأليف : المتفننين أصحـاب العلوم ، أو سمهم بالمثقفين ؛ إلا من رحم ربك [1] .

ومن فضل صاحب التخصـص الفضل الظاهر ، الذي يقرني عليه المنصف ، أن صاحب التـخصص لا يثرب على المتـفنن ، بل يراه أكثـر أهلية منه في أمور كـإلقاء المحاضرات والدعوة ومواجهة العامـة، ويعتبره بذلك على ثغرة من ثغرات الإسلام ، ويرى أن الأمة في حاجة إلى أمثاله . وأما أصحاب الفنون ، فعلى الضد من ذلك ، فهم أكثر الناس تثريبًا وعيبًا على المتخصصين ، ولا يرون لهم فضلًا عليهم ، ولا في العلم الذي تخـصصوا فـيه ، وينازعونهـم مسائله (وهم بهـا جهـلاء) ، ويشنعون عليهم لعدم معرفتهم ببعض ما لم يتخصصوا فيه .

ولك بعد هذا أن تحكم ، أى الفريقين أدخل الله فى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ

---

(١) مراد الشيخ بالتفنن هو ما كان من جنس الاطلاع والثقافة لا التفنن الذي شرحناه.

يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة : ٤٢] .

ولله ما يلاقيه أصحاب التخصصات من إخوانهم المتفننين !! من عدم فهم الأخيرين لتخصصاتهم ، مع كلامهم فيها ومنازعتهم أهلها ، بل قد يصل الأمر إلى استغلال أصحاب الفنون علاقتهم بالعامة والغوغاء ، وانبهار هؤلاء بهم ، فيتطاولون على أصحاب التخصصات وعلى علومهم ، بما لا يؤلم العالم شيء مثله ، وهو الكلام بجهل ، وتشويه العلوم .

ومن فضل صاحب التخصص إذا وفقه الله ـ تعالى ـ ، أنه من أكثر الناس لقالة (لا أدري) ، إذا سئل عن غير تخصصه . ولهذه القالة بركة لا يعرفها إلا قليل ، فهي باب التواضع الكبير ، وباب للعلم أكبر . وأما صاحب الفنون ، فهو عن (لا أدرى) أبعد ؛ لأنه يضرب في كل علم بسهم ، ويكثير جوابه على أسئلة العامة وأنصاف المتعلمين ، التي هي ـ فى الغالب ـ سؤالات عن الواضحات وعن ظواهر العلوم ؛ فينسى مع طول المدة (لا أدري) ، ولا يعتاد لسانه عليها ، ولا تنقهر نفسه لها ؛ لذلك فهو عن بركاتها ليس بقريب !!

ثُم إنَّ للعلم دقائق لا يعرف المتفننون عنها شيئًا ، أما المتخصصون فقد خبروها ، وقادتهم إلى دقائق الدقائق . فهم فقهاء العلوم حقًّا ، وأطباء الفنون صدقًا .

يقول الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني تلميذ الشافعي (ت : ٢٦٠ هـ): « سمعت الشافعي يقول : من تعلم علمًا فليدقق ، لكيلا يضيع دقيق العلم ».

[« الأنساب المتفقة » لابن طاهر المقدسي] .

كذا نصائح الأئمة ، نور على نور !!

وأما الشافعي فقد كان آمنًا من ضياع جليل العلم وعظمه ، خائفًا من ضياع دقيقة . أما نحن الآن فنقول : « من تعلم علمًا فليدقق ، لكيلا يضيع جليل العلم)؛ فدققوا يا بني إخوتي ما شئتم من التدقيق ، فنحن مع تدقيقكم هذا لعلى جليل العلم

وجلون !!!

وهنا أنبه على أن مطالبتنا بالتخصص لا يعني أنْ نطالب بذلك على حساب فروض الأعيان من العلوم ، كتصحيح العقيدة وعلم التوحيد الجملي ،وما يحتاج إليه من فقه العبادات ،وما شابهها من الفروض العينية من العلوم ؛ فهذا ما لا يجوز على مسلم جهله ، فضلا عن طالب العلم ؛ بل نحن نطالب طالب العلم بما فوق ذلك ، وهو أن لا يكون جاهلًا بنفع كل علم نافع « ولا أقول أن يكون عالمًا بكل علم نافع، فهذا ضد ما أحث عليه » ؛ لأن الجهل بنفع علم ذي علم فائدة دنيوية أو أخروية يدعو إلى معاداة ذلك العلم ، على قاعدة : من جهل شيئًا عاداه ؛ ويقبح بطالب العلم أن يعادي نافعًا ، مهما قَلَّ نفعه في رأيه ، فإنَّه لا ينقص على أن يكون فرضًا كفائيًا .

وما أجمل وصية خالد بن يحيي بن برمك (ت ١٦٥ هـ) لابنه ، عندما قال له: « يا بني ، خذ من كلِّ علم بحظٍ ، فإنك إن لم تفعل جهلت ، وإن جهلت شيئًا من العلم عاديته ، وعزيز عليَّ أن تعادي شيئًا من العلم » .

[« جامع بيان العلم » لابن عبد البر (رقم : ٨٥٣)] .

وأخص من العلوم مما يقبح بطالب العلم جهله العلوم الإسلامية جميعًا ، كعلم الفقه وأصوله ، والتفسير وأصوله ، والعقيدة ، وعلوم الآلة من نحو وصرف وبلاغة وأدب، مما ينبغي على طالب علم الحديث المتخصص أن يُحصِّل شيئًا منها . وضابط تحصيله لهذه العلوم (حتى لا يُناقض ذلك مطالبتي له بالتخصص) أن يجعل مقصوده من طلبه لهذه العلوم تكميل استفادته لتخصصه وعميق فهمه له ؛ حيث إن العلوم الإسلامية بينها ترابط كبير ، لا يمكن من أراد التخصص في علم منها أن يكون جاهلًا تمامَ الجهلِ بما سواه . بل ربما قادته مسألة دقيقة في علم الحديث (مثلا) إلى التدقيق في مسألة من مسائل أصول الفقه أو غيره ، حتى يخرج بنتيجة في مسألته الحديثية . وليس ذلك بغريب على من عرف العلوم الإسلامية ، وقوة ما بينها

من أواصر القربى العلمية .

ولأزيد الأمر إيضاحًا أقول : كيف يتسنى لطالب الحديث أن يعرف الصواب فى إحدى مشاهير مسائله ؟ وهي مسألة الرواية عن أهل البدع وحكمها ، إذا لم يكن عارفًا بالسنة والبدعة ، وبصنوف البدع وأقسام المبتدعة ،وبالغالي منهم ، ومن بدعته غليظة ، ومن يكفر ببدعته ممن هو بخلاف ذلك ؛ وهذا كله باب من أبواب العقيدة عظيم .

وكيف يمكن لطالب الحديث أن يميز بين الروايات المختلفة ، مثل زيادات الثقات: مقبولها ومردودها ، والشاذة منها والمنكرة ، والناسخة والمنسوخة ، والراجحة والمرجوحة ، إذا لم يكن عنده أصول الفقه والقدرة على الاستنباط والفهم للنصوص ما يتيح له الحكم في ذلك كله ؟!

المهم أن يأخذ من العلوم التي لم يتخصص فيها ، بقدر ما يخدم العلم الذي تخصص فيه ، ولا يزيد على ذلك ، وإلا لم يصبح متخصصًا ، وإنما يكون متفننًا .

وطريقة تحصيله لتلك العلوم التي لا ينوي التخصص في واحد منها ، مما لا يخرجه عن حد التخصص إلى حد التفنن ، هي أن يدرس مختصرًا من مختصرات تلك العلوم ، تمكنه من مراجعة مطولات تلك الفنون ، فيما إذ أحوجه علمه الذي تخصص فيه إلى ذلك ، كما سبق التمثيل له . وعليه أيضًا أن لا يقطع صلته بعلماء تلك العلوم المتخصصين فيها ، وأن يصوب فهمه من علومهم عليهم ، وأن لا يستبدَّ بشيء من علمهم دون الرجوع إليهم .

وأما التخصص في علم الحديث ، فقد سبق أنه من أحوج العلوم إلى التخصص فيه ، لشدة عمقه وسعة بحور وامتداد آفاقه . مع ذلك فعندي في مشروعية التخصص فيه (ولو على حساب الفقه !) سنة ثابتة وحديث صحيح مشهور ! وهو قول النبى ﷺ : « **نَضَّرَ اللهُ امرأً سَمِعَ مِنَّا مَقَالَةً فَحَفِظَهَا ، فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا ، فَرُبَّ**

حَامِلِ فِقْهٍ لاَ فِقْهَ لَهُ ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ » .

و (نَضَّرَ) بتخفيف الضاد وتشديدها : من النضارة ، وهي الحسن والرونق والبهاء . فالنبي ﷺ يدعو لراوي الحديث بالحسن والبهاء مطلقًا ، في الدنيا والآخرة، وقيل إن المعنى : أبلغه الله تعالى نضارة الجنة .

وراوي الحديث الذى دعا له النبي ﷺ بالنضارة : هو رواية باللفظ ، ولو كان لا يفهم كل معاني الحديث « **وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ** » ولو كان لا فِهْمَ له في الحديث أبدًا « **رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لاَ فِقْهَ لَهُ** » !!

وهذا يدل على مشروعية رواية الحديث دون فقه ، بل يدل على استحباب ذلك؛ ويدل على أنَّ رواي الحديث دون علمه بفقهه محمود غير مذموم ، وأنه مستحق بفعله هذا دعوة النبي ﷺ له .

وقد تعقب الرامهرمزي (ت : ٣٦٠ هـ) هذا الحديث في كتابه « المحدث الفاصل بين الراوي والواعي » بقوله : (ففَرَّقَ النبيُّ ﷺ بين ناقل السنة وواعيها ، ودلَّ على فضل الواعى بقوله : « **فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرُ فَقِيهٍ** » . وبوجوب الفضل لأحدهما يثبت الفضل للآخر ؛ [ما أحسن قوله : (وبوجوب الفضل لأحدهما يثبت الفضل للآخر) ! فإنك إن ذكرت فضل الفقيه ، قلنا لك : وهل تفقه الفقيه إلا بما رواه له المحِّدثُ وميَّز له صحيحه من سقيمه ؟! وإن ذكرت فضل المحدِّثِ ، قلنا لك : وهل يكون للرواية فائدة إلا بفقهها للعمل بما فيها ؟!] .

ومثال ذلك أن تمثل بين مالك بن أنس وعبيد الله العمري ، وبين الشافعي وعبد الرحمن بن مهدي ، وبين أبي ثور وابن أبي شيبة ، فإن الحق يقودك إلى أن تقضي لكل واحد منهم بالفضل . [هذه الأمثلة الثلاثه ، ذُكر في كل واحد منها قرينين ، الأول منهما إمام في الفقه والثاني إمام في الحديث ؛ فمن ينتقص أحد الإمامين ؟!!

أمَّن يستطيع ذلك ؟!!!] .

وهذا طريق الإنصاف لمن سلكه ، وعلم الحق لمن أمه ولم يتعبده) .

[« المحدث الفاصل » للرامهرمزي (١٦٩ ـ ١٧٠)] .

ورحم الله السلف ! فقد كانوا أسبق إلى كل خير وعلم وإنصاف ؛ ولهذا لما روى مطر بن طهمان الوراق (ت : ١٢٥ هـ فيما يُقال) حديثًا ، وسُئل عن معناه ، قال : (لا أدري ، إنما أنا زاملة) ، فقال له السائل وكان عاقلًا مُنصفًا ـ « جزاك الله خيرًا ، فإن عليك من كل : حلو وحامض » . [« جامع بيان العلم » لابن عبد البر (رقم : ١٩٤٤) ، و « الجامع لأخلاق الراوي » للخطيب (رقم : ١٣٧١)] .

وانظر إلى إجلال السلف لرواة الحديث ، في العبارة التالية : يقول محمد ابن المنكدر (ت ١٣٠ هـ) : « ما كنا ندعو الرواية إلا رواية الشعر ، وما كنا نقول للذى يروى أحاديث الحكمة إلا : عالم » .

[« جامع بيان العلم » لابن عبد البر (رقم ١٥٣٣)] .

ومما سبق إليه السلف من العلم والخير والحق ، التنبيه إلى أن علم الحديث علم لا يقبل الشركة ولا توزيع الهمة على غيره معه .

يقول الربيع بن سليمان المرادي (ت : ٢٧٠ هـ) تلميذ الشافعي : « مرَّ الشافعي بيوسف بن عمرو بن يزيد ـ وكان من كبار فقهاء المالكية : (ت : ٢٥٠ هـ) ـ ، وهو يذكر شيئًا من الحديث ، فقال : يا يوسف ، تريد أن تحفظ الحديث وتحفظ الفقه؟!! هيهات » . [« الجامع » للخطيب (٢ / ٢٥١ رقم : ١٥٦٩)] .

وقد قدم الخطيب هذه الكلام من الشافعي ، وهو يصف الذي يبرع في علم الحديث بقوله : « أن يعاني علم الحديث دونما سواه ؛ لأنه علم لا يَعْلَقُ إلا بمن وقف نفسه عليه ، ولم يضم غيره من العلوم إليه » . [« الجامع » للخطيب (رقم: ١٥٦٩)].

ثم أخرج الخطيب عقب ذلك العبارتين التاليتين :

يقول أبو يوسف القاضي (ت : ١٨٢ هـ) : « العلم شيء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كُلَّكَ ، وأنت إذا أعطيته كُلَّكَ من إعطائه البعض على غرر » .

[« الجامع » للخطيب (رقم : ١٥٧٠)] .

ويقول أبو أحمد نصر بن أحمد العياضى الفقيه السمرقندي : « لا ينال هذا العلم إلا من عطل دكانه ،وخرب بستانه ، وهجر إخوانه ،ومات أقرب أهله إليه فلم يشهد جنازته » . [« الجامع » للخطيب (رقم : ١٥٧١)] .

فإن كانت هاتان العبارتان حقًا في العلوم جميعها ، فهي في علم الحديث أولى أن تُقال وأحق . وهذا هو ما قصده الخطيب ، عندما ساقها في ذلك السياق .

وللتخصص في كل العلوم معناه ، وفي علم الحديث له معناه الخاص به ؛ فهو تخصيص لا يقبل الانقطاع إلى غيره ، مهما طال زمن التفرغ في تحصيله ، ومهما ظن طالبه أنه تملا منه وتضلع . لأنه خبرة دقيقة وحاسة لطيفة ، لا تدوم إلا مع بقاء الالتصاق بالعلم . وسرعان ما تفيد تلك الخبرة ، وتتعطل تلك الحاسة ، إذا انقطع الطالب عن العلم فترة يسيرة .

يقول في بيان ذلك عبد الرحمن بن مدى (ت : ١٩٨ هـ) : « إنما مثل صاحب الحديث بمنزلة السمسار ، إذا غاب عن السوق خمسة أيام تغير بصره .

[« الجامع » للخطيب (رقم : ١٩٠٩)] .

وبلسان أهل عصرنا : إنما مثل صاحب الحديث بمنزلة تاجر العملات ، لا يستطيع أن يستفيد ويربح ، إلا إذا كان متابعًا لأسواق العملات ، دون انقطاع ؛ فإذا انقطع يومًا واحدًا ، أصبح كالجاهل بهذا السوق تمامًا ، وكأنه لم يكن عليمًا به يومًا من الأيام ! لأنه لا يستطيع أن يشتري أو يبيع ، لعدم علمه باختلاف أسعار العملات الذي يتبدل كل ساعة .



ولذلك لم يجعل الإمام أحمد (ت : ٢٤١ هـ) لطلب الحديث زمنا ينتهى عنده، ولم يوقت له فترة يجعلها حده ؛ عندما سئل : « إلى متى يكتب الرجل الحديث ؟ قال : حتى يموت » . [« شرف أصحاب الحديث » (رقم : ١٤٥)] .

فإن قيل : قد جاءت عبارات كثيرة في كتب العلم ، تدل على ذم من لم يجمع مع الحديث فقهًا ، أو على ذم إفناء العمر في جمع طرق الأحاديث وتتبع الأسانيد .

فمن الأول ، قول القائل :

زوامل للأسفار لا علم عندهم بجيدها إلا كعلم الأباعر

لعمرك ما يدري البعير إذا غدا بأحماله أو راح ما في الغرائر

ومن الثانى : قصة حمزة بن محمد الكناني الحافظ (ت : ٣٥٧ هـ) ، قال : «خرَّجت حديثًا واحدًا عن النبى ﷺ من مائتي طريق ، أو من نحو مائتي طريق ، فداخلنى من ذلك الفرح غير قليل ، وأعجبت بذلك . قال : فرأيت ليلة من الليالي يحيى بن معين في المنام ، فقلت له : يا أبا زكريا ، خرجت حديثًا واحدًا عن النبي ﷺ من مائتي طريق ! قال : فسكت عن ساعة ، ثم قال : أخشى أن يدخل هذا تحت ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ [« جامع بيان العلم » لابن عبد البر (رقم : ١٩٨٨)] .

فما هو معنى تلك العبارات ؟ مع ما ندعو إليه من التخصص في علم الحديث .

فأقول : أما ما جاء في ذم من لم يجمع مع الحديث فقهًا ، فلا يعارض كلام من كان من الناس بقوله النبي ﷺ الذى سبق ذكره ، مما يدل على مشروعية ، بل استحباب ما عابه ذلك العائب .

ثُم إنَّ الذي صدر منه ذلك الذم أحد رجلين : إما أنه من أهل العلم والفضل ، وحينها يُحمل كلامه على ذمٍّ من قصر فيما لا يجوز التقصير فيه من الفقه بالفروض العينية ونحوها ، مما تقدم ذكره . وإما أن هذا الذامُّ من أهل الرأي وأصحاب البدع، الذين يعادون السنة وأهلها ، وينفرون من علومها ؛ وهؤلاء لا وزن لمدحهم وذمهم،

بل ربما كان ذمهم مرجحا كفة المذموم على الممدوح منهم !!

وأما ما ورد من عيب إفناء العمر في تتبع طرق الأحاديث وجمع الأسانيد ، فليس الأمر على إطلاقه .

فهذا يحيي بن معين الذي رآه حمزة الكنانى يذم فعله في ذلك ، يقول يحيى بن معين هذا : « لو لم نكتب الحديث من ثلاثين وجها ما عقلناه » .

[« الجامع » للخطيب (رقم ١٧٠٠)] .

ويقول الإمام أحمد : « الحديث إذا لم تجمع طرقه لم تفهمه ، والحديث يفسر بعضه بعضًا » .

وقال علي المديني : « الباب إذا لم تجمع طرقه ، لم يتبين خطؤه » .

إذن ما هو الأمر المعيب في تتبع الطرق وجمع الأسانيد ؟

أجاب عن ذلك الخطيب البغدادي في كتبه ، وحصر سبب عيب ذلك فى أمرين :

الأول : جمع الأحاديث وقطع الأعمار في كتابتها ، صحيحها وضعيفها وموضوعها ، دون تمييز الصحيح بمزيد اعتناء ، ولا معرفة الضعيف بعلته ، ولا التنبيه على المكذوب والباطل ؛ فهو جمع وتصنيف على الإهمال والإغفال ، يضر أكثر مما ينفع .

يقول الخطيب في « الجامع لأخلاق الراوي ، وآداب السامع » : « ينبغى للمنتخب أن يقصد تخير الأسانيد العالية ، والطرق الواضحة ، والأحاديث الصحيحة، والروايات المستقيمة . ولا يذهب وقته في التُّرَّهات ، من تتبع الأباطيل والموضوعات، وتطلب الغرائب والمنكرات (ثم قال) والغرائب التي كره العلماء الاشتغال بها ، وقطع الأوقات في طلبها ، إنما هي ما حكَمَ أهل المعرفة ببطلانه ، لكون رواته ممن يضع الحديث ، أو يدعي السماع . أما ما استغرب لتفرد رواية به ،

وهو من أهل الصدق والأمانة ، فلذلك يلزم كتبه ،ويجب سماعه وحفظه » .

وقال الخطيب أيضًا : « ولو لم يكن في الاقتصار على سماع الحديث وتخليده الصحف ، دون التمييز بمعرفة صحيحة من فاسده ، والوقوف على اختلاف وجوهه، والتصرف في أنواع علومه ، إلا تلقيب المعتزلة القدرية من سلك تلك الطريقة بالحشوية ؛ لوجب على الطالب الأنفة لنفسه ، ودفع ذلك عنه وعن أبناء جنسه » .

الثانى : **يقول في بيانه الخطيب فى « شرف أصحاب الحديث »** : « إنما كره مالك وابن إدريس وغيرهما الإكثار من طلب الأسانيد الغريبة والطرق المستنكرة ، كأسانيد : (حديث الطائر ، وطرق حديث المغفر ، وغُسل الجمعة ، وقبض العلم ، وإن أهل الدرجات ، ومن كذب على ، ولا نكاح إلا بولي . . وغير ذلك ، مما يتتبع أصحاب الحديث طرقه ، ويعنون بجمعه ؛ والصحيح من طرقه أقلها . وأكثر من يجمع ذلك : الأحداث منهم ، فيتحفظونها ويذاكرون بها . ولعل أحدهم لا يعرف من الصحاح حديثًا وتراه يذكر من الطرق الغريبة والأسانيد العجيبة التي أكثرها موضوع وجلها مصنوع ، ما لا ينتفع به ، وقد أذهب من عمره جزءًا في طلبه . وهذه العلة هي التي اقتطعت أكثر مَنْ في عصرنا من طلبة الحديث عن التفقه به ، واستنباط ما فيه من الأحكام . وقد فعل متفقهة زماننا كفعلهم ، وسلكوا في ذلك سبيلهم ، ورغبوا عن سماع السنن من المحدثين ، وشغلوا أنفسهم بتصانيف المتكلمين. فكلا الطائفتين ضيَّع ما يعنيه ، وأقبل على ما لا فائدة فيه » .

فبيَّن الخطيب أنَّ سبب كراهة مالك وغيره لتتبع الطرق وجمع الأسانيد من طلبة الحديث ، لا لأنه تتبع وجمع وحسب ، ولكنه جمع لطرق أحاديث صحيحة أصلًا ، وليس هناك أى فائدة زائدة من تتبع أسانيدها الأخرى التي قد يكون أغلبها ضعيفًا أو باطلا . ومثال ذلك في عصرنا : ذاك الذي سود صفحات طويلات فى تخريج حديث واحد ، متوسعًا غاية التوسع في ذكر مصادر العزو ، من مسانيد ومعاجم ومشيخات وأجزاء وتواريخ ، مع أن الحديث صححه الشيخان من قبل ،ولعله

وافقهما على تصحيحه أئمة آخرون ، ولا مخالف لهم فى تصحيحه ؛ فيخرج أخونا هذا ، دون أى فائدة زائدة على ما كان قد بدأ به ، عندما عزا الحديث للصحيحين، وهو أن الحديث صحيح !!

ثم إنه لا تتحقق كراهية ذلك الجمع للأسانيد لا بشرط ، وهو إذا ما كان الجامع لها من أحداث طلبة العلم وصغارهم ، ممن لم يصلوا إلى درجة معرفة قدر جيد من صحيح السنة ، فتقطع أعمارهم في جمع تلك الأسانيد ، ولعل أحدهم لا يعرف حديثًا صحيحًا ـ كما يقول الخطيب ـ ، فذهب عمره فيما لا ينتفع به . فمثل هذا لا تخصص في الحديث ، ولا تعلم الفقه ؛ ولذلك عاب عليهم الخطيب انشغالهم عن الفقه بما هم فيه، فالفقه أجل وأشرف بكثير مما هم فيه .

ولذلك قال علي بن المديني : « إذا رأيت طالب الحديث أول ما يكتب الحديث يجمع : حديث الغسل ، وحديث من كذب علي ؛ فاكتب على قفاه : لا يفلح ».

إمَّا إذا كان الجامع لطرق الحديث ـ ولو كان أصل الحديث صحيحًا بأقل تلك الطرق أو بواحد منها ـ من الأئمة الكبار فى السنة ، الذين هم أوّلا أئمة فى الاطلاع على صحيح السنة والثابت منها ، وفي تمييز المقبول من المردود ، وهم ثانيًا لم يقطعوا أعمارهم في جمع تلك الأسانيد ، بدليل إمامتهم واطلاعهم العظيم على السنة ؛ فهؤلاء لو جمعوا أسانيد حديث صحيح بأحد تلك الأسانيد ، أي لو قاموا بمثل ما عبناه على الأحداث الصغار في العلم ، لما عبناهم بذلك ، بل نفرح بجهدهم هذا ، ونعتبره من النفائس والأعلاق ؛ وذلك لأن جمعهم الأسانيد لم يكن على حساب كمال علمهم بالسنة ،ولم يشغلهم عما ينتفعون به من الأحاديث الصحيحة وتمييزها عن السقيمة . ولذلك فإنَّ الأحاديث التي مَثَّلَ بها الخطيب مما يعاب على الأحداث جمعه ، لا يكاد يوجد حديث منها إلا قام بجمع طرقه حفاظ كبار وأئمة أعلام ممن يُقتدى بهم .

فحديث الطير للإمام الذهبي فيه مصنف .



وحديث غسل الجمعة جمع طَرُّقَهُ الحافظ ابن حجر ، كما نقله الزبيدى في (لقط اللآلي المتناثرة) .

وحديث « من كذب علي » جمع طرقه الطبراني وابن الجوزي .

وحديث (لا نكاح إلا بولي) جمع طرقه شرف الدين الدمياطي .

بل إن الخطيب نفسه ذكر جل هذه الأحاديث ، في سياق ما ينصح بجمعه ، اقتداء بالمحدثين الذين جمعوا تلك الأحاديث . ومن قبله ذكرها الحاكم في كتابه «معرفة علوم الحديث » ، في نوع خاص بها .

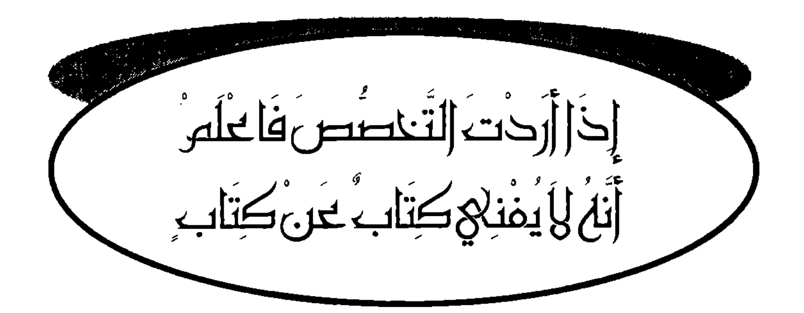
وخلاصة ما سبق ، فيما يُلام عليه طالب الحديث وما لا يُلام عليه من التدقيق في العلم ، هو أنه يلام في قضاء العمر : في جمع الأباطيل والمناكير ، وعدم تمييزها عن الصحاح المشاهير ؛ وفي تتبع أسانيد حديث صحيح بأحد تلك الطرق ، ولا فائدة في تتبع الأسانيد الأخرى ، إلا انقضاء الحياة دون معرفة قدر كبير من صحيح السنة وتعلم علوم الحديث .

أمَّا اللوم على التدقيق في العلم مطلقًا ، فهو من أعظم الصوادِّ عن العلم ، ومن أكبر الدواعي إلى الجهل ؛ وإلا فمتى يصل طالب العلم إلى مصاف العلماء ؟ إذا لم يدقق التدقيق الذي بحسب مرتبته من العلم ، والذي هو من باب الترقي في التعلم والتدرج فيه ؛ من هو فهم رؤوس المسائل ، إلى فهم فروع المسائل ، إلى التفقه في العلم وأدلته وأصوله ، إلى الاجتهاد فيه والاستنباط . وقد سبقت عبارة الإمام الشافعي ، التى يقول فيها : « من تعلم علمًا فليدقق ، لكيلا يضيع دقيق العلم) . وإنما أطلت هذه الإطالة في الحثِّ على التخصص ، وفي علم الحديث خاصة ، لكثرة من يعيب ذلك !! وفي هؤلاء العائبين من نحسن به الظن ،وغالبهم من إخواننا المتفننين ،كما سبق !! وأطلت هذه الإطالة أيضًا ، لمزيد احتياج علم الحديث إلى التخصص الدقيق حقيقة ، وإلى التعمق فيه ؛ وخاصة في هذه الأعصار ؛ فأين هم

نقاده وصيارفته ؟! وأين هم أطباء عِلله ؟!! » .

هذا الكلام من الشيخ حاتم هو أدقُّ وأعلى ما وقفت عليه من كلام دعاة التخصص ، وأنا جِدُّ كلف بهذا القول غير أنه لا يسعني إلا التنبيه على أنَّ التخصص شيء والفصام شيء آخر ، فالتخصص هو أنْ تفرغ نفسك لعلم معين بعد فراغك من دراسة بقية العلوم دراسة تهيء لك الوقوف على مهماتها ومعرفة مفاتيحها ، ومظنة البحث وتحرير القول فيها ، مع العناية بالعلوم التي تتصل بالعلم الذي تروم التخصص فيه ، أمَّا الفصام المشئوم الذي أشرت إليه من قبل ، فليس من وكدي الدعوة إليه ولا الثناء عليه .

* * *



هل يعني كون « تهذيب الكمال » قد اختصره ابن حجر فأخذ زبدته وزاد عليه ، هل يعنى ذلك الاستغناء عن الأصل ؟

ابن حجر اعتمد « إكمال تهـذيب الكمال » لمغلطاي ، فذكر ما فيه من الزيادات فهل يعني ذلك عدم الرجوع لكتاب مغلطاى ؟

التلخيص الحبيـر هو اختصار « البدر المنير » ، فـهل الرجوع إلى البدر يغني عن الرجوع إلى التلخيص .

والجواب في ذلك وأكثر منه هو « لا » .

نعم « لا » كبيرة جليلة .

فلا يُغني كتاب عن كتاب ، فلن تعدم تصحيح تحريف ، أو تصويب تصحيف ، أو استدراك المختصـر على صاحب الأصل ، أو زيادة تعليق في كلام صاحب الأصل أعـرض عنها المخـتـصر ، وإنِّـي لأعلم رجالًا من فـحـول علم الحـديث وغيـره ، يستخرجـون من مضابئ الكتب علومًا وفوائد يغفل عنها من يـستغنون ببعض الكتب عن بعض .

يقول الدكتور محمود الطناحى : قد شاع في كتابات بعض الدارسين المحدثين، أنَّ كتب التـراث ذات الموضوع الواحـد ، تتشـابه فيـما بينها ، وأنَّ غـاية اللاحق أنْ يدخل على ما تركه السابق ، يدور حوله ، ويردد مبـاحثه وقضاياه . ثم أفضى ذلك الزعم إلى دعوة صاخبة ، تنادي بغربلة التراث وتصفيته ؛ بالإبقاء على النافع المفيد ،

وترك ماعداه مستقرًا في المتاحف كمومياء الفراعنة ، يذكر بتطور الخطوط ، وقواعد الرسم ، وتاريخ صناعة الورق .

فإذا قلت لهذا الزاعم : ماذا نأخذ وماذا ندع ؟ حار وأبلس ، واعتصم بسراديب التفكير الموضوعي ، ومناهج البحث العلمي ، وأشباه ذلك من تلك التهاويل الفارغة من الحقيقة . فإذا اضطررته إلى أضيق الطرق ، وأخذته إلى فن واحد من فنون التراث ، ونثرت أمامه مصنفات ذلك الفن ، ثم طلبت إليه أنْ يختار ما يستحق أنْ يُبقي عليه ، وما هو جدير بأن يُنَحَّى ، شغب ونازع ، لأنَّه لا يملك أدوات الحكم على هذا الموروث ؛ لبعده عنه ، وخفائه عليه ، ولم يجد بُدًّا من العودة كرَّة أخرى إلى التفكير الموضوعي ، والبحث العلمي ، يسلبهما منك ، ملقيًا بك في ردغة الخبال ، وظلمات الجهل ، وبيداء التخلف .

وقد يسايرك بعضهم ، آخذًا بالنصفة والبراءة ، قائلًا : نقف عند القرون الخمسة الأولى ؛ لأنها قرون الإبداع والخلق . فقل له : إن الخالفين من القرون الّلاحقة قد أضافوا إلى ميراث تلك القرون السابقة إضافات صالحة ، كشفت عن خبيئه ، بل إنهم قد استخرجوا من علم الأوائل علمًا آخرَ ، مصبوغًا بصبغتهم ، موسومًا بسمتهم ، ملبيًّا حاجات عصرهم ، مفجرًا طاقات عظيمة من هذا العقل العربى ، الذي مافتئ يغلي ويموج ، كالبحر الهادر .

وعلى سبيل المثال ، فإن القرن الثامن ـ وهو في تقديرك ورأيك مما ينبغى أن ينبذ ويطرح ـ قد شهد أعلامًا شوامخ ، مثل شيخ الإسلام ابن تيمية ، ومؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي ، ومجتهد عصره تقي الدين السبكي ، وولده تاج الدين، والحافظ أبي الحجاج المزي ،وختنه الحافظ المفسر المؤرخ عماد الدين بن كثير ، والحافظ الكبير علم الدين البرزالي ، والأديب المؤرخ صلاح الدين الصفدي ، واللغوي الجامع ابن منظور ، وإمامي النحو : أبي حيان ، وابن هشام .

وإنَّ القرن التاسع قد شهد أمير المؤمنين في الحديث ، الحافظ ابن حجر

العسقلاني ، وشيخ الإقراء في زمانه شمس الدين بن الجزري ، وعالم الاجتماع الكبير ابن خلدون ، والمؤرخ الجغرافي تقي الدين المقريزي .

وإنَّ القرن العاشر قد شهد الحافظ المؤرخ الحجة شمس الدين السخاوي ، والحافظ المفسر النحوي ، الجامع للفنون والمعارف جلال الدين السيوطي ، ولا تقل : إنه جماع ، فقد حفظ لنا في تصانيفه التي بلغت نحو ستمائة مصنف (٦٠٠) كثيرًا مما عدت عليه عوادي الناس والأيام ، من علوم الأوائل وفنونها ، واستخراج من كل ذلك علمًا عُرف به ونُسب إليه .

فإذ جئنا إلى القرن الحادي عشر وهو عندك مما لا يلتفت إليه ،ولا يعاج به ؛ لأن هذا العصر في رأيك عصر انحطاط وانحدار ، من حيث كانت الغلبة فيه للأتراك العثمانيين . وهم من كرام هذه الأمة الإسلامية ، شئت أم أبيت : رأينا علماء كبارًا، منهم شهاب الدين الخفاجي ، صاحب المصنفات الكبيرة : « ريحانة الألبا » ؛ تراجم أدباء عصره ، و « شفاء الغليل » فيما في كلام العرب من الدخيل ، و « شرح درة الغواص » ، للحريري ، و « طراز المجالس » ، و « نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض » . ومن أعظم تصانيفه وأبقاها : حاشية على تفسير البيضاوي ، المسماة : « عناية القاضي وكفاية الراضي » . في ثمانية مجلدات كبار .

والعلامة عبد القادر البغدادي ، صاحب « الخزانة » وهي من مفاخر التأليف العربي .

وفي القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، نلتقي بعلمين كبيرين : المرتضى الزبيدي، صاحب « تاج العروس » ، و « إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين » . والشوكاني ، صاحب « فتح القدير » ، و « نيل الأوطار » ، إلى علماء الهند ، الذين توافروا على السنة المطهرة ، شرحًا ونشرًا .

وكل هؤلاء ـ من ذكرت ومن لم أذكر ـ قد فسروا ، وأضافوا ، واستخرجوا .



فهل نُلقي بهم جميعًا في غيابات الجُبِّ ،ومتاحف الآثار ؟

وهل من المقبول في موازين العقل والعدل ، أنْ تُطالب إنسانًا خلف له أهله ثروة طائلة ، ثم أقبل عليها ، يثمرها وينميها بجهده وعرقه ، حتى أضاف إليها أضعافها. هل من المقبول أنْ تُطالبه بأنْ يتخلى عن هذا الذي أضافه ويقنع بما تركه له أهله ؟

وقد يبدو هذا التشبيه لك سَاذَجًا ، ولكنَّ الضرورة ألجأتنا إليه ، وللضرورة أحكامها .

ثم أعود مرة أخرى إلى قضية « إنَّ كتب التراث يُغني بعضها عن بعض » .

وقد شغلتني هذه القضية ، وعشت مخدوعًا بها زمانًا ، حتى ظهر لي زيفها وبطلانها ، بشواهد ومُثل كثيرة ، وبخاصة في كتب التراجم ، ومصنفات اللغة . وأكتفي بعرض مثال واحد في كتب اللغة .

من المعروف أنَّ أكمل المعاجم اللغوية وأوسعها ، كتابان ، هما : « لسان العرب» ، لجمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور ، المتوفى بمصر سنة ٧١١ هـ ، و« تاج العروس » في شرح القاموس ، لأبي الفيض محمد بن محمد بن محمد . المرتضى الزبيدي المتوفى بمصر أيضًا سنة ١٢٠٥ هـ .

فقد جمع ابن منظور فى كتابه أصول المعاجم : « الصحاح » للجوهري ، وحواشيه لابن ترى ، و « التهذيب » للأزهري ، و « المحكم » لابن سيده ، و«النهاية في غريب الحديث والأثر » ، لابن الأثير . وعوَّل المرتضى الزبيدي على اللسان ، مع ما أضافه من كتب الصاغاني : التكملة ، و « العُباب » . وكتب شيخ محمد بن الطيب محمد الفاسى المالكي ، المتوفى بالمدينة المنورة سنة ١١٧٠ هـ . إلى كتب أخرى صغار وكبار .

فكان النظر في هذين المعجمين الكبيرين مغنيًا عن النظر فيما سواهما ، للذي قيل : « كل الصيد في جوف الفرا » . لكني وقعت على ما يقتضى التوقف في هذا

الحكم :

وذلك ما أثاره ابن الأثير ، في النهاية ، حين عرض لشرح حديث : « **أتاكم أهل اليمن ، هم أرقُّ قلوبًا وأبخع طاعة** » .

قال : « أي أبلغ ، وأنصح في الطاعة من غيرهم ، كأنهم بالغوا في بخع أنفسهم ، أي قهرها وإذلالها بالطاعة » .

ثم قال : « قال الزمخشري : هو من بخع الذبيحة : إذا بالغ في ذبحها ، وهو أن يقطع عظم رقبتها ، ويبلغ بالذبح البخاع بالباء وهو العرق الذي في الصلب ، والنخع ، بالنون : دون ذلك ، وهو أن يبلغ بالذبح النخاع ، وهو الخيط الأبيض ، الذي يجري في الرقبة . هذا أصله ، ثم كثر حتى استعمل في كلٍّ مُبالغة . هكذا ذكره في كتاب الفائق في غريب الحديث وكتاب الكشاف في تفسير القرآن ، ولم أجده لغيره ، وطالما بحثت عنه في كتب اللغة والطب ، والتشريح ، فلم أجد البخاع بالباء مذكورًا في شيء منها » .

هذا كلام ابن الأثير ، والأمر على ما قال ، في كتابي الزمخشري : الفائق ، والكشاف ، وأيضًا جاء بعضه في أساس البلاغة .

قلت : هذا الذي تعقب به ابن الأثير ، الزمخشري ، قد شاع في معاجم المتأخرين : ابن منظور ، والفيروزابادي ، والمرتضى الزبيدي .

ويدل سياق هؤلاء جميعًا فى كتبهم ، على أن الزمخشري منفرد دون اللغويين بذكر « البخاع » بالباء الموحدة ، حتى ليقول الزبيدي ، بعد حكاية كلام ابن الأثير والفيروزابادي : « قال شيخنا : وقد تعقب ابن الأثير قوم ، بأن الزمخشري ثقة ثابت، واسع الاطلاع ، فهو مُقدَّم » .

فهذا كلام دال بوضوح ، على أنَّ الزمخشري منفرد بذكر هذا القول ، وأن انفراده به لا يطعن فيه ؛ لأنه ثقة مأمون .

وقد وقعت على نص عالٍ موثق ، يدل على أنَّ هذه التفرقة بين « البخاع » بالباء الموحدة ، و « النخاع » بالنون ، تفرقة قديمة ، سابقة على الزمخشري المتوفى سنة (٥٣٨) . وذلك ما ذكره ابن فارس ، المتوفى سنة (٣٩٥) ، في كتابه معجم «مقاييس اللغة » .

قال ـ رحمه الله ـ : « قال أبو علي الأصفهاني ، فيما حدثنا به أبو الفضل محمد ابن العميد ، عن أبي بكر الخياط ، عنه ، قال : قال الضبي : بخعت الذبيحة: إذا قطعت عظم رقبتها ، فهي مبخوعة ، ونخعتها : دون ذلك ؛ لأنَّ النخاع : الخيط الأبيض الذي يجري في الرقبة وفقار الظهر . والبخاع ، بالباء : العرق الذي في الصلب .

فأنت ترى أنَّ الزمخشري مسبوق فيما ذهب إليه ، بهذا الذي حكاه ابن فارس، بإسناده إلى الضبي ، وقد خفي هذا على ابن الأثير ، ومن جاء بعده : ابن منظور ، والفيروزابادي ، والمرتضى الزبيدي ، وشيخه محمد بن الطيب الفاسي ، وإن كان هذا قد أحال على الثقة بالزمخشري وسعة اطلاعه .

وواضح أنَّ هناك فرقًا بين أنْ تفزع إلى المعاجم ؛ لتصيب معنى لغويًا لما يعرض لك من ألفاظ ، وبين أن تكون بإزاء قضية لغوية ، تريد أن تنتهي فيها إلى رأي حاسم قاطع . هنا لا يغنيك النظر في هذين الكتابين اللسان والتاج ، مع سعتهما وإحاطتهما عن الرجوع إلى غيرهما ، من صغار الكتب وأوساطها ، وهنا أيضًا لا يفيدك قول أبي الطيب :

ومن ورد البحر استقل السواقيا

إنَّ علماءنا الأوائل ـ رحمهم الله ، ورضي عنهم ـ لم يكونوا يعبثون حتى يتوفرون على الفن الواحد ، من فنون التراث ، فيكثرون فيه التأليف والتصنيف ، ويدخل الخالف منهم على السالف .

ونعم ، وقد تجمع بعضهم جامعة المنزع والمنهج العام ، ولكن يبقى لكل منهم مذاقه ومشربه ، كالذي تراه من اجتماع أبي جعفر الطبري ، وعماد الدين بن كثير على تفسير القرآن الكريم بالمأثور ، وافتراقهما في أسلوب التناول ومنهج العرض .

ولم يكن النحاة يعانون من الفراغ ، أو قلة الزاد ، حين عكفوا على كتاب مثل «الجمل » لأبي القاسم الزجاجي ، فوضعوا له مائة وعشرين شرحًا .

ومن الغريب حقًّا أننا لا نجد بأسًا أن يكثر الدارسون المحدثون من التأليف في الفن الواحد ، كتبًا ذاهبة في الكثرة والسعة ، كالذي تراه من التأليف في فنون الشعر والقصة والمسرح ، ثم نحجر على أسلافنا ! ونعيب عليهم مثل ذلك ، ثُم ننعتهم بالثرثرة والدوران حول أنفسهم ! ولكنها آفة الذين يلتمسون المعابة لأسلافهم بالظن الخادع ، والوهم الكذوب .

وإنَّه لحق أنَّ بعض ما تركه الأوائل ، منتزع من جهود سابقة ، وتعد إضافته إلى الفن إضافة محدودة ، ولكن مثل ذلك معروف مسطور ، ومدلول عليه أيضًا بكلام الأوائل أنفسهم ، وأكثر ما ترى ذلك في مقدمات الكتب ، كهذا الذي صنعه ابن الأثير ، في مقدمة « النهاية » حين قضى على تأليف ابن الجوزي ، في غريب الحديث ، بأنه مسلوخ من كتاب أبي عبيد الهروي .

قال ـ رحمه الله ـ :

« ولقد تتبعت كتابه ، فرأيته مختصراً من كتاب الهروي ، منتزعًا من أبوابه ، شيئًا فشيئًا ، ووضعًا فوضعًا ، ولم يزد عليه إلا الكلمة الشاذة واللفظة الفاذة . ولقد قايست ما زاد في كتابه على ما أخذه من كتاب الهروي ، فلم يكن إلا جزءًا يسيراً من أجزاء كثيرة » .

وأحب أنْ أشير إلى أنَّ هذه المختصرات التى تشغل حيِّزًا من التأليف العربي ، قد تجد فيها ما لست تجده في الأصول ، ومن ذلك وهو كثير كتاب « مختارُ الأغاني

في الأخبار والتهاني » لابن منظور صاحب « اللسان » ، وقد طبع هذا المختصر في ثمانية أجزاء ،وفي الجزء الثالث منه ترجمة موسعة لأبي نواس ، تضمنت أخبارًا وأشعارًا لأبي نواس ، لا تجدهما في الأصل المختصر ، وذلك أنَّ لابن منظور كتابًا مفردًا لأخبار أبي نواس ، وهو مطبوع .

وكذلك صنع ابن منظور ، في ترجمة جميل بن مَعمر ، حيث أورد له بعض أشعار وأخبار لم ترد في الأغاني .

والظن بابن منظور أن يكون قد فعل مثل ذلك ، فيما اختصره من كتب التراث، فقد كان مغرى باختصار كتب الأدب المطولة ـ كما يقول ابن حجر ـ وقال صلاح الدين الصفدي : « ما أعرف في كتب الأدب شيئًا إلا وقد اختصره » . ومن مختصراته مختصر مفرادات ابن البيطار » ، في الأدوية ، و « لطائف الذخيرة مختصر الذخيرة » لابن بسام . و « مختصر تاريخ دمشق » لابن عساكر . ومختصر تاريخ بغداد للسمعاني . و « مختصر الحيوان »للجاحظ . و « مختصر أخبار المذاكرة ونشوار المحاضرة » للتنوخي .

ومن حديث المختصرات ما لاحظته ، أنا وأخي الدكتور عبد الفتاح الحلو ، في أثناء عملنا في تحقيق طبقات الشافعية الكبرى ، لتاج الدين بن السبكي : أنَّ الطبقات الوسطى للمؤلف قد اشتملت على فوائد لم ترد في الطبقات الكبرى ، بل إنَّ فيها من التراجم ما لم يُذكرْ أصلًا في الطبقات الكبرى .

وكتاب « تقريب التهذيب » ، لابن حجر العسقلاني ، فيه من التقييد والضبط ، ما لست تجده في أصله : تهذيب التهذيب ، للمؤلف نفسه ، وقد أحسن ناشرو تهذيب التهذيب، في دائرة المعارف العثمانية ، بالهند حين أنزلوا هذا الضبط والتقييد في حواشي الكتاب .

ومثل ذلك يُقال في مصنفات شمس الدين الذهبي التاريخية : تاريخ الإسلام



وسير أعلام النبلاء ، والعبر في خبر من غبر ، وتاريخ دول الإسلام .

إنَّ تراثنا لم يأخذ مكـانه بين تراث الإنسانية إلا بما صنفـه الأوائل ، مضافًـا إليه تلك الشروح والمختصرات والذيول ، والصلات ، والحواشي والتقريرات .

نقـول هذا لأبنائنا طلبـة العلم ، ونُذكِّـر به أيضًـا العـقلاء من إخـواننا أسـاتذة الجامـعات الـعربيـة . أمَّا الذين يلتـمســون تراجم الرجال من « دوائر المـعارف » ، و«الموسـوعة العـربية الميـسرة » ويطلبـون الشروح اللغـوية من « المنجـد » و « أقرب الموارد»، ويجمعـون تراجم الشعراء ، من « شعـراء النصرانية » ، فقد سـقطت كلفة الحديث معهم .

* * *

اعرف فرق ما بين الطبعات كما تعرف فرق ما بين المخطوطات

طالب العلم فيما أزعم هو أكثر طلبة العلم احتياجًا إلى الدقة في اختيار طبعات الكتب التي يقرأها أو يدرسها أو يرجع إليها ، بل إنَّ قضية التصحيف والتحريف إنما تظهر أهميتها ، وتظهر عِظَم مغبتها في العلم الشرعي بالذات ، والحديث في ذلك ذو شجون .

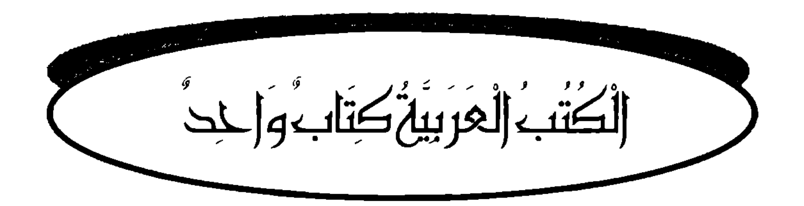
يقول الدكتور محمود الطناحي :

« واجب على طالب العلم أن يعرف فرق ما بين الطبعات ، فإنَّ كثيرًا من كتب التراث قد طُبِعَ مرتين أو أكثر وتتفاوت هذه الطبعات فيما بينها ؛ كمالًا ونقصًا ، وصحة وسقمًا ، ولابد أن يكون رجوع الطالب إلى الطبعة المستوفية لشرائط الصحة والقبول ، وهذه الشرائط ظاهرة لائحة لمن يتأملها ، وتتمثل في التقديم للكتاب ، وبيان وزنه العلمى ، وفهرسته فهرسة فنية ، تكشف عن كنوزه وخباياه ، والعناية بضبطه الضبط الصحيح ، والتعليق عليه بما يُضيئه ، ويربطه بما قبله وبما بعده ، في غير سرف ولا شطط ، ثم في الإخراج الطباعي ، المتمثل في جودة الورق ، ونصاعة الحرف الطباعي .

وقد حَظِيَ تراثنا ـ ولله الحمد والمنة ـ منذ ظهور المطبعة في القرن الخامس عشر الميلادي إلى يوم الناس هذا ، بعلماء كبار ، فى الشرق والغرب ، توافروا على الإخراج العلمي الصحيح ، وطابعين مهرة أظهروه في حُلَلٍ زاهية ، لكنه ظهر إلى جانب هؤلاء ، ناشرون متساهلون ، وطابعون متعجلون ، أرادوا ثراء المال من أيسر سبيل فاعرف أيها الطالب وأنكر ، وأقبل وأعرض ، على ما وصفت لك ، تستقم دراستك ، وتمضِ إلى ما تريد لها من كمال وإتقان » .

وقد اعتنيت ببيان أحسن طبعات الكتب التي أذكرها في البرنامج العلمى .





استدل أحد الفضلاء على جواز مواد التجميل (المكياج) بخبر جابر ـ رضي الله عنه ـ أنه أتى النبى ﷺ وعليه أثر صفرة فقال الرسول إليه : « **ما هذا يا جابر ؟** » فقال : «**تزوجت يا رسول الله** » .

فقال هذا الفاضل : فهذه الصفرة مما علق بوجهه من وجه امرأته .

فقلت له : يا شيخنا لعل هذه الصفرة زعفران ، وقد كان من عادتهم إذا تزوج الرجل أن يتزعفر حتى نهى النبي ﷺ عن التزعفر ،وذكرت له قول سعد بن زيد مناة في أخيه مالك لما تزوج :

يظل يوم وردها مُزعفراً وهي خناطيل تجوس الخضرا

فقال لي : من أين جئت بهذا الكلام ؟ فقلت له : من « طبقات فحول الشعراء» لمحمد بن سلام الجمحى (١ / ٣٠) .

فقال لي : أَوَ نَأخُذُ دينَنا من هذا العبث .

فمنعني أدبي من إكمال الحوار وبيان الحجة .

هذا مثال واحد على حالة الانفصال المشئومة التي يتزعم لواءها بعض المشتغلين بالعلم الشرعي اليوم ، وهي تحتاج في كشف زيفها إلى مكان أرحب من هذا المكان، ومقام أسمح من هذا المقام **وسأجتزأ هنا بذكر كلام غالٍ نفيسٍ للدكتور محمود الطناحي** ، يقول ـ رحمه الله ـ : تحت عنوان :

مجاز كتب التراث مجاز الكتاب الواحد :

بمعنى أنَّ هذه الكتب متشابكة الأطراف ، متداخلة الأسباب فمع الإقرار بنظرية



التخصص ، وانفراد كل فن من فنون التراث بطائفة من الكتب والمصنفات . إلا أنك قَلَّ أنْ تجد كتابًا من هذه الكتب مقتصرًا على الفن الذي يُعالجه ، دون الولوج إلى بعض الفنون الأخرى ، بدواعي الاستطراد والمناسبة ، وهذا يُؤدي لا محالة ، إلى أنْ تجد الشيء في غير مَظَانِّه . وقد ضربت لذلك مثلا - في بعض ما كتبتُ - بعلم النحو ، فليست مسائل هذا العلم في كتب النحو فقط ، ففي كتب التفسير والقراءات نَحْوٌ كثيرٌ ، وفى كتب الفقه وأصوله نَحْوٌ كثيرٌ . وفي معاجم اللغة ، وكتب البلاغة، وشروح الشعر نَحْوٌ كثيرٌ . بل إنك واجد في بعض كتب السير ، والتاريخ ، والتراجم ، والأدب ، والمعارف العامة ، والطرائف والمحاضرات ، من مسائل النحوِ وقضاياه ، ما لا تكاد تجد بعضه في كتب النحو المتداولة .

واقرأ إنْ شئت : « الإمتاع والمؤانسة » ، و « مثالب الوزيرين » ، كلاهما لأبي حيان التوحيدي ، و « رسالة الملائكة » ، و « رسالة الغفران » ، الاثنان للأبي العلاء المعري ، و « الروض الأنف » للسهيلى ، و « بدائع الفوائد » لابن القيم الجوزية ، و« الغيث المسجم » في شرح لامية العجم ، لصلاح الدين الصفدي . ثم انظر كم من مسائل النحو أفدت.

ومما يستطرف ذكره هنا أنَّ الشاهد النحوي المعروف « أكلوني البراغيث » لم أجده منسوبًا لقائلٍ ، في كتاب من كتب النحو التي أعرفها ، على حين وجدته في كتاب أبي عبيدة « مجاز القرآن » منسوبًا لأبي عمرو الهذلي .

وخذ كتابًا لغويًا مثل « المخصص » لابن سيده ، وهو من معاجم المعانى كما عرفت تجد فيه نحوًا كثيرًا ، وصرفًا كثيرًا ، بل إنَّ هذا الكتاب اللغوي يُعدُّ توثيقًا كبيرًا لآراء أبى علي الفارسي ، في النحو والصرف ، حيث تراه قد أكثر من النقل عنه كثرة ظاهرة .

وإنك لتقضي العجب حين ترى كثيرًا من الدراسات النحوية المعاصرة والتي هُوجِمَ النحو العربي فيها هُجومًا كاسحًا أكولًا وقد اتكأت على كتب النحو المتأخرة ،

ابتداء بـابن هشام ، وانتـهاء بالصبـان ، تاركة وراءها كـتب النحو الأولـي ، وكتب الفنون التراثية الأخـرى ، التي تمت إلى النحو بأسباب وعلائق كثـيرة . ومع التسليم بجدوى مصنفات ابن هشام ومن جاء بعـده ، فإن ذلك لا يُغني عن الجهود السابقة، ولا يقوم مقامها .

وما قِيلَ عن النحو وانسياحـه في الفنون الأخرى ، يُقال في سائر العلوم ؛ وقد حدثني شـيخي الجليل محمـود محمد شـاكر ـ حفظه الله ـ أنه استـخرج عَلَوِيَّةً أبى الطيب المتنبي من خبر صغير ، في ثنايا خزانة الأدب للبغدادي ، وقد خفي هذا الخبر على كل الذين كتبوا عن المتنبي ، من عرب وعجم ، مع أنَّ هذا الكتاب قد طُبع في مطبعة بولاق بمصر ، سنة ١٢٩٩ هـ ولكنه في نظر الناس كتاب شواهد ونحو ، ليس غير ، للذي علمـوه من أنه شرح شواهد الرضي على الكافيـة ، وترجمة المتنبي عند هؤلاء تلتمس من كتب التراجم والأدب .

وحدثني أيضًـا ـ حفظه الله ـ أنَّ المفكر الأديب الأستاذ عـباس محمـود العقاد ـ رحمه الله ـ سـأله ذات يوم ، عن خبر أو كلام لعمـرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ كان قد قـرأه الأستاذ العقـاد ، ونسى موضعه ، وأنـه قد وجد هذا الخبر فـي كتاب الكشكول ، أو المخلاة ، لبهاء الدين العـاملي ، المتوفى سنة ١٠٣١ هـ . ويا بعد ما بين العـاملي ومظان ترجمـة عمـرو بن العاص ! والكشكول ، والمخـلاة عند بعض المحدثين إن علموا بأمرهما من سواقط الكتب وكواذب الأحاديث .

إنَّ في الكتب الموسـوعيـة ، مثل « شرح نهـج البلاغة » ، لابن أبـي الحديد ، المتوفى سنة ٦٥٦ هـ . و « نهاية الأرب » للنُّوَيْريِّ ، المتوفى سنة ٧٣٣ هـ ، و«صبح الأعشى » ، للقلقشندي ، المتوفى سنة ٨٢١ هـ ، من غرائب العلوم والفنون ، ما لا يأتي عليه حصر .

وبعدُ :

فإن من الظواهر الجديرة بالتأمل ، في هذه الأيام ، تلك العناية البالغة بالتراث :



نشر لما لــم يُنشر ، وتصويرٌ لمــا نُشر ، ويُقبل القــراء على شراء كـتب التراث إقــبالًا زائدًا، ولم يستطعِ الكتاب الحديث ـ برغم ما أحيط به من مظاهر الإعلان والإعلام ـ أن يزاحم الكتاب التراثي ، بالرغم أيضًا مما يتعرض له من تجريح وتوهين .

ولكن هذه العناية بنشر التــراث ، والإقبال على شرائه ، لم يواكبــها قراءة له ، وانتفاع به ، فكثرت الكتب وقلت القراءة .

ومهــما يكن من أمر ، فــإنَّ هذه الظاهرة دالة بوضوح ، على أنَّ للتــراث بريقًا أخَّاذًا . ولم يبقَ إلا أنْ نعمق في أبنائنا الإحســاس النبيل به ، وأن نأخذ بأيديهم إلى آفاقه الرحبة ، وآماده المتطاولة . [إلى هنا انتهت دُرر الطناحي] .

* * *

الْعُلُومُ الشَّرْعِيَّةُ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ

لقد أتى على الناس زمان كان رجال من المحدثين فيه يستخفون بالفقه ويسمونه رأيًا ، وفقهاء يستخفون بالحديث ويسمونه علم المفاليس ، ومفسرون يستخفون بلغويين، ولغويون يستخفون بقراء ، إلى آخر هذا الغثاء البارد ، والاستخفاف الجاهل .

ولله دَرُّ الشوكاني إذ يقول :

أتانا أن سهلا ذم جهلا علوما ليس يعرفهن سهل

علوم لو دارها ما قلاها ولكن الرضى بالجهل سهل

وأحسب أننا اليوم قد تخطينا مراحل كثيرة في سبيل الخروج من هذا المنحدر السخيف ، فأحببت أنْ أنبه طلبة العلم إلى أنَّ العلوم الشرعية آخذ بعضها بحجز بعض ، فهُنَّ أخوة لعلاَّتٍ ، وليس بينهن خِصام ولا فرقة .

فها هو اليونيني يضبط صحيح البخاري بمحضر من أهل العلم والفضل يُزينهم النحوي الشهير ابن مالك صاحب الألفية ، ليصحح ويرجع وليخرج بعدها بكتابه الفذِّ « شواهد التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح » .

ويقول الحافظ الكبير أبو الحجاج المزِّي في مقدمة كتابه الجليل « تهذيب الكمال » (١ / ١٥٦) : « وينبغي للناظر في كتابنا هذا أنْ يكون قد حصل طرفًا صالحًا من علم العربية : نحوها ولغتها وتصريفها ، ومن علم الأصول والفروع ، ومن علم الحديث ، والتواريخ ، وأيام الناس ، فإنه إذا كان كذلك كثر انتفاعه به ، وتمكن من معرفة صحيح الحديث وضعيفه ، وذلك خصوصية الحديث التي من نالها وقام

بشرائطها وأهل زمانه في هذا العلم ، وحشر يوم القيامة تحت اللواء المحمدي إن شاء الله تعالى » .

إذن : فطالب علم الحديث لا يصح له الزعم بأنه مريد للتخصص في هذا العلم الشريف ، فيستظل بهذا الزعم ويفيء إليه ، ويطرح عن ظهره عبء النظر في العلوم الشرعية الأخرى ، بل إنَّا نقول : ولو كنت مريـدًا للتخصص فلابد أن تأخذ من بقية العلوم بطرف ، بل إني أزعم أنك ستظل قـاصرًا ولا تُسمَّى مُتـخصصًا مـا لم تفعل ذلك .

* * *



إنَّ أضرَ ما رأيت على طالب العلم من القواصم هو أنْ يبدأ بالإشارة إليه بالبنان، وما درى طالب العلم أنَّ ضريبتها قاسية وشديدة ، ولهذا قَلِّبْ طَرْفَكَ في كلٍّ من برز صغيراً كيف حاله :

١ ـ كَثُرَ حاسدوه .

٢ ـ حفظت عنه معايب كثيرة بسبب أقواله التي لم تنضج بعدُ .

٣ ـ كثرة التغير فى رُؤاه وآرائه ومنهجيته .

٤ ـ قلة مشايخه وقِصر الدراسة عليهم .

٥ ـ فوات صغار المسائل عليه ، وفوات بعض العلوم .

وأعظم مصيبة تحلُّ عليه وهي السادسة والحالقة .

٦ ـ التسور على الفتوى والقول على الله بلا علم ؛ لأنه لو ألزم نفسه أنْ لا يفتي إلا بعلم منقول لكثرت عنده « لا أدري » ، فانفضح أمره بين أقرانه ، ولا تسأل عن مغبة القول على الله بلا علم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ولقد رأت عيني أناسًا أعطوا فهومًا وذكاءً ،ولم يعطو زكاءً ، وكان مشايخهم يرجون لهم مستقبًلا باهرًا ، فحرموا الوصول بسبب العجلة في قطف الثمرة .

وقد ضرب لنا ربنا درسًا في عدم تجشم مالا نعلم ، وذلك فى أول قصة ذكرها ربنا في كتابه من أجل أن تكون لنا درسًا في التعليم ، فتأمل أول سورة في القرآن

وفى أول قصة ، وذلك في قصة الملائكة مع ربها عندما قال الله : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ تنبهت الملائكة لهذا الدرس بعد أنْ قالوا ما قالوا ، تنبهوا فقالوا : ﴿سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ٣٢] .

متى ما رأيت من نفسك كلما تعلمت رغبة جامحة في التصدر والتسميع ، فاعلم أنَّ الحبائل تُحاك لك ، وأنك على خطر ومزلق ومزلة ، فتدارك نفسك فالعالم الخاشي كلما كثر علمه ، كلما قلَّ حديثه ، وكثر خوفه ، وزاد يقينه بجهله : كما قال الشافعي :

كلما أدبني الدهر أراني نقص عقلي

أو أراني ازددت علمًا زادني علمي بجهلي

ولهذا قال إسحاق الحنظلي : أعلم الناس بالفتوى أسكتهم فيها ، وأجهل الناس بالفتوى أنطقهم فيها .

ومن علامة الإخلاص إدامة قول : « لا أدري ، ولا أعلم » ، أين نحن من قول البراء صاحب رسول الله ﷺ حينما قال : لقد رأيت ثلاثمائة من أهل بدر ما منهم من أحد إلا وهو يحب أن يكفيه صاحبه الفتوى ، وقال ابن أبي ليلى : أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار يسأل أحدهم عن المسألة فيرد هذا إلى هذا ، وهذا إلى هذا ، حتى ترجع إلى الأول .

وقال على بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ : « ما أبردها على الكبد إذا سئل أحدكم عن ما لا يعلم أن يقول : لا أعلم » .

ولنتأمل قصة ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ ، وتأسَّ به ، فقد لحقه ذات مرة أعرابي فقال أنت ابن عمر ؟ قال نعم ـ وتخيل أن يقول لك السائل هذا : أنت الشيخ الفلاني !! ـ فسأله الأعرابي فقال له : أترثُ العمَّة ؟ فقال ابن عمر : لا أدري ، اذهب إلى العلماء بالمدينة ، فسلهم ، فلما أدبر قبل ابن عمر يديه ثم قال : نعم ما

قال أبو عبد الرحمن ـ يعني نفسه ـ ؟ سُئل عمًّا لا يدري ، فقال لا أدري .

كأني أحس بطعم فرحته عندما تخلص من إثم القول على الله بلا علم ، وأنقذ نفسه من مغبة الهلكة .

وقال عقبة بن مسلم : صحبت ابن عمر أربعة وثلاثين شهرًا وكان كثيرًا ما يُسأل فيقول : لا أدري ، ثم يلتفت إلي فيقول : هل تدري ما يريد هؤلاء ؟ يريدون أن يجعلوا ظهورنا جسرًا إلى جهنم .

والقصص في هذا كثيرة ، ممن ؟ أمن أناس لم يقرأوا متنًا فقهيًا واحدًا مختصرًا؟ كلا بل من أئمة أعلام ، فمالك ـ رحمه الله ـ من هو ؟ ومع هذا قال عنه ابن وهب: لو شئت أنْ املأ ألواحي من قول مالك : لا أدري لفعلت ، ولما سُئل الإمام أحمد : كم يكفي الرجل من الحديث حتى يكون مفتيًا : مائة ألف ؟ فقال : لا ، إلى أن قال: فيكفيه خمسمائة ألف حديث ؟ قال : أرجو » .

رحماك بنا يا رحمن !!!

لا أدري كيف يغش المرء نفسه ، وهو ينظر إلى نفسه بعين الكمال ، عندما يتقن باب الطهارة والصلاة ، فإذا ما جاءت مسألة في قضايا الأسرة من طلاق أو عدة ، أو جاءت مسألة في الدعاوى ، بدأ يعجن الذهن ويطحنه ، ويبحث عن كلمة من هنا وهناك عساها تنقذه.

يا طالب العلم كيف تخدع نفسك فضلا عن خداعك لغيرك ، أَوَ لَيْسَ الأجدر والأحسن أنْ تتعلم ما تجهله قبل أنْ تتكلم فيه .

والذي أراه من حال طلاب العلم أناس إذا طُرحت مسألة ذهب يبحث عن هذه المسألة ، وهو أصلًا لم يُتقن الباب كله ، إنْ لم يكن هذا من التشبع فما هو ؟!

فمثلا ، رأيتُ أناسًا يناقش في مسألة من مسائل الطلاق ، ويخيل للقارئ أنَّ هذا المناقش يفهمنا أنه متقن للفقه كاملًا ، ثم تجده في بعض المشاركات ضعيفًا جدًا

في بعض أبواب الفقه .

إنَّ هذا التصرف ليس ضرره على القراء كلاً ، بل ضرره عليك أنت ؛ لأنك ستظل تدور في حلقة مفرغة حسب الطلب ، وإذا جاء الطلب مرة أخرى لنفس المسألة إذا هي قد طارت منك تحتاج إلى رجعتها .

نعم ، قد تنقل كلامًا لعالم موثوق ، وتنسب الفتوى ، فأنت داخل في قوله ﷺ : « **بَلِّغُوا عنِّي ولَوْ آيةً** » ، وقوله ﷺ : « **نَضَّرَ اللهُ امْرَاءً...** » الحديث وليس هذا من بابته .

تالله إني من خلال هذه القاعدة العظيمة ، أنصح نفسي وإخواني إن لم نجلد ذواتنا بالمصارحة ، فما أدينا حق الأخوة .

لست من خلال هذه القاعدة ، مزهدًا في نشر العلم ، ورحم الله رجلًا بلغ آية، ولكنَّ الشان كل الشان ، أنْ يكون تبليغك عن مصدر موثوق مسبوق ، لا عن رأي من الذهن مفتوق . [« مستفاد من الشيخ : المقرئ ملتقى أهل الحديث »] .

* * *

الْزَمْ ثُمَّ الْزَمْ فَقِيهًا مُتَمَكِّنًا فِي فَهْمِ الْمَذْهَبِ ذَا تَجْرِبَةٍ طَوِيلَةٍ فِيهِ وَأَدِمْ صِلَتَكَ بِهِ

إنَّ هناك خللًا في فهم الفقه عند كثير من طلبة العلم ، فمثًلا ترى الشاب يخلط كثيرًا بين شيخ يهتم بالتصحيح والتضعيف والحكم على الأسانيد ، وإن كان له عناية بطرف في الفقه ، وبين شيخ فقيه تمرَّس فيه .

في نظري لا يُؤخذ الفقه بمعناه الاصطلاحي من كتب أحاديث الأحكام ، وأرجو أنْ لا تعجل عليَّ حتى تفهم ما أقصد :

ولعليِّ أضرب بالمثال قبل أنْ أبدأ بالفكرة : خُذْ مثًلا باب الرجعة فى « بلوغ المرام » ، ذكر حديثين فقط ، وانظر أحكام الرجعة في « زاد المستقنع » ، مثًلا ، وانظر إلى باب الظِّهار في « بلوغ المرام » ، ذكر حديثين فقط ، وانظره في « الزاد ».

ستجد أنه ذكر في كتاب الفقه مسائل مهمة جدًا ، ووقوعها كثير ، ولكن الحديثين ليس فيهما شفاء للمسألة ؛ ولهذا نجد أنَّ شُرَّاح الحديث ، يحولون شرح «بلوغ المرام » إلى كتاب فقهي ، من أجل أنْ يكملوا النقص على الطالب ، فيتشتت الطالب ، ولا يدرى ما علاقة المسألة بالحديث ، فما هي إلا أيام ولا يبقى مع الطالب إلا الحديث والمسائل المتعلقة به صراحة ، وأما المسائل فقد نسيت ؛ ولهذا تجد المهتمين بالحديث ، وليس لهم علاقة بالفقه إذا جاءت المسائل المنصوصة والخلاف فيها قوي ، كمسألة جلسة الاستراحة ، ومسألة زكاة الحلي ، ومسألة التغريب للزاني ، ومسألة طواف الوداع ، ومسألة العدة للمختلعة ، ووقوع الطلاق بالثلاث ، تجد أنه يوافق الفقيه في هذه المسألة ولكن إذا جاءت المسائل المخرجة ، وغير المنصوصة تجد أنه لا

يستطيع أن يستحضر فيها شيئًا .

وعليه ، فلا يمكن لمن أراد أنْ يضبط المسائل ، إلا بطول التعلم على شيخ ضابط للفقه ، بحيث يُعِينُ الطالب على وضع لبنة لهذه المسائل المخـرجة وكيفية التعامل مع المسائل النازلـة ؛ ولهذا أعلم عالمًا برزًا في الفـقه ، إلا وبدأ طلبـه على فقيـه ضابط لمذهبه ، ثم بعد ذلك يختار هو ما يختار .

وفائدة الشيخ ما يلي :

١ ـ تصوير المسائل تصويرًا صحيحًا ، والابتعاد عن الفهم الخاطئ :

إذا قرأت شيئًا فلابد للعقل أن يُصـوِّرَ ما يقرأ فى عقل القارئ ، ترى هل كل ما ستـقرؤه ستتـصوره تصورًا صـحيحًا ؟ الجـواب : كلاً ، لابد من أستـاذ يصور لك المسائل وتتأكد من فهمك .

وكم قرأنا بحوثًا لأفـاضل ، بل وعلى مستوى الجامعـة ، نجد ما يُدمي القلب ، من حيث : فهم المسألة ، وتداخل الأقوال ، وعدم التبصر في مقتضى كل قول.

وأذكر أنَّ شيـخنا ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ سـأل الطلاب ، عن الثنى في الضأن في الأضحية كم عدد أسنانه العلوية ؟ فجاءت إجابات مضحكة وضحك الشيخ وذكر قصة مشابهة له مع شيخه السعدي ، ونبه على هذا الأمر .

٢ ـ من خلال الشيخ الـضابط تتعلم منه لغة الفـقهاء ، وطريقة الردود والإيرادات ومنزع المسائل .

إذا جلست عند فقيه ضابط علمت كيف تورد الأفكار الفقهيه ، وتُنمي الإيرادات العقلية ، وتصنع الملكة الأصولية والذوق الفقهي .

فلما يتكلم الشيخ عن فسخ نية الوضوء بعد الانتهاء منه ، هل هي معتبرة أم لا؟

تقول : لا ، فيقول شيخك ، فما بالهم في الصيام حكموا بنقص الصيام بفسخ النية ؟ فـتقول : فسخ النيـة المفسد للصـوم ؛ إنما هو سبب أنَّ العبادة لم تنتـه بعد،

فمثلها لو نوى فسخ النية في أثناء الطهارة فهنا تنفسخ النية ، فيقول لك الشيخ : الردة من نواقض الوضوء ، والعبادة قد انتهت ومع هذا إذا رجع إلى الإسلام ، أعاد الوضوء ولم يعد الصلاة ؟ فتقول : الصلاة انتهت علائقها بخلاف الطهارة ، فهي شرط لصلاة أخرى ، وستستخدم هذه العبادة كشرط لعبادة أخرى ، بخلاف الصلاة، فقد مضت وليست هي شرطًا لعبادة أخرى إلى آخر ما يرد .

وإنما المراد معرفة مهمة الشيخ بالنسبة لك فانظر كيف يفتق الذهن ويسيل القريحة وكل ما سبق ليس فيها نص صريح عن رسول الله ﷺ وإنما هو دور الفقيه .

٣ ـ من أعظم ما يقوم به شيخك الفقيه يعودك على ربط المسائل فيما بينها :

إنَّ الناظر إلى طلاب العلم ، يجد أن كثيراً منهم يبحث في مسألة من مسائل أبواب الطهارة ، ويظن أن هذه المسألة انتهت وانحصرت ببحثه في هذا الباب ، وما درى أنَّ المسألة لم تنته بعد ، وسيرد عليه إيرادات عند مواصلته بالفقه قد تضطره إلى نقض قوله :

وأضرب مثلًا في باب هو من أواخر أبواب الفقه مع بابين من الأبواب المتقدمة:

باب الرضاع له اتصال ببابين متقدمين ، باب المياه وباب الصوم :

أ ـ الماء المتغير ولم ينزع عنه وصف الماء هل يسلبه أحكام الماء الطَّهُورِ أم لا ؟ سترد عليه هذه المسألة في باب الرضاع عند الرضاع باللبن المشوب والمخلوط هل يحرم أم لا؟

ب ـ المذهب ، قالوا في الصوم : إن حقن الغذاء من الدبر في الصوم مفطر ، وله أحكام الغذاء ، بينما في باب الرضاع ، المذهب أن حقن اللبن من الدبر غير مؤثر .

فكيف ستجيب عن هذا ؟!

فشيخك يقوم بهذه المهمة ؛ بسبب معرفته لأبواب الفقه ، يعلم ما سيرد عليه



وكيف يستحضر الإجابة عليه هذا مثال واحد والأمثلة كثيرة ، ولكن أردت فقط التدليل .

٤ ـ من أعظم ما يقوم به الشيخ ربط العلوم المرتبطة بالفقه بعضها ببعض :

وهذا لا يتأتي لمن لم يضبط ، فتجد الشيخ يفتق الذهن بربط العلوم المتعلقة بالفقه وأضرب مثالا :

فمثًلا علمِ الفرائض :

سيرد على الطالب في أكثر من باب ، وأقتصر على باب الوصايا ، وباب النفقات :

أ ـ باب الوصايا : إذا قال الفقيه في باب الوصايا « وإنْ وصَّى له بمثل نصيب أحد ورثته ، فله مثل أقلهم نصيبًا يزاد على الفريضة ، فلو خلف ثلاثة بنين ووصى بمثل نصيب أحدهم فله الربع ، فإن كان معهم ذو فرض كأم صحت مسألة الورثة بدون الوصية من ثمانية عشر ، وزدت عليها مثل نصيب ابن من ثلاثة وعشرين ، ولو وصى بمثل نصيب أحدهم ولآخر بسدس باقي المال ، جعلت صاحب سدس الباقي كذي فرض له السدس وصححتها مثل التي قبلها ، فإنْ كانت وصية الثاني بسدس باقي الثلث صححتها أيضًا كما قلنا سواء ، ثم زدت عليها مثليها فتصير تسعة وستين تعطى صاحب السدس سهمًا واحدًا ، والباقي بين البنين والوصي الآخر أرباعًا . . . » .

فمثل هذه المسائل : قل لي كيف سيفهمها الطالب ، وهو لم يجلس مع شيخ متمرس في الفقه عليم به ؟ وأذكر أنَّ طالب علم ، تصدر للتدريس وأقر هذا المتن المشهور ، ولما جاء لمثل هذه المسائل ، بدأ يبحث عن شيخ يفك رموزها وغموضها ، مع أنها من أسهل المسائل لمن تمرس وهذا من أعظم الخلل .

ب ـ باب النفقات : إذا قال الماتن : « ومن يرثه بفرض أو تعصيب إذا كانوا



فقراء وله ما ينفق عليهم ، وإن كان للفقير وارثان فأكثر ، فنفقته عليهم على قدر ميراثهم منه إلا الابن له أب ، فإن نفقته على أبيه خاصة » .

فكيف سيجيد الطالب هذه المسائل وتمييز من تجب عليه النفقة ، ومن لا إلا إذا كان قد درس على شيخ ضابط متمرس .

والشيخ الفقيه يفتق ذهنك بعلم قواعد الفقه وأصوله ، ويربط لك هذين العلمين بعلمِ الفقه ، بكلٍّ وضوحٍ وتأنٍ ، دون إتعاب للذهن وإدخال للسآمة ، بل يحبب لك العلمين ويسهل لك الفنين .

فإذا أعطاك الفقيه « قاعدة فى أحكام المنفصل والمتصل في الحيوان ، ثم ذكرك إياها في باب الطهارة ، وفي باب البيع ، وفي باب الطلاق ، وفي باب العتاق وغير ذلك ، وجدت لذةً عظيمة في ضبطك لمسائل متفرقة وتتذكرها على فتات » .

وإذا أعطاك الشيخ قاعدة « اليقين لا يزول بالشك » ، ثم كررها عليك في باب الطهارة ، وفي باب الصلاة ، وفي باب الزكاة ، وفي باب الحج ، وفي باب النكاح، وفي باب الطلاق وغيره » .

وهكذا تمتلك ضوابط وقواعد وعلومًا متنوعة ، من خلال فقيه واحد في فن واحد .

ولا أريد الإطالة ، وإلا فالموضوع أخَّاذ ، والأفكار تتضارب أمامي والقلم جامح، ولكن الشرط هو « الإشارة لا الإطالة » .

[« مستفاد من الشيخ : المقرئ ملتقى أهل الحديث »] .

* * *

ابْدَأ بِكِتَابٍ مُخْتَصَرٍ مُعْتَمَدٍ مَشْهُورٍ عَلَيْهِ شُرُوحُ الْعُلَمَاءِ

إياك أنْ تبحث عن كتاب لم يُخدم من قِبلَ أهل العلم ، ولم يولوه عنايتهم ؛ لأنَّ طالب العلم لا يستطيع أنْ يفيد من كتاب لم يُشرح ولم يُحش ، ولم يعتنِ به أهل العلم .

فمثلا : زاد المستقنع في المذهب الحنبلي تخدمك الكتب التالية :

شروح الزاد : مثل الممتع ، والروض ، والسلسبيل ، وحاشيتي الروض .

وكذلك ترجع إلى الأصل وشروحه ولا يخفاك كثرتها ، فكل مسألة بإمكانك أن تأخذ الخلاف فيها الخاص والعام ، الخلاف في المذهب والخلاف المقارن دون أي عناء، كذلك لا تجد فيه عبارة منغلقة وغامضة ولا تستطيع فكها .

ولهذا لو أنَّ طالب العلم ، أراد أنْ يتخصص في كتاب « التسهيل » في المذهب الحنبلي للبعلي سترد عليه هذه العبارة « فإنْ وطئ امرأةً فولدت فأرضعت فهو ابن ذي النسب ، ولو لهما وإلا حرم عليهما » .

فقل لي : كم ستمضى من الوقت لفك هذه العبارة إن استطعت فكها ، مع أنها تأخذ ثلث الباب تقريبًا . فدراستك لكتاب اشتُهر وخُدم أنفع طريقة لفهمك .

[« مستفاد من الشيخ : المقرئ ملتقى أهل الحديث »] .

* * *

عدم التوسع في البحث

كثير من الطلبة يعمد إلى الكتاب ، فيجعله كمغني ابن قدامة مع أنه مبتدئ في العلم ، وهذا له آثاره التي قد لا يحس بها الطالب وإليك بعضًا منها ، وأرجو أن تتأملها وتقيسها على نفسك :

أ ـ طول المدة في دراسة الكتاب :

فتجده يمضي سنوات طوال ، وهو لم يخرج من كتاب العبادات ، والعلم يُنسي بعضه بعضًا ، فإذا ما ذهبتِ السِّنون ، فلا هو قد مسك ما حصَّله ، ولا هو قد أنهى ما بدأه ، فيدخل الملل عليه وعلى كتابه ، ولهذا يعمد إلى غيره ؛ ظانًا أنَّ الخلل في الكتاب ، وما درى أنَّ الخلل في طريقة دراسة الكتاب .

ب ـ فهم عبارة الكتاب فهمًا جيدًا :

كثير من الطلبة يسبح في تفريعات المسألة ، فتختلط عليه المسائل وهو لم يضبط أصلها بعد ، مما يسبب عنده كثير من التناقض في بعض المسائل ، فبسبب عدم فهم أصل المسألة ؛ تجده يستشكل مسائل أخرى في نظره ، أنها تدخل ضمن أصل مسألته بسبب عدم فهم المسألة الأصلية ، فالواجب على الطالب أن يحلل أوّلا عبارة المؤلف ويتأملها جيدًا ، ولا يذهب إلى غيرها إلا بعد معرفته ومقتضاها ودليلها .

وكم رأيت من يقرأ الممتع على الزاد ، فوجدته قد ضبط اختيارات شيخنا ، لكنه في الحقيقة لم يفهم المسألة الأصلية ، ولهذا إذا سألته أين ذكر الشيخ هذا الترجيح لم يجد إجابة !

ج ـ مداومة مراجعة المتن فقط ، ومحاولة فكِّ عباراته ومعرفة أدلته :

تعتبر هذه المختصرات من نِعَمِ الله على طلبة العلم ؛ إذ أنها تختصر الفقه في



وُريقات يراجع الطالب من خلالها آلاف المسائل الفقهية ؛ ولهذا من خلال هذا المختصر يستطيع الطالب أنْ يراجع مسائل الفقه بعد إتقانه لهذا المتن في بضعة أيام ، ولا شك أنه بعد سنوات سيكون هذا الكتاب قاعدة ينطلق بعدها إلى معرفة الراجح والمرجوح وأدلة الفقهاء .

وكم أثرت بي تلك الكلمة العظيمة من شيخنا ابن عثيمين ، ونفعني الله بها ، وذلك بعد أن تجاوز السبعين سنة :

سُئل أنَّ بعض الناس يقول : العلم في دراسة المسائل وفهمها والبحث في الأدلة ومعرفة الراجح ؟

فقال الشيخ كلامًا طويلًا في ردِّ هذا الكلام ، وأنه على خلاف هدي العلماء الكبار في البدء بالطلب ، ثم قال كلمة تكتب بماء الذهب : « **وها نحن ما بقي معنا إلا ما حفظنا مثل زاد المستقنع** » .

فهذه الكلمة من شخص مجرب ، وبلغ من العلم ما بلغ ، لا ينبغي أنْ تمر علينا مرور الكرام ، فكلنا يرجو أنْ ينال مثل ما ناله الشيخ من الفقه في الدين ؛ ولهذا انظر إلى نفسك، ابحث مسألة ولا تترك كتابًا إلا وارجع إليه ، واجلس فيها وقتًا طويًلا وأنت تتأملها ، حتى تُسوِّد فيها عشرين أو ثلاثين ورقة ، وبعد أسبوع واحد ولا أقول سنة واحدة ، لو قِيلَ لك اكتب ما في ذهنك في صفحة واحدة ، لما استطعت ، فكيف إذا كنت قد بحثت مئات المسائل ، مالذي سيبقى معك !

هذه المسألة أو المسألة الأخرى ؟!

الأمر ـ أحبتي ـ يحتاج إلى وقفة تأمل !

[« مستفاد من الشيخ : المقرئ ملتقى أهل الحديث »] .

* * *

محاذير وآفات الطلب

هناك محاذير يجب على الطالب تجنبها ، منها :

أ ـ يحذر في ابتداء أمره من الاشتغال بالخلافيات بين العلماء ، أو بين الناس مطلقًا في السمعيات أو العقليات ، فإنه يحير الذهن ، ويدهش العقل ، بل عليه أنْ يتقن أوّلا كتابًا واحدًا في فن واحد ، أو كتابًا في فنون إنْ كان يحتمل ذلك على طريقة يرتضيها له شيخه .

ب ـ يحذر في ابتداء طلبه من المطالعات في تفاريق المصنفات ، فإنه يضيع زمانه، ويفرق ذهنه ، بل يعطي الكتاب الذي يقرأه أو الفن الذي يأخذه كليته حتى يتقنه .

ج ـ وكذلك يحذر من التنقل من كتاب إلى كتاب ، أو من شيخ إلى شيخ من غير موجب ، فإنه علامة الضجر وعدم الفلاح .

أما إذا تحققت أهليته ، وتأكدت معرفته فأولى أنْ لا يدع فنًا من علوم الشريعة إلا نظر فيه ، فإنْ ساعده القدر وطُول العمر على التبحر فيه فذاك ، وإلا فقد استفاد منه ما يخرج به من عداوة الجهل بذلك العلم .

د ـ يحذر من تقديم المهم على الأهم ، بل الأهم ثم المهم .

هـ ـ يحذر من الغفلة عن العمل الذي هو المقصود بالعلم .

و ـ وليحذر من النظر إلى نفسه بعين الكمال ، والاستغناء عن المشايخ ، فإن ذلك عين الجهل ، وقلة المعرفة ، وما يفوته أكثر مما حصَّله .

وقد قال سعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ : « لا يزال الرجل عالمًا ما تعلم ، فإذا ترك



التعلم وظن أنه قد استغنى فهو أجهل ما يكون » .

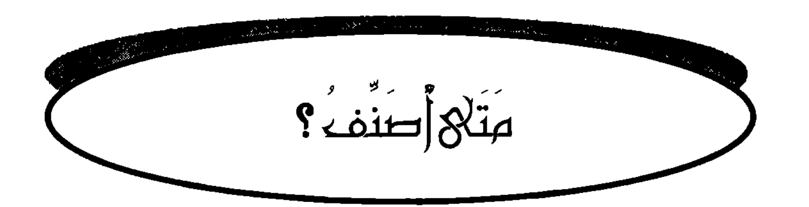
وقال ابن جماعة : « لا يستنكف أنْ يستفيد ما لا يعلمه ممن هو دونه ، بل يكون حريصًا على الفائدة حيث كانت ، والحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها» .

وكان جماعة من السلف يستفيدون من طلبتهم ما ليس عندهم . قال الحميدي ـ وهو تلميذ الشافعي ـ : « صحبت الشافعي من مكة إلى مصر ، فكنت أستفيد منه المسائل ، وكان يستفيد مِنِّي الحديث » . وصح رواية جماعة من الصحابة عن التابعين .

وعن وكيع ، وسفيان بن عيينة ، وأبي عبد الله البخاري قالوا : « لا يكون المحدث كاملا أو الرجل عالمًا حتى يُحَدِّثَ عمن هو فوقه ، وعمن هو مثله ، وعمن هو دونه » .

ز ـ وليحذر الاشتغال بالغرائب والشواذ من العلم . **قال عبد الرحمن بن مهدي:** « لا يكون إمامًا في العلم من أخذ بالشاذِّ من العلم » .

* * *



متى يتصدر للتصنيف والتأليف ؟

قال ابن جماعة (ت : ٧٣٣ هـ) : « فإذا كملت أهليته ، وظهرت فضيلته ، ومرَّ على أكثر كتب الفن ، أو المشهور منها بحثًا ، ومراجعة ، ومطالعة ، اشتغل بالتصنيف وبالنظر في المذاهب ، سالكًا الإنصاف فيما يقع له من الخلاف » .

وقال أيضًا : « والأولى أنْ يعتني بما يعم نفعه وتكثر الحاجة إليه ، وليكن اعتناؤه بما لم يُسبقْ إلى تصنيفه ، متحريًا إيضاح العبارة في تأليفه ، مُعْرِضًا عن التطويل الممل، والإيجاز المخل ، مع إعطاء كل مصنف ما يليق به » .

وقال الخطيب البغدادي (ت : ٤٦٣ هـ) : « وينبغي أن يفرغ المصنف للتصنيف قلبه ، ويجمع له هَمَّهُ ، ويصرف إليه شغله ، ويقطع به وقته . . » .

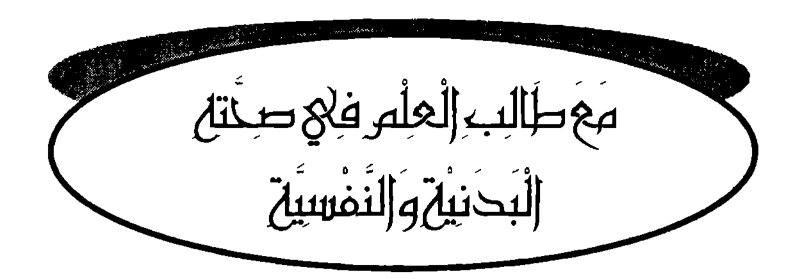
ثم قال : « ولا يضع من يده شيئًا من تصانيفه إلا بعد تهذيبه وتحريره ، وإعادة تدبره وتكريره » .

وقال أيضًا : « قلَّ ما يتمهر في علم الحديث ، ويقف على غوامضه ، ويستثير الخفي من فوائده ، إلا من جمع متفرقة ، وألف مشتته ، وضم بعضه إلى بعض ، واشتغل بتصنيف أبوابه ، وترتيب أصنافه ، فإنَّ ذلك الفعل مما يقوي النفس ، ويثبت الحفظ ، ويزكي القلب ، ويشحذ الطبع ، ويبسط اللسان ، ويجيد البيان ، ويكشف المتشبه ، ويوضح الملتبس ، ويكسب أيضًا جميل الذكر وتخليده إلى آخر الدهر » .

وقال ابن جماعة : « الاشتغال بالتصنيف والجمع والتأليف ـ لكن مع تمام الفضيلة وكمال الأهلية ـ يطلع على حقائق الفنون ، ودقائق العلوم للاحتياج إلى كثرة

التفـتيش ، والمطالعة ، والتنقـيب ، والمراجعة ، وهو كـما قال الخطيب البـغدادي : يثبت الحفظ ، ويُزكي القلب ، ويشحذ الطبع ، ويجيد البيان ، ويكسب جميل الذكر وجزيل الأجر ، ويخلده إلى آخر الدهر » .

* * *



لابد أن يهتم صاحب العلم بصحته البدنيـة والنفسية ، حتى يقوم بواجبه العلمي والعبادي والدعوي على أتم وجه .

إننا نعلم أن كـيان الإنسـان مكون من الجـسم والعقل والروح ، وأنَّ الجـسم هو الوعاء الذي يضم العقل والروح .

وجسم الإنسان مـتكامل متناسق ، مكون من مجـموعة من الأجهـزة المختلفة ، وهذه الأجهزة تتكامل في وظائفها ، وتتداخل في ارتباطاتها.

وإذا كان جـسم الإنسان سليـمًا تمكن من أداء وظيـفته ، ولذلك لابـد لصاحب العلم أن يحـافظ على أجـهزة جـسمـه المخـتلفة ، وأن يقـيـها الأخطار والأمـراض والآفات، وأن لا ينتظر حتى تنهكها الأمراض ، وتعطلها وتوقف عملها ، فمن المقرر أنَّ : « درهم وقاية خير من قنطار علاج » .

لابد لصاحب الـعلم أن يتعرف على نفـسه ، بأن يتـعرف على أجـهزة جسـمه المختلفة ، التي وهبهـا الله له ، ما هي تفاصيل أعضاء كل جـهازٍ ؟ وكيف يعمل كل جهـازٍ ؟ وما هي الأخطار التي تحـدق بكل جهـاز ؟ وكيف يتـلافى تلك الأخطار ؟ وكيف يحافظ على سلامة وحسن أداء ذلك الجهاز .

أجهزة الجسم السبعة :

كثيـرة هي الكتب العلمية الطبية الـتى تتحدث عن أجهزة الجـسم المختلفة وتبين أجزاء كلِّ جهاز منها ، وكيف يؤدي هذا الجهاز عمله .



وفي الآونة الأخيرة قام بعض الأطباء الإسلاميين المختصين ـ العارفين بتركيب الجسم الإنساني وأجهزته المختلفة ـ بتأليف كتب علمية طبية إسلامية ، تعرض هذه المعلومات من وجهة نظر إيمانية إسلامية ، وترينا آيات الله فيها ، وتدعونا إلى الإحساس بِنِعَمِ الله ، وإلى ذكره وشكره ، وإلى زيادة الإيمان به .

وفي مقدمة هؤلاء الأدباء الإسلاميين ، الدكتور محمد علي البار ، والدكتور حسان شمسي باشا ، والدكتور حامد أحمد حامد ، والدكتور عبد الرزاق الكيلاني.

وللتعرف على أجهزة الجسم السبعة ، تمهيداً لوقايتها من الأمراض ، أشير إلى كتاب الدكتور عبد الرزاق الكيلاني « الوقاية خير من العلاج » ، الذي طبعته له دار القلم بدمشق عام (١٤١٦ ـ ١٩٩٥) .

وأجهزة الجسم السبعة التي عرضها الدكتور الكيلاني ، وبَيَّنَ كيفية وقاية كلٍّ منها هي :

١ ـ **الجهاز الحركي** : ويتألف الجهاز الحركي في الإنسان من : العظام ، والمفاصل ، والعضلات ، وهذا الجهاز مغطى بالجلد .

٢ ـ **الجهاز العصبي** : هذا الجهاز هو « المشرف العام » على أعمال جسم الإنسان، سواء كانت هذه الأعمال إدارية كحركات الأطراف ، أو كانت لا إرادية كضربات القلب .

ويتألف الجهاز العصبي من : المخ ، والمخيخ ، والساق المخية ، والحدبة الحلقية، والبصلة السيسائية ، والنخاع الشوكي ، والعقد العصبية ، والأعصاب .

ومما يتصل بالجهاز العصبي الحواس الخمسة : حاسة السمع ، وحاسة البصر ، وحاسة الشم ، وحاسة الذوق ، وحاسة اللمس .

وهذه الحواس الخمس هي المنافذ التي يتصل بها الجهاز العصبي الداخلي ، مع المحيط الخارجي لجسم الإنسان .

٣ ـ جهاز الدوران : يتألف جهاز الدوران من : القلب ، والشرايين ، والأوردة، والأوعية الشعرية ، والدم .

وهذا الجهاز هو وزارتا الدفاع والمواصلات معا في دولة جسم الإنسان ، وتحت تصرفه أكثر من مائة وستين ألف كيلو متر من الأوعية الدموية ، يذهب فيها الغذاء والأوكسيجين إلى كل خلايا الجسم ، وتعود فيها الفضلات .

٤ ـ الجهاز التنفسي : يتكون الجهاز التنفسي من : الأنف ، والبلعوم ، والحنجرة، والقصبة الهوائية ، والرئتين .

وهذا الجهاز هو جهاز الإسعاف والإنعاش ، الذي يمد الجسم بما يحتاجه من الأوكسيجين ، ولا يستطيع العيش بدونه أكثر من دقائق معدودات .

٥ ـ الجهاز الهضمي : يبدأ هذا الجهاز بالفم ، وينتهى بالشرج ، مرورًا بالبلعوم، والمرئ ، والمعدة ، والأمعاء الدقيقة ، والأمعاء الغليظة ، ويلحق به بعض الغدد ، والكبد ، والبنكرياس .

ويمثل هذا الجهاز وزارتي الصناعة والتموين لجسم الإنسان .

٦ ـ الجهاز البولي : يتألف الجهاز البولي في الجسم من : الكليتين ، والحالبين ، والمثانة ، والإحليل .

هو جهاز تنظيف الجسم من الفضلات ، وهو لا يقل أهمية عن أجهزة الجسم الأخرى ؛ لأن أجهزة الجسم تختنق بالفضلات إذا تعطل هذا الجهاز .

٧ ـ الجهاز التناسلي : يتكون الجهاز التناسلى عند الرجل من الخصيتين ، والبربخ، والأسهر ـ القناة الدافقة ـ والحويصلين المنويين ، وغدة الموثة ، والإحليل الذى يشترك بين جهازى البول والتناسل .

ويتكون الجهاز التناسلي عند المرأة من : الرحم ، والبوقين الأيمن والأيسر ، والمبيضين الأيمن والأيسر ، وعنق الرحم ، والمهبل .

مهـمة هذا الجهاز هي حـفظ النسل البشري ، ولولاه لانقـرض الناس على وجه الأرض .

كتب تحدث عن الأجهزة ووقايتها :

يجب على صاحب العلم أن يتـعرف على أعضاء كلٍّ جهـاز من هذه الأجهزة ، وأن يتعرف على طبيعة عمل ذلك الجهاز ، وعلى التنسيق بينه وبين الأجهزة الأخرى، والتكامل بين عملها كلها لخدمة هذا الإنسان ، ليزداد إيمانًا بالله وذكرًا له ، وشكرًا له على ما أنعم به عليه .

كما يجب على صاحب العلم أن يتـعرف على الأمراض والأخطار والآفات التي تهدد كل جهاز ، وأثرها عليه ، وأن يتعرف على سبل الوقاية منها قبل أن تقع . من باب « درهم وقاية خير من قنطار علاج » .

وننصح صاحب العلم بالاطلاع الواعي على كتابين أساسين فى هذا الموضوع:

الأول : « رحلة الإيمان في جسم الإنسان ». للدكتور حامد أحمد حامد . وقد صدرت طبعته الأولى عن دار القلم بدمشق عام (١٤١١ ـ ١٩٩١) .

الثاني : « الوقاية خـير من العـلاج ». للدكتور عـبد الرزاق الكيـلاني . وقد صدرت طبعته الأولى غن دار القلم بدمشق عام (١٤١٦ ـ ١٩٩٥) .

هذه المعرفـة النظرية التي يحقـقها صـاحب العلم هى تطبيق لقـوله ـ تعالى ـ : ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات : ٢٠ ـ ٢١]

العقل السليم في الجسم السليم :

وهذه المعرفة تجعل صاحب العلم حريصًا على المحافظة على « صحة » جسمه ، وقايته من الآفات والأمراض .

إن الاهتمام بصحة جسم صاحب العلم واجب ؛ لأن جسمه ـ بأجهزته السبعة ـ هو الإداة والوسـيلة التي يحـقق به وظيفـتـه ، ويؤدي رسالتـه به ، يقـوم بالشعـائر

التعبدية، وبه يحقق التحصيل العلمي ، وبه ينتج الفكر والإبداع ، وبه يمارس الدعوة، وبه يستمتع بالحياة .

كيف يعبد صاحب العلم ربه بجسم مريض ؟ وكيف يفكر بعقل ضعيف ؟ وكيف يدعو بأجهزة معطلة ؟

إن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وكان رسول الله ﷺ كثيرًا ما يستعيذ بالله من العجز والكسل ، فيقول : « **اللهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ منَ الْهَمِّ والحَزَنِ ، وأَعُوذُ بكَ منَ العجزِ والكسلِ ، وأَعُوذُ بكَ مِنَ الْجُبْنِ والبخلِ ، وأَعُوذُ بكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ** ... » .

وصدق من قال : العقل السليم في الجسم السليم .

وصايا طبية للصحة البدنية :

وحتى يحافظ صاحب العلم على صحة جسمه نقدم له هذه النصائح والوصايا ، بشكل موجز ، وندعوه إلى قراءتها في الكتاب المجمل المفيد : « وصايا طبيب » للدكتور شمسي باشا ، الذي صدرت طبعته الأولى عن دار القلم بدمشق عام (١٤١٥ ـ ١٩٩٥) .

١ ـ تناول بضع تمرات في الصباح : التمر منجم غني بالمعادن المختلفة ، وعندما تتناول بضع تمرات في الصباح ، تحصل على فائدة عظيمة . ولمعرفة أهمية التمر ننصحك بقراءة كتاب « الأسودان : التمر والماء » للدكتور حسان شمسي باشا .

٢ ـ ابدأ نهارك بملعقة من العسل : العسل شفاء للناس بنص القرآن : ﴿ **يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ** ﴾ [النحل : ٦٩] .

وعندما تبدأ نهارك بملعقة عسل ، وتتبعها ببضع حبات من التمر يتشرب جسمك المعادن الموجودة فيهما .

٣ ـ احرص على أن تأكل من الحبة السوداء ـ حبة البركة ـ : ولو مزجت شيئًا

من العسل الصافي مع شيء من الحبة السوداء المطحونة ، وأخذت من ذلك معلقتين صباحًا ، أو مشروبًا ساخنًا لاستفدت فائدة عظيمة .

ومن أجود وأنفع الطعام أن تضع حبة البركة على صحن من اللبن ، ثم تغمره بزيت الزيتون .

٤ ـ عليك بالإكثار من استعمال زيت الزيتون في الطعام ، وهو أجود أنواع الزيوت ، وليست له أية أضرار جانبية ،وهو مفيد جدًا لجسمك .

٥ ـ لا تنس أن تأخذ كأسًا من اللبن على الأقل كلَّ يوم ، سواء كنت صحيًا أو مريضًا . لغناه بالمعادن ، ولا يوجد غذاء آخر يجزئ عنه ، أو يحل محله .

٦ ـ احرص على تناول السمك ، وليكن وجبة غذاء لك أسبوعيًا على الأقل . لأهميته القصوى لجسمك .

٧ ـ لا تكثر من أكل اللحوم الحمراء ، ولا تتوقف عن أكلها ، والتوسط والاعتدال في ذلك مطلوب . واحرص على أن تكون هذه اللحوم الحمراء خالصة من الشحوم والدهون .

٨ ـ لا تكثر من شرب القهوة والشاى ، حتى لا يتحول ذلك إلى إدمان ، والإفراط في شرب القهوة والشاي مضر لك . أمَّا الاعتدال في ذلك فهو مفيد .

وحتى يكون تناولك للقهوة والشاي معتدلًا ننصحك بما يلي :

أ ـ من المفيد تناولك فنجانًا من القهوة الحلوة عند الصباح .

ب ـ لا مانع أن تأخذ فنجانين من القهوة السادة بعد العصر .

جـ ـ جيد تناولك فنجانًا من الشاي عند الصباح ، وفنجانًا آخر بعد العصر .

د ـ لا تتناولِ الشَّاي أثناء الطعام ؛ لأنه ينقص امتصاص الحديد الذي في الطعام. وتناولِ الشَّاي بعد الطعام بساعة أو ساعتين .



هـ ـ لا تشرب الشاي أو القهوة بعد المغرب ، حتى لا تُصاب بالأرق عند النوم.

٩ ـ أَكْثِرْ من تناول الخضار والفواكه الطازجة في طعامك ، وحاول أن تستغني عن الأطعمة المعلبة والمحفوظة .

١٠ ـ أكثر من تناول ألياف الطعام ، والتركيز على المأكولات ذات الألياف كالسبانخ والفاصوليا ، والزهرة ، والملفوف ، والجزر ، والتمر .

١١ ـ حاول أن تأكل حبة تفاح طازجة في الصباح ، نظرًا لفائدة التفاح العالية ، وغناه بالمعادن والفيتامينات .

١٢ ـ الجزر من أكثر الخضروات فائدة لك ، لغناه بالبوتاسيوم والكاروتين ، فحاول أن تأكل حبتين من الجزر يوميًا .

١٣ ـ التزم بالسنة عند تناولك الطعام ، فلا تأكل إلا عندما تشعر بالجوع ، وعندما تتناول الطعام لا تصل إلى مرحلة الشبع ، وقم عن الطعام وما زالت حاجتك إليه موجودة .

وعليك بالقاعدة الذهبية : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع».

١٤ ـ حتى تستفيد من وجبة الطعام ننصحك بما يلي :

ـ لا تأكل الطعام وأنت متوتر الأعصاب ؛ لأن هذا مضر جدًا .

ـ كل طعامك باسترخاء وهدوء ، واستمتع وتلذذ بتناوله .

ـ ابدأ وجبة الطعام بالسلطة ، لتملأ المعدة ،وتشعر بالشبع .

ـ لا تشرب المشروبات الغازية أثناء الطعام ؛ لأنها تعيق الهضم ، وتزيد في الوزن ، واعلم أن الكأس الواحد من الكوكاكولا يحتوى على خمس ملاعق من السكر .



١٥ ـ احرص على وجبة الإفطار في الصباح ، وخذها باكرًا ،وتعود على ذلك، لأهميتها الضرورية لك ، وتخل عن وجبة العشاء ، فلا داعي لها . ولا تأكل شيئًا قبل النوم بساعتين على الأقل .

١٦ ـ تخلص من السمنة ، فإنها تزعجك وتعيقك وتؤذيك ، وتؤثر على مستقبلك العلمي والدعوي والفكري ، وتصيب جسمك بالعديد من الأمراض ، كارتفاع ضغط الدم ، والسكر ، وضيق النفس ، والذبحة الصدرية ، والدهون والكوليسترول في الدم ، وليكن وزنك دائمًا حول الوزن المثالي ، والوزن المثالي هو أن تطرح من طولك بالسنتيمترات رقم مائة . فمن كان طوله مائة وسبعين سنتمترًا مثلًا ،كان وزنه المثالي سبعين كيلوا غرامًا وقد يتسامح في ١٠ ٪ زيادة على ذلك الوزن المثالي ، أمَّا أكثر من ذلك فلا .

١٧ ـ قلِّلْ من الحلويات ، وحاول تجنبها ، لضررها المستقبلي عليك .

١٨ ـ دَعْ وجبات الطعام المعدة على الطريقة الأمريكية والغربية ، مثل الهامبورغر؛ لأنه مشبع بالدهون المضرة .

١٩ ـ ابتعد عن الدهون الحيوانية ، الموجودة في الشحوم وغيرها ، لضررها الأكيد عليك .

٢٠ ـ دوام على الرياضة لأهميتها القصوى لك ، ومارس بعض التمارين الرياضية ، وأهم رياضة لك هي المشي السريع باعتدال ، لمدة ساعة أو نصف ساعة على الأقل .

٢١ ـ ابتعد عن التدخين تمامًا ، ولا تدخن أبدًا ، فالضرر ناتج عن التدخين حتمًا ، وهو يعني الانتحار البطيء ، والموت المحقق ، والراجح أنَّ الدخان حرام .

٢٢ ـ أكثر من شرب الماء العذب لحاجة الجسم الماسة إليه ، ولا تخش من سلبيات ذلك .

٢٣ ـ نم باكرًا ، واستيقظ باكرًا ، واجعل معظم ساعات نومك في الليل ، بحيث لا تنام في الليل أقل من خمس ساعات ، ولا تنم بعد صلاة الفجر ، وتناول فطورك اليومي باكرًا .

٢٤ ـ إن أصبت بالأرق أحيانًا فلا تستعمل الحبوب المنومة لضررها عليك ، وحاول أن تتعرف على أسباب الأرق ، لتتخلص منه ، وأكثر من ذكر الله قبيل النوم لئلا تصاب بالأرق .

٢٥ ـ لا تكثر من استعمال الملح على الطعام لضرره عليك في المستقبل ، ولا تكثر من تناول الأطعمة الحارة ، التي يكثر فيها الفلفل الحار والفلفل الأسود والتوابل الحارة .

٢٦ ـ لا تكثر من تناول الأطعمة المقلية والسندويتشات ، وتناول الطعام الذي فيه الشوربات والمرق . واطبخ اللحوم طبخًا بدل أن تقليها أو تشويها .

٢٧ ـ احرص على إجراء الفحوصات الدورية باستمرار ، حتى لا تفاجأ بالمرض، مثل فحص السكرى ، وفحص ضغط الدم ، وفحص الكوليسترول ، وفحص التنفس ، وفحص القلب . وغير ذلك .

٢٨ ـ عندما تتعب استرح ، وأوقف نشاطك ، وعليك بالاسترخاء ، حتى لا تصاب بالإجهاد ، أو التوتر والانهيار .

٢٩ ـ ابتعد عن المحرمات والمعاصي ، ولا تستعمل حواسك في المعصية حتى لا يعطلها الله ، ويحرمك منها ، واستعمل أجهزة جسمك المختلفة في الطاعة ، ليحفظها الله لك ، وتجدها عندما تشيخ وتكبر .

٣٠ ـ وحتى تبقى على شبابك وتتغلب على الشيخوخة عندما يتقدم بك العمر ، فعليك باتباع ما يلي ـ إضافة إلى الوصايا السابقة ـ :

ـ لا تكثر من الملح والسكر والدهون والفلفل في الطعام .



ـ كُلِ السَّمك ، فهو أفضل لك من اللحم الأحمر .

ـ لا تغل الخضروات أكثر من اللازم لئَّلا تفقد قيمتها الغذائية .

ـ اشرب ما استطعت من الماء ، فالجسم يحتاج إلى لتر ونصف من الماء على الأقل .

ـ مارس الرياضة لتبقى على قوة البدن ، وأفضلها هو المشي .

ـ صادق الشباب ، واتصل بالناس ، لتشعر بالسعادة .

ـ حافظ على ابتسامك . وإياك والعبوس والتهجم ، ولا تقطب جبينك .

هذه وصايا ونصائح نقدمها لصاحب العلم ، ونرجوه أن يلتزم بها ما أمكن ، وذلك ليحافظ على صحة جسمه ، وليستطيع أداء مهمته .

وهذه الوصايا أخذناها من كتاب « وصايا طبيب » للدكتور حسان شمسي باشا ، وندعو صاحب العلم إلى اقتنائه وقراءته ، والالتزام بما فيه !! .

[مستفاد من « خطة براقة » للدكتور صلاح الخالدي] .

الْبَابُ الثَّانِي

مُحَاضَرَاتٌ مُخْتَارَةٌ

(١) وصايا في التحصيل العلمي للشيخ يوسف الغُفيص .

(٢) مفاتيح طلب العلم لعبد الكريم الخضير .

(٣) وصايا لطالب العلم للشيخ عبد الكريم الخضير .

(٤) هل سأكون عالمًا للشيخ الشريف حاتم بن عارف العوني



وصايا في التحصيل العلمي

للشيخ يوسف الغفيص

عضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

وصايا لطلاب العلم في فقه الخلاف

الوصية الأولى : التعظيم للنصوص ، نصوص القرآن ونصوص السنة :

فهذه هي أجل الوصايا : أن يكون الفقيه والناظر في كلام الفقهاء أعلى رتبة في عقله ونظره واستصحابه هي التعظيم للقرآن ، ولسنة النبي ﷺ ولهديه ، وأن يكون هذا الاستصحاب استصحابًا علميًا وإراديًا ، أي : أن يقصد في كلٍّ قول يصير إليه أو يعمل به أنه هو الموافق والأقرب إلى السنة والهدي ، وليس كمعرفة مجردة .

الوصية الثانية : التوقير لكلام الأئمة في مقام الخلاف المعتبر :

حتى لو رجحت قول فلان من الأئمة فلابد أن يكون لمن قوله مرجوح عندك قدر من التوقير ، وكلمة (التوقير) أخف من كلمة (التعظيم) ، ولذلك قيل في النصوص : التعظيم ، وأما في الأئمة فيقال : التوقير ، ومن قلة الفقه عند البعض أن يجعل هناك قدرًا من التمانع بين توقير الأئمة وبين تعظيم النصوص ، والأمر ليس كذلك لمن كان فقهه حسنًا منضبطًا .

الوصية الثالثة : فيما يتعلق بالتحصيل العلمي :

والتحصيل العلمي له مقامان :

المقام الأول : مقام التأصيل ، والتأصيل العلمي يكون بالمختصرات العلمية في العلوم الشرعية ، كالفقه ، والحديث ، والاعتقاد ، والتفسير ، والأصول ، أعني : أصول الفقه والقواعد ، وما إلى ذلك ، وهذه المختصرات متاحة وشائعة، وإن كانت



قد تختلف من بعض الوجوه ، كبعض المتون المختصرة في الفقه في مصر حنبلي تختلف عن غيرها في مصر شافعي .. إلخ ، وفي باب المصطلح كالنخبة مثلا ، وبعد ذلك المقدمة لابن الصلاح ، وفي النحو الآجرومية المشهورة عند الكثير اليوم ، وبعد ذلك ألفية ابن مالك ، وفي باب الاعتقاد كبعض المتون لشيخ الإسلام ابن تيمية أو لغيره من الأئمة ، وغير ذلك ، فهذا مقام التأصيل ، والكتب المسماة فيه مشهورة.

المقام الثاني : النظر والفقه بعد التأصيل ، فبعد أن يتأصل الطالب في مقدمات هذه العلوم وأوائلها يترقى إلى التفقه والنظر ، وليس إلى الاجتهاد ؛ لأن الاجتهاد رتبة متأخرة .

والمنهج الذي أراه في هذا الباب إذا انتهى من التأصيل : أن يعنى أولًا بحفظ القرآن ، وقد جرت سنة أهل العلم أنهم يبتدئون بحفظ القرآن مع معالجتهم لمسائل التأصيل ، فإذا تيسر له أن لا ينتهي من التأصيل إلا وقد حفظ القرآن ، فهذا هو الأصل، لكن إذا لم يستتم حفظ القرآن في مرحلة التأصيل ، فأول ما يبدأ به في مرحلة التفقه والنظر أن يستكمل حفظ القرآن .

ثانيًا : أن يكثر من النظر في كتب السنن والآثار ، فمن تيسر له قدر من الحفظ وكان يعرف من نفسه أن الله آتاه حفظًا فليجتهد في الحفظ ، وإذا كان الله قد أعطاه ذهنًا يستوعب استيعابًا عامًا ، فالكتب التي يقصد فيها إلى الاستيعاب هي الكتب التسعة ، مع مصنف عبد الرزاق ومصنف ابن أبي شيبة فيقرأ طالب العلم قراءة مستوعبة متأملة ، يقرأ صحيح البخاري وصحيح مسلم ، ثم يقرأ السنن الأربع ، ويعنى بسنن أبي داود كثيرًا ؛ لكثرة ما فيها من الأحكام ،ويقرأ موطأ الإمام مالك ، وسنن الدارمي ، ويقرأ مسند الإمام أحمد ، فيقرأ هذه الكتب كلها ، ولتأخذ عليه وقتًا من التأمل وكثرة القراءة لها ، بحيث يكون لديه قاعدة واسعة في سماع السنة ونصوصها . وعند قراءته لا يقرأ فقط ليحاول أن يحفظ بعض الكلمات ، وإنما

يحاول أن يقرأ بعقلية استيعاب وملاحظة للنظير مع نظيره ، فإذا مر بأثر أشار إلى معنى ، وإذا لفت نظرة حديث أشار إلى معنى ، فيبقى هذا المعنى في ذهنه ، وهذه قدرات يعطيها الله ـ تعالى ـ لمن يشاء ، وكلما كان الإنسان لديه قدرة أو ملكة أوسع استطاع أن يستفيد بها أكثر ، فتجد أنه يرتب على هذا المعنى آثارًا ، فيقول : وفي الباب ـ أحيانًا في الباب الفقهي ، وأحيانًا في الباب المنهجي ، وأحيانًا في باب قاعدة من القواعد ـ وردت أحاديث . . وهكذا . ومما ينبه إليه هنا : أن العلماء يقولون : فقه البخاري في تراجمه ، والإمام مسلم لم يترجم كما هو معلوم ، ولكنك إذا نظرت في ترتيب الإمام مسلم للروايات ؛ تجد أنه يذكر العام ويذكر بعده الخاص ، وإذا ذكر المطلق فإن كان في صحيحه في روايته ما يقيده ذكره ،وكذلك يذكر المجمل والمفصل وهكذا . فإذا كان قد قيل : إن فقه البخاري في تراجمه ، فإننا نقول : إن فقه مسلم في ترتيبه ، وهذا إذا تُؤُمِّلَ وُجِدَ أنه من أجود الفقه ، فإذا تأملت بعض كتب مسلم في صحيحه ـ وبخاصة كتاب الإيمان مثلًا ـ تجد أنه مرتب في طريقة الرد وطريقة التأصيل ، وفي ذكر مسائل التوحيد الأولى ، ثم ذكر ما طرأ من المخالفة لمسائل التوحيد ، ونحو ذلك فيما كتبه في كتاب الإيمان ، وفي غيره من كتب العبادات ونحوها ، وإذا ذكر مسائل الأدب فإنه يترقى من الأدب العالي إلى ما دونه . . وهكذا . هذا هو الفقه في الترتيب ، وهو مما ينبغي تأمله .

فلا ينبغي أن تكون القراءة قراءة لمجرد الجرد كما يقولون ، بل لابد أن تكون القراءة قراءة تأمل ، ومحاولة فى الاستيعاب ، ومحاولة ضم النظير إلى نظيره ، والالتفات إلى كلمات المعلقين وأهل العلم على الترمذى مثلا ، ومعرفة تفسيرهم لكلام الترمذى ، كقوله مثلا : وهذا عليه أكثر أهل العلم ، أو وفى الباب كذا ، وكذلك كلمات الإمام مالك فى موطئه وغيرهم من الأئمة . ثم بعد ذلك يقرأ قراءة استيعاب وتأمل مصنف عبد الرزاق وابن أبى شيبة ، ليعرف آثار السلف وآثار الصحابة ، وآثار المتقدمين الذين وجدت آثارهم فى هذه المصنفات .

ثم ينتقل بعد ذلك إلى القراءة في فقه المتـقدمين ، بحسب ما تيسر مما وصل إلينا من فقههم ، فيقرأ فى مسائل الإمـام أحمد ،ومعروف أن ثمة أجزاء في مسائل الإمام أحمد ، فيـقرأ في هذه الأجزاء ، وقد يقول قائل : ليس فيـها كل الفقه ، ولم تنظم تنظيمًا متكاملًا ، وما إلى ذلك ، وهذا صـحيح ، ولكنَّ المقصود من القراءة ليس أن يجمع آحـاد الفروع ، إنما المقصـود أن ينظر في طريقة الأئمة في الاسـتدلال ، وفي الحكم على المسألة ، وفي المنهج الذي ساروا عليه . . إلخ ، فيـقرأ قراءة فقه تطبيقي يقصد منه أن تكون عنده ملكة علمية ، فإنه بمثل هذا تصنع الملكة العلمية ، فيقرأ في مسائل الإمام أحـمد ، ويقرأ في المدونة ، وفي جوابات الإمام مـالك ، ويقرأ كتاب الأم للإمام الشافعي ، ويتأمل في قراءته للأم ليتـذوق لا ليحفظ الفروع التي قال فيها الشافعي رأيًا ، هـذا مهم لكنه ليس الأهم ، فإن الأهم في قراءة الأم ـ كـمثال ـ أن يحاول أن يتذوق التطبيق الفقهي عند الشـافعي ، وتطبيق الدليل على المستدل عليه ، وكيف يكون تطبيق الدليل اللفظي ، وكيف يكون تطبيق الدليل من المقاصد والقواعد العامة ، كذلك يعرف طريقته في مـحاجة الخلاف ، وما إلى ذلك . وكذلك يقرأ في كتب بعض المتقـدمين من الحنفية ، ومن ذلك كتاب الحجـة على أهل المدينة ، لمحمد بن الحسن الشيباني ، فإن فيه نوعًا من المجادلة العلمية الرفيعة العاقلة بين الحنفية وبين المتقدمين من المالكية ، وكذلك كتاب اختـلاف الفقهاء لمحمد بن نصر المروزي ، فإنه يعتبر من أوسع النـاس معرفة بخلاف المتقدمين ، وأضـبطهم في هذا ، فينبغي أن لا يستـغني عنه طالب العلم . وهناك بعض كتب الأجـزاء في بعض الأبواب ، ككتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام ، وكتاب القراءة خلف الإمام ، وهو جزء للإمام البخاري ، فيقرؤها ليعرف طريقة تعامل المحدثين في تطبيقات الفقه ، ويقرأ كذلك ما يؤصل في هذا الباب كرسالة الإمام الشافعي رحمه الله .

وننبـه إلى أننا لا نتكلم عن منهج علمي شـمولي ، إنما نتكلم عن منهج يتـعلق بالفقه ، حتى لا يقول قائل : أين كتب التفـسير ، وكتب اللغة ، وكتب أصول الفقه

وغـيرها . ومع أننا نتكلـم عن منهج فقـهي إلا أن لدي قناعـة بأن هناك أشيـاء في المصطلح العلمي ليست من الفقه ، ولكن لابد أن تُقـرأ من أجل الفقه ، وهذا ستأتي له أمثلة قريبًا ـ إن شاء الله ـ ، وبعد أن يَقـرأ كتب الحديث والأثر ، وكتب المتقدمين من الفقهاء ، يقرأ كتـب الفقه للمتأخرين ، أي : الكتب التي كتبها مـحققون كبار ، من الجوامع الفقهيـة العالية ، كالمغني للموفق ابن قدامة الحنبلي ، فـهذا كتاب جامع على مخـتصر أبـي القاسم الخرقي ، فـإن كتاب المغني ـ فـي الجملة ـ كتـاب خلاف مقارن ، وفيه ذكر للتطبيق الفقهي ، ولاسـيما أنَّ الموفق من أفقه العلماء المتأخرين ، حتى إنه نُقل عن شـيخ الإسلام ابن تيمـية أنه قال : « ما دخل الشـام بعد الأوزاعي أفقه من أبي محمد » ، فهو ممن عـلا كعبه في الفقه ، وقد نُقل عن أحد الحنابلة أنه قرأ المغني ثلاثا وعشرين مرة . والمقصـود من هذا كله أن يكون طالب العلم مستوعبًا للخلاف الـفقهي ، وهذا هو الأولى والأفـضل ؛ لأنه في نظري أن نصف الفـقه هو معرفة الخلاف ، فكل من كان أعلم بالخلاف ـ أعني خلاف المتقدمين ـ وأكثر استيعابًا له ، فـقد حـصَّل ـ إن أمكن التعـبيـر ـ مـا يقارب نصف الفـقه ، وذلك إذا ضـبط الأقوال، وعـرف رتب الأقوال ، وعرف ما هو الشـاذُّ ،وما هو الذي عليه الأكـثر ، وليس أن يعرف مجـرد أن هناك خلافًا ؛ بل إذا ضبط الخلاف مع مراتبـه فهذا نصف الفقه ، وقليل من يحفظه اليوم ، أو يحـاول السلوك إليه . وهناك كتاب المجموع في شرح المهذب عند الشـافعية ، ولكن المغني أوسع ، وإن كان من حـيث الترجيح في الجملة على المذهب الحنبلى . ثم عليه أن يُعنى بكتب التفسير ، ولسنا نتكلم هنا عن التفسير كتخصص ، لكن حتى صـاحب الفقه لابد له من فقه التفسير ؛ لأن الأحكام الفقهـية الشرعيـة مُحَصَّلة من الكتـاب والسنة ، ويقرأ في التفسـير ـ تحت هذا المعنى الذي هو المقصود الفقهي ـ يقرأ تفسير ابن جرير ، فقد جمع آثار السلف وأقوالهم في تفسـير القرآن ، ويقرأ في التنصـيص على الأحكام من التفسـير كتاب الجـامع للإمام القرطبي. ولا بـد أن يعرف أثر اللغة وأثر الملـكة العلمية في تحـصيل الاسـتدلال من

القرآن ، ومن أجود ما يقرأ في ذلك تفسير الطاهر ابن عاشور ، أو تفسير أبي حيان، مع أن تفسير الطاهر ابن عاشور أجمع وأجود . ثم بعد ذلك ينظر في الموسوعات العلمية ، وليس بالضرورة أن يكون هذا المصطلح مصطلحًا شائعًا ، والجوامع العلمية قد تكون في حقيقتها شرحًا لكتاب ، لكنها لثرائها العلمي أصبحت مليئة بالفوائد ، ولذلك فهي أعلى من كونها مجرد شرح ، فمثلًا : صحيح البخاري له كثير من الشروح العلمية، فبعضها على قدر من الاختصار ، فهذا يُسمى شرحًا ، لكن كتاب فتح البارى يعتبر أشبه بالموسوعة العلمية ، فهذا هو ما أقصده بالجوامع العلمية التي كتبها محققون في أبواب ، ومن أخصِّ مثالاتها : فتح البارى للحافظ ابن حجر ، والجزء الموجود في فتح البارى .

الوصية الرابعة والخاتمة :

بعد أن ذكرنا تعظيم النصوص ، وتوقير الأئمة ، فآخر ما يُذكر في الوصايا : هو قصد التوسعة على المسلمين في الفقه تحت قاعدة : الخلاف المعتبر ، والتوازن بين مراعاة الدليل وفقه المصالح ، فقصد التوسعة قصد شريف إذا ضُبِطَ بمراعاة الدليل ومراعاة المصلحة ، وقد سبق أن ذكرنا أن إشاعة بعض الأقوال فيه مفسدة وفتنة على كثير من العامة ، فلا يوسع على الناس فيما يقتضي الفتنة أو الفساد ، وإنما يوسع عليهم بما كان من الخلاف مُعتبرًا ،ولا ينافي ظواهر السنن ، وليس فيه مفسدة أو فتنة، فما كان من الخلاف لا يتأثر بذلك ؛ فإن التوسعة فيه هي الأصل الذي ينبغي أن يعمل به في الفتوى والاجتهاد . هذا ونسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه تسليمًا كثيرًا .

* * *

مفاتيح طلب العلم

د / عبد الكريم بن عبد الله الخضير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، أمَّا بعدُ :

ففي هذه الليلة المباركة في هذا المكان المبارك في بيت من بيوت الله نجتمع لنتدارس شيئًا مما لعله أن ينفعنا في طريقنا ومشوارنا الطويل في طلب العلم . وأخونا الشيخ المقدم الشيخ علي ـ حفظه الله ـ حكم على أمورٍ لم يتصورها بعدُ ، وحكم بجودتها ولمَّا يسمعها ، وهذا إحسانُ ظنٍّ منه ، أرجو أن أكون عند حسن ظنه . وهذا المكان الطيب المبارك يحمل اسم عَلَمٍ يُعدُّ من المجددين في التعليم ، حيث بذل عمره في تحصيل العلم وتعليمه ، وبسطه للطلاب فالشيخ محمد ـ رحمة الله عليه ـ بنُ صالح العثيمين ، الذى سُمي باسمه هذا المسجد ، زلَّل الطريق لسالكه ، سهَّل العلم لطالبه ، وكثير من طلاب العلم المتوسطين لا يجرؤون على قراءة بعض الكتب كزاد المستقنع حتى زلَّلَهُ ـ رحمة الله عليه ـ بطريقته وأسلوبه ، وبسطه وإيضاحه . ومثل هذا ما يَتَأَتَّى من فراغ ، فالتصور الصحيح الدقيق الواضح البيِّن لا يتم إلا بعد تصور صحيح دقيق ، والذى لا يفهم القاعدة على وجهها لا يستطيع أن يصورها لغيره على وجهها ، ففي هذا المكان الطيب المبارك نجتمع مع ثُلَّةٍ من طلاب العلم ، لنبين لهم ، وقد سمعوا من غيرنا الشيء الكثير في هذا الباب ، وما نقوله ما هو إلا شيء مكرر مما سمعوه من غيرنا ، وبعضه ألقيناه في مناسبات متعددة ، وأشرطة مبذولة ، لكن من الإخوان من لم يسمع مثل هذا الكلام . المفاتيح والمفاتح ـ كما هو معلوم ـ جمع مفتاح ، كالمساند والمسانيد ، والمراسل والمراسيل وتُقال بالياء وبدونها وهي عند أهل

العربية يسمـونها صيغة منتهى ، الجموع بـالياء وبدونها والذى فى القرآن من ذلك أو ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ [الأنعام : ٥٩] على كل حال الجمع بالـياء هو الشائع ، وهو جمع مـفتاح ، والمفـتاح هو وسـيلة الوصول إلى الشيء ، فالـذى يريد الدخول إلى المكان المحكم المغلق بدون مفتاح لم يدخل ، والأصل فيه المحسوس الذي في الجيوب وأطلق على المفتـاح المعنوي من باب الحقيقـة الشرعية والعـرفية ، وليس مجـازًا كما يقول البـعض ، وأعظم مفتـاح يملكه الإنسان مفـتاح الجنة « لا إلا إلا الله » هذا هو المفـتاح الذي يدخل به الجـنة ، لكن المفتـاح لابد له من أسنان ، فـإذا جاء الإنسـان بمفتـاح ليس له أسنان لن يدخل ؛ لأنه لن يفتح ؛ ولن ينفع ، فالمفـاتيح والمفاتح هي الطرق الموصلة إلى المراد ، والعـلم يُطلق لإزاء الجهل وهذا هـو المقصـود ، كمـا أنه يطلق قسيمًا للظن والشك والوهن ، وليـس مُرادًا هنا إنما يريد هنا ما يقابل بالجهل ، والعلم رفـعه من رفع يتـفاوت الدنيـا والأخرة : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة : ١١] ، والجهل ضـعف ، وكل واحد يطلب لنفـسه الرفعة ، ويرفع عنها الضعف يطلب رفعتها بالعلم ، ويرفع عنها هذا الضعف ، وهذا الوصف الذميم بالمثابرة والجد والاجتهاد لتحصيل العلم له مفاتح ومفاتيح منها المفاتح الغريزية التي ليس للإنـسان فيهـا يد ، وهذه يتفاوت فـيها الناس والأفراد ، كـالفهم والحفظ هم مـتفاوتون في هـذين الوصفين ولابد من الفهم والحـفظ لتحـصيل العلم الشرعي ، فالفهم وحده لا يكفي ، والحفظ وحده لا يكفي ، الفهم لابد منه : « من يُرد الله به خيرًا يفقهه في الدين » ، بحيث يفهم عن الله وعن رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ مرادهم ، وهذا هو الأصل في الفـقه الفهم : ﴿ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ [طه : ٢٨] ، يعني يفهموه ، إذن لابد من الفهـم ، كما أنه لابد من الحفظ ، والعلم الشرعي لا يقوم إلا على حفظ ، ويغـالط نفسه ويكابر من يعتمد على حـدٍّ زعمه على الفهم دون الحفظ ، والعلم قال الله ، وقال رسوله ، كيف يفهم كلام الله ولّما يحفظه ؟ نعم أهل العلم يقسمون العلـم إلى ما حصوله بالفعل ، وإلى ما حصـوله بالقوة قريبة من

الفعل ، ومن أعطاه الله الحافظة ، ومنحه هذه الخصلة لابد أن يكون عالمًا بالحفظ بأن تكون النصوص في ذهنه بحيث يعتمد عليها اعتمادًا كليًا ، ويستنبط منها ، ومن لا تسعفه الحافظة يكون من القسم الثانى ، وهو العالم أو الفقيه ، كما يقولون بالقوة القريبة من الفعل بأن يحرص على فهم كلام أهل العلم ، ويحفظ ما يستطيع ليبذل جهده ، ويستفرغ وسعه على حفظ ما يستطيع ، والذي لا يستطيع فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها .

فلا علم بدون فهم ؛ لأنَّ الاعتماد على الحفظ وحده دون فهم يصدق فيه ما يردده بعض الناس من قولهم بإيزاء من يحفظ : « زاد فى البلد نسخة » تكون البلد فيها نسخ كثيرة من هذا الكتاب ، وهذا يحفظ هذا الكتاب ، ولا يعاني فهمه هذا بمثابة زيادة نسخة ، وهذه العبارة وإن كان أصلها ومنشأها سببه التقليل من شأن الحفظ ، وقد راج قبل نصف قرن من الزمان ادعايات ضد في الحفظ حتى قال قائلهم ممن يزعم أنه يعاني تربية الجيل : « إن الحفظ يبلد الفهم » ، وأقول : لا علم إلا بفهم ، وأنتم سمعتم ورأيتم من يُعلم ومن يُفتي مع ضعف في حافظته ، أو عدم عناية منه بالحفظ ، سمعتم ما لا يعجبكم ، بخلاف من حفظ العلوم وعلى رأسها النصوص ، قال الله ، وقال رسوله ، فالذي يُفتي بالنصوص هذا نور من الله - جل وعلا - أما الذي ليس له نصيب من الحفظ يتخبط يمين وشمال بالأساليب الإنشائية ، يمضي الوقت لكن هل يقنع السامع لاسيما إذا كان السامع طالب علم ؟ لا . والساحة مملؤة من أمثال هذا ؛ لأنه فرق بين أن تسمع كلام عالم له عناية بالفقه بالعلم من أبوابه وله حفظ ورصيد من الحفظ من النصوص ، ومن أقوال أهل العلم، ولاسيما من أقوال سلف الأمة فيما يوضح به النصوص ، البون شاسع بين هذا وبين من لا يحفظ فلابد من الحفظ ، ولابد من الفهم ، فلا يكفي الحفظ وحده ، ولا يكفى الفهم وحده ، ولو كان الفهم كافيًا دون حفظ ، لرأينا من عوام المسلمين ممن يعُدون من أذكياء العالم ، وهم في أسواقهم من الباعة ، رأيناهم علماء ، وهم

يسمعون العلم ويسمعون الخطب ، ويسمعون الدروس في المساجد ، وهم مع ذلك لا يدركون شيء من العلم ، وهم على جانب كبير من الفهم ، فعلى هذا المفاتيح الغريزية هي الفهم والحفظ ، فإذا حفظ طالب العلم ما يريد حفظه من نصوص الكتاب والسنة ، ومن أقوال العلماء من المتون المعروفة عنده في كافة العلوم حرص على الفهم ، وكل منهما يعين على صاحبه ، فالفهم يعين على الحفظ ، والحفظ يعين على الفهم ، كيف يحفظ الطالب ما يريد حفظه ؟

ويحدد القدر المراد حفظه ، وهو أعرف بنفسه ، وأعرف بحافظته قوة وضعفًا فإذا كانت حافظته تسعفه لحفظ كثير فليستكثر ، وإذا كانت متوسطة فلا يُرهق حافظته، وإذا كانت ضعيفة ، فليتقسط العلم ، فمن الطلاب من لا يستطيع أن يحفظ في اليوم إلا آية أو اثنين أو ثلاثة ، ويضيف إليها حديثًا واحدًا ، ومنهم من يستطيع أن يحفظ في اليوم الواحد جزء من القرآن ، ويستطيع أن يحفظ مائة حديث ، وقد رأيت بنفسي طفلين هما شقيقان أحدهما فى العاشرة والثاني في الحادية عشرة يقول والدهم اختبر هذين حفظا القرآن وحفظا الصحيحين بالأسانيد ، والآن هما بصدد حفظ أبي داود والترمذي يوميًا ، يحفظان خمسين حديثًا عن سنن أبي داود بأسانيدها وخمسين حديثًا من سنن الترمذي بأسانيدها ، هذه الحافظة التي تسعف ، وبعض طلاب العلم يعاني من حفظها ، ويرددها حتى يُمسي وأصبح نسيها ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، ومثل هذا لا ييأس ، مثل هذا يعوض بالحرص والدأب على الطلب من غير انقطاع ، ومثل هذا لو لم يحصِّل علمًا ألبتة ، يكفيه أن يندرج في قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **مَنْ سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنة** » . وقد زاملنا بعض كبار السن ممن هو في الثمانين من العمر ، وهم يطلبون العلم ووجودهم في حلقات التحصيل منذ ستين أو سبعين سنة إنما هو مجرد ضعف .

والاندراج في هذا الحديث ، وإن هم سُئلوا ، سألهم شيخ فإذا هم لا شيء ،



ومثل هذا لا ييأس ، ألا يكفي الإنسان أن يسهل الله طـريقه إلى الجنة هذا يكفيه مثل هذا ، ولا شك أن مثل هذا جهاد فإذا أراد طالب العلم أن يحفظ ، فليبدأ بكتاب الله ـ جل وعلا ـ ، وإذا كانت الحافظة تسعفه فـلا يخلط معه غيره ، إذا كان يستطيع أن يحفظ القـرآن في ثلاثة أشهـر كما فـعل بعضهم ، ويمكن في سـتين يوم ، لكن من الشيوخ المعـروفين الآن منهم من حاول في ستة أشهر لكن إذا كـان يتمكن من حفظ القرآن في ثلاثة أشهر أو أربعة أو خمسة أشهـر أو ستة أشهر فمثل هذا لا يسلك معه غيره ليضمن حفظ القرآن وهذه طريقة المغارب التي أشار إليها ابن خلدون في مقدمته أنهم يبدؤون بـحفظ القرآن ، ولا يخلطونـه بغيره ليـضمنوا حفـظ القرآن ، وكم من واحد من طلاب العلم ممن أدخل العلوم الأخرى مع حفظ القرآن ، ثم طال به الوقت في حفظ القـرآن إلى أن وصل إلى حدٍّ قـد يأس فيه من حـفظ القرآن ، فـإذا ضمن طالب العلم حفظ القرآن سهل عليه ما عـداه ، وحفظ القرآن معين له في تحصيل كلٍّ علم شرعي ؛ لأنَّه أصل العلوم وأساسها ، والسنة إنَّما هي بيان له .

إذا حـدد القدر الذي يسـتطيعـه خـمس آيات عشـر آيات رددَّ هذا المقدار حـتى يحفظه، وليحـرص أن يكونَ في مكان مغلقٍ ليس بفسيح لئـلا يتشتت الذهن ، وإن كان في مكان كبير فليذهب إلى زاوية منه كـالمسجد ويحفظ ، وليحرص على الوقت المناسب للحفظ ، ومن أنسب الأوقات للحفظ ما قـبل صلاة الفجر ، فإن لم يستطعْ فبعد صلاة الفجر وقت هدوء ، فالوقت المناسب والمكان المناسب للحفظ مهم جدًا ، بُعض الناس من حرصـه يأخذ معه مـا يريد حفظه في أماكن الانتظار وهو قـاعد في المستشفى ينتظر الدور ، أو قاعد في أي مكان يحاول حفظها ، فهذا من ضياع الوقت حقـيقة ، لو اشـتغله في غيـر ذلك في مثل هذه الأماكن، أولاً الـعلم لا ينال براحة الجسم ، وينبغي أن يفرد له من سنام الـوقت ، أما مثل الوقت الذي أشرنا إليه وقت الانتظار مثل هذا يكون للعلوم التي هي أقرب للاستـجمام مثل كتب الأدب والتواريخ والرحلات والذكريات ، وهذه فيها عـلم لكن ليست بمثابة العلم الشرعي ، وما يعين

على تحصيل العلم الشرعي.

الفهم يحتاج إلى مكان فيه سعة إذا حفظ القدر المحدد هذا اليوم وكرره حتى يحفظه من الغد ينظر في المقدار هل هو قليل أ و كثير ؟ فإن كان كثيرًا قلل ، وإن كان قليلاً زاد ، يُعيد ما حفظه بالأمس خمس مرات قبل أن يبد بحصة اليوم ، فإذا ضمن أنه حفظه بدأ بحصة اليوم ، وقد تكون أكثر مما حفظه بالأمس ، وقد تكون أقل ، وقد تكون مساوية ، فيحفظها على الطريقة السابقة ، فإذا كان في اليوم الثالث يعيد ما حفظه في اليوم الأول أربع مرات ، وما حفظه في اليوم الثاني خمس مرات، ثم يشرع في حفظ النصيب الثالث لليوم الثالث ، وفي اليوم الرابع يعيد ما حفظه في اليوم الأول ثلاث مرات ، وما حفظه في اليوم الثاني أربع مرات ، وما حفظه في اليوم الثالث خمس مرات ، وهكذا ، وهذه طريقة مجربة ، وقد ذكرها بعض المتقدمين ، وطُبِّقت ، ووُجِدَتْ نافعة ، لكن ليحذر طالب العلم من الاندفاع وتكليف الحافظة فوق ما تطيق ، بعض الناس يسمع الحرص على العلم ، وماذا في فضله وفضل العلماء من النصوص ، ثم يندفع فل لماذا أحفظ خمس آيات أو عشر آيات لماذا لا أحفظ جزء ؟ ويُسمع من الناس من يحفظ الجزء ، ثم بعد ذلك يفتر بدب الملل ، واليأس إلى قلبه ؛ لأنه إذا حفظ مثًلا ورقة أو ورقتين والحافظة لا تتحمل فمن الأفضل أن يتوقف . نعم لا شك ، ثم يكرر ويعيد ، ولا يستطيع أن يحفظ الجديد ، ثم اليوم الثالث كذلك ، وهكذا ، ثم يدب اليأس ، ثم يمر شهر وما فعل شيئًا شيء ، وهذا مثله مثل المنبت الذي لا ظهرًا أبقى ، ولا أرضًا قطع . كثير من الطلاب يأتي متحمس ، ويحفظ في أول يوم مقدار كبير ثم من الغد يثقل عليه ؛ لأن العلم بطبعه ثقيل ، وقد وصف الله ـ جل وعلا ـ القرآن : ﴿ **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً** ﴾ [المزمل : ٥] ، والعلم كله ثقيل على النفس ، لماذا ؟ لأنَّه يوصل إلى الجنة ، والجنة حُفَّتْ بالمكاره فهل يستوي طالب علم مبتديء ما شرب قلبه حصة العلم ، هل يستوي طالب مبتديء يعاني حفظ متن من المتون ، وقد يكون في

عباراتها صعوبة وبين آخر شاب مثله في السن والظروف في استراحة وأنس مع إخوانه وأصدقائه ، فضلاً عن كونه يجاور ما يسمونه بفاكهة المجالس من الكلام في أعراض الناس مما حُفت به النار ، وخفف عن النفـوس ؟! فلنأتي على يقين ونيقن أنفسنا أننا في أول الأمر أننا سـوف نعاني من ثِقل الحمل ، وتجـد بعض الناس إذا لُوِّحَ له بأدنى قدر تركه اليوم ربيع به نزهة يقبل بسـرعة بعض الناس ، وبعضهم لأنه يدرك ما وراء هذا التحصـيل ، وما يوصله هذا العلم من مرضـاة الله ـ جل وعلا ـ وجناته ومنازله العُليـا يدرك ، ونقـول لابد في أول الأمر من جـهـاد النفس وجبـرها على شـدائد التحصيل ، ثم بعد ذلك إذا تجاوز هذه المرحلة مرحلة المجاهدة يبشر بالإعانة والتوفيق بحيث يأتي عليه يوم من الأيام فيستغرق جميع الوقت ـ إلا ما كان من وقت عبادة أو أكل أو نوم ـ للعلم والتـحـصيل ، وشـيخ من شـيوخنا مـا أدركناه في ليلة زواجـه أُشكلت عليه آية فنزل إلى مكتبته ليلة الزواج ومن تفسير إلى تفسير حتى أذن الفجر، الآن يصعب على طالب العلم أن يمسك كتاب ويقرأ ويجاهد نفسه في أن يمسك ورقة ويقرأ بدون حفظ ، في الـيوم الثاني يقرأ وفي اليوم الثـالث إلى أن يصل الحد إلى أن يقرأ في اليوم خمس عشرة ساعة وهذا موجود ومجرب ، والأمر يسير على من يسَّره الله عليه ، قد يقول قائل أنا طالب أو موظف أو طالب وقتي مستغرق في مدرسته ، أو في وظيفتـه نقول خذا الأمثلة في العلماء الموجـودين الأن ممن تجاوزوا المرحلة التي نسميها جهاد النفس ، عندهم دوام من الثامنة إلى الثانية ظهرًا ، وعنده نصيب وقسط وورد يومي من القرآن يصل ببعضـهم إلى أن يقرأ القرآن في ثلاثة ، وعنده درس بين المغرب والعشاء ، وعنده ارتباطات ولجان بعد العشاء ويزور المرضى ، يعود المرضى ، ويزور المقابر ، ويجيب الدعوات ، ويصل الأرحام قد يقول القائل : كيف عنده دوام من ثمانيـة إلى اثنين لكن متى ؟ هذا مـوجود ، لكن بعـد مجاوزة مـرحلة المجاهدة فعلى طالب العلم أن يعزم على نفسه وأن يحملها على تحصيل العلم وتحمل الشدائد، لكن بالطريقـة التى شرحناها بالتـدريج لا يأتى دفعـة واحدة ؛ لأن الذي يأتي دفـعة

واحدة ما يلبث أن ينصرف ، فإذا حافظ على الطريقة التي ذكرناها الكتاب الذي يريد حفظه متن من المتون في أي علم من العلوم ويحضر به درس من الدروس إلى أحد المشايخ ، إذا حفظ القدر المحدد خمسة أسطر ستة أسطر عشرة كيف يفهم هذا الدرس؛ لأنه لابد من الحفظ والفهم ، ذكر الشيخ عبد القادر بن بدران طريقة وهي طريقة ممتازة ، يقول : يجمع خمسة من الزملاء المتقاربين في الفهم ، ثم يقرأ كل واحد منهم ما حفظ ثم ينفرد كل واحد من الآخر فيشرح هذا المقدار قبل الرجوع إلى الشرح ، يشرحه من تلقاء نفسه على حسب فهمه هو ثم يجتمعون فكل منهم يقرأ شرحه ويتافسون ، الصواب معك إلى أخره ، ثم يقرأ الشرح من قبل أهل العلم وتصحح الأخطاء ، فإذا صُححت الأخطاء هل تعود إلى الذهن مرة ثانية بعد هذه الطريقة ؟ لا يمكن أن يعود الخطأ مرة ثانية .

الإشكال الذي يعانيه كثير من طلاب العلم أنهم حفظوا في بداية الطلب ، وبعض ما حفظوه فيه خطأ في اللفظ ، ومن ذلك بعض الأوراد والأذكار كثير من الناس حفظ في أول الأمر من غير مراجعة ، ثم بعد ذلك حفظ على خطأ ويصعب تصحيحه بعد حين لكن إذا كان التصحيح في وقته لسهل ، كثير من الناس أذكار الصلوات يقرأها خطأ وهو في صلاته ، الاستفتاح ، أذكار الركوع السجود يخطئ فيها الكثير حتى من طلاب العلم لماذا ؟ لأنهم حفظوا خطأ في السابق وبعضهم يحفظ على الأشرطة ، وبعضهم يحفظ تصحيف ثم يستمر خطؤه ، أقول إذا سمع هؤلاء الثلة وكل واحد قرأ منهم شرحه ، وصححوا الأخطاء بينهم اجتهاداً منهم ، ثم قرأوا الشرح من قِبَلِ أهل العلم الكتب المشروحة المخدومة ، ولذا يُوصى بالاهتمام بالكتب المخدومة ، أما الكتب الغير المخدومة التي ليس لها شروح ولا حواشي ولا تُدَرَّسُ في البلد فلا يوصى بها ، وإن كان فيها خير كثير ، فإنها تراجع لكن لا تكون أساس للتحصيل ، قد يقول قائل مثلا على سبيل المثال كافية ابن الحافظ في غاية الأهمية واهتم بها أهل العلم ، بل منهم من نذر نفسه عمره كله لتعليمها ، ونُسب

إليه ، لكن لو قال واحد : أنا لا أحتاج إلى البيقونية ، ولا إلى القطر ولا الألفية ، وأنا أحتاج إلى الكافية ، ولا يجد من يُدَرِّسُهَا ، وأشكل عليك شيء أقول على طالب العلم أن يُعنى بالكتب المخدومة ، ولا مانع من أن يراجع الكتب الأخرى ، لكن حفظ وأساس متين يبني عليه ؛ عليه أن يُعنى بالكتب المخدومة في بلده بعض الناس يترك الكتب المعروفة في البلد ، والتي تناولها أهل العلم وذَلَّلُوها لطلابهم وتداولوها ولا يصعب فيها شيء إلى كتب لا توجد عنده، بل موجودة في بلدان أخرى يعنون بها ، لكن قد يُشكل عليهم شيء لا يجدون له حَلاً ، هؤلاء الذين استمعوا وقرأوا شروحًا من قِبَلَ أهل العلم ونظروا في الحواشي ، ثم بعد ذلك حضروا الدروس ماذا بقي مما يستفاد من الشيخ ، بعدما صنعوه من حفظ وشرح ، وقراءة للشرح ، ومناقشة ، وقراءة للحاشية يذهبون إلى الشيخ ، وفي الغالب أن الشيخ إطلاعه على المسائل سواء كان بسعة اطلاع أو من كثرة تعليمه لا شك أنه يفوقهم فيها مع الانصات ، يحضرون الدرس عند الشيخ مع الإنصات والأدب ، وعدم الكبر ؛ لأن بعض الإخوان يقرأ الدرس قبل الحضور ، ثم يحضر الدرس عند الشيخ ، ثم إذا جاء الشيخ بالمبتدأ سبقه بالخبر مثل هذا لماذا يفعل هذا غالب الظن لكي يعلم الشيخ أنه حفظ وأن يعرف زملاؤه أنه يفوقهم ، وهذه حقيقةٌ مُرَّةٌ لا يُفلح معها الطالب ، وكذلك لا يُفلح الطالب إذا اعتمد على الدرس فقط ، فلا يعرف الكتاب إلا بالدرس ، فمثل هذا قَلَّ أن يُفلح ، وقد نَصَّ على ذلك أهل العلم لابد له من حفظ وفهم ، ومدارسة ، ومراجعة على الطريقة التي ذكرناها ، ثم يحضر الدرس ويسأل عما يُشكل عليه مجتنبًا في ذلك الأفة الكبرى العائقة عن التحصيل وهي الكِبْرُ والعُجْبُ ، وألا يستحي الاستفهام عما يحتاجه ، وعما لا يفهمه ، ولذا يقول مجاهد : « لا يتعلم العلم مستحي ، ولا مستكبر » ، فإذا حضر الدرس وناقش الشيخ بكل أدب واحترام طالبًا بذلك المعرفة لا يطلب بذلك التَّعالُمَ ، ولا يطلب بذلك التعجيل للشيخ ، وإذا قلت : إن الشيخ طرح بعض الأسئلة ، فأجاب

عنها كغيره من الطلاب فحسن ، ثم إذا انتهى الدرس اجتمع هؤلاء الإخوة وتناقشوا فيه ، ماذا فهمت من شرح الشيخ ؟ ما الذي زاد عندك بعد الدرس ؟ إلى أخره ، هذه تُسمى مذاكرة العلم ، العلم الذي يؤخذ بهذه الطريقة هو الذي ينفع ، وهو الذي يبقى بإذن الله ، والملاحظ على كثير من الإخوان أنهم لا يعرفون الكتاب إلا في الدرس ، وبعضهم لا يستحي لا من زملائه ، ولا من الشيخ أيضًا ، يترك الكتاب في المسجد إذا تأخر ليحضر به الدرس ، مثل هذا كما قرر أهل العلم قلَّ أن يُفلح ، فالعلم متين ويحتاج إلى معاناة ، وعلى طالب العلم أن يُعنى به ويهتم بشأنه ، ولا يفرط ، ولا يكسل ولا يستكبر على غيره ولا يستحي من طلبه ، فالعلم لا يناله مُستحى ولا متكبر كما أنه لا ينل براحة الجسم ، وسن التحصيل هو بداية الشباب ، ويبدأ من التمهيد يُبدأ بطلب العلم بالنسبة للطفل من التمهيد ، وحينئذ على المعلم أن يُعلم مثل هذا صغار العلم قبل كباره ، ولا يكلف الطالب فوق ما يطيق ، فكثير من الطلاب يطلب من الشيخ يقرأ عليه كتاب ، فإذا كان هذا الشيخ ناصحًا ـ وهذا هو الأصل فى أهل العلم ـ اختبره ، ثم قرر له ما يناسبه من الكتب ، وبهذا يستفيد الطالب ، ومن المعلمين من ينظر إلى حاجته هو يأتي طالب مثلا ، ويقول للشيخ أريد أن أقر عليك ، الشيخ في حاجة إلى كتاب ، هو نفسه فى حاجة إلى الكتاب ، يقول احضر كتاب كذا من غير نظر إلى مصلحة الطالب ، وهذا ليس من النصيحة ، بل النصيحة أن يُبدأ بالطالب بما يحتاجه هو ، وفيما يستطيعه ، فالطالب المبتدئ له كتب تناسب مستواه ، والطالب المتوسط له كتب تناسب مستواه ، والطالب المنتهى أيضًا له كتب تناسبه ، والمتعلم له كتب ، والعالم له كتب ، وأهل العلم ما قصروا ، بيَّنوا وصنَّفُوا الكتب ، ورتبوها على حسب المستويات المذكورة ، وسموها طبقات من الطبقة الأولى المختصرات شديدة الاختصار ، وفى كل علم من العلوم ما يناسب هذه الطبقة ، والمتوسطون لهم كتب أرفع من هذه ، وفى هذه الكتب المصنفة للمتوسطين ما يوجد في كتب المبتدئين الطبقة الثالثة لهم كتب تناسبهم ، وهى أرفع من كتب

المتوسطين ، وفي كتب هذه الطبقة من العلوم ـ وإن كانت الصياغة تختلف لتناسب إدراك هؤلاء ـ فيها من العلم ما في كتب المتوسطين والمبتدئين ، وقلَّ مثل هذا في كتب الطبقة الرابعة ، وكثير من المتعلمين ونحن في عصر السرعة يقول لماذا يُكرر العلم ، لماذا نقرأ كتاب مختصر جدًا ، ثم نقرأ كتاب أوسع منه فيه جميع الكتاب المختصر ، ثم نقرأ كتاب أوسع فيه جميع ما في الكتاب المتوسط ، وهكذا ، على سبيل المثال ابن قدامة ألف كتب تناسب طبقات المتعلمين : « العمدة » على قول واحد ، « المقنع » على روايتين ، « الكافي » فيه الروايات « المغني » فيه المذاهب ، لكن هل فى العمدة ما لا يوجد في المغني ؟ وهل « في المقنع ما لا يوجد في الكافي؟ » وهل في الكافي ما لا يوجد في المغني بعض الناس يقول هذا ضياع وقت، نقول : هذا ليس بعبث ، العلم الذى حفظته في الصغر ، وتكرر عليك مرارًا هذا هو زادك في المستقبل ، ولا أبعد عن الحقيقة إذا قلت : إن عمدتنا في العلم والتعليم على ما حفظناه في المعاهد العلمية ، وأقول هذا ، ويشهد به أيضًا كل من وصل وتخرج من الجامعة مثلا ، وقد درس في المعاهد ، يعني مرور العلم في الكليات الشرعية ما هو مثل مروره في أول التحصيل في المعاهد ، أيضًا في المراحل التالية العلم يمر مثل طيف الخيال ما لم يكن الإنسان متعمد البحث عن هذه المسألة ومراجع لها فى كثير من المراجع ، أما تقرأ قراءة فى القسم المتوسط ، مثلا مدرسة أسست تأسيس علمي متين ، وجُعل للمبتدئين الكتب المناسبة لهم ، وللمتوسطين كذلك ، يعني قرائتك للكتاب الأول وقد صادف القلب الخالي ، وتمكنت قرائتك للكتاب الثاني إن لم تكن مع عناية شديدة بهذا الكتاب ومراجعة عليه ، فإنها لن تكون بحال مثل قراءة الكتاب الأول ، وأقول مثل هذا في المرحلة التالية والتالية ، ومما ينافي بعضهم يقول : لماذا لا نقرأ في المرحلة الثانية زوائد هذا الكتاب على ما قرأناه سابقًا، وفي الثالثة زوائد الكتاب الثالث على ما قرأناه في الكتابين المتقدمين ، وفي المرحلة الرابعة نقرأ زوائد هذا الكتاب الكبير ، ونختصر الوقت والجهد ، العلم لا يثبت إلا

بالتكرار أنت قرأت هذه المسألة من زاوية تناسبك فى الصغير ، في المرحلة التالية قرأتها بشكل أوسع وبعبارة أعمق ، فى المرحلة الثالثة كذلك زيد في توضيحها ، وزيد أيضًا في الاستدلال لها وتعليلها ، تصور مثلا « العمدة » لابن قدامة هذه خالية من جميع الخلافات ما فيها خلافات ، ولا حتى في داخل المذاهب لكن فيها استدلال اعتمد في بناء المسألة على الدليل ، وهذه ميزة العمدة ، أما « الكفي » فقد توسعت مداركك الآن أخذت جملة من العلوم ما يشترط أن تقرأ في كتاب فقه فقط ، تقرأ في العلوم كلها ، توسعت مداركك في العلوم بحيث تقدر تستوعب أكثر من قول ، فألف لك « المقنع » على روايتين كانت بحاجة إلى هاتين الروايتين ، فإذا قرأت هذا الكتاب وراجعت شروحه وحضرت به الدرس ورجَّح لك الشيخ إحدى الروايتين من خلال الدليل فتختلف قراتك لهذا الكتاب عن الكتاب الأول ، وقل مثل هذا فيما يجمع جميع الروايات « كالكافي » مثلا توسعت مدارك الطالب لما وصل إلى هذه المرحلة ، وقل مثل هذا إذا وصل إلى مرحلة « المغني » وفيه المذاهب بأدلتها فيخطئ من ينادى بعدم تكرار العلم اختصاراً وقل مثل هذا فيمن يطالب باختصار الكتب ، ويقول نحن في عصر السرعة ، البخاري سبعة ألاف وخمسمائة حديث ، والبخارى بغيره المكرر الثلث فقط ، لسنا في حاجة إلي الثلثين ، فبدلاً من أن نقرأ البخارى في سنة نقرأ البخاري في ثلاثة أشهر أو أربعة ، ولسنا بحاجة إلى التكرار ، نقول : لا يا أخي كيف تعتمد أولاً على اختصاره بنفسك ، واختصار الكتب من قِبَلِ طالب العلم نفسه من أعظم وسائل التحصيل ومن أعظم المفاتيح للعلم ؟ نأتي إلى صحيح البخاري الذي ينادي كثير من الناس باختصاره ؛ لأنه لسنا بحاجة إلى حدثنا حدثنا ، والتكرار لهذا الحديث عشرين مرة ، هو الحديث إذا قرأنا المتن ، نقول : لا يا أخى أن تؤهل نفسك أن تكون عالم تؤهل الطريق للأمة بكاملها ، وتفتي الأمة بحق ، ما يكفيك هذا ، إذا أردت أن تختصر فاختصر لنفسك ، وليكن الأصل هو ديدنك ، ولا يخاطب بهذا الطالب المبتدئ ، لكن يُخاطب به من يطالب باختصار الكتب بقول

لماذا تقرأ في صحيح البخاري ؟ المسألة مسألة متن الذى يهمنا المتن النبوي نقول كم يفوتك من علم باقتصارك على المختصرات ، اختصر لنفسك إن أردت ، فتبدأ بالصحيح ، وتقرأ الترجمة الكبرى ، كتاب كذا ، ثم الترجمة التي تليها باب كذا، هذه الترجمة التي ترجم بها البخاري هذا فقهه ، وبه يتمثل فقه السلف ، فقه أهل الحديث ، فإذا أتيت إلى الحديث في الموضع الأول ، وقرأت ترجمة البخارى ، واطلعت على ما ساقه البخاري من آثار موقوفة ومقطوعة عن الصحابة والتابعين في توضيح هذه الترجمة كلام مفيد تستغنى عنه وتقتصر على المختصرات ! المختصر من وجه نظره ؛ رأى أنك لست بحاجة إلى ما ذكر ، لكن أنت قد تكون بأمَسِّ الحاجة إلى ما حذفت ، فإذا قرأت الترجمة ، وفهمت فقه البخاري ، ثم فهمت فقه السلف الذي دعَّمَ به البخاري فقهه ، ثم أتيت إلى الحديث المرفوع بسنده ، وأنت بحاجة ماسَّةٍ إلى معرفة رجال الصحيح ليوفر لك الجهد إذا مَّر عليك هؤلاء في كتاب لم تلتزم صحته ، أنت عندك حديث في سنن أبى داود ما تدري هو صحيح أو غير صحيح ،لكن تعرف أن هؤلاء الرواة من رواة الصحيح ، مرُّوا عليك ، وأنت تدرس صحيح البخاري ، لكن لو اقتصرت على المختصر ما استفدت ، إذا ما حذفت الحديث الأول بهذه الطريقة ثم ذهبت إلى أطرافه والحمد لله الكتاب مخدوم الحديث الأول خرج فى سبعة مواضع ، فارجع إلى هذه المواضع انظر تراجم البخاري على هذا الحديث ، واستنباط البخاري لهذا الحديث ، وهذا فقهه ، استنبط من الحديث فوائد كثيرة جدًّا ، ودعَّم هذه التراجم ، ودعَّم هذا الفقه بفقه السلف من الصحابة والتابعين ، وأردفه بالحديث المرفوع ، ولا يمكن أن يكرر البخارى حديثًا بإسناده ومتنه فى موضعين إلا نادراً ، يعني في عشرين موضع فقط ، يعنى خمسة آلاف حديث مكررة ما فيها ما كرره البخاري بإسناده ، ومتنه إلا عشرين فقط ، وأما البقية فلا يكرر حديث إلا لفائدة ، سواء كانت في متنه أو فى إسناده ، ولو في صيغ الأداء، فنجده أحيانًا يقول عن فلان وفي الموضع الثانى يقول حدثنا فلان ، فطالب العلم

بحاجـة ماسـة إلى معرفـة هذه الأمور ، إذا كـان يريد أن يكون طالب علم بحق إذا انتهـيت من اختـصار البـخارى على هذه الطريقـة ، أنت الآن اطلعت على المواضع السبعة واقتصرت على أوفاها وصار علمك بما حذفه المختصر كعلمك بما أثبت ، هذه من أعظم وسائل التحصيل العلم يحتـاج إلى معاناة وحفر في القلوب ، يقول طالب علم هذه طريقة البخارى وحده ، تحتـاج إلى سنة ، نعم تحتاج إلى سنة ، ليس بكثير على البخـاري أن يُدرس في سنة ، ليس بكثيـر على البخاري أن يُصـرف فيه العـمر فضلاً عن سنة إذا انتهيت من الحـديث الأول ، الحديث الأول من وافق البخاري على تخريجه إذا أردت أن تدرس الكتب الستة في آن واحد ، أو تقول الآن أدرس البخارى وإذا انتهيت منه انتقل إلى مسلم الأمر إليك لكن إذا أردت أن تدرس الكتب الستة في آن واحد ولا تستكثر أن تصـبر عليها خمس سنوات ، والمسألة مفتـرضة فيمن ضمن حفظ القرآن ، والقـرآن أيضًا يحتاج إلى شيء من المعـاناة لفهمه وتدبره ، ومـراجعة التفاسير الموثوقة عليه ومعرفة إعرابه وبيانه ، وما ورد في تفسيره من أحاديث وأقاويل سلف هذه الأمة ، القرآن يحتـاج إلى معاناة لكن نحن نمثل الآن بالحديث ، إذا درس البخاري وحـده والأمر إليه يأتي إلى مسلـم فما خرجه البـخاري ، وعندي أن طالب العلم المتأهل للاختـصار يبدأ بالكتب الستة ، فإذا عرف الحـديث الأول في الصحيح وجمعه فى مواضعه السبعة ، واقـتصر منها على أوفاها ، وذكر التراجم كلها ، وذكر أقاويل السلف المدعومة لهذه التراجم ، واقـتصر على أوفى المتون ، وعرف ما حذف كمعرفته بما أثبت وأبقى ؛ ينظر من وافق البخـاري وخرَّج هذا الحديث كمسلم مثلا، ويصنع في هذا الحـديث عند مسلم كـما صنع في البـخاري ، ويشيـر إلى ذلك في صحيح مسلم إلى أن هذا الحديث تمت دراسـته ويأخذ من الزوائد زوائد العلم النبوي علم الحديث في صحيح مسلم ويضيفها إلي ما دوَّنه فى مختصره للبخاري ، ويقول: زاد مسلم كذا ، وفي الأسانيد كذا ، وفي المتون كذا ، وفي صيغ الأداء كذا ، ترجم عليه شُـرَّاحُ مسلمٍ بكذا ؛ لأن مـسلم ما ترجم الكتاب وهذه من أفـضل الطرق التي

يُدْرَسُ بها علم الحديث حتى يستوعب البخـاري ومسلم ، ثم ينظر فيمن وافقهما من أصحاب السنن ، ويفعل به ، ويصنع معه نظير ما صنعه في الصحيحين ، ولا ينتهي من الكتب الستـة بهذه الطريقة إلا وعنده كتاب فى عـشرة مجلدات مثـلا فيه الكتب الستة بـكاملها من غير تكرار بطريقـته هو ، وبالمعاناة يرسخ العلم وينحـفر العلم فى قلبه ، أما مرور الكرام مجرد قراءة سريعة أو اعتماد على مختصرات أخرين ومن أراد أن يعرف حقـيقة ما أقول فليقـارن بين صحيح البخاري وبين مخـتصراته في باب من أبواب الدين الأخـيرة فى الصحـيح الفتن والاعتـصام وغـيرها يجد هذا الـكتاب من الصحـيح يشتمل على مائتى حـديث ، مثلا من مائة وخـمسين ترجمة هى مـن فقه البخاري واستنباط البخاري ، ويجـد من الآثار الموقوفة على الصحابة والتابعين الشيء الكثير ، بـينما لو راجع المختصر وجـد خمسة أحـاديث فقط ، أو ستة أو سـبعة أو عشرة بدون آثار وبدون تراجم ، فكيف يُعتمد على كتب لهذه ؟ كون الطالب يختصر لنفســه بهذه الطريقة يحـفظ الكتاب بكاملة وهذه الطريقـة قراءة الكتاب عشـر مرات طريقة مجـربة والاختصار يسلكه أهل الـعلم ويقربون به العلوم ، وهو نوع من أنواع التكيـيف لكن لا أنفع لطالـب العلم من الرجـوع إلى الكتـاب الأصل ، نعم لطالب العلم أن يختصر لتحصيل العلم ، كيف يفهم طالب العلم مثلاً النحو أو أصول الفقه يعنى مع حـضور الـدروس ؛ لأن حضـور الدروس لابد منه ، ولذا المقـرر عند أهل العلم أن من كان علـمه من كتـابه كان خطؤه أكثـر من صوابه ، إذا أردت أن تدرس علم الأصول مثـلا وتحفظ به درس تأتي إلى هذا الكتاب الذي يشرحـه الشيخ وتحفظ منه المقدار الذي يريد الشيخ شرحه ثم بعد ذلك تعمد إلى شرحه ، فتحفظه ، افترض أن الدرس في مختصـر الروضة للطوسي أو في مختصر التـحرير وهما من أمتن كتب الأصول وأمتـعها ، لكن قد يقـول قائل كيف يكون مختـصر التحرير مـاتع وفيه من التعـقيب ما فـيه ؟ نقول : اقـرأ ، وافهم وتجد المتـعة ، تأتي إلى الكتـاب مختـصر التحرير مشروح بأربعـة مجلدات ، صفحات كل مجلد ستمائة وسبـعمائة صفحة ،

صفحات الكتاب بما يقرب من ثلاثة آلاف صفحة ، أنت إذا كررت بالقدر الذى يشرحه الشيخ ، وهو خمسة أسطر مثلا ، وقرأت الشرح ، وانتقيت من هذا الشرح ما يحل لك ، ويفك لك العبارة خمسة أسطر يمكن أن تشرحها في صفحة ، ثم الدرس الثاني ، والثالث ، والرابع إلى أخره .

إذا انتهيت من الكتاب ، فإذا عندك شرح لمختصر التحرير قدر نصف مجلد وأنت تقرأ فى هذا المختصر تذكر ما حذفته ؛ لأن ما تحذفه من العلم لن تتركه من دون فهم، كيف تستغني عنه وأنت ما فهمته ؟ إثباتك له بعد فهمه واستغنائك عنه بعد فهمه لأنك لو تركته من غير فهمه لقد يكون هو من أشد ما تُمس إليه الحاجة، فإذا انتهيت من هذا الكتاب على هذه الطريقة مع حضور الدرس نقش الكتاب في قلبك ، وقل مثل هذا في مختصر الروضة ، وقل مثل هذا فى العلوم الأخرى ، فالاختصار وسيلة من وسائل التحصيل ، ومفتاح من مفاتيحه .

بعض الناس سمع هذا الكلام وقال إنه يتعارض مع ما يفعله بعض الأخوة الذين نسأل الله ـ جل وعلا ـ أن يكتب لهم أجر هذه السُّنَّة ، وأجر من عمل بها الذين يحصلون السُّنة ويقتصرون على مختصراتهم هم ، ويُقرِءُونها الطلاب ويحفظونهم إياها ، ويقولون : إن طريقتك التي تذكر فيها استدراك أو قدح ، لا ، أبدًا مَنْ حفظ وأراد أن يحفظ في أقصر مدة هذا يعينه على الطريقة التي ذكرت ، لكن الإشكال فيمن أراد أن يقرأ المختصرات ، ولا يرجع إلى المطولات ، فأنت تقرأ على الطريقة التي ذكروها ، البخاري من دون تكرار ، ثم زوائد مسلم ، ثم زوائد أبي داود ، وهكذا ، هذه الطريقة إذا حفظت على طريقتهم ومنهجهم يبقى عندك أساس متين تبني عليه هذا العلم العظيم ، ولا يُغنيك هذا عن الطريقة التي شرحتُها ، كما إن الطريقة التي شرحتها في ظلها حفظ ما تريدون حفظه ، إلا أنهم يريدون ذلك في أقصر مدة ، والطريقة التى شرحناها قد تطول بها المدة ، لكن مع ذلك لابد لطالب العلم منها ، أيضًا العلوم الأخرى يفعل بها هكذا ، ولابد أن يكون طلب العلم على

الجادة المشروحة عند أهل العلم ، أما الذي يحاول أن يجدد أو يبتكر وما زال في مرحلة الطلب ، فمثل هذا يتخبط ، العلماء سنُّوا هذه الطرق ، وهذه الطبقات التي نظموها ، والكتب التي رتبوها ، فأنت تقرأ على الجادة ، وتأخذ العلم عن أهله ؛ لأنه دين ، فانظر عمن تأخذ دينك ، ولابد أن يكون علمك وهو دين مقرونًا بالإخلاص لله ـ جل وعلا ـ ؛ لأن العلم لأنه من أقرب الطرق الموصلة إلى الله ـ جل وعلا ـ أيضًا هو مذلة قدم ، وليس فيه شخص يريد أن يمسك العصا من المنتصف ، إما أن تكون ممن رُفع درجة ، أو تكون أول من تسعر به النار يوم القيامة ، فلابد من الإخلاص ، وليحذر طالب العلم من العوائق والصوارف لاسيما ما يتعلق بآفات الطلب كالعجب ، بعض الطلاب يهبه الله ـ جل وعلا ـ حافظة أو فهم بحيث يفهم قبل زملائه ، وزملاؤه يطلبون من الشيخ الإعادة ، وهو لا يحتاج إلى ذلك ، ثم يتلفت تلفتًا مُعجبًا بنفسه ومزدريًا لإخوانه .

وَالعُجْبَ فَاحْذَرْهُ إِنَّ العُجْبَ مُجتَرِفٌ أعمالَ صَاحِبِهِ فِي سَيْلِهِ العَرِمِ

كذلك الكِبْرُ ، الكِبْرُ من أعظم الصوارف عن تحصيل العلم الشرعي ، وهاهنا طرفة : عبيد الله الثقاف مُفتى حضرموت توفي قبل نصف قرن ، يقول في رسالة له فى العلم والتعليم : قرأت في بعض الكتب ممن يلمز شيخ الإسلام ابن تيمية بالكبر، وحاشاه من ذلك ، يقول : هذه ليست عصبية ؛ لأن الرجل ـ وهو عبيد الله بن الثقاف ـ ما هو من المغرمين بشيخ الإسلام المعجبين به إعجابًا تامًا ، إنما هو يرجع إليه الفضل الكبير ، لكن عنده شيء بما يقرره شيخ الإسلام ـ رحمة الله على الجميع ـ لكن يقول : يستحيل أن يجتمع مثل هذا العلم ، وأن يكون القرآن على طرف لسانه، وأسلة بنانه ، وهو عنده شيء من الكبر ، والله ـ جل وعلا ـ يقول : ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾ [الأعراف : ١٤٦] فلا يتعلم العلم مُستحي ، ولا مستكبر يبدأ بالعلم بالأهم المهم

وَبالمُهِمِّ المهمِّ ابدأ فتدركُهُ وقدِّمِ النَّصَّ والأراءَ فاتَّهِمِ



لابد أن تبدأ بالمهم بالأهم ، ثم الذى يليه ، وبالمناسبة هناك قصيدة في الوصية بالعلم وطلبه ، ووصية بكتاب الله ، وسنة نبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، وهى مغفول عنها لا أرى لها ذكر أو كثير ذكر بين طلاب العلم ، وهي الشيخ حافظ بن أحمد الحكمى ـ رحمة الله عليه ـ اسمها « القصيدة الميمية في الوصايا والأداب العلمية » وهذه من أبدع ما نظم في هذا الباب ، فعلى طالب العلم أن يُعنى بها، أيضًا يُعنى بالعلوم الأخرى ، فعليه أن يبدأ بكتاب الله ، وسنة نبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ والعقيدة من مظانها ، ومن أهلها ممن سلك المسلك الصحيح وانتهج نهج السلف الصالح ، وأيضًا في الفقه ، وما يخدم ذلك من المفاتيح التي يُسمونها علوم الآلة كعلم العربية بفروعه العشرة ، ولا يكفي أن يتعلم الطالب شيء من علم النحو، ويهمل العلوم الأخرى ، كما هو الشائع الآن بفروعه علوم القرآن ، وقواعد التفسير، أصول الفقه ، علوم الحديث .

أيضًا يستجم ويستفيد ويعتبر بقراءة كتب التواريخ والأدب وأيضًا الكتب الأخرى وهناك أشرطة في ذكر هذه الكتب في العلوم التي أشرنا إليها سُميت « كيف يَبني طالب العلم مكتبته » ، وفيه خمسة أشرطة موجودة بالأسواق ، وفيه اختصار شديد، والمسألة تحتمل من الوقت أكثر من ذلك ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أسئلة :

س١ : هل يبدأ المبتدأ فى التفسير بتفسير الجلالين أم ماذا يأخذ ؟

ذكرنا في مناسبات كثيرة وفى الأشرطة التي ذكرناها أنَّ المبتدئ يبدأ بتفسير الشيخ فيصل بن المبارك ، واسمه « توفيق الرحمن لدروس القرآن » ، ثم يثنى بتفسير الشيخ ابن سعدي ـ رحمه الله ـ ، ثم بعد ذلك يقرأ فى تفسير الجلالين عليحذر ؛ لأن فيه من المخالفات العقائدية ما فيه ، وهو تفسير متين يصلح لأن يدرس في المساجد، ويمرر عليه طلاب العلم مع بيان ما عليه من ملاحظات .

س٢ : ماذا تنصح بمن حفظ القرآن وأراد أن ينتقل للمتون وبأى علم أو بأى فن أو بأى متن ؟

من حفظ القرآن وضمن ذلك رزقه الله ومنحه الله ـ جل وعلا ـ هذه المرتبة العلية السنية لا يخلو إما أن يكون ممن يحتمل التعدد والتنويع وهذه تناسب كثير من المتعلمين ، بعض الطلاب يناسبه أن يقرأ في أكثر من فن في آن واحد ؛ لأنه لا يتشتت ذهنه ، وهو مع ذلك أيضًا ملوم لو قيل له اقرأ في علم واحد ، والزم علم الحديث إلى أن تنتهي ، ثم انتقل إلى غيره يمل ، فمثل هذا إذا كان لا يتشتت في تنويع العلوم مثل هذا يُنصح بأن يقرأ العلوم أكثر من فن في آن واحد ، ليس معنى هذا أنه في ساعة واحدة أو في مجلس واحدة أكثر من فن ، يخصص مثلا أول النهار لفن ، ثم يليه فن ، ثم بعد صلاة الظهر فن ، ثم بعد صلاة العصر فن ، وهكذا، بعض الناس لا يحتمل مثل هذا إذا قرأ في أكثر من كتاب تشتت ، وعنده صبر وجَلَد على أن يمسك الكتاب بالطريقة التي ذكرناها مثل هذا يقال له ابدأ بعلم واحد ، فالناس يتفاوتون منهم الملول ، ومنهم الصبور والدؤوب ، وكل يسلك ما يناسبه .

س ٣ : نحن طلاب جامعة من خارج المنطقة وإذا اشتغلنا بدروس المساجد انشغلنا عن دروس الجامعة وإذا اشتغلنا بدروس الجامعة انشغلنا عن دروس المساجد فكيف نجمع بينهما أم إن الأفضل أن نكتفي بدروس الجامعة ؟

هذه الجامعة لا تخرج على أن تكون جامعة شرعية ، فدروسها تخدم دروس المسجد ، ودروس المسجد تخدم دروسها ، ولا يتفوق فى الجامعات في الكليات الشرعية إلا طلاب المسجد ، أما إذا كانت الكليات غير شرعية من علوم الدنيا مثلا من طبٍّ أو هندسة أو غيرهما ، مثل هذا يُعنى بما هو بصدده وهو مأجور على ذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ بالنية الصالحة ، ومع ذلك يقرأ ما يناسبه من الكتب التي ألفت لأمثاله بالأساليب المبسطة ؛ لأن طلاب العلم لهم أساليب يمُرن عليها كل أهل العلم، وإذا قلت إن الكتاب كلما كانت عبارته أدق وأصعب وأعمق كان تأثيره في طالب

العلم أقوى ، هؤلاء طلاب العلم الشرعى لابد أن يمرنوا على هذه الكتب ، إذا أقيم دورة علمية وأحضر مشائخ وأقول لهؤلاء المشايخ دراسوا مؤلفاتكم كما وجد في بعض الدورات ، نعم مؤلفات هؤلاء المشايخ على دلالتهم وعلى عظم قدرهم وعلى نفع مؤلفاتهم ، مؤلفاتُهم أُلِّفت بأسلوب مناسب لهم ، المجالس يرشف الشاى يقرأ هذه الكتب وهو جالس ، لكن طلاب العلم هذه الكتب التي أُلِّفت له ليكون طالب العلم قد تأهل لفهم ما فوقها وليكون طالب العلم إذا انفرد في بلد من البلدان ليس عنده من يسأله ولا يحل له إشكال يستطيع بنفسه أن يحل الإشكالات ، وعلى كل حال أُلِّفت كتب بأسلوب العصر تناسب طلاب العلم غير الشرعي .

س : ما رأيك في الدروات التي تقام لحفظ الصحيحين بعد حفظ كتاب الله ـ تعالى ـ ؟ وهل حفظ الأسانيد مهم في هذا الوقت بعد حفظ هذه الكتب ؟

على كل حال حضور الدورات التي يُحفظ فيها كتب السنة لا شك أنه فتح ، وكان الناس على يأس تام من حفظ هذه الكتب إلى أن سُنَّت هذه السُّنة ، ويذكر بعضهم أنه بدأ بشرح زوائد البيهقي من يتطاول على قراءة البيهقي قبل وجود هذه الدورات أو المستدرك أو غيرهما من الكتب ، يعني إن جئت عندهم يقرأ الأربعين والعمدة والبلوغ والمنتقى وتقرأ كتب السنة الكتب الستة فحضور هذه الدورات فى غاية الأهمية مع التطبيق الذى ذكرناه فإذا اجتمع هذا وهذا ضمنا أن هناك من طلاب العلم من سار على الدرب الذي يوصله ـ إن شاء الله تعالى ـ بالشرط الذى ذكرناه وهو الإخلاص لله ـ جل وعلا ـ ، ومن أعظم وسائل تحصيل العلم تقوى الله ـ جل وعلا ـ ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، فالعلم بالعمل من أعظم وسائل تحصيله والذي لا يتقي الله ـ جل وعلا ـ ولا يحقق هذا الشرط في نفسه هذا لا يُحصل العلم ، ولو جمع من المسائل والأحكام ما جمع ، فإن هذا ليس بعلم شاء أم أبى ، وإن قال الناس إنه عالم ، فلا علم إلا بالتقوى ، يحمل هذا العلم من كل خلفٍ عدوله ، العلماء استشهدهم الله ـ جل وعلا ـ على وحدانيته وإلوهيته ، فكيف

يكونوا ممن يتصدى لأعظم شهادة لأعظم مشهود لـه وهو ليس بأهل له ، وليس بكفيءٍ يخالف الأوامر ويرتكب النواهي ، هذا جاهل ، وليس بعالمٍ ، العلم الذي لا يورث الخشية لله ـ جل وعلا ـ ليس بعلم .

والحصر في الأية صريح ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾[فاطر : ٢٨] ، وفي قوله ـ جل وعلا ـ : ﴿ **إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ** ﴾[النساء: ١٧] المعنى هذا أن التوبة خاصة بالجهَّال الذين لا يعرفون الأحكام ، ولو عرف الحكم أن هذا حلال وحرام وارتكبه هو جاهل ، كل من عصى الله فهو جاهل ، فالتقوى هي المحقق للوصف الشريف وهو العلم ، وهي من أعظم ما يعين على تحصيله وتثبيته ، فعلينا أن نعمل بما نعلم ، وعلينا أن نطبق ، وأن نكون أسوة وقدوة في أفعالنا وأقوالنا .

س : كيف يجمع طالب العلم بين حفظ المتون ومراجعتها ومراجعة القرآن الكريم ؟

لا حلَّ إلا بهذه الطريقة لابد أن يجمع بين مراجعة القرآن ، وأن يجعل له ورد من كتاب الله ـ جل وعلا ـ لا يفرط فيه سفرًا ولا حضرًا ؛ لأن الذي يقرأ على التيسير والتسهيل إن تيسر له وقت قرأ وإن لم يتسير له الوقت لم يقرأ مثل هذا لن يقرأ ، بعض الناس يترك قراءة القرآن إن حضر قبل الإقامة أخذ المصحف وقرأ ، هذا لا يقرأ ، ولابد أن يُجعل ويُفرغ للقرآن وقت كافي ، جاء الأمر بقراءة القرآن بسبع ، اقرأ القرآن بسبع ، وتنفيذ هذا الأمر لا يكلف شيئًا تجلس بعد صلاة الصبح منتظرًا انتشار الشمس في كل يوم وتقرأ القرآن في ساعة وهذا لا يعوقك عن أمر من الأمور، لا من أمور الدين ، ولا من أمور الدنيا .

س : هل يجوز أن يختبر الطالب شيخه ؟

كيف يختبر الطالب شيخ ؟! أولاً : الطالب عليه أن يقصد من الشيوخ من يغلب على ظنه أنه يفيده وينفعه ، ويكفي في مثل هذا الاستفاضة ، وسؤال الأعلام

أما الطالب فكونه يختبر الشيخ هل هو وصل إلى مـرحلة أن يختبر ما عند الشيخ من العلم ليـقرر هل يصلح لـيأخـذ عنه العلم أو لا يحصـل ؟ هذا مثل تكليف العـامي بالاقتداء بالأعلم حقـيقة لن يصل العامي بنفسه إلى مـعرفة الأعلم ، وإنما يكتفي في مثل هذا بالاستفـاضة بين الناس أن فلان تبرأ الذمة بتقليده يسأله امـتثالا لقوله ـ جل وعلاـ ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [النحل : ٤٣]

وصايا لطالب العلم

الشيخ : عبد الكريم بن عبد الله الخضير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين أمَّا بعد :

ففي اللقاء السابق تحدثنا عن فضل العلم وأهميته في حياة المسلمين ، وما جاء من النصوص في فضل العلماء ، وشدة الحاجة إليهم ، وأنه لا يَستغني عنهم إلا من استغنى عن الدين ، فكما أنه لا يَستغني عن المزارع إلا من استغنى عن الدنيا ، فكذلك لا يَستغنى عن العلماء إلا من استغنى عن الدين ، وبيان ذلك أننا لو اقترضنا بلدًا لا عالم فيه يُفتي الناس ويعلمهم ما يجب عليهم ، ويبين لهم ما نزل إليهم ، ولا يقضي بينهم ويحل مشاكلهم وخصوماتهم لما وُجِدَ الفرق بين المجتمع المسلم وغيره ، والعلماء مُثِّلُوا بالمصابيح ، وأبو بكر الأَجُرِّيُّ في أخلاق العلماء صوَّر ذلك تصويرًا دقيقًا بليغًا بحيث لو وُجِدَ جمع من الناس يسيرون في ليلة شديدة الظلام فى وادٍ مسبع فيه سباع هوام ، والظلام شديد فلا يدري الإنسان من أين يُؤتى ؟ أيُؤتى من تحته ، أم من بين يديه ، أم من خلفه ؟ هذه حية تنهشه ، وهذا سبع يقضمه ، ثم جاءهم من معه مصباح أضاء لهم الطريق حتى أخرجهم من هذا الوادي ، وهذا مثل العالم الذي يبين للناس كيف يسيرون إلى الله ـ جل وعلا ـ كل طريق يمكن قطعه بدون دليل ، وإن احتفت به المخاطر إلا هذا الطريق الموصل إلى الله ـ جل وعلا ـ فلا يمكن قطعه إلا بواسطة أهل العلم ، فالذى يزهد فى أهل العلم لا سيما من رشح قدمه وعرف بالعلم والعمل لا شك أنه يزهد في الدين ، ونرى مع الأسف في بعض المنتديات ، وفي بعض المجالس ، وفي بعض المحافل من أخذ راحته في أعراض أهل العلم ، وهذا لا شك أنه يقلل من قيمته ، ومن شأنه ، فإذا كان العلم

في هذه المكانة وإذا كان العلماء بهذا الثقل ، فلابد لهم من وُرَّاثٍ ، وهم طلبة العلم الذين يحملون عنهم العلم ، وهم أنتم وأمثالكم و ـ الحمد لله ـ الأمور تبشر بخير رغم ما يوجد من ظلام حالك على وجه الأرض ، لكن يوجد و ـ لله الحمد ـ منارات توجه الناس وترشدهم على الجادة ، ويوجد أيضًا فيمن يحمل هذا العلم عن هؤلاء العلماء جلة ، وفيهم كثرة ـ ولله الحمد ـ ، وعلى الجادة كان الأمر قبل سنين في الغالب مجرد عواطف ، وإن وُجد محاضرة عامة عاطفية تهيج المشاعر اجتمع الناس لها ، وإذا وُجد العلم الصحيح الأصيل قال الله وقال رسوله على الجادة المعروفة عند أهل العلم لا تجد إلا النذر اليسير ، والآن ـ ولله الحمد ـ بالعكس يوجد الطلاب في حلقات التعليم بالمئات بل بالألوف في بعض الأحيان ، وهذا يبشر بخير ، وهذه رجعة إلى المسار الصحيح في التحصيل ، ولست بحاجة إلى أن أبين لكم ما ورد من النصوص فى فضل العلم ، ومن ذلك ما سمعناه في قراءة إمامنا ـ جزاه الله خيرًا ـ : **﴿ فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾** [التوبة : ١٢٢] ، وهذه الجامعة العريقة تمثل تطبيق هذه الآية ، فمن كل بلد من بلدان المسلمين نفر طائفة قلوا أو كثروا ، والطائفة تطلق على الجماعة كما تطلق على الواحد ، فهذا فيه امتثال لهذا التوجيه الإلهي ، ولم يُؤمرِ النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالاستزادة من شيء إلا من العلم كما قرأ إمامنا في الركعة الثانية قول الله ـ جل وعلا ـ **﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾** [طه : ١١٤] ، وجاء في الحديث الصحيح عن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **مَنْ يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين** » ، ونحتاج من هذا أن نوضح المراد بالفقه في الدين لا كما يفهمه بعض الناس الذين صبت عنايتهم إلى معرفة الأحكام من الحلال والحرام ، وهذا في غاية الأهمية في حياة طالب العلم لكنه باب من أبواب الدين ، وأهم منه ما عُرف عند علماء الأمة بالفقه الأكبر المراد بالفقه في الدين هنا الفقه فى الدين من جميع أبوابه ، ولذا لما سأل جبريل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان فى النهاية فى أخر الحديث قال:

«**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**» ، فالفقه في الدين هو العلم بالدين بجميع أبوابه، فإذا كان بعض أبواب الدين مهملاً بين بعض المتعلمين ، فعليهم أن يلتفتوا إليه إذا كانت الأبواب التي كانت في غاية الأهمية من سلف هذه الأمة التي تدعو طالب العلم إلى العمل بعلمه كانت محل عناية أهل العلم من المتقدمين أمثال الرقاق الحِكم والاعتصام وغيرها من أبواب الدين التى تدعو طالب العلم وتحته على العمل بعلمه ، فهى كالسياط تسوقه سوقًا إلى العمل بما تحمله من علم الحلال والحرام .

في اللقاء السابق ذكرنا بعض المعالم والمنارات التى قد يستضيء بها طالب العلم، وفي مناسبات كثيرة ذكرنا بعض العوائق التي تعوق عن التحصيل ذكرنا أيضًا مفاتيح تفتح الآفاق أمام طالب العلم ، وفي نقل عن سفيان بين عينية ـ بمناسة المفاتيح ـ وقفت عليه بالأمس ، يقول سفيان : « أول العلم الاستماع ، ثم الفهم ، ثم الحفظ، ثم العمل ، ثم النشر » .

أول العلم الاستماع :

يُصغي لا بد أن يصفى طالب العلم إلى شيخه ، ومع الأسف يوجد من طلاب العلم وهذا يظهر جليًا في التعليم النظامي تجد طالب حاضر عندك ، وأنت تشرح في كتاب الله وكلام الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو ينظر في كتاب أخر ، مالك يا فلان منصرف ؟ قال : والله في المحاضرة التى تلي هذه ، هل هذا عذرَ لأَنْ ينصرف طالب العلم عن العلم الشرعي ، هذا ليس بمبرر وتجد الأسوأ من ذلك بعض الطلاب يحضر كتب لا علاقة لها بالعلم ، وأحيانًا تجد ـ وإن كان على قلة وندرة ـ فى الكليات الشرعية الجرائد هذا لا شك أنه يبعث على الأسف في صفوف المتعلمين ، لكن لا نجد مثل هذا فى دروس المساجد ، وحِلَقِ العلم ؛ لأنهم جاءوا برغبة خالصة للتحصيل ، وقد يوجد من ينشغل بجوال مثلاً ، وهذا ليس من الأدب فى حِلَقِ التعليم ، فينشغل بجواله ، ويشغل النغمات والرنات ، هذا أيضًا على طالب العلم أن يجتنبه ، وأن يستمع لشيخه ، ويهتم ما هو بصدده عن تحصيل هذا العلم الذي

جاء بصدده ، وتفـرغ وتكلف العناء من أجله يستمع ، فأول العلم استـماع ، وفرقٌ بين الاستماع والسماع ، فالاستـماع مع القصد الاستماع والفهم لما يلقى من أجل أن يثـبت في الذهن ويرسخ ، وأمـا مجـرد مرورِ الـكلام على السامع مـن غيـر قصـد للاستماع هذا لا يجدي شيئًا ، ولذا يقول أهل العلم فى سجدة التلاوة يسجد المستمع دون السامع ، ولذا لو مررت وأنت في طريقك ومر بجـوارك سيارة ثانية ، وصاحب السيـارة شغل على الأغانى ، ورفع عليـها فسمـعت هذه الأغانى لا تُلام ، تُلام إذا استمعت ، أمَّا مجرد السماع ومروره على أذنك من غير رضًا به فلا تُلام على ذلك، إنما عليك أن تنكر ، لكن كونك تؤاخذ بأنك سمـعت الغناء فلا تؤاخذ ، فأول العلم الاستماع ، فـعلى طالب العلم أن يصغي لشيخه ، وما يلقيـه ، ثم الفهم إذا استمع إلى الشيخ ، وذكر الشيخ جملة من الجـمل هذا الطالب بحاجة إليها ؛ لأنه من العلم الذي تفـرغ من أجله ، هل فهم هذه الجـملة ؟ الشـيخ مطالب بأن يكرر هذا الكلام حتى يحفظه ويُفهم ، فكان ﷺ إذا تكلم تكلم ثلاثًا حتى يفهم عنه ، فالشيخ يكرر، هذا واجبه بإسلوب ، وإن لم يفهم بإسلوب آخـر ليتمكن الطالب من الفهم بإسلوب ثالث لئلا يمل الطالب بتكرارها بحروف واحدة ، لكن واجب الطالب الفهم ، وظيفة الطالب الفهم عن الشيخ ، إذا فهم من أول مرة ـ الحمد لله ـ ، ما فهم فالمرة الثانية، الثالثة ؟ مـا فهم بعد ذلك يطلب من الشيخ أن يفهـمه ويوضح له وكثيرًا ما يسـتثبت طلاب العلم في حلقات العلماء السـابقين مع كثرتهم يستثبت بعـضهم من بعض فاته كذا ، خفي عليه كذا ، غفل عن الجملة كذا حتى يفهمها ، إن لم يفهمها من الشيخ فهمها من زميله ، ثم الفهم ، ثم الحفظ .

إذا راجعت بعد أن اسـتمعت وبعد أن فـهمت أحفظ ؛ لأن الاستـماع ثم الفهم يعين على الحفظ ، ولذا يوصي بعض العلمـاء أن يُحفظ القرآن مع التفـسير من أجل أنك إذا فهمت سهل عليك الحفظ ، فيصعب على الإنسان أن يحفظ كلام لا يفهمه.

دعونا من مرحلة الصبا ؛ لأنه تجاوزنا مرحلة الصـبا ، فيمن مرحلة الشباب وفي

مرحلة الفـهم الآن ، فإذا فهم الطالب المقطـع الذى يريد حفظه ، سهل عليـه حفظه ومع ذلك يستـعين بيمـينه إذا لم يستطع إن يحفظ مـن أول مرة بعد أن يفـهم مرتين ثلاث ، والناس يتفاوتون في الفهم ، بعضهم بطيء الحفظ أيضًا ، فإذا كان من النوع البطيء الحفظ بعـد أن يفهم عليـه أن يستعين بيـمينه ، يكتب هذا المقطع مـرة مرتين ثلاث من أجل أن يحفظ والكتابة عن قراءة القطعة عشر مرات ، وهذا مجرب ، فإذا فهم ، ونفرض في التفـسير مثلاً عنده خمس آيات راجع تفـسير هذه الآيات الخمس فى تفسير موثوق به فى تفسير ابن كثير ، وتفـسير ابن كثير أحيانًا يتشعب بك بسبب كثرة الروايات ، وكـثرة الطرق ، فتتـشوش أنت نشوش من الكثرة اخـتصر الكلام ، فأنت مع فهمك للقرآن يسهل عليك حفظه ثم بعـد ذلك إذا اختصرت ما يتعلق بهذه الآيات الخمس من تفـسير ابن كـثير أو مـن غيره من التـفاسيـر ، إذا كنت لا تحسن الاختصار فعليك بالمخـتصرات أمثال تفسير الشيخ فـيصل بن المبارك « توفيق الرحمن لدروس القرآن » ، خـلاصة ولب للتفاسـير الأثرية الثلاثة لابن جرير ، والـبغوي ، وابن كثير ، هذا خلاصتها يستفيد منه طالب العلم في فهم القرآن وإن كان لا يستغني بها عن غيره بعـضهم يرى أن قراءة كتب التفسيـر تعوق عن مواصلة الحفظ لكن لابد من الفهم ، نعم الصـحابة كيف يتعلمـون القرآن ، لا يتجاوزون عـشر الآيات حتى يتعلموا ما فيـها من علم وعمل ، فتفهم وتحفظ ، ويسأل عما يشكل منهـا فيتعلمون العلم والعـمل جميـعًا ، فطالب العلم إذا عني بهـذا المقطع خمس آيات عـشر آيات حسب قـوة حافظته وضعـفها بعد ذلك يحـفظ هذا القدر ويسهل عليـه حفظه ، إن اسـتطاع حفظه بـالتكرار ، وإلا بعض الناس مع التكرار يشـرد ذهنه مـثل هذا يقيـد يستعين بيمينه ويكتب مرة مرتين ثلاث جـهد لن يضيع بعد ذلك بعد الحفظ العمل ، والعمل من أعظم وسائل تثـبيت العلم ، والعلم بدون عمل لا قيـمة له ؛ لأن القرآن إنما أنزل للعمل ، والنبى ـ عليـه الصلاة والسلام ـ بين ما نزل إليـه في سنته من أجل أن نعمل به ، لأن البـيان يكون للمجمل ، والمجـمل لا يمكن أن يعامل : ﴿ أَقِيمُوا

الصَّلاةَ ﴾ ، وبعد ذلك كيف نقيم الصلاة ؟ ، ببيانه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بقوله وفعله « صلوا كما رأيتموني أصلي » حصل البيان ، وعرفنا هذا البيان ، ثم لم نعمل به أين الفائدة ؟ علم بدون عمل كشجر بلا ثم ، نخلة فَحل لا تنبت للزينة ما الفائدة منها ؟ أو من الشجر الذي يجعل فالمنظر في الشوارع أو في بيوت بعض العِلْية من القوم هذه لا قيمة لها ، مثل العلم بدون عمل إن كان اتخذ العلم لا للعمل بل للزينة، كما تتخذ هذه الأشجار ، هذه حقيقة مرة هذه حجة على من تحمل هذا العلم فعلى طالب العلم أن يعمل بما يعلم ، ويذْكُر هنا من باب أنه من أعظم ما يعين على تثبيت العلم وترسيخه في الذهن ، ثم النشر إذا تعلم ، واستمع ، فهم ، حفظ، عمل بنفسه ، نشر علمه للآخرين ، لكي يستفاد منه ، « ولأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حُمْرِ النعم » وتصور أن بعض الناس تجري لهم الأجور مئات السنين ، كيف تجري لهم مئات السنين ؟ أو علم ينتفع به « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث . . . . أو علم ينتفع به » ، فإذا انتفع هذا الجيل ، وانقرضوا ، لأن بعض الناس يقول العلم الذى ينتفع به خاص بالتصنيف هو الذي يستمر ، أما بالنسبة للتعليم ينقطع بانقطاع الجيل الذي علمته بعد ذلك ينتهي ، لا يا أخي ما ينتهي فضل الله واسع ، أنت علمت زيد ومعه مائة من الطلاب ، زيد هذا علم مائة وهؤلاء أجورهم تثبت لزيد وأجر زيد مع أجورهم يثبت في أجرك أنت، فالأمر عظيم جدًا ، وفضل الله ـ جل وعلا ـ لا يحد ، لكن نحتاج إلى أن نطلب العلم بنية خالصة ، ونتعلم وننشر ونعلم ونؤلف بنية خالصة صالحة ، لأن العلم الشرعي من أمور الآخرة المحضة التي لا تقبل التشريك ، فإما أن يكون مع السَّفَرة الكرام البررة ، مع النبيين والصديقين ، وإما أن يكون من أول من تُسَعَّرَ بهم النار ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ ،فعلينا أن نعنى بهذا الشأن ، ونخاف منه أشد الخوف، فالنشر لا شك أنه يوسع دائرة الأجر ، فلك أجرك ولك عملك ، ولك أجر من دللته على الخير ، والدال على الخير كفاعله ، والنشر يكون بالتعليم ، والتعليم من

أقوى أعظم وسائل التحصيل ، المعلم أول ما يبدأ بالتعليم علومه محدودة بقدر ما حفظه وفهمه عن شيوخه ، ومن محفوظاته ، لكن إذا علَّم الناس لا شك أن علومه تنمو وتزداد ، وبركة آثار العلم تظهر عليه مع النية الصالحة الخالصة ، وإلا إذا لم يُعلِّم غيره لا يلبث أن ينسى ما تعلمه ، ولنا عبرة بمن تعلم ، وتسلَّم المناصب العليا، وكان يُشار إليه بالبنان ، يشار إليهم علماء كبار ، ثم بعد ذلك تركوا التعليم وانصرفوا عنه ، مع أنهم على خير وعلى ثبور في مصالح العامة ، لكن مع ذلك تركوا التعليم فانحسر علمم ، أخذ يتراجع والنسيان آفة من آفات تحصيل العلم ، فالإنسان ما سُمى إنسان إلا لنسيانه ، وكثير من الطلاب الذين مروا علينا أثناء التدريس في الجامعة نوابغ ، وتجدهم مع الأوائل ، وتسأل في القاعة وفي الفصل تجدهم ما شاء الله تجدهم مفردين في تحصيلهم وقد فاقوا أقرانهم لكن يتوظف بعد التخرج بوظيفة إدارية شأنه الكتابه ، نعم لا ينسى الكتابة ، لأنه يزاول الكتابة ، لكن العلم إذا مر عليه سنة نَسي قدر من علمه سنتين ، وينسى أكثر ثلاث سنوات ينسى أكثر خمس سنوات ست سنوات يعود عامي ، أو في حكم العامي ، فعلينا أن نتابع التحصيل والنشر التعلم والتعليم فالتعلم لا حدَّ له « تفقهوا قبل أن تسودا » قال أبو عبد الله البخاري : وبعد أن تسودوا ، لأنكم إذا تسودتم وقفتم على حد نسيتم ذلك» نقول : فإذا استمع العبد إلى كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة نبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بنية صادقة على ما يحبه الله يعنى على الجادة المعروفة المأثورة عن سلف هذه الأمة المبنية على الدليل على ما يحبه الله ألهمه كما يحب ، وجعل له فى قلبه نورًا ، فهو ينظر بنور الله ، هناك أمور ولا أريد أن أكرر ما ذكرته في القاء السابق ، ولا ما ذكرته في مناسبات وسجلت ، وتداولها الإخوان من كلام ، لكن عندنا فيما يتعلق بظرفنا الذى نعيشه : واجب طالب العلم في أوقات الفتن ، وعندنا أيضًا مسئولية حمل العلم وتبليغه ، وأيضًا فقه تطبيق العلم هذه مسائل لابد أن نكون على بصيرة بها ، واجب طالب العلم في أوقات الفتن عليه أن يعتصم بكتاب الله وسنة نبيه ـ

عليه الصلاة والسلام ـ ، والعصمة من هذه الفتن بالاعتصام بالكتاب والسنة ، ويقلل بقدر الإمكان إلا بقدر ما يحتاج إليه من الأمور التي يخوض فيها الناس ، يقلل منها ويقتصر منها على قدر الحاجة ، وبعض الناس في أوقات الفتن والفتن مذهلة والإنسان متشوف لأن يعرف ماذا حصل وماذا قيل تجده يقضي من وقته أكثر من نصف الوقت في الجرائد والمجلات والمواقع والقنوات ، ماذا قال فلان ؟ . وماذا قيل عن فلان ؟ أمور إن لم تضر لن تنفع ، نعم ينبغي أن يعرف الإنسان ماذا يدور حوله بقدر الحاجة ، وأن يكون ديدنه كتاب الله وسنة نبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، وما يعين على فهم الكتاب والسنة ، وأن يعنى بالعبادات الخاصة مثل الذكر سواء كان المطلق أو المقيد في الأوقات الخاصة ، أو على العموم في جميع الأوقات ، ومثل تلاوة القرآن على الوجه المأمور به ، وأيضًا الصلاة يكون له نصيب من الصلاة ، وأيضًا الصيام وغير ذلك من العبادات المتنوعة التي جاءت النصوص بفضلها، «والعبادة في الهرج كهجرة إلى » كما فى الحديث الصحيح ، فعلينا أن نهتم بهذا الأمر ونعنى به ، ونلتف على أنفسنا ، ونصلح ما فيها من خلل ، ونعنى بأمراض القلوب كي نعالجها بكل جاءنا في شرعنا ، ولا نحتاج إلى غيره ، لا نحتاج إلى أن فلان العالم النفساني الأمريكي قال كذا ، أو البريطانى قال كذا ، لسنا بحاجة ، عندنا العلاج لكل داء ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ ﴾ [الإسراء : ٨٢] شفاء ، لأدواء القلوب وأمراضها ، ولأدواء الأبدان أيضًا وأمراضها ، فعندنا الشفاء ، وفي كلام أهل العلم ما يعين على ذلك ، وللإمام المحق شمس الدين ابن القيم من ذلك القدح المعلى ، وكتبه مملوءه من هذا الشيء فيعتني بها أيضًا ؛ لأنها تعين على فهم الكتاب والسنة، فعلى الإنسان أن يهتم بأمر العمل ،وإذا صدق اللجؤ إلى الله ـ جل وعلا ـ، أعانه على كل ما يريد من علم وعمل ، مسئولية حمل العلم وتبليغه سمعنا فى الآية ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾ [التوبة : ١٢٢] « لماذا ؟ ﴿ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ﴾ [التوبة : ١٢٢] » لماذا؟ إذا أنذرهم ماذا يترتب على هذا به ؟

﴿**لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾ [التوبة : ١٢٢] يحذرون مما يُخاف أمام الإنسان مخاوف ، أمامه مخاوف فى دنياه فتن الدنيا ، وأمامه أيضًا فتنة في القبر ، أمامه فتنة في المحيا وأمامه أيضًا فتنة في الممات ، أمامه أيضًا إما نعيم دائم لا ينقطع أو عذاب سرمدي لا ينتهي، فيحمل هذا العلم بإخلاص وصدق ، ويبلغه قومه إذا رجع إليهم ، والنتيجة لعلهم يحذرون ، وبعض الإخوان كما بلغنا قام بهذا على خير وجه في بلده إذا رجع، وبعضهم انشغل بأمور الدنيا وأمور المعاش وعاد كغيرة ، ولا أثر له في المجتمع ، وسمعنا مسألة تبليغ العلم ونشر العلم وما يترتب عليه من عظائم الأجور، فالعلم مسئولية عظيمة لابد من تبليغها « بلغوا عنى ولو أية » ، « نضر الله إمراءً سمع مِنِّي حديثًا ، فأوعاه ، ثم أدَّاه كما سمعه » ، فلابد من تبليغ ما سُمع ، أبو هريرة لما انتقد في كثرة التحديث قال : لولا أية في كتاب الله ما حدثت ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ** ﴾ [البقرة : ١٥٩] ، فالكتمان أمر عظيم فما معنى أني أحفظ القرآن ، وأنام عنه ما معنى أني أحمل العلم ، ولا أبلغه للناس ؟ هذا وبال على صاحبه ، فقه تطبيق العلم ، عرفنا أنه لابد من تطبيق العلم ، وأن العلم بلا عمل كشجر بلا ثمر ، عندنا مسألة نحتاج إليها ، كثير من الإخوان يحرص على التعلم وما وجدت هذه الجموع إلا من أجل هذا ، والحرص دليل على إرادة الله ـ جل وعلا ـ بالإنسان الخير ، ومع ذلك يحرص على التطبيق ، تطبيق العلم وهو الثمرة المرجوة من العلم ، لكن قد يخفى على بعض طلاب العلم فقه التطبيق فما معنى فقه التطبيق ؟ حمل حديثًا يتضمن سنة، فعَلِمَ هذا الحديث وحَرِصَ على تطبيقه وطبقه بالفعل ، لكنه لم يفقه ما يحتج بهذا الحديث من مُعارض مثلا طيب على سبيل المثال طالب علم عرف ما جاء فى التَّرَاص في الصفوف فى الصلاة وأن الصحابة كانوا يلصقون أقدامهم بأقادم من جاورهم في الصلاة ، والتَّراص في الصف أمر جاء الحثّ عليه « ولا تدعوا فرجات للشيطان » لكن مع ذلك هل نفقة أن تطبق هذا ؟ بعض الناس يظن أن التطبيق

يحصل مع الجفاء لا يحصل إلا بالجفاء حتى أنه وجدَ من مِن حرصه على تطبيق السنة لكن مع عدم فقهه بتطبيقها من يكون بعض أصابع جاره تحت قدمه ، وُجدت ردود أفعال ممن حصلت معهم بعض هذه القضايا ، بأن إلى بعض الأطفار لمثل هذا هذه كارثة ، هل هذا تطبيق للسنة ؟ هذا حريص على تطبيق السنة ، هو يلصق القدم، بالقدم لكن ليس معنى هذا أنك تؤذي جارك وتوجع له رجله ، بعض الناس ما يتحمل تكون قدمه فيها شيء من الحساسية إذا وجد طالب علم مشهود له قطع صلاته من أجل إيش ؟ خيط رفيع جداً ينزل من ثوبه على قدمه وهو حساس شديد الحساسية انصرف وقطع الصلاة ، فكيف بمن يجعل بعض الأصابع تحت قدمه ؟ وإذا سجد جافى بين عضديه حتى يضر بالآخرين .

يا أخي ما هكذا تطبيق السنة أنت مطالب بأن لا تدع فرجة للشيطان لكن بقدرها، والمحاذاة ليست بالأقدام فقط ، ولذا بعض الناس يظن أن الحل فى عدم ترك الفرج بأن يُفحج بين رجليه يجعل بدل ما حجمه . . . في الأصل ، يجعل بين رجليه أكثر من متر مثل هذا يفقه تطبيق السنة ؟ أين المحاذاة بالمناكب هذا ليس هو تطبيق السنة إنما يحرص الإنسان أن يحازي بالمناكب والأقدام ، ودين الله ـ جل وعلا ـ بين الغالي والجافي ، بعض الناس يحرص على تطبيق السنة أولاً لا يفقه السنة، فتجده يتورك في كل جلسة وفي بدنه ثقل ، وفي جيبه مفاتيح ومحافظ وجوال ، ثم يرمي بنفسه على جاره هل هذا يفقه تطبيق السنة لابد من فقه التطبيق ، فإذا كانت هذه السنة معارضة مثل المحابهة ، المجابهة سنة لكن بجوارك أخر تؤذيه ، « والملائكة تصلى على أحدكم ، ما دام فى مصلاة ، ما لم يؤذِ وما لم يُحدث » ، وأى أذى فى أن تجعل مرفقيك في أضلاع أخيك ، فننتبه لهذا ولا شك أن الذي يحرص على السنة يؤجر على قدر حرصه ، لكن لتمام أجره لابد أن يفقه كيف يُطبق هذه السنة، وليس معنى هذا التقليل من شأن التَّراص في الصفوق ، وإلصاق الأقدام ، لكن أيضًا إن رأيت جاري من النوع الحساس أترك له فرصة بحيث بعض الناس من يكبس في

صلاته إلى أن يسلك ، وخلفه كالمرجل من خشية الله ، ومن تأمل ما يقرأ لا على صاحبه يغلو كالمرجل على صاحبه وأخيه المسلم لماذا ؟ لأنه ضايقه وهو حساس ما يتحمل ، والناس فى طباعهم في بعضهم شدة ما يتحمل مثل هذه الأمور ، ووجدت تصرفات أثناء الصلاة أجعل طالب العلم يكون مُتَّسِمًا في جميع أفعاله بالرفق واللين، وليكن داعيةَ خير بفعله قبل قوله ، ليقبل ، فعلينا أن نهتم بمثل هذه الأمور ، ولا أريد أن أكرر ما ذكرته سابقًا ، فهذه مسائل ثلاث رأيت أهميتها في مثل هذا الوقت، وكثير من الطلبة يقولون إن الإجابة على الأسئلة هي التي تحل بعض الإشكالات لبعض الإخوان ، وقد يكون في الكلام المرسل المكرر شيء من التكرار ، فالإجابة على الأسئلة لا شك أنها حاجة قائمة للإخوان فنقتصر على هذا وننظر فى الأسئلة ولعل يرد فيها ما ينفع بإذن الله تعالى :

سائل يقول : ما رأيكم فيمن يستغني بالمذكرات الجامعية في التعليم عن كتب السلف ، وخصوصًا في بعض علوم الآلة ، وهل هذا من التيسير على طلاب العلم الجامعيين ؟

الشيخ: أقول مثل هذا مع احترامي وتقديري لزملائي من المعلمين فى الجامعات الذين اجتهدوا وسهروا وحرروا وضبطوا المسائل ورتبوها ونظموها ، لكن هذه الطريقة لا تبني طالب علم ، طالب العلم لابد أن يُبنى على الجادة المطروقة عند أهل العلم ، فيربى على المتون المقررة من قِبلَ أهل العلم لابد منها ، فهذه المذكرات مثل مؤلفات المعاصرين التي صيغت بأساليبهم بل هي منها ، هل هذه تربي طالب علم على أساليب العلماء المتقدمين ، افترضنا أن طالب تخرج في كلية الشريعة أو أصول الدين أو غيرها على هذه المذكرات ، ثم بعد أن تخرج عُين فى بلد ، وعُرض عليه مشاكل أو مسائل تحتاج أن يراجع الكتب ، هل يستطيع أن يفهم كتب المتقدمين من خلال فهمه لهذه المذكرات ؟ هذه المذكرات هي عبارة عن مؤلفات صِيغت بإسلوب يفهمه الشخص بدون المعلم ، لكننا في مرحلة التعليم لابد أن نقرر كتب لا يفهمها

الطالب بمفرده ، بحيث إذا استقل بعد تخرجه في بلدٍ لا عالم عنده نعم ، يستطيع أن يستقل بنفسه ، ويفهم كلام العلماء ولا يحتاج أن يرجع يتعلم مرة ثانية ليفهم هذه الأساليب التي انفرد بها وخلا بها ، فهذه المذكرات لا شك أنها من أعظم العوائق عن التحصيل مهما اعتذرنا عن أصحابها بحسن النية والقصد ، ونحن لا نطعن في قصد أحد ، هو أراد التيسير والتسهيل ، لكن طالب العلم لابد أن يبنى على الحزم والعزم، ولذلك ليس من العبث أن يؤلف العلماء هذه الكتب بأساليب صعبة ، بإمكانهم أن يبسطوا ، يعني اختيار الزاد عندنا فى هذه البلاد زاد المستنقع ، أو المنتهى، أو مختصر خليل ، أو غيره في البلدان الأخرى هل هذا عبث ؟ ! ، وهي أشبه ما تكون بالألغاز متعبة لطالب العلم ، لكن طالب العلم إذا فهم هذا الكتاب سهل عليه فهم ما دونه ؛ لأن طالب العلم الذي يترتب على التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية إذا تخرج وسكن بمفرده في بلد لا يوجد طالب علم غيره قد يشكل عليه شرح الطحاوية ، ويشكل عليه شرح الواسطية ، وقد يشكل عليه الحموية أو غيرها من كتب العقيدة إلا إذا تربى على الأصعب وفهمه بين يدى أهل العلم الذين هم الآن متوافرون ، يمكن في وقت من الأوقات تطلبهم ما تجدهم ، ولا تتصور أن الآلات التى تخدم الآن وتقرب المسافات وتيسر الاتصال بالأفاق وأنت جالس تستمع ، لا، اعتبر نفسك ما عندك إلا هذه الكتب ، وأمامك مشكلة لابد من حلِّها ، كيف تتعامل مع هذه الكتب ؟! لابد أن توطن نفسك على هذا الأمر .

س : ما هو خير كتاب أو متن فقهي غير متقيد بمذهب معين يصلح لتدريسه لعوام الناس ؟

جـ : عامة الناس بالإمكان تدريسهم مثل منهاج السالكين للشيخ ابن سعدي أو الإرشاد له ، أو ينتقى لهم من فتاوى أهل العلم للعوام الذين ليس لهم أرضية للتحصيل ، يمكن أن ينتقى لهم من فتاوى الشيخ ابن باز ، ومن فتاوى اللجنة الدائمة، أو من فتاوى الشيخ ابن عثيمين ، ينقل لهم مسائل من هذه وتقرأ عليهم ،

أما متن فقهي غير متقيد بمذهب ، إيش معنى غير متقيد بمذهب ؟ معناه هو متقيد باجتهاد مؤلفه ما رحنا بعيد ، كثيرمن الناس يقول : لماذا لا تقرر الدرر البهية للشوكاني ؟ نقول : أنت خرجت من اجتهاد الحنابلة إلى اجتهاد الشوكاني ، فهي كلها مذاهب ، أو مثلا تقول نعمل بفقه الشيخ الإمام المجدد الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ مثلاً ، واختياراته ، وهو صاحب حديث وصاحب سنة ، طيب ، هذا اجتهاده يا أخي ، الشيخ ابن باز أيضًا هذا اجتهاده ، كلهم أئمة وعلى العين والرأس ، لكن أنت تتأهل إن كان قصدك العوام تقرأ عليهم من اختيارات هؤلاء الأئمة ما لم يعرف لمسألة شذ فيها عالم يُرد على العوام إلى قول الأكثر ، لكن تبقى مسألة تربية طلاب العلم على هذه الكتب غير المتقيدة بمذهب ونقول هذه الكتب المتون المعتمدة في المذاهب لابد من تمرين طلاب العلم عليها والتفقه عليها ، إيش معنى هذا ؟ ليس معنى هذا أن هذا دساتيرلا يُحاد عنها أبدًا ، أو أنها كتب معصومة ليس فيها أخطاء.

من صغار الكتب التي تدرس الآن « زاد المستقنع » ، وفيه أكثر من ثلاثين مسألة خالف فيها المؤلف المذهب نفسه ، وخالف فيها القول الراجح الذي عليه الدليل في مسائل كثيرة ، لكن ليس معنى هذا أن كل ما قاله صاحب الزاد أنه مثل القرآن ،لا ، يُربى طالب العلم ليفهم هذه المسائل يتصور هذه المسائل بعد أن تصور له من قِبل الشيخ ، إذا تصورها تصوراً دقيقًا استدل بها ، فإن كان الدليل يسندها عمل بها ، وإن كان الدليل على خلافها ضرب بها عرض الحائط ، وعمل بالدليل وبهذه الطريقة نستطيع أن نخرج طالب علم متميز .

س : عندى سؤال مهم تحيرت فيه ، وهو كيفية الاستفادة من الكتب الستة هل تقرأ كتابًا كتابًا مع شرحها أو تقرأ المتون مع أسانيدها ، وأخشى أني لا أصل إلى النسائي إلا وقد نسيت ما في البخاري ، فأرجو من فضيلتكم الطريقة السديدة للاستفادة من كتب السنة .

جـ : هذا أيضًا مما شرحناه مراراً ، وهو أن طالب العلم حينما يطلب العلم على



الجادة ، ويقرأ المتون ويحفظ متون الطبقة الأولى ، الأصول الثلاثة ، والقواعد الأربعة ، وكشف الشبهات ، والأربعين النووية ، والنخبة ، والآجرومية ، إذا حفظ هذه المتون ، وتحفة الأطفال في التجويد ، وغيرها من المتون التي ألفت للمبتدئين ، ثم بعد ذلك قرأ كتب المتوسطين ، وحفظ ما أمكنة حفظه منها ، مع حفظ أكبر قدر من كتاب الله ـ جل وعلا ـ بحيث لا ينتهي من كتب الطبقات الثلاث إلا وقد أتقن القرآن ، يوزع القرآن على هذا مع كتب الطبقة الأولى يحفظ المفصل ، مع كتب الطبقة الثانية يحفظ بقية النصف الأخير ، مع كتب الطبقة الثالثة يحفظ النصف الأول، ويكون بهذا انتهى من حفظ القرآن ، وضمنه مع حفظ هذه الكتب ، إذا انتهى من هذه الكتب التي أُلفت في طبقات المتعلمين يطلع إلى كتب السنة المسندة الأصول ، وعرفنا كيف يتعامل معها .

بعضهم يقول : نقتصر على المختصرات ؛ لأننا لسنا بحاجة إلى تكرار لصحيح البخاري ، أو إلى أسانيد في صحيح البخاري ، لسنا بحاجة إلى هذا ، لأننا يهمنا المتون ، المرفوعة إلى النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، نقول : لا يا أخي ، تريد أن تتعلم على الجادة ويكفيك فى تقديري خمس سنوات لإتقان الكتب الستة وتحمل الكتب الستة في آن واحد ، والكتب ـ ولله الحمد ـ مخدومة بالترقيم والإحالات ، كل شيء موجود ـ ولله الحمد ـ فيأتي إلى صحيح البخاري الحديث الأول في صحيح البخاري ، حديث : « **إنما الأعمال بالنيات** » كم أورده البخاري في موضوع من صحيحه ؟ في سبعة مواضع ، تثبت وتستحضر هذه السبعة مواضع ، وما ترجم به البخاري على هذا الحديث في المواضع السبعة ، وهي فقه البخاري ، وما أردفه في الترجمة من أقوال سلف الأمة لشرح هذه الترجمة ، انتهينا من المواضع السبعة في صحيح البخاري ، نجد أيضًا وافقه على تخريجه مسلم ، نذهب إلى مسلم ، ونضيف ما رواه مسلم من زيادات في المتون والأسانيد إلى ما صفيناه من صحيح البخاري ، إذا انتهينا من المواضع السبعة اقتصرنا على أوفى هذه المواضع ، وذكرنا

فروق الأسانيد والتراجم على الأحاديث ، ثم أضفنا إليه مسلم إن كان فيه زيادة، وأشرنا على صحيح مسلم أن هذا الحديث دُرس مع صحيح البخاري ، هذا الحديث يرويه أبو داود أيضًا ، نرجع إلى سنن أبي داود ، ونضيف على ما استخلصناه من الصحيحين ما يزيده أبو داود من لفظ زائد ، أو لفظ مغاير ، أو زيادة راوٍ ، أو فائدة في صيغة أداء ، أو طريقٍ لا يوجد في الصحيحين ، نضيفه إلى مذكرتنا التي نجمع فيها الجمع بين الكتب الستة ، ثم نرجع إلى الكتاب الثالث والرابع والخامس والسادس وهكذا ، إذا انتهينا إلى الحديث الثاني نرجع إلى الأول في صحيح البخاري، ونفعل به كما فعلنا بالأول الآن مررنا على المائة حديث الأولى ، جاءنا حديث هذا الحديث درسناه مع الحديث الأول ، انتهينا منه ، وقد أشرنا عليه ، وضربنا عليه ، لا يحتاج إلى دراسته ، مرَّ علينا حديث ثانٍ درسناه مع الحديث العاشر لا نحتاج إلى دراسته ، مر علينا الحديث الخامس بعد المائة درسناه مع كذا، وبهذا نكون إذا انتهينا من صحيح البخارى على هذه الطريقة نكون انتهينا من نصف صحيح مسلم ، ولنقل ربع ما في سنن أبى داود ، وربع ما في سنن الترمذى ، وابن ماجة وهكذا ، وبعد ذلك نأتي إلى زوائد مسلم الأحاديث التي في مسلم ، ولم ندرسها مع البخاري ، نأتي إليها ونصنع فيها كما صنعنا في صحيح البخارى ، نجعل مسلم ، في الأول جعلنا البخاري محور الدراسة في المرحلة الثانية إذا انتهى البخاري نجعل زوائد مسلم محور الدراسة ، ونراجع على هذه الزوائد السنن ، وإذا انتهينا من صحيح مسلم نبدأ بسنن أبيَ داود ، ونجد نصف سنن أبي داود انتهى ، زوائد أبي داود على الصحيحين تصبح محور البحث ، ننظر فيها بالطريقة التي نظرنا فيها إلى الأحاديث في الصحيحين ، ثم إذا انتهينا من سنن أبي داود ، ونربع بالترمذي ، ثم نخمس بالنسائي ، ونختم بابن ماجة هذه الطريقة مع الجد لا أتصور أنها تأخذ من طالب العلم خمس سنوات ، يفهم كل ما في الكتب الستة بعجرها وبجرها بصحيحها وضعيفها ، بمتونها وأسانيدها ، بمرفوعاتها وموقوفاتها ومقطوعاتها ، بفقه

هؤلاء الأئمة ، هذا مع طريقة التخبط التي نعيشها نحتاج إلى مائة سنة ، ويمكن نموت ، وما مررنا على أحاديث في الصحيحين لكن إذا اعتمدنا هذه الطرقة ومشينا عليها بحزم وجد أتصور خمس سنوات كافية ، إذا اعتمدنا على ما لخص واختصر لنا من البخاري ، وأضفنا إليه زوائد مسلم باختصار فقط المتون ، وأضفنا إليه زوائد السنن ، كم فاتنا من علم بهذه الطريقة ؟! ألسنا بحاجة إلى التراجم التي ترجم بها أئمة السنة على هذه الأحاديث ، وهي خلاصة فقههم ؟ ألسنا في حاجة إلى ما يدعم به المؤلف فقهه من أقوال الصحابة والتابعين ؟ في أمس الحاجة إلى مثل هذا ، لكن مع ذلك بعض الناس يتطاولوا في هذه الطريقة ، وهي سهلة ميسرة ، والأمور كلها ـ ولله الحمد ـ متيسرة ، وكل شيء متوفر، بعض الناس يقول : لِمَ لا نكتفي بالحاسوب يطلع لنا الخلاصة بيوم واحد ، نضغط طلب يطلع لنا ما في الكتب الستة من غير تكرار ، وفي خلال أيام تكون قرأتها ، لا العلم لا يأتي بسهولة ، لا يُستطاع العلم براحة الجسم ، العلم يحتاج إلى حفر في الذهن ، يحتاج إلى تعب ومعاناة لكي يثبت ، وأتصور أن هذه الطريقة نافعة ومجدية ، نعم مسألة الحفظ الذي يريد أن يحفظ في أقصر مدة ويحفظ على الطريقة التي يسوقها الإخوان الآن مع اعتماده وعنايته بالطريقة التي شرحتها ، فإذا حفظ المتون المجردة على طريقة الإخوان ، وعمل على دراسة الأحاديث على الطريقة التي شرحناها أتصور أنه يتخرج محدث متقن بارع ، وإن حالفه توفيق الله ـ جل وعلا ـ الذي سببه الصدق مع الله .

س : ما هي الكتب التي توصون بقراءتها لطالب العلم المبتدئ خصوصًا الطلاب الذين أتوا من المدارس الثانوية ولم يسبق لهم دراسة العلوم الشرعية ؟

جـ : مثل ذكرنا يحفظ كتب الطبقة الأولى ، والآن كل شيء متيسر ، هذه الكتب تشرح الآن في المساجد ، وسُجل عليها شروح كثيرة يأتي الطالب ، ويفهم ، ويحفظ هذه المتون ، ويسمع ما سُجل عليها ، ويحضر الدروس ، ويهتم بكتب الطبقة الأولى التي هي الأساس ، التي هي في اصطلاح أهل المقاولات يسمونها

الميدة، الأساس الذي يبنـي عليه غيره ، هي الأصل ، ثم بعد ذلك يـنتقل إلى كتب الطبقة الثانية ، ومع الأسف أنه يوجد من يقول لماذا لا تجـرد كتب الطبقة الثانية فينثر زوائدها على كتب الطبقات الأولى ؟ إن اعتمدنا في الطبقة الأولى مثلاً « العمدة » ، لأننا نمشي على ترتيب الموفق عمـدة الفقه مثلاً ، لماذا ندرس « المقنع » للطبقـة الثانية وسبـعين بالمائة من مسائل المقنع مـرت بالعمدة ، لماذا نـكرر ، لابد من التكرار كون المسألة تمـر عليك مرة واحدة في عـمرك ، هل يكفي لفـهمـها وثبوتهـا في ذهنك ؟ تنساها ، لكن إذا مرت عليك بأسلوب أخر بأبسط بوجه استدلال كما في الكافي مع ذكر المذاهب ، والأدلة كما في المغني ، لا شك أن هذه المسائل ترسخ في ذهن طالب العلم .

س : يقـول النبى ـ عليـه الصـلاة والسـلام ـ : « يحمل هذا الـعلم من كل خلف عدوله ..» إلى آخره ، فهل يفهم من هذا الحديث تعديل مطلق لطلبة العلم والعلماء ؟

جـ : هذا الحديث أولاً مـختلف في ثبوته وصحـته ، وصححـه بعض العلماء، والإمام أحمد كـان يميل إلى ثبوته فيما نقله عنه الخطيب في شـرف أصحاب الحديث وغيره ، نقل عن الإمام أحمد تصحيحه ، وفهم منه ابن عبد البر أن هذا تعديل لكل من يحمل العلم ، كل من حمل العلم فهو عدل بقول المصطفى .

قلت : ولابن عبد البر كل من عنى ... بحمـله العلـم ولم يوهن
فإنه عـدل بقـول المصطفـى ... يحمل هذا العلم لكن خولفا

الواقع يشهـد بأنه يوجد من يحـمل العلم ـ وأنا عندي تحفظ علـى إطلاق كلمة علم على ما يحمله من لم يعـمل بعلمه ـ يوجد في الواقع من يحمل مسـائل علمية بأدلتهـا يتصورها تصـوراً صحيـحًا دقيـقًا بأدلتهـا بعجرها وبـجرها وعنده شيء من المخالفة، فـهل نستطيع أن نعدل من خلال هذا الحـديث من حمل العلم وهو يرتكب محرمات ، ألا يوجد من يرتكب محرم ويقال له عالم ويحمل شهادات عُليا ، ويعلم التـعليم الشرعي ؟! لا يمكن أن نوافق ، فـإما أن نقـول إن الحديث جـاء لحثٍّ أهل

العدالة على حمل العلم ليحمل هذا العلم ـ كـما جاء فى بعض الروايات ـ ،ليحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، حثّ للعدول أن يحملوا العلم ، ولا يتركوا المجال لغيرهم أن يحـملوا هذا العلم ، أو نقول : إن ما يحمله الفـساق ليس بعلم ، وهذا هو المترجح عندي ، وإن سـماه الناس علمًا وهو فى الحـقيقـة ليس بعلم ، العلم ما ينفع ، إيش الفائدة ؟ ومن أوضح الأدلة على ذلك قول الله ـ جل وعلا ـ : ﴿ **إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ** ﴾ [النساء : ١٧] عمل السوء ارتكب مخالفة جاهل ، ولو كـان من أعلم الناس يعرف أن الزنا حـرام ، عالم وعنده الأدلة أن الزنا حرام ، ويزني هل نقـول إنه عالم ؟ لو قلنا عالم ؛ لقلنا إن توبتـه لا تقبل ، والنص القطعي في الثـبوت والدلالة يدل على أن توبته مـقبولة ، يعـمل السوء بجـهالة هل معنى هذا أنه لا يعـلم الحكم ، يعلم الحكم ، ولذا يقرر أهل العلم أن كل من عـصا الله فهو جاهل .

س : ما الفرق بين النسخة السلطانية واليونينية صحيح البخاري ؟

جـ : النسخـة السلطانية التي طبعهـا السلطان سنة ألف وثلاثيمائة وإحـدى عشر وشكل لها سبعـة عشر من علماء مصر لمراجعـتها واتقانها وأثبتـوا عليها الفروق التي أثبتها الحـافظ شرف الدين اليونينى بعد عنايته بالصحيح عناية فـائقة ، وذكر الفروق بين الروايات هذه النسخة هي السلطـانية ، وهى مأخوذة عن ما أثبتـه الحافظ اليونيني في مقارنته بين روايات الصحيح ، فهي نسخة متقنة ، وهذه النسخة طُبعت في بولاق تسعة أجزاء سنة ألف وثلاثمـائة وإحدى عشرة ، ووجد فيهـا ما يقرب من مائة خطأ مطبعي صحـح فى الطبعة الثانية ألـف وثلاثمائة وثلاثة عشرة ، وكانـت هذه النسخة إلى وقت قـريب مـفقـودة من الأسـواق ، ثم صورت ـ ولله الحـمـد ـ وتدولت بين الطلاب ، أما السلطانية هذه الفـروق التي على هامشها مأخـوذة من عمل اليونيني ، على أني وقفت مـن الفروق للحافظ ابن رجب فى شـرحهـا على البخاري مـا فات اليونيني مما لم يذكرني ، هذه النسـخة المقصود أنه لا يتصور أن اليونـيني مع اهتمامه

بصحيح البخاري وعنايته برواياته لا يتصور أنه أشار إلى كل شيء ؛ لا ، على كل حال بعض الطلاب يخلط بين هذه النسخة وبين النسخة التركية المطبوعة فى اسطنبول دار الخلافة العامر ـ على ما يقولون ـ بعد ذلك فى ثمانية أجزاء ، وليس فيها فروق، عليها بعض التعليقات ؛ لكن ليس فيها فروق الروايات ، بعض الناس يسميها السلطانية لماذا ؟ وكيف حصل الوهم ؟ لأنها أولاً مطبوعة فص تركية ، وتركية معروفة أنها محل السلطانية ، الأمر الثاني أنه يأتي من هذه النسخ نسخ جميلة مذهبة بتجليد فاخر اشتهر بين الكتبين أن هذه النسخ نسخ سلطانية بمعنى أنها تليق بالسلاطين لنفاستها ، فيحصل اللبس من هذه الحيثية .

س : هل رأيتم ملتقى أهل الحديث في الانترنت ، وهل يستفاد منه ؟

جـ : نعم يستفاد منه ، وفيه بعض طلاب العلم من الأخيار يكتبون فيه ، وفيه نفع ـ إن شاء الله تعالى ـ ، وهناك أيضًا وجهات نظر يكتبونها فى ملتقاهم ، وإن كنت أختلف معهم في بعضها ، لكن لا يعني هذا أن الإنسان إذا خولف في اجتهاده ينسف كل الجهد .

س : ما رأيك في الطرق الجديدة في طلب العلم في الأشرطة التي في دار العلماء ، والدروس العلمية فى القنوات مثل قناة المجد والحاسب الآلي .

جـ : أولاً الأشرطة لكبار العلماء من أنفع ما يتعلم عليه ، إذا لم يتمكن الطالب من المثول بين يدي هؤلاء العلماء ، إنما أتصور أن الأمر ميسرًا أن الإنسان سهل عليه أن يركب سيارته ويذهب إلى فلان أو علان ليطلب عليه العلم من الكبار لا يتيسر لكثير من الناس ، بعض الناس يشغله البعد في الآفاق ، وبعض الناس يشغله العمل، وطلب المعيشة ، وبعض الناس يشغله الارتباط بوظيفة أو على أمر من أمور المسلمين ، المقصود أن مثل هذه الأشرطة تحل كثير من الإشكال ، وأيضًا الدروس من خلال الانترنت ، وأنا حقيقة مثل هذه المحدثات على حذر كبير منها ، أنا لا أوصي بها بالإطلاق لأن فيها الغث والثمين ، والغث كثير ، وجد ـ ولله الحمد ـ من يستفيد

منها ، لكن أيضًا وجد باسم الاستفادة من بعض من ينتسب إلى طلب العلم من تيسر له النظر فى أمور لا يجوز النظر إليها ففيها الغث والثمين ، فإن اقتصر على الأشرطة فهو أفضل إذا لم يتمكن ، ولم يتحصل على هذه الأشرطة إذا لم يكن إلا هذا مع أخذ الحيطة والحذر الشديد ، الآن تيسر لك الاتصال بأمور ما كانت ميسرة في السابق، فهذه مزلة قدم ولا يقول الإنسان : أنا متحصن بالعلم ، لا قد زل أناس وضاعوا بسببها ، وضاع بسببها خلق كثير .

س : ما هي أحسن طبعة لشرح العلل لابن رجب .

جـ : شرح علل الترمذي للحافظ ابن رجب قد نال عناية منذ أن ظهر الكتاب بتحقيق نور الدين عتر ، ومنذ أن خرج والعناية به من خلال هذه الطبعة ، وكون الإنسان يرجع إلي أكثر من طبعة ، هذا عندنا يعترضه ما يقتضي ذلك من استغلاق العبارة ، أو يغلب على ظني أنه خطأ بكلام لا يستقيم ، يرجع إلى الطبعات الأخرى، هو ، فأننا واقتناء الطبعات كلها في كل ما يحتاج إليه طالب العلم هو مهم جدًا ، لكن دونه خرط القتاد ممن يعنى بجمع الطبعات في الكتب القديمة ، بطبعاتها القديمة ، لكنها مرهقة تحتاج إلى جهد كبير لتحصيلها ، ونحتاج مع ذلك إلى متابعة في البحث ، وتحتاج إلى مكان واسع ، وتحتاج إلى دعم مادي قوى ؛ لأنها ـ والله ـ لو وُجد من هذه الطبعة تصحيح جملة تكفي قيمة هذا الكتاب وصلت ، إذا صححت جملة واحدة يستقيم بها الكلام المطلوب خلاص ، فكون طالب العلم يقتنى الطبعات لا سيما من بعض الكتب التي هو بأمس الحاجة إليها ، لا يضره أن يجمع في شرح علل الترمذي عشرة مجلدات مثلاً تحوى جميع طبعات الكتاب ، لكن فتح الباري مثلا طبع عشر مرات يجمع مائتين مجلد صعب ، وقل مثل هذا في كتب التفسير كثيرة ، وكتب الشروح هذه يصعب على طالب العلم جمعها لكن الكتب التي حجمها صغير بإمكانه أن يجمع هذه الطبعات من أجل أن يراجع الطبعة الأخرى، إذا وقف على خطأ في الطبعة التي بين يديه والتي يعتني بها .



س : ما رأيكم في منهج التفريق بين المتقدمين والمتأخرين في التعليم وعلوم الحديث عمومًا ؟

جـ : أولا : لا يشك أحد ، ولا يجادل ، ولا ينازع أحد في أن المتأخرين عالة على المتقدمين ، وأنه لا علم عند المتأخرين وصل إليهم إلا عن طريق الأئمة الكبار الذين هم عمدة هذا الشأن ، لكن من يخاطب بمثل هذا الكلام ، يخاطب به المنتهي، أما طالب العلم المتبدئ يخاطب بمثل هذا الكلام هذا تضييع له ، لابد أن يتعلم على طريقة المتأخرين ، وعلى جادتهم ، ثم بعد ذلك إذا تأهل بعد أن يتقن هذه القواعد على الطريقة المشروحة بدءً بالنخبة ، ثم اختصار علوم الحديث لابن كثير ، ثم الألفية وشروحها ويكثر مع ذلك من التخريج والدراسة للأسانيد ، ويعرض أعماله على أهل الاختصاص ، فإذا صوبوا عمله ، وقارن أحكامه بأحكام الأئمة من المتقدمين والمتأخرين بعد ذلك تحصل لديه ملكة يستطيع بواسطتها أن يحاكي المتقدمين أما إذا قيل : اعتني بكتب المتقدمين ، فإذا اعتمدنا شرح علل الترمذى لابن رجب إيش فيه من القواعد التي يحتاجها طالب العلم المبتدئ ؟ هل فيه كل شيء مما يحتاج ؟ ؟ لا ، لابد أن يطلب العلم على الطريقة والجادة المعروفة ، ثم بعد ذلك إذا تأهل وعرف القرائن التى بها يرجح قول إمام على قول إمام أخر ، حينئذ وصار في مصافٍ المتقدمين ، مع أن دون ذلك خرط القتاد يوجد الآن من طلاب العلم من تبنى هذا الرأي من سنين طويلة ، لكن هل نستطيع أن نقول هذا الشخص بعد خمسين سنة من الآن يحاكي أحمد أو ابن معين أو أبي حاتم الرازي ؟ مستحيل ، يعني شخص ما يحفظ عمدته على العمل ، والنظر في الأسانيد من خلال أقوال العلماء ، وأحيانًا من خلال أقوال المتأخرين ، لم يتنسى له الاجتهاد فى التصحيح والتضعيف ، نعم، في النظر في المتون كيف يتسن له أن يجتهد في كل راوٍ من رواة هذه الأحاديث الذين بلغوا مئات الألوف ، الرواة بلغوا ألوف مؤلفة ، وكل راوٍ من هؤلاء الرواة تجد فيه من الأقوال المتعارضة والمتناقضة الشيء الكثير ، تجد أحيانًا في بعض الرواة عشرين

قولاً ، فتريد أن تجتهد لتحاكي المتقدمين في تصحيح كل حديث حديث بنفسك لكي تتأهل وتكون لديك القرائن التي تحاكي بها المتقدمين ، وحكمك على هذه الأحاديث مبني على النظر في كل راوٍ من رواة هذه الأحاديث بالنظر إلى جميع ما قاله أهل العلم في هذا الراوي لاشك أن هذا خرط القتاد ، لا نستطيع أن نحاكي أئمة يحفظ الواحد منهم سبعمائة ألف حديث ، عجزت البرامج أن تحفظ هذه الأعداد ولا نصف هذه الأعداد ، على الإنسان أن يعرف قدر نفسه يتعلم على الجادة، ويأخذ العلم بالتدريج ، وإذا تأهل أن يقارن ويوازن بين حكم الإمام أحمد وحكم أبي حاتم ، فإن استطاع أن يرجح ، له ذلك ، ولا أحد يمنعه ، وقل مثل هذا في الاجتهاد في المسائل الشرعية ، يعني إذا جاء طلبة مبتدئين لا يحسنون شيئًا من العلم وما عرفوا مبادئ العلوم ، يقال لهم اجتهدوا تفقهوا من الكتاب والسنة لا يستطيع الآن ، لكن إذا تأهل طالب العلم ففرضه الاجتهاد ، والذي تعين عليه أن يدين الله ـ جل وعلا ـ بما يوصله إليه اجتهاده بعد النظر في أدلة المسائل من الكتاب والسنة ، وبعد النظر في أقوال فقهاء الأمصار ؛ لئلا يشذ ويأتي بشذوذات لا يوافق عليها ، وقد يخرق الإجماع وهو لا يدري ، المقصود أن مثل هذا الطلب توجهه إلى المنتهين أنا عندى أن له وجه ، أما توجيه هذا الكلام إلى طلبة مبتدئين ، أتصور أنه تضييع لهم ، إذا تأهل طالب العلم ، فهذا فرضه ، أما إذا لم يتأهل ، ففرضه ما جاء في قول الله ـ جل وعلا ـ : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء : ٧] .

س : لماذا أهل العلم يحثون الطلاب للعناية بالإخلاص في طلب العلم خاصة دون غيره من العبادات ؟

جـ : لا يا أخي ، يمكن أن يتكلم على الصلاة والزكاة ولايحتاج إلى يحضر الإخلاص ؟ الذين يتكلمون عن العلم وطلب العلم هل يمكن أن يقولوا : إن الصلاة لا تقبل إلا بالإخلاص ، هو يتكلم عما هو بصدده من طلب العلم ، فيحث على الإخلاص في طلب العلم ، الأمر الثاني أن الإخلاص في طلب العلم على وجه



الخصوص ما ينازعه أكثر مما ينازع الإخلاص في أبواب العبادات الأخرى ، يعني يتصور شخص أن يتوضأ في بيته كما أمر يحضر إلى الصلاة بسكينة وخشوع ويؤدي الصلاة على الوجه المأمور مع الإخلاص التام أو المخدوش خدشًا يسيرًا ، لكن ما يتصور من شخص إلا إذا كان منافق ليس في قلبه شيء من الإخلاص ، يريد أن يحضر المسجد ليقول الناس هذا يصلي لا سيما في الفرائض ، المسلمون يؤدون الفرائض ، ولذا يستشكل بعض طلاب العلم ما يجده في نفسه من ثقل في العبادة مع قول الله ـ جل وعلا ـ عن المنافقين ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ ﴾ [النساء : ١٤٢] يقول أنا أقوم كسلان هل أنا منافق ؟ نقول يا أخي أنت الفرق بينك وبين المنافق أنك أنت تصلى إن رآك أحد أو لم يرك أحد ، هذه الصلاة لابد أن تؤديها، وهذا في قرارة ذهنك أنك لن تترك الصلاة إذا لم يراك أحد بخلاف المنافق ، المنافق إذا ما رآه أحد ما صلى ، وهذا فرق بين من يستثقل الصلاة ممن حُكم بإسلامه ولم يُحكم بنفاقه ، وكثير من المسلمين حتى نسأل الله ـ جل وعلا ـ أن يعاملنا بالعفو، يوجد أحيانًا من طلاب العلم استثقال لشيء من العبادة ، لكن هل يعني هذا أنهم وافقوا المنافقين في كونهم أنهم إذا قاموا للصلاة قاموا كسالى ؟ نقول : نعم ، من هذه الحيثية لكن يبقى أن الفارق الكبير أن المسلم الذى لم يتصف بالنفاق ، ولو ثقل عليه الأمر لابد أن يصلي ، ولا يدور في باله أنه يترك الصلاة ، إذا لم يجد أحد بخلاف المنافق ، بل لنزداد اطمئنانًا من أهل العلم من يُرجح من يؤدي الصلاة على ثِقل يكون أجره أعظم من أجر من يأتي الصلاة وغيرها من العبادات منشرح النفس، مبسط القلب مرتاح لها ، مع أن القول المُرجَّح خلافه ، يقول هذا المُرجِّح لهذا القول يقوم إلى العبادة ، وجاهد نفسه ، وعليه شيء من الثقل ، كل هذه يؤجر عليها ، الذي جاء منشرج هذا يؤجر على عبادته ، لكن لا يؤجر على المجاهدة ، نقول : لا، هذا أفضل ، وهو الموافق لما كان عليه النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، وهو يقول: أرحنا يا بلال بالصلاة ، وهو يأتى إليها ، وهو متشوف لها ، مشتاق إليها،

فأجره أعظم ، ولنعلم جميعًا أننا لن نصل إلى هذه المرحلة ، أرحنا بالصلاة ، حتى نتجاوز المرحلة الأولى التي هي مرحلة الامتحان ، وقل مثل هذا في الصيام ، صيام النوافل مثلاً ، قيام الليل كَابَدَ السلف سنين طويلة من مشقة قيام الليل ، ثم تلَذَّذوا به ، فهم ما وصلوا إلى هذه المرحلة حتى تجاوزوا المرحلة التى قبلها .

س : كيف يمكن للطالب أن يوازن بين دروس الجامعة والدروس الخارجية مع ما لا يخفاكم من التزاحم والتراكم أفيدونا جزاكم الله خيراً .

جـ : التوفيق سهل إذا عرفت الهدف الذي من أجله خُلقت ، وهو تحقيق العبودية ، وهذه العبودية لا تتم على الوجه المطلوب إلا بمعرفة ما يصححها وما يفسدها ، فإذا عرفت أنك خلقت لهذا تجاوزت هذه العقبات ، وأقبلت لحلق العلم، وأنت منشرح الصدر ، فيمكنك أن توازن ولاسيما وأن الدروس العلمية ليست في وقت الدراسة النظامية ، فبالإمكان أن يدرس الإنسان في أول النهار دراسة نظامية، وبعد أن يستريح ويسترخي الظهر والعصر ، ويأخذ حظه من الراحة ، ويراجع ما يحتاج مراجعته أن يحضر الدروس ، في المغرب مثلاً أو بعد العشاء ،ولا تزاحم .

س : ألا ترون أن تكون الدراسة الأكاديمية مركزة أكثر مما هي عليه الآن على المداخل للعلوم مثل مقدمة التفسير لابن تيمية ، ودراسة كتب الأحاديث الستة ، وكيفية التعامل معها ، ومناهج المفسرين وغيرها من الأصول التقعيدية والتعريف بالمفاتيح ؟

جـ : معرفة المفاتيح أمر مهم ، وعلوم الألة يوليها أهل العلم عانية فائقة ؛ لأنها تيسر عليه فهم المقاصد والغايات لابد من أن يوجد مقررات تعرف طلاب العلم بما يريدون قرائته من كتب التفسير من معرفة مناهج المفسرين ، ومعرفة ما تشتمل عليه الكتب الكبيرة من المحاسن والمآخذ، وقُل مثل هذا في شروح كتب السنة ، وقُل مثل هذا في كتب الفقه وترتيبها في الأولويات ، يحتاج طالب العلم كثير من هذا .

س : عندما أقرأ في كتب الفقه أتجاوز الكثير من الفروع ، فما رأيكم في هذه الطريقة ؟

جـ : هذه الطريقة لا تجدي ؛ لأن الفروع بعضها مبني على بعض ، وكتب الفقهاء أُلفت بعناية ودقة ، ورتبت فيها العلوم ، فتأخذ كما ألفت وتدرس على الطريقة التي شرحناها .

س : نجد من أنفسنا ، وممن حولنا من طلاب العلم حاجة إلى التوجيه في أمرين فيما بين العبد وبين ربه ، وكيف يصلح المرء قلبه وفي العمل بالآداب ؟

جـ : هذه في مناسبات كثيرة تكلمنا عليها طويلاً ، وذكرنا بعض الأمور التي يوجد فيها الخلل عند السامع والمتكلم ، ونسأل الله ـ جل علا ـ أن يعيننا على ما يصلح قلوبنا ، ويجعلها سليمة يوم لا ينفعه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، لابد من البحث عما يحقق هذا الوصف للقلب .

س : يقول أيضًا : في منهجية طلب العلم عمومًا ، والأصول والفقه خصوصًا؟ يقول : فنناشدك الله أن تبين لنا هذه الأمور بجلاء حتى نخرج من الظلمة التى نحن فيها ، فيكون ذلك من الصدقات الجارية .

جـ : هناك أشرطة كثيرة حول كيفية تحصيل العلم في العلوم كلها ، وهناك أيضًا أشرطة تداولها الإخوان وكانت لقاءات على الهواء في الإذاعة خمسة لقاءات سموها كيف يبنى طالب العلم مكتبته ، ذكرنا كيف يستفيد طالب العلم من هذه الكتب، فالطالب المحتاج لهذه يراجع هذه الأشرطة ، أيضًا هناك معالم فى طريق الطلب وهناك مفاتيح وهناك أمور كثيرة ، ونسأل الله ـ جل وعلا ـ أن يعاملنا بالعفو ، نأخذ من هذا فيحصل من هذا تكرار ، ويحصل من هذا ترديد قد يكون مملولاً عند بعض الطلاب ، لكن بعض الطلاب يحتاج إلى شيء منه .

هل سأكون عالمًا؟

الشيخ : الشريف حاتم بن عارف العوني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن ولاه أما بعد:

فلا نطيل في لوم المُقدِّم على بعض العبارات التي لا أستحقها ، فالوقت ضيق ويكفيه لومًا أن الوصف الذي ذكره لا يطابق الواقع ، أما درسنا اليوم فكما هو في عنوان اللقاء هل سأكون عالمًا ، لقد جئنا اليوم المعرفة الجواب عن ذلك السؤال المهم الذي يتعلق بمستقبل شريف وحياة طيبة كريمة يتمناها كل عاقل مُوفق ألا وهو السؤال الموضوع عنوانًا لهذا اللقاء هل سأكون عالمًا ؟ فأول بشرى لمن حرص على استماع جواب عن هذا السؤال أنه عاقل موفق ـ إن شاء الله تعالى ـ وإلا لما رغب عن معرفة الإجابة عن هذا السؤال ، ولما اهتدى إلى أهمية ذلك المستقبل الشريف الكريم ، ولتعلم أن كونك عاقلا ًموفقًا حقيقة لا شك فيها ، وأنها ليست مجاملة لك مِنِّي ولا تطيبًا لخاطرك انظر لم هم الحريصون علي سماع هذه الإجابة بالنسبة لغيرهم ممن ملأوا الأسواق والشوارع والبيوت ؛ لتعلم أنك مخصوص بنعمة عظيمة يلزمك شكرها إنها نعمة التعقل والتوفيق ، وهناك بشرى أخرى ، وأرجو ألا نخرج اليوم من هذا المسجد إلا بقدر كبير من البشائر التي أرجو معها لا أقول تنام قرير العين ، بل تسهر ـ إن شاء الله ـ في طلب العلم قرير العين .

هذه البشرى هي أنك يا من طاقت نفسك إلى سماع هذه الإجابة فلم تحتقر نفسك ، ولم نقل من أكون ، وهل يحق لى أن أفكر كيف سأكون أنك صاحب همة عالية همة تسعى بك إلى القمة ، ولا ترضا لك الدون ،وإلا لما اعتبرت نفسك



مخاطبًا بهذا السؤال هل سأكون عـالمًا ، ولما حسبت أنك أنت دون غيرك السائل لهذا السؤال ، بـل هذا يدل على أن هذا السؤال سـؤالك الأكبـر ، ورغبـتك في معـرفة الإجابة هي رغـبتك العظمى فأبشـر ثم أبشر يا صاحب الهـمة العالية ، فـأنت بهذه الهمة قد أجبت عن السؤال بنفسك هل سأكون عالمًا .

سَلْ همتك التي قادتك لهذا السؤال فسـتقول لك : نعم سأكون عالمًا ، ولم ينته جوابها ، فإنـها تقول لك : لكن صاحبنى ، صاحب همـتك من المهد إلى اللحد ، فإن فاتك المهد ، فمـن الغد إلى اللحد ، بل من الآن إلى أن تلقى ربك ، وقد بوب الإمام البخاري ، أو أورد الإمام البخاري حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: « تفقهوا قبل أن تسودوا » ، ثم قال بعده : « وبعد أن تسودا فقد تعلم أصحاب النبى ﷺ على كبـر أسنانهم »، ها أنا قـد أجبـتك عن هذا السـؤال ، بل أنت أجبت نفسك، فالحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، والله أعلم .

انتهت الإجـابة لِمَ لا تقوم ؟ لِمَ لا ينفض المجلس ، انتـهى الجواب فمـا بقاؤك الآن؟ بقاؤك لأنك مع همتك العـالية صاحب حرص ومثـابرة ، وهذه بشرى جديدة أضفها إلى سجل بشـائر اليوم ، فبحرصك ومثابرتك تُحسنُ صحـبة همتك العالية ، وإذا قصرت فى الحرص والمثابرة جهلت همـتك وأسات صحبتها ، بل إنك إن تركت الحرص والمثابرة قتلت همتك ودفنتها وصليت عليها ، بل دفنتها بغير صلاة ، فعلاقة الهمـة بالحرص والمثـابرة كعـلاقة الروح بالجسد لا بقـاء لأحدهمـا دون الأخر، بل كالعلاقـة في الإيمان بين الإيمان القلب وعمل الجوارح ، فـالهمة كالاعتـقاد القلب ، والجد في طلب الـعلم والحرص عليه كـأعمـال الجوارح ، فكما أن وجـود الاعتـقاد القلبي لابد أن يظهر أثره على الجـوارح ، وكما أن انعدام عمـل الجوارح دليل انعدام الاعتـقاد ، فكذلك من كان له همة لابـد أن يظهر ذلك في حرصه ومـثابرته ، وإذا انعدم الحرص والجد دلَّ ذلك على انعدام الهمة ، وكما كان لظاهرة الإرجاء في العالم الإسلامي أثر في نقص الإيمان ، والتـخلي عن الالتزام بالأحكام الشرعيـة ، وغياب

مظاهر المجتمع الإسلامي الحقة بين المسلمين كذلك كان لظاهرة الإرجاء في الهمة والجد في طلب العلم في العالم الإسلامي أثر في نقص العلم وظهور الجهل والتفاخر بما لا يفخر به وترك مكارم الأخلاق ، ومعالي الأمور مما أدى إلى التخلف الحضاري الذي يعيشه المسلمون اليوم ، وبهذا الحرص وبتلك المثابرة وهما اللذان أجلساك هذا المجلس حتى بعد سماعك لجواب سؤال هذه الليلة أنت بذلك تؤكد تلك الإجابة لتقول : نعم ، وألف نعم سأكون عالمًا بإذن الله تعالى .

أخي من هو العالم الذي تتمنى أن تكون هو في المستقبل ، والذي قد وجدت فيك مؤهلاته الأولى والكبرى ، وهي العقل والتوفيق والهمة العالية والحرص والمثابرة؟ من هو هذا العالم ؟ .

احذر فليس كل من قيل له عالم يستحق أن تتمنى مثل مكانه فممن يقال له عالم أول من تسعر به النار ، فعن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إن أول الناس يقضى فيه يوم القيامة رجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن ، فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ، قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن ، فيقال : كذبت ، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال قارئ ؛ فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار » .

ثم احذر مرة أخرى فإن من العلم ـ وهو علم ـ ما كان يتعوذ منه النبي ﷺ فيقول : « اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع » إذن ؛ مَنْ هو العالم ، وما هو العلم ؟

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٨] ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ١٨] .

وصح عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : « كفى بخشية الله عِلمًا ، وكفى بالاغترار بالله جهلاً » . وقال عمران القصير سألت الحسن البصري عن شيء،

فقلت : « إن الفقهاء يقـولون كذا وكذا ، فقال وهل رأيت فقيهًـا بعينك ؟ إنما الفقيه الزاهد في الدنيا ، البصـير بدينه ، المداوة على عبادة ربه » ، وقال مجـاهد بن جبر : «الفقيه من خاف الله عز وجل » ، فما هو العلم الذي يُسمى به المرء عالمًا إذن؟.

إنه العلم الذى يزيدك خشية لله تعـالى ، وزهدًا فى الدنيا ، ورغبة في الأخرة ، ومن هو العالم إذن ؟.

هو الخاشي لله ـ تعالى ـ الزاهد في الدنيا ، الراغب في الآخرة .

أقول : فإن قلت : أنت ذكرتَ صفة العلم والعالم ، ولم تُسَمِ لنا ذلك العلم.

فالجواب : إن أعظم مـا يؤدي إلى خشية الله ـ تعـالى ـ ، وأكبر داعٍ إلى الزهد في الدنيا ، وأكثر ما رغب الآخرة ، هو علم الكتاب والسنة إذا كان بإخلاص وحسن مقصد .

انظر إلى قول النبي ﷺ : « **لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً** ».

هذا يدل على أن العلم الذي أُتيه النبي ﷺ هو سبب خشيته وتقواه التي بلغ بها أعلى غاية ، فكان سيد ولد أدم ﷺ ، وأتقانا لله ، وأخشانا لله ، فما هو علم النبي ﷺ إلا العلم بالله وبأمره ، وهو العلم الذي بلغـه لأمته في كتـاب الله العزيز والسنة المشرفة .

فإذا كان العلم هو مـا أثمر خشية الله وتقواه ، وكـان هذا العلم هو علم الكتاب والسنة ، فالعالم إذن ؛ هو العالم بالكتاب والسنة ، قال ابن الوزير الصنعاني : « أن من ليس بعـالم بالكتاب والسـنة لا يستـحق أن يُسمى في الشـرع عالما ، وإن عـرف جميع العلوم مـا عدا الكتاب والسنة ، وهذا ظاهر لا نعلم فيه نزاع ، فالمـسألة مسألة إجماع أن الإنسان لها يكون عالمًا إلا إذا كان عالم بالكتاب والسنة .

أخي إني ما جـئت اليوم لوضع خطة علمية يسـير عليها المتـعلمون ، ولا أتيت أضع سلمًا للدروس الفقـهية ، ولا أقترح منهجًـا للمحدثين ، ولا أرتب العلوم التي

يحتاج إليها المفسرون ، ولكنى أتيت أمحض لك النصيحة ، وأخاطبك بخواطرَ في نفسي يحملني عليها - والله - حبك ، ويخرجها من صميم قلبي - تالله - إرادة الخير لك ، وليس تركى لوضع الخطة العلمية وترتيب العلوم لعدم أهمية ذلك ، بل هو مهم للغاية ؛ لأن ذلك مما كتب فيه كثيرًا وسجلت لبيانه محاضرات متعددة ، فليس هناك داعٍ للإعادة والتكرير ، فإليك هذه الوقفات التي أريد منها أن تكون زادًا في طلبك ، وسميرًا لك في وحدتك ، وصاحبًا لك في حِلِّكَ وسفرك .

الوقفة الأولى: تذكر دائمًا فضل العلم وأهله فكيف يرضا العاقل لنفسه الخسارة؟! وكيف يحب لها أن لا تنال الشرف الأكبر والعزة العليا والمجد الثابت ؟!

يقول أحد العلماء : إن كنت أيها الأخ ترغب في سمو القدر ، ونباهة الذكر، وارتفاع المنزلة بين الخلق ، وتلتمس عزًا لا تثلمه الليالي والأيام ولا تتحيفه الدهور والأعوام ، وهيبةً بغير سلطان وغنى بلا مال ، ومنعة بغير سلاح ، وعلاء من غير عشيرة ، وأعوانًا من غير أجر ، وجندًا بلا ديوان ولا فرض ، فعليك بالعلم ، فاطلبه في مظانة تأتك المنافع عفوًا ، وتلقى ما يُعتمد منها صفوى .

قلت : وأعظم من ذلك كله الثواب الأخروى الذي خُصَّ به العلماء ، وقد سبق ذكر الآيتين في فضل أهل العلم ، والآيات في ذلك كثيرة كقوله - تعالى - : ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾[المجادلة : ١١] أى يرفع الله الذين أمنوا وعلموا على الذين أمنوا ولم يعلموا ، وقال - تعالى - : ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾[الزمر : ٩]

وأما الأحاديث فكقول النبي ﷺ في الحديث الجليل : « **من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سلك الله له طريقًا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات والأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء ، لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم فمن أخذه بحظ**

وافر » .

هذا حديث عظيم في فضل العلم ، وفيه فوائد :

أولاً: فضل الرحلة فى طلب العلم ، فإنه إن كان الطريق إلى العلم طريق الجنة، فأولى بمن رحل لطلب العلم ألا يحطَّ رحاله إلا فى الجنة .

ثانيًا: سلوك الطريق لالتماس العلم يحتمل أن يراد به السلوك الحقيقي ، وهو المشى بالأقدام إلى مجالس العلم ، أو الركوب إليها ، ويحتمل أن يراد ما هو أشمل من ذلك وأعم ، فيدخل فيه سلوك الطريقة المعنوية المؤدية إلى حصول العلم مثل حفظه ودراسته ومطالعته ومذاكرته والتفهم ، له والتفكر فيه .

ثالثا : أن من سلك طريق العلم استحق أموراً منها أن يسهل الله لطالب العلمِ العلمَ الذي يطلبه ، فإن العلم طريق موصل إلى الجنة ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** ﴾ [القمر: ١٧] قال طائفة من المفسرين هل من طالب علم فيعان عليه ؟!

ومنها : أن ييسر الله لطالب العلم العمل بمقتضى ذلك العلم إذا قصد بتعلمه وجه الله ، فيجعله سبب لهدايته ، والعمل بعلمه ، ومنها أن ييسر الله لطالب العلم الذي يعمل بعلمه علومًا أخرى ينتفع بها ، فيكون طريقًا مُوصلاً إلى الجنة ، كما قيل: من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم .

رابعًا: أن سبب تيسير طريق الجنة على طالب العلم إذا أراد وجه الله هو أن العلم يدل على الله من أقرب الطرق وأسهلها ، فمن سلك طريقه ولم ينحرف عنه وصل إلى الله وإلى الجنة بأقرب الطرق وأسهلها قال ـ تعالى ـ : ﴿ **قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ** ﴾ [المائدة : ١٥ ، ١٦] .

خامسًا: أن الملائكة تحف طالب العلم بأجنحتها ، ثم يعلو بعضها حتى يبلغ



عنان السماء من حبهم لما يطلب ، فما بالكم بمن حفته الملائكة أين منه الشياطين ؟!

سادسًا: أن العالم معرض للمغفرة أكثر من غيره لاستغفار كل شيء له حتى الحيتان في بحرها والنملة في حجرها .

سابعًا: كما أن الكواكب نوره لا يتجاوزه إلى غيره فكذلك العابد خيره محصور في نفسه ، بخلاف القمر الذي يشرق نوره على وجه الأرض ، وكذلك العالم الذي يتجاوز خيره إلى الناس من حوله .

ثامنًا: لما كان الرسول ﷺ سراجًا وقمرًا منيرًا يُشرق نوره على الأرض ، فهو كالشمس كان العلماء الذين هم ورثته مشبهين بالقمر ليلة البدر الذي يقتبس من الشمس النور ، وفي الصحيح عن النبي ﷺ : « **إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أضوء كوكب دري في السماء** » ، فلا يبعد أن العلماء الربانيين من الزمرة الأولى التي تدخل الجنة على هيئة القمر ليلة البدر، كما كانوا في الدنيا بمنزلة القمر ليلة البدر لأهل الأرض ، فالجزاء من جنس العمل وكما تدين تدان .

تاسعًا: دل هذا الحديث على تفضيل العلم على العبادة تفضيلاً بينًا ، وكيف لا يكون كذلك ، وقد قال بعض السلف : تعلموا العلم ، فإن تعلمه حسنة ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة » ، فجمع جميع العبادات العلم يجمع جميع العبادات ، يقول هذا العالم مكملاً كلامه ، في فضل العلم : « لأن العلم سبيل منازل الجنة ، وهو الأنيس في الوحدة ، والصاحب في الغربة ، والمحدث في الخلوة ، والدليل على السراء ، والمعين على الضراء ، والذين عند الأخلاء ، والسلاح على الأعداء ، يرفع الله به أقوامًا فيجعلهم في الخيرات قادة وأئمة ، تقتفى آثارهم ، ويقتدى بفعالهم ، ترغب الملائكة في خلتهم ، وبأجنحتها تمسحهم ، ويصلي عليهم كل رطب ويابس ؛ لأن العلم حياة القلوب من الجهل ، ومصباح الأبصار من الظلمة ، وقوة الأبدان من

الضعف ، ويبلغ بالعبد به منازل الأخيار والأبرار والدرجات العلا في الدنيا والآخرة، به توصل الأرحام ، ويعرف الحلال والحرام ، وهو إمام ، والعمل تابعه يُلهمه السعداء ، ويحرمه الأشقياء » .

تاسعًا: أن العلماء ورثة الأنبياء ، فهم رسل الرسل ، وفي مقام الأنبياء بين الله وبين خلقه وذلك فى تبليغ شرع الله ، ولذلك قد يُطلق اسم العلماء ويراد إدخال الأنبياء فيهم ، كما في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ** ﴾ [آل عمران : ١٨] ، فلم يفرد الأنبياء بالذكر ، بل أدخلهم في همس العلماء، وكفي بهذا شرفًا للعلماء أنهم يسمون باسم يجتمعون فيه هم والأنبياء .

عاشرًا: أن العلم حظ عظيم ونصيب جليل يُغبط عليه صاحبه ، ولذلك أورد البخاري في كتاب العلم قول النبي ﷺ : « **لا حسد إلا في اثنتين رجل أتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها** » .

الوقفة الثانية : اقرأ سير العلماء المتقدمين ؛ لأن ذلك خير معين على علو الهمة، سمعت أحد العلماء قديمًا يقول : لا تقرن نفسك ولا تزنها بأحد من العصريين ولو كان عالم العصر بلا منازع ، ولكن زنها وزن جدك في الطلب ومقدار ما حصلته من العلم بجد المتقدمين وعظيم ما حصلوه من العلوم ، وهذا ذكرني بما قاله الإمام الدارقطني حيث قال : « من أحب أن ينظر ويعرف قصور علمه عن علم السلف فلينظر في علل حديث الزهري لمحمد بن يحيى الزهرى » يقوله الدارقطني وهو إمام العلل الذي شرب الإمام الذهبي ماء زمزم بنية أن يكون مثله ، والذهبي هو الذي شرب الحافظ ابن حجر ماء زمزم ليكون مثله ، والحافظ ابن حجر هو الذى شرب السيوطي ماء زمزم ليكون مثله ، فكان الدارقطني إمام زمانه ، وكان الذهبي إمام زمانه ، وكان الحافظ ابن حجر إمام زمانه ، وكان السيوطي من أئمة زمانه .

إن قراءة سير العلماء المتقدمين لها فوائد عظيمة ، فكما تُروى عن أبي حنيفة أنه قال : الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب إلى من الفقه ؛ لأنها أداب القوم

وأخلاقـهم ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام : ٩٠] ، ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ ﴾ [يوسف : ١١١] .

ومن هذه الفوائد شحذ الهمم وإشغال العزائم ، وقدح المواهب .

ومنها : تعليم المثابرة ، وترك العجز ، والتغلب على كل العوائق دون طلب العلم ، بل تعلم أنه لا يمكن أن توجد عوائق أبدًا عن طلبه .

ومنها : إلجام النفس عن الاغترار وتعريفها بجهلها وضعفها وتقصيرها إذا ما وزنتها بالعلماء السابقين .

ومنها : تقويم الأخلاق بصمت وهدوء دون أمر أو نهي .

ومنها : تعليم الصبر والثبات على الأمر ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ [هود : ١٢٠] ، والعلماء ورثة الأنبياء ، ورسل الرسل ، ولذلك قيل: الحكايات جند من جنود الله ـ عز وجل ـ يتقوى بها إيمان المؤمنين .

الوقفة الثالثة: اعطِ نفسك الفرصة للتلذذ بالعلم ، فهو أعظم لذة مطلقًا ، يقول ابن الجوزي : اللذات كلها حاصلة بين حسي وعقلي ، فنهاية اللذات الحسية وأعلاها النكاح ، وغاية اللذات العقلية العلم ، فمن حصلت له الغايتان في الدنيا فقد نال النهاية ، ومن عرف لذة العلم قدمها على كل اللذائذ الحسية أعلاها وأدناها ، ألا ترى العلماء أعرضوا عن كل شيء من أمور الدنيا استغناء بلذة العلم ؟ !وذلك أن اللذة الحسية كالنكاح لذة غريزية جسدية ، وأما لذة العلم فلذة روحانية علوية ، فمن قدم اللذة الحسية فهو يمتع الجسد الفاني ، فلذته على قدر محله في الضعف والفناء، ومن قدم اللذة العقلية فهو يمتع الروح الباقي ، فلذته على درجة سموه من القوة والبقاء ، ومن قدم لذة الحس أشبه باقي الحيوانات ، ومن قدم لذة العقل ارتقى إلى أفضل سمات وصفات البشرية ، فهذا الإمام الشافعي اشترى له أصحابه جارية حسناء، فلما كان الليل أقبل على الدرس ، والجارية تنتظر اجتماعه بها ، فلم يلتفت إليها ، فلما أصبحت سارت إلى النخاس الذي يبيع العبيد ، وقالت حبسوني مع

مجنون ، فبلغ الشافعي قولها ، فقال : المجنون من عرف قدر العلم ثم ضيعه ، توانى حتى فاته .

وهذا الحافظ الكبير محمد بن القاسم الأنباري الذى يضرب المثل بحفظه ، حتي إنه لما مرض في زمن أبيه فقلق أبوه ، وقال كيف لها أقلق لعلة من يحفظ جميع ما في هذه الصناديق من الكتب ، وأشار إلى صناديق كثيرة مليئة بالكتب ، هذا العلام رأى جارية تباع ، فوقعت في نفسه فدخل على الخليفة الراضي بالله ، فقال له الخليفة أين كنت ؟ فأخبره برؤية الجارية ، فاشتراها له الخليفة ، وبعثها إلى منزله فلما دخل رآها ، فقال : اصعدي إلى فوق لاستبرئك ، يستبرئها قبل مواقعتها ، ثم جلس يطلب مسألة فاشتغل قلبه بالجارية عن العلم ، فقال للخادم امضي إلى النخاس يريد أن يبيعها ؛ لأنها شغلته عن مسائل العلم ، فقالت الجارية : عرفني ذنبي ما هو ذنبي، فقال : مالكِ ذنب غير أنك شغلتني عن علمي ، فبلغ ذلك الخليفة الراضي، فقال لا ينبغي أن يكون العلم في قلب أحد أحلى منه في صدر هذا . ولذلك يقول ابن القيم الجوزية : وأما عشاق العلم فأعظم شغف به وعشقًا له من كل عاشق بمعشوقه ، وكثير منهم لا يشغله عنه أجمل صورة ، ولو صُوِّرَ العلم صورة لكانت أجمل من صورة الشمس والقمر .

الوقفة الرابعة: عود نفسك على طلب العلم ، يقول ﷺ : « **أحب الأعمال إلى الله ـ تعالى ـ ما دام وإن قل** » ، فإن كان هذا فى نوافل الطاعات عمومًا كالسنن الرواتب وصيام التطوع ، فما بالك في أفضل الأعمال بعد الفرائض ألا وهو العلم، وما يقرره علماء النفس المعاصرون أن للعادة مزية عظمى ، وهى أن المعاتد على شيء يقوم بتلك العادة بأقل جهد جسدي وعقلي ممكن ؛ لأن قيامه بذلك الشيء الذي اعتاده يتم منه بصورة آلية أو شبه آلية ، وهذا هو أحد أسباب سهولة الطاعات على من دوام عليها حتى اعتادها ، وصعوبتها عليه في البداية وقبل التعود ، فعلى طالب العلم أن يُلزم نفسه ساعات معينة من يومه لطلب العلم لا يقطعها يومًا واحدًا ،

ويصر على الاستمرار عليها متجاوزًا كلَّ الظروف ومتحايلاً على كل العوارض والموانع؛ فإن عجز عن حضور الدرس وضع الشريط ؛ فإن تعطل المسجل قرأ الكتاب؛ فإن قاد السيارة كرر محفوظه أو أعمل ذهنه في مسائل العلم ، ويستمر على ذلك حتى يصبح طلب العلم له عادة لا يستطيع أن يتركها ، ويشعر بفقدان وحيرة وقلق إذا تأخر عنها كما هي العادة في من ترك أي عادة ، فعند ذلك فلا تستكثر إلا أن ترى هذا الطالب إلا ومعه كتاب يقرأه أو شريط يسمعه فى مجلسه وممشاه ، بل في سفره قبل حضره ، وفي مزحته أكثر من حلقة درسه ، وعرف فضل ذلك علماؤنا الأولون ، هذا الفقيه الأديب أبو الحسن الكرفي يقول : كنت أحضر مجلس شيخي أبي حازم يوم الجمعة بالغداة في غير أن يكون يوم درس لأن لا أنقض عادتي في الحضور ، يحضر في غير يوم الدرس حتى لا تتغير عادته التي تعودها يأتي كل يوم للدرس ، يوم الجمعة لم يكن فيه درس ، فكان يأتي حتى لا تتغير العادة .

الوقفة الخامسة: طَعِّمْ تلقيك للعلم برتبة الاجتهاد فيه أحيانًا ، لا يشك أحد أن طالب العلم يجب أن يبتدئ مقلدًا محضًا ؛ لأنه ليس لديه قدرة فهم الدليل ، ثم إذا استمر في الطلب قد يترقى إلى الاتباع ، وذلك إذا ما فهم الدليل ، وهي ـ أى مرحلة الاتباع ـ أولى مراحل طلب العلم الحقيقية ، وأما مرحلة التقليد فهي مرحلة تمهيدية لمراحل طلب العلم فحسب ، فإذا جد الطالب في مرحلة الاتباع وثابر ووفق وأعين ، ربما بلغ مرتبة المجتهد المقيد ، وعندها يكون قد أصبح عالمًا ، فمتى إذن نقول للطالب : طعم تلقيك للعلم برتبة الاجتهاد فيه أحيانًا ، قد تستغربون إذا قلت من أول مرحلة ، وهي مرحلة التقليد لكن بشرط ألا يتجاوز اجتهاده ذهنه وأوراقه، فلا يُفتي بمقتضى ذلك الاجتهاد ، بل لا يعمل هو نفسه بمقتضاه وحتى يتضح المقصود، فإني أقول إن الله ـ عز وجل ـ قد أنعم على بني آدم بنعمة التعقل والتدبر، فهى غريزة خلقية ، وطبيعة فطرية ، ثم مع ذلك أمرهم بها ﴿ **أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ [البقرة : ٤٤] ، ﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ** ﴾ [النساء : ٨٢] ، فلها يمكن في الحقيقة أن تكتب تلك

الغريزة ولا أن تزول تلك الفطرة ، وهى نعمة التعقل والتدبر، إلا بتشويه خلقي متعمد ، وتغطية للفطرة بستر يجعلها كالجمرة التي يغطيها الرماد لا حرارة لها ولا نور ، وكأنها فطرة ميتة ، فإن جيء بطالب العلم وقلنا له احفظ وتلقى دون نظر في الدليل ، لأنك لا تفهمه صح ذلك ، ولم يكن فيه خطأ بشرط أن يطالبه بمحاولة الفهم والمناقشة ، وعرض فهمه على شيخه ليُقوِّمه له ، أما أن يطالبه بالتقليد المحض دون محاولة فهم الدليل بينه وبين نفسه ، والتشنيع عليه بذلك إذا حاول الفهم والاستنباط والاجتهاد وتحقيره وتخجيله واستصغاره عن القيام بذلك ، فتلك ليست سنة العلماء الربانيين الذين يؤهلون طلابهم لأسمى الغايات ، ثم نحن بهذه الطريقة التي لا تصدر من صادق نصيحة لطالب العلم يحاول كبت غريزة خلقية وطبيعة فطرية ، فإما أن يطلب الطالب ذلك بدافع تلك الغريزة والفطرة ، فتنفجر غريزته بغير ضابط ، وتنتكس فطرته في الاتجاه المعاكس ، فيغتر بعقله ويتخبط في اجتهادات، ولم يبلغ درجة تمام التقليد أصلاً ، وإما أن يستجيب الطالب مع إصرار ذلك المعلم غير الناصح على أسلوب التلقى الضار بذاك الذي يشوه فيه غريزة التعقل، ويجعله آلة تكرر ما يقال ، وعندها لن نستفيد عالما وإنما نستفيد نسخة جيدة من ذلك الكتاب الذى حفظه ذلك الطالب ، فإذا قبل الطالب هذه الطريقة الجائرة في التعليم ثقل عليه التعليم أو التعلم ، أوصبح مـرًّا لا حلاوة فيه ، وكان ذلك أكبر داعٍ لترك التعلم جملة وتفصيلا ، لكن إن عرفنا الطالب أنه لا يحق له أن يفتي باجتهاده، ولا أن يعمل باجتهاده لعدم اكتمال آله الاجتهاد فيه ، غير أنَّا حثثناه على إعمال ذهنه في الفهم ، وفي مناقشة الأقوال المختلفة ، وبالترجيح بينها بناءً على الدليل ، وفهمناه أنه إنما يقوم بذلك للتمرن والتدريب ، فإننا لا نعارض بذلك غريزته ، ولا نتركها للفوضى الفكرية ،وتكون بذلك قد نصحنا ذلك الطالب ، ومهدناه لما نؤهله، وهو أن يكون عالمًا ، وفوق هذه الفائدة ، فإن الطالب بذلك سيشعر بلذة العلم، وحلاوة المعرفة وسيجد نفسه من خلال تلك المناقشات والبحوث فيزداد رغبة فى العلم

وحرصًا عليه واستمرار في طلبه ، وهذا ما يجعلني كثير الترغيب لطلبة العلم للقيام بمشاريع علمية وبحوثٍ ونواةٍ لمؤلفات الغرض منها التعليم والتدريب يعرضونها على من يثقون به من أهل العلم ، لتصويبها وحثهم على الاستمرار في البحث والتزود من العلم ، ولذلك أقول طَعِّمْ تلقيك للعلم برتبة الاجتهاد فيه أحيانًا حتى تستطعم حلاوة العلم فتستمر في طلبه ، وحتى تُنمي فيك موهبة التعقل والتدبر ، وخلي عنك احتقار النفس ؛ فإن احتقار النفس مذموم ، لأنه دُنُوٌ في الهمة ، وفَرِّق جيدًا بين الكبر والغرور ، وإعطاء النفس حقها من استخدام مواهب الله ونعمه فيها ، ولا تخادع نفسك فتسمى احتقارك نفسك ورعًا وتواضعًا ، فهذا هو الورع البارد، والوضاعة لا التواضع .

الوقفة السادسة : حدد هدفك من وقت مبكر واصبر على خطوات الوصول إلى ذلك الهدف ، أخي العلوم الشرعية متعددة ، وكل علم منها لو أفنى الإنسان فيه عمره ما بلغ نهايته ، ولا قريبًا من نهايته ، ولذلك قال أحد العلماء : من أراد أن يعلم كل شيء ، فينبغى لأهله أن يداووه ، فإن ذلك إنما تصور له لشيء اعتراه ، والطالبون للعلم صنفان ، والأمة في حاجة لكلا الصيفين الأول المتفنون ، وهم الذين يأخذون من كل علم بطرف ، ولا يصلون إلى درجة التعنت في كل علم منها ، وهؤلاء هم الدعاة المؤهلون ، والمحاضرون المفوهون ، والمعلمون لعموم الناس ، فنفعهم أوسع دائرة ، لكنه أقل عمقًا من القسم الثاني ولا يكون لديهم إضافة ذات قيمة في العلوم ، لكنهم يبلغون ما علموا والصنف الثاني المتخصصون في علم من العلوم المقتصرون عليه ، وهؤلاء هم الذين لا يأخذون من العلوم الأخرى أي غير العلم الذي تخصصوا فيه ، وغير فروض الأعيان من العلوم إلا بقدر ما يخدم العلم الذي ينوي التخصص فيه ، وهؤلاء هم الباحثون المضيفون للعلوم إضافات مهمة، ونفعهم أكثر عمقًا لكنهم أضيق دائرة بين الناس ؛ لأنهم لا ينتفع بهم إلا طلبة العلم المتخصصون وهؤلاء هم أصحاب الدروس العلمية المتخصصة ، والتفرغ للبحث

والتأليف .

فعلى طالب العلم أن يحدد هدفه إن أراد التفنن ، فله منهجه ، وإن أراد التخصص فلكل علم من العلوم خطته ، فليبدأ طلبه العلم ، وقد اتضحت لديه الغاية والوسيلة ، فالذي يضيع كثيرًا من طلبة العلم هو عدم تحديد الهدف ، فيومًا يريد أن يكون مفتيًا ، ومرة مفسرًا ، وأخرى مُحدِّثًا ، ورابعة شاعرًا ، وهكذا، والنتيجة أنه لا ينال شيئًا من ذلك ، ويصاب بخيبة أمل ، ويعرض عن الطلب بالكلية، ومن أحسن الأمثلة على تحديد الهدف من سير السلف مثالان .

الأول : عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ لقد تأخرت صحبة ابن عباس للنبي ﷺ إلى ما بعد فتح مكة ؛ لأنه كان صغيرًا ، ولم يهاجر هو وأبوه وأمه إلا بعد فتح مكة ، وكان عمره حين ذلك قرابة إحدى عشر عامًا ، فكان ابن عباس قد قرر المستقبل الذي يريد ، وعلم أن الفرصة محدودة ، لذلك أغتنم هذه الفرصة ، فكان من شدة ملازمته للنبي ﷺ ربما بات عند خالته ميمونة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ ليرى صلاة النبي ﷺ ، وهديه في بيته ، وكان ربما أعد للنبي ﷺ وضوئه، ولذلك دعا له النبي ﷺ بقوله : « **اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل** » ، بل كان يلازم النبي ﷺ حتى عند ركوبه دابته ، ولذلك خصه النبي ﷺ بتلك الوصية العظمى عندما كان راكبًا خلف النبي ﷺ وهي الحديث المشهور الذي يقول فيه ﷺ لابن عباس : « **يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا أن يضروك بشيء لن يضروك إلا شيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف** » ، ثم بعد وفاة النبي ﷺ لم ينقطع عن الطلب ، فهو يعلم أنه فاته كثير من العلم لصغر سنه ، وقصر فترة ملازمته للنبى ﷺ ، لذلك كان الاستمرار في الطلب خطة واضحة ومنهج لا تردد فيه عند ابن عباس ، اسمع إليه وهو يقول : لما

تُوفي النبي ﷺ قلت لرجل من الأنصار هلم نسأل أصحاب رسول الله ﷺ ؛ فإنهم اليوم كثير ، فقال : واعجبًا لك يا ابن عباس : أترى الناس يحتاجون إليك ، وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ من ترى ؟

هؤلاء هم المبتطون عن طلب العلم ، يقول لابن عباس ـ صاحبه الأنصاري ـ واعجبًا لك يا ابن عباس أترى الناس يحتاجون إليك سيأتي عليهم يوم يحتاجون إليك، وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من ترى فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، هل سيأتي يوم يحتاج الناس إليك ؟ يقول ابن عباس : فترك ذلك أي ترك ذلك الأنصاري طلب العلم ، وأقبلت على المسألة فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل أي نائم في وقت القيلولة فأتوسد ردائي على بابه فتسفو الريح على التراب ، فيخرج فيراني فيقول : يا ابن عم رسول الله ألا أرسلت إلي فآتيك، فأقول أنا أحق أن آتيك ، فأسألك قال : فبقي الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس علي ، فقال : هذا الفتى أعقل مِنِّي .

والمثال الثانى: الإمام أبو الحسن الواحدي صاحب التفسير وصاحب أسباب النزول ، فإنه لما وضع لنفسه غاية هي أن يكون مفسرًا لإدراك المنهج الصحيح ، لذلك وللعلوم التي يجب أن يحصلها ابتدأ بتلك العلوم من صباه وترك التفسير تمامًا، اسمع إليه وهو يقول ـ الإمام الواحدى ـ : يقول : وأظنني لم آلو جهدًا فى إحكام أصول هذا العلم على حسب ما يليق بزماننا هذا وتسعه سنو عمرى على قلة أعداها، فقد وفق الله ـ وله الحمد ـ حتى اقتسبت كل ما احتجت إليه فى هذا الباب من مظانِّه، وأخذته من معادنه ـ هذا كل كلام الواحدي ـ أما اللغة فقد درستها على الشيخ أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضي ـ رحمه الله ـ وكان قد التسعين في خدمة الأدب ، وأدرك المشايخ الكبار وقرأ عليهم وروى عنهم، وكنت قد لازمته سنين أدخل عليه عند طلوع الشمس ، وأخرج لغروبها أسمع وأقرأ وأعلق وأحفظ وأبحث وأذاكر أصحابه ما بين طرفي النهار في الليل ، وقرأت عليه

كثير من الدواوين واللغة حتى عاتبنى شيخي ـ رحمه الله ـ يومًا وقال : إنك لم تبق ديوانًا من الشعر إلا قضيت حقه أما آن لك أن تتفرغ لتفسير كتاب الله العزيز ، تقرأه على هذا الرجل الذي يأتيه البعداء من أقصى البلاد ، وتتركه أنت على قرب ما بيننا من الجوار يعني الأستاذ الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، فقلت: يا أبتي ـ هو ليس أبوه ولكنه معلمه فانظر إلى الأدب فى العبارة ـ إنما أتدرج بهذا إلى ذاك الذي تريد ، يعنى هذا من أغرب المواقف العادة أن الطالب يستعجل قطف الثمرة والشيخ يقول له تريث الصورة هنا العكس الشيخ يريد من تلميذه أن يقطف الثمرة والطالب يقول لا ما زلت فى مراحل الطلب حتى أصل أن استحق أن أطلب التفسير على الثعالبي ، يقول : فقلت يا أبتي إنما أتدرج بهذا إلى ذاك الذي تريد ، وإذا لم أحكم الأدب بجد وتعب لم أرمِ في غرض التفسير من كسب ، ثم لم أذب زيارته يومًا من الأيام ، أي لم أنقطع يومًا من الأيام حتى حال بيننا قدر الإمام ، وأما النحو فإني لما كنت في ميعة صباي تكلم عن اللغة والشعر ، يتكلم الأن عن النحو ، لأنه من العلوم التي ينبغي أن يحصلها المفسر ، قال : أما النحو ، فإني لما كنت فى ميعة صباي من طفولتي وشرخ شبيبتي ، وقعت إلى الشيخ أبي الحسن الضرير ، وكان من أبرع أهل زمانه في لطائف النحو وغوامضه ، وأعلمهم بمضايق طرق العربية وحقائقها، ولعله تفرس فيَّ وتوسم الخير لديَّ فتجرد لتخريجي ـ ترى العبر كثيرة لكن الوقت لا يسعنا للوقوف عند كل مقطع ، فانتبه واستنبط هذه العبر من خلال هذا النص ـ يقول ل: ولعله تفرس في وتوسم الخير لدي فتجرد لتخريجي وصرف وكده إلى تأديبي ، ولم يدخر عني شيئًا من مكنون ما عنده حتى استأثرني بأفلاذه، وسعدت به أفضل ما سعد تلميذ بأستاذه ، وقرأت عليه جوامع النحو والتصريف والمعاني ، وعلقت عنه قريبًا من مئة جزء فى المسائل المشكلة ، وسمعت منه أكثر مصنفاته في النحو والعروض والعلل وخصني بكتابة الكبير في علل القراءة المرتبة فى كتاب الغاية لابن مهران ، ثم ورد علينا الشيخ أبو عمران المغربي ، وكان واحد دهره

وعصره في علـم النحو لم يلحق أحدًا مما سمـعنا شأوه في معرفـة الإعراب ، ولقد صحبته مدة في مقامـه عندنا حتى استنزفت درر ما عنده ، انتهى من النحو . يقول: أما القـرآن وقراءات أهل الأمصار واخـتيارات الأئمـة فإني اختلفت إلى الأسـتاذ أبي القاسم علي بن أحمد البـستي ـ رحمه الله ـ ، وقرأت عليه القرآن ختـمات كثيرة لا تحصى ، أين هذا الذي يقرأ أو يختم مـرة ويكتفي ، أو مرتين على الشيخ أو ثلاثة ، يقول مرات كثيرة لا تحصى يعني فوق العشرة فوق العشرين لا نعرف كم عددها حتى قرأت عليه أكثـر طريقة الأستاذ إلى أن تكلم أيضًا عن الحديث ، وعن تبـحره فيه ، وعن أخذه له عن مظانه يقول ثم بعد ذلك أدركت الثعالبي إمام التفسير وأخذت عنه، بعد أن انتـهى من هذه العلوم جمـيعهـا ، وحدد هذه الخطة من صبـاه أريد أن أكون مفسر عرف ما هو المنهج ما هي العلوم التي يجب أن يحـصلها قبل أن يدرس التفسير وسار على هذه الخطة دون أن يحيد عنها لحظة واحدة .

الوقفة السابعة : جالس طلبة العلم النبهـاء ، واحرص على تقوية صلتك بهم ، لا طلابه بالمظهر دون المخبر ، فـهؤلاء أدوى الداء ، ومن أدعى الدواعي إلى الجهل، ليس كل من تزيي بذي طلبـة العلم طالب علم ، بل هناك من هم قطاع الطريق دون طلب العلم وهم في ثياب طلبة العلم ، فهؤلاء ابتـعد عنهم كل الابتعاد واحرص ألا تماشهم إلا إذا أردت نصحهم وتوجيههم وإرشادهم .

إن مجالسـة طلبة العلم أحيـانًا من الأمور المعينة على طلب العلم والاسـتفادة ؛ لأنهم لا يقطعـونك مـن طلب العلم في زمن طلبك الراحـة والاسـتـجـمـام ، بل يربطونك بالعلم أكـثـر فأكثـر ، فأنت لا تسمع مـنهم إلا المسائل العلميـة ، وغرائب الفوائد الـتي استفـادوها وفرائد الشـوادر التي سمـعوها ، والدروس التي حـضروها والمشكلات التي لم يفـهومـهـا ، وغـير ذلـك من مسـائل العلم الحقـة ، ثم أنت إن سمعت منهم شيئًا تجهله أنفت من الجهل ، وحـرصت على مسابقتهم في العلم فتقع في التنافس المحمود الذي أمر الله ـ تعالى ـ به : ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾

[المطففين : ٢٦] ثم إياك إياك من أصحاب يصدوك عن طلبك للعلم إما بتضييع الأوقات باللعب ، بل ربما في الحرام وإما بإشغال وقتك في الكلام في فلان وفلان ، واستمراء لحوم العلماء والدعاة ، ثم إياك إياك أيضًا من المبالغة في تلك المجالس ، ولو كانوا طلبة علم بمعنى الكلمة ، فالعلم لا يكون إلا بالعزلة ، وأضر شيء عليه كثرة الخلطة ، لكن اجعل مجالس طلبة العلم فترات تعبك ، وساعات وحشتك، لتكون راحة وأنسًا لنفسك تقويك على معاودة الطلب وأنت في أسمى همتك ، وأكبر حرصك .

الوقفة الثامنة : لا تسمع لمن يصعب عليك طلب العلم ويعسره ، فليس بصعب ما كان عاقبته عاقبة العلم ، ولا بعسير ما كان عسره لذة وسهره راحة وفيه رضا الله والجنة ، اسمع إلى قول الإمام ابن الوزير الصنعاني لما عسَّر عليه أحد شيوخه طلب السنة النبوية ، قال ابن الوزير : المراجعة في أن طلب الحديث متيسرًا أو متعسر من الأساليب المبتدعة والأمور المتعسفة ؛ لأن مقادير التسهل والتعسر غير منضبطة بحد ولا واقفة على مقدار ولا جارية على قياس ، ولا يصح في معرفة مقاديرها برهان عقل ، ولا نص شرع ، ولا تعرف مقاديرها بكيل ولا وزن ولا مساحة ولا ؛ خرس فإن من قال : إن طلب الحديث أو حفظ القرآن أو الفقه أنه أمر متيسر غير متعسر ، لم يعقد له مجلس المناظرة كما يعقد لمخالفين في العقائد ؛ لأن الذي ادعاه أمر ممكن، وهو يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال ، فطلب العلم متسهل على ذكي القلب ، صادق الرغبة ، خلي البال من الاشغال ، واحد الكتب المفيدة ، والشيوخ المبرزين ، والكفاية فيما يحتاج إليه من أمور الدنيا ، ونحو ذلك ، وطلب العلم متعسر على من فقد هذه الأمور كلها ، وبينهما في التسهل والتعسر درجات غير منحصرة ، ومراتب غير منضبطة ، وبين الناس من التفاوت ما لا يمكن ضبطه ولا يتهيأ ، وأين الثريا من الثرى ، وجامد الطبع بليد الذهن إذا سمع من يدعي سهولة ارتجال القصائد والخطب ، وتحبير الرسائل والكتب توهم أنها بمنزلة من يدعي إحياء

الموتى وإبراء الأكمة والأبرص ، وكذلك الجبان الفسل إذا سمع من يدعي سهولة مقارعة الأقران ، ومنازلة الشجعان ، إلى أن يقول : وعموم التفاوت الذي يدور عليه، وميزانه الذي يعتبر به في أغلب الأحوال هو التفاوت في صحة الفهم ، وصفاء الذهن ، واعتدال المزاج ، وسلامة الذوق ، ورجحان العقل ، واستعمال الإنصاف، هذه الأشياء هي مبادئ المعارف ، ومبانى الفضائل ، ولأجلها يكون الرجل غنيًا من غير مال ، وعزيزًا من غير عشيرة ، ومهيبًا من غير سلطان ، إلى غير ذلك من الصفات الحميدة ، والنعوت الجميلة ومن ها هنا حصل التفاوت الزائد ، حتى عُدَّ ألف بواحد ، ومما أنشدوا فى ذلك :

وَلَمْ أَرَ أَمْثَالَ الرِّجَالِ تَفَاوُتًا　　لَدَى الْمَجْدِ حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدِ

وقال القائل :

وَالنَّاس أَلْفٌ مِنْهُمْ كَوَاحِدِ　　وَوَاحِدٌ كَالأَلْف إِنْ أَمْرٌ عَنَى

وفى الحديث : « الناس كإبل مئة لا تجد فيها راحلة » ، وفي الحديث : « **رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه** » . فليس كل من حفظ الحديث كان كالبخاري ، ولا كل من تفقه في الدين كان مثل الشافعي ، إلى أن يقول : والتعرض لذكر المشاق التي في طلب العلم والحج الجهاد وسائر أعمال البر على سبيل التوعير لسالكها، والإحالة لبلوغ مراتبها عكس ما جاءت به الشرائع ، ودعت إليهم الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وكان عليه الأئمة العلماء والوعاظ ، وإنما السنة تيسير الأمور على من عسرت عليه ، وتذكير القلوب الغافلة ، وتنشيط النفوس الفاترة ، ولهذا شرعت الخطب وصنف الوعاظ كتب الوعاظ ، ودون الحفاظ أحاديث الرقائق بتسهيل ما يصعب على النفوس ، وتقريب ما تباعد على أهل الأصول ، وقد تكاثرت الأحاديث النبوية في الحث على ذلك ، وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ إذا بعث سرية يقول : «**يسروا ولا تعسروا ويشروا ولا تنفروا** » . فالمعترض على أهل الحديث المعسر لمعرفته، الموعر لطريقة ، مرتق إلى مرتبة الفتيا ، منتصب في منصب التعليم متمكن

في مكان الدعاء إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فما باله يعكس السنن ويسنن من البدعة في كل سنن ، نسأل الله أن ينفعنا بما علمنا ويـعلمنا بما ينفعنا ويوفقنا للاقتداء بسيدنا محمد ﷺ

الوقـفة الأخـيرة : لا تغلوا في تلقى العلم عن الكتب دون الرجـوع إلى معلم، ولا تغلو في تلقي العلم عن الشـيوخ دون الإكثار من القـراءة الذاتية لكتبهم ، فـقد قيل: كان العلم في صدور الرجال ، فصار فى الكتب ومفاتيحه بأيدي الرجال .

بعض طلبة العلم يكـتفي بالقراءة الذاتية دون الـرجوع إلى أهل العلم ، وهذا له أخطاره الكثيرة ، فقد يفهم غيـر مراد العالم ، وقد يزل في طريقه طلب العلم ، فلا يُوفق إلى بلوغ الغاية التي يريد ، وقد يقدم الأمـر الذي ليس أهلاً للتقديم ويؤخر ما يستحـق التقديم المقصود أنـه قد يزل في طلبه للعلم بسبب انفـراده دون الرجوع إلى معلم .

وبعض الطلبة ـ الطرف الآخر من الطلبة ـ يكتـفي فقط بالدروس العلمية لا يقرأ الكتـاب ، ولا يحاول التزود ، إذا انقـطع المعلم عن التدريس انقطع هو عن التـعلم تمامًـا ، وإن لم يجد من يعلمـه ترك التعلم جـملة وتفصـيلاً ، وهذا أيضًـا خطأ ، المعلمون والمدرسون إنما يعطونك مفاتيح العلم ، وأما العـلم وطلبه والجد فيه فهو من خلال قـراءتك الكتاب ، لن تجـد عالمًا يسقـيك العلم من أوله إلى آخره ؛ لأنه غـير متفرغ لك ، منشغل بك وبغـيرك من طلبة العلم ، ثم إن العلم أوسع من أن يستطيع مـعلم مـا أن يعطـيك إياه كله من خـلال الدروس لذلك أنـت لابد أن تضـيف إلى الدروس العلمية وحـضور حلقات المشايخ كثـرة القراءة من الكتب ، فكِلا الأمرين لا ينبغي الغلو فـيهمـا ، لا قراءة الكتب والاكتـفاء بها ، ولا تلقي العلم عن الشـيوخ والاكتفـاء بهم ، بل لابد من الجمع بين الأمرين ، ولتعلم كـما قلت أن قراءة الكتب هي البـاب الأرحب للعلم الذي لايفتحـه لك إلا المشايخ والمعلمـون ، وكلما كـان الطالب في بدايات طلبه كلما كان إلى المعلم أحوج ، وكلما تقدم بالطلب كلما أمكن

أن يقتصر على الرجوع إلى معلمه في المسائل المشكلة فقط ، وقد تيسر هذا ـ بحمد الله ـ من خلال وسائل الاتصال الكثيرة بالهاتف ، بوسائل التنقل السريعة بغير ذلك يمكن الرجوع إلى العلماء بسهولة عند أي مشكلة ما ، وأعرف من قرأه درسًا من الدروس على أحد المشايخ من خلال الهاتف ، متنًا كاملاً بشرحه وهو رجل واحد طالب علم واحد قرأه على أحد الشيوخ من خلال الهاتف من أوله إلى أخره عن طريق أنه يقرأ الكتاب فإذا أشكلت عليه المشاكل اتصل على ذلك الشيخ وسأله ومكث بالاتصال نصف ساعة أو ربع ساعة إلى أن يبين له المسائل المشكلة فيستفيد .

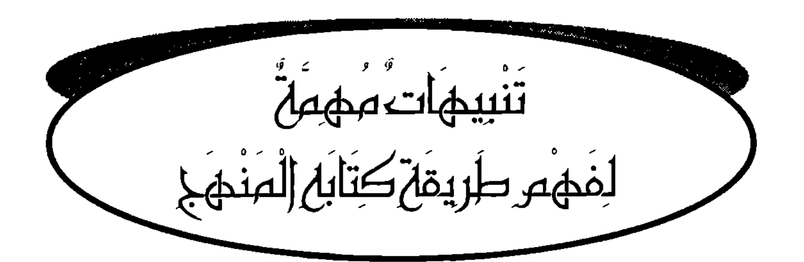
فالعلم متيسر ـ بحمد الله تعالى ـ غير متعسر ، ونسأل الله ـ عز وجل ـ أن يوفقنا ، وأن يهدينا وأن يجعل منكم من يعوض هذه الأمة من فقدته من العلماء الربانيين في هذا العام ، بل أسأله ـ عز وجل ـ أن نكون جميعنا من العلماء المعلمين الناصحين الذين يجاهدون في الله حق جهاده ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ولا يخافون في الله لومة لائم ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد ، والله أعلم .

* * *



اَلْبَابُ الثالث

مَعَارِجُ الطَّلَبِ



١ ـ أذكرُ الكتب المرشحة والتي يدور ذكرها في المناهج المقترحة من قبل ، ولا أغفل إلا ما أراه اختيارًا غير موفق وغير منهجي وإن كان مشتهرًا أو ما كان قليل الشروح يغني عنه غيره (لذلك حذفت مُلحة الإعراب من منهجية النحو) .

٢ ـ للدراسة بطريقة المتون مزايا وعيوب ، وللدراسة بطريقة الكتب المدرسية مزايا وعيوب ، ويصلح لطالبٍ ما لا يصلح للآخر ، ويصلح لعلمٍ ما لا يصلح للآخر ، والمتون تُنال بحفظها ، أو تكرار النظر فيها حتى تُضبط معانيها ، ثم بدراسة شرحها حتى يستطيع الطالب شرحها بعبارته من غير نظرٍ في كتابٍ ، والكتب المدرسية يقرأ الكتابُ مرة أولى كاملاً، ثم يقرأ فصلاً فصلاً بحسب تقسيم الطالب لحصته اليومية ، ثم يلخص المقروء ويضبط التلخيص ، ويختبر نفسه بالاختبارات التقويمية ، أو بتلخيص الكتاب من غير نظر فيه تلخيصًا يحتفظ بهيكل الكتاب ومضامنيه الأساسية، وللسعة في الاختيار رتبت لكل علم ـ غالبًا ـ طريقتين للدراسة :

الأولى : بطريقة المتون ، **والثانية** : بطريقة الكتب المدرسية ، ولكل طريقة مراحلها ، إلا ما أرى فيه أنَّ واحدة من الطريقتين هي المتعينة إمَّا في جميع مراحل العلم، وإما في مرحلة منه.

٣ ـ عِوضًا عن تشتيت طالب العلم بالشروح الكثيرة من غير ترجيح أذكر بجوار المتن الشرح الذي أراه أولى الشروح بالدراسة ، ثم أذكر أوسع الشروح ، ثم أكثرها اختصارًا ، ثم أكثرها فائدة ، ونصيحتي هي دراسة الشرح الرئيس ، ثم مطالعة

الشرح الذي كثرت فوائده [١] .

٤ ـ أذكر أصحَّ طبعات المتن أو الشرح أو الكتاب المدرسي .

٥ ـ بعد كل مرحلة أرتب كتبًا أنصح بقـراءتها ، وهذه أذكرها بعد مراحل طريقة المتون ، ولا أعيد ذكرها بعد مراحل الكتب المدرسية اكتفاء بذكرها من قبل .

٦ ـ دار المعارف عند الإطلاق هى المصـرية ، ودار ابن الجوزي عند الإطلاق هي السعـودية ، ودار السلام عند الإطلاق هي المصريـة ، ودار الوطن ومدار الوطن اسم لمنشورات يوزعهما مكان واحد الآن ، والاسم المعتمد رسميًا الآن هو الثاني .

٧ ـ شرطـت على نفسي الخـبرة بما أقـترح ، وأن أكـون نظرت في المنهج ، أو الكتاب المقـترح ؛ ولذا لم أذكر منهجًا لـدراسة القراءات ، ولا التجويد لقـلة خبرتي بكتبهمـا وتنوع مناهج مصنفيها ، وافـتقادي لآلة الاجتهاد في الاختـيار منها والنصح بها[٢] .

٨ ـ **إذا قلت** : « يدرس فيهـا الطالب كتابًا واحدًا فقط » فـمعنى هذا أن الكتب المعددة هي التي يقترحها الناس ، وعلى الطالب اختيار كتاب أو متن واحد منها .

٩ ـ الانتـهاء من المرحلة الثـالثة يعـني أنَّ الطالب صار مُـؤهلاً لدخول مـرحلة التخصص إنْ كان يُريد التـخصص ، ومرحلة التخصص تتشكل أهم مـعالمها بأن يبدأ الطالب في ترتيب كتب العلم ترتيـبًا زمنيًا ، ويأخذ فى مطالعـة كتب أهم أئمة العلم مرتبة ترتيبًا زمنيًا مع العناية بالتـحولات المحورية في تاريخ العلم ، مع معاناة التحرير والنظر في أهم مسـائل العلم ؛ لتكوين رؤية خاصـة ، ونظر اجتهـادي خاص به فى العلم ومسائله .

---

(١) في الجملة فشروح ابن عثيمين وعبد الله الفـوزان تكون سهلة مشتملة على بيان أغلب مقاصد المتن، وشروح الحازمي والشـروح الأزهرية القديمة تفيد في تمرين الذهـن على حل المقفلات، وشروح صالح آل الشيخ تكثر فيها الفوائد الزوائد.

(٢) فأحلتها على متخصص فيها ومثلها العروض والفقه المالكي والشافعي.



١٠ ـ والانتهاء من المرحلة الثالثة أيضًا ، والدخول في مطالعة قائمة القراءة، ومعاناة النظر في أهم كتب العلم المصنفة عبر تاريخه يؤهل الطالب ليكون متفننًا ، ضم علمًا جديدًا إلى فنونه .

١١ ـ اعتنيت بالنصيحة بالكتب التي تُشكل نقلاتٍ محوريةٍ في تاريخ العلم فأوصيتُ بها.

١٢ ـ اعتنيت بالكتب التي ألفها المبدعون من المؤلفين المعاصرين .

١٣ ـ كل شروح أحمد الحازمي صوتية ما عدا شرحه على نظم الأجرومية فهو صوتي ومطبوع .

١٤ ـ العناية بالكتب التي تعرض العلم بطريقة الجداول مهمة ؛ لأنَّها تسهل مراجعة العلم ، ومنها سلسلة لعماد جمعة نشرتها دار النفائس ، وهي أحسنها ، ولكن تخلو من بعض العلوم التي توجد في سلسلة أصدرها ياسر النشمي عن دار الضياء بالكويت ، وكتاب الجداول النافعة لجاسم المطوع والصادر عن دار النفائس .

علم العقيدة
أولاً : ترتيب دراسة العقيدة بطريقة المتون

المرحلة الأولى :

يدرس فيها الطالب متنان لابد من دراستهما معًا ؛ لأنَّ أحدهما يكمل الآخر . . .

المتن الأول : « ثلاثة الأصول » ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مع شرح الشيخ ابن عثيمين ، نشر دار الثريا .

* أوسع شروح المتن شرح الشيخ عبد الله الفوزان « حصول المأمول » ، نشر مكتبة الرشد .

* من الشروح التي فيها فوائد زائدة شرح الشيخ محمد أمان الجامي ، وشرح الشيخ صالح آل الشيخ .

* من شروحه المختصرة حاشية عبد الرحمن بن قاسم النجدي رحمه الله .

* يقرأ الطالب بعد نهاية المتن أي شرح من شروح رسالة « القواعد الأربع » للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وأحسن شروحها « التعليق الممتع » ، لخالد الردادي، وشرح الشيخ الجبرين .

المتن الثاني : « لُمعة الاعتقاد » مع شرح الشيخ ابن عثيمين الذي نشرته دار الوطن .

* أوسع شروح المتن شرح الشيخ عبد الرحمن المحمود .

* من الشروح التي فيها فوائد زائدة شرح الشيخ صالح آل الشيخ ، ونبه فيه على المخالفات العقدية في المتن ، وهو كذلك من الشروح المختصرة .



* من الكتب المفيدة للمطالعة بعد هذين المتنين : « المدخل المفيد إلي علم التوحيد » نشر دار طيبة ، أو « طريق الهداية » [اسم آخر للكتاب نفسه] نشر دار اليسر بمصر ، وهو للدكتور محمد يسرى إبراهيم .

تنبيه :

أنصح بأن يحفظ الطالب بعد هذين المتنين ، وقبل دخول المرحلة الثانية كتاب « ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة » ؛ ليكون عنده محصول من أدلة الوحي على مسائل الاعتقاد .

المرحلة الثانية :

يدرس فيها الطالب أربعة متون جميعها مع الحفاظ على هذا الترتيب :

المتن الأول : « كتاب التوحيد » مع شرح الشيخ ابن عثيمين « القول المفيد » ، نشر دار ابن الجوزي .

* أوسع شروح الكتاب وأشملها هو « فتح الحميد » ، لعثمان بن قائد النجدي، نشر دار عالم الفوائد .

* ومن الشروح المختصرة : « الشرح المختصر على كتاب التوحيد » ، للشيخ صالح الفوزان .

* وأكثرها فوائد زوائد شرح الشيخ صالح آل الشيخ . وحاشية الشيخ عبد الرحمن بن قاسم .

* هناك شرحان الأول ميسر جدًا ، وهو الجديد « شرح كتاب التوحيد » للقرعاوي، والثاني شرح في سؤال وجواب للشيخ الجار الله « الجامع المفيد » تنشره دار الصميعى.

* أصح طبعة « لفتح المجيد » هي طبعة دار عالم الفوائد .

* أصح طبعة « لتيسير العزيز الحميد » هي طبعة الصميعي ، والكتاب يحتاج



لتحقيق جديد .

* يقرأ الطالب بعد نهاية المتن أي شرح لرسالة « مسائل الجاهلية » ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ومن شروحها : « شرح الألوسي » نشر دار الكيان ، وشرح الشيخ الفوزان نشر دار العاصمة .

* ويقرأ الطالب رسالة « نواقض الإسلام » ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب بشرح الشيخ الفوزان نشر مكتبة الرشد .

المتن الثاني : « كشف الشبهات » مع شرح الشيخ ابن عثيمين ، نشر دار الثريا .

* أوسع شروح المتن شرح الشيخ محمد الهبدان ، نشر دار طيبة .

* وأكثرها فوائد زوائد شرح الشيخ صالح آل الشيخ .

* أصح طبعة للمتن طبعة دار الوطن بتحقيق محمد القحطاني .

* من الكتب النافعة للمطالعة بعد دراسة هذا المتن : « دعاوى المناوئين للشيخ محمد بن عبد الوهاب » للشيخ عبد العزيز العبد اللطيف نشر مكتبة الرشد .

المتن الثالث : « العقيدة الواسطية » مع شرح الشيخ ابن عثيمين الذي نشرته دار ابن الجوزي .

* أوسع شروح المتن هو شرح الشيخ زيد الفياض ، وهو من منشورات المؤيد ، وشرح الشيخ عبد العزيز السلمان .

* وللشيخ ابن عثيمين مذكرة مختصرة على الواسطية نشرتها دار الوطن .

* وأكثرها فوائد وزوائد شرح الشيخ صالح آل الشيخ ، نشر دار العاصمة ، وشرح الشيخ عبد العزيز الرشيد طبعة العواصم توزعه دار المؤيد ، ويحتاج لتحقيق جديد .

* من الشروح اللطيفة التي تصلح للمطالعة لفوائده وسلاسته واختصاره شرح الشيخ الغنيمان ، نشر دار ابن الجوزي .

* هناك شرح للشيخ خالد المصلح شَرَحَ فيه المتن بعبارات ابن تيمية ، ونشرته دار ابن الجوزي ، وهو مفيد في مواضع منه .

* يقرأ بعد الانتهاء من « الواسطية »: « الفتوى الحموية » لشيخ الإسلام بتعليق الشيخ عبد العزيز الراجحي ، نشر دار التوحيد ، ويضبط جيدًا تلخيصها للشيخ ابن عثيمين المسمى: « فتح رب البرية » ، وهو من منشورات الوطن .

* ثم يقرأ بعد الحموية كتاب « القواعد المثلى » للشيخ ابن عثيمين ، وله شرحان الأول للشيخ ابن عثيمين نفسه نشرته دار الآثار ، ودار الأرقم ، وغيرهما من الدور المصرية ، « والمجلى » لكاملة الكواري نشرته دار ابن حزم .

المتن الرابع : « الرسالة التدمرية » بشرح الشيخ فخر الدين المحسي ، نشر مكتبة الرشد.

* وأوسع شروحها وأكثرها فوائد وزوائد هو شرح الشيخ عبد الرحمن البراك، نشر دار التدمرية .

* هناك كتاب مختصر بعنوان : « الأسئلة المئوية على التدمرية » ، ولكن فيه قصور، وأرى شرح فخر الدين يُغني عنه . والشرحان السابقان للبراك والمحسي يغنيان عن بقية الشروح عمومًا .

* هناك رسالة لطيفة في كشف بعض مشكلات التدمرية للشيخ عبد العزيز العبد اللطيف ، نشرتها مكتبة الرشد .

* المتن يحتاج لمزيد خدمة ، ولا يستقيم لطالب العلم دراسته وتوفيته حقه إلا إنْ كان معه شيخ يساعده ، وإذا كان قد درس شيئًا من مقدمات المنطق والفلسفة العربية.

* يستمع الطالب مع أو بعد هذه المرحلة لجميع الشروح الصوتية العقدية للشيخ صالح آل الشيخ مجرد استماع مع تدوين الفوائد المهمة .

المرحلة الثالثة :

يدرس فيها الطالب متنًا واحدًا وهو :

العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ، ويدرسه الطالب بالطريقة الآتية لِزامًا :

أولاً : يدرس شرح الشيخ صالح آل الشيخ الذي نشرته دار العاصمة .

ثانيًا : يدرس شرح الشيخ محمد بن عبد الرحمن الخميس ، والذي شرح فيه شرح ابن أبى العز على الطحاوية دراسة متقنة ، وقد نشرت هذا الشرح دار ابن الجوزي.

* هناك عدة كتب اهتمت بترتيب الطحاوية من أحسنها ترتيب الشيخ خالد فوزي المدرس بدار الحديث ، وترتيب الدكتور صلاح الصاوي ، وهما مفيدان من الناحية المدرسية .

* أصح طبعة لشرح الطحاوية هي طبعة مؤسسة الرسالة .

* من الكتب المفيدة إذا تمت مطالعتها بعد هذا المتن أو معه : « دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية » ، لعبد الله الغصن ، نشر دار ابن الجوزي .

* من الكتب المفيدة لمطالعتها كتاب « معارج القبول » للشيخ حافظ حَكمي ، نشر دار ابن الجوزي .

* يستمع الطالب مع أو بعد هذه المرحلة لجميع الشروح والمحاضرات الصوتية العقدية للشيخ يوسف الغفيص مع تدوين الفوائد المهمة .

ثانيًا: تَرْتِيبُ دِرَاسَةِ الْعَقِيدَةِ بِطَرِيقَةِ الْكُتُبِ الْمَدْرَسِيَّةِ(١)

المرحلة الأولى :

يدرس فيها طالب العلم واحدًا من الكتب الثلاثة الآتية :

١ ـ « تطهير الجنان » نشر أضواء السلف .

٢ ـ « منهاج الفرقة الناجية » لمحمد جميل زينو نشر دار الصحابة .

٣ ـ « تهذيب تسهيل العقيدة » للشيخ عبد الله الجبرين ، نشر مكتبة مكة ، **وأرشح هذا الكتاب الأخير .**

المرحلة الثانية :

يدرس فيها الطالب واحدًا من الكتابين التاليين :

١ ـ « الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد » للشيخ صالح الفوزان نشر أضواء السلف .

٢ ـ « المفيد في مهمات التوحيد » نشر دار أضواء السلف .

ثم لا غِنى عنه في هذه الرحلة عن دراسة « كشف الشبهات » ، وشروحه و«التدمرية » وشروحها ، ولا أعلم في الكتب المدرسية ما يُغني عنهما .

المرحلة الثالثة :

ولا يوجد في الكتب المدرسية أيضًا ما يُغني عن الطحاوية .

وهذه حقيقة ملفتة في علم العقيدة وبعض العلوم الأخري ، وهي أنه لا توجد كتابات معاصرة تتخطى مراحل المبتدئين .

---

(١) الكتب التي أذكر أنها تطالع مع المراحل : أذكرها مرة واحد عند ذكر دراسة العلم بطريقة المتون فليستحضرها من سيدرس بطريقة الكتب المدرسية ليقرأها في موضعها.



قائمة القراءة

الْمِحْوَرُ الأَوَّلُ:

مطالعة الأبحاث المعاصرة التالية :

أولاً : في منهج الاستدلال :

١ ـ « منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد » لعثمان حسن ، مكتبة الرشد .

٢ ـ « موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة » ، لسليمان ابن صالح الغصن ، دار العاصمة .

٣ ـ « مسالك أهل السنة فيما أشكل من نصوص العقيدة » ، لعبد الرزاق معاش، دار ابن عفان .

٤ ـ « أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين » ، سليمان الدبيخى ، دار المنهاج .

٥ ـ « أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها الإشكال في الصحيحين » ، سليمان الدبيخى ـ دار المنهاج .

٦ ـ « منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل » ، لجابر إدريس ، دار أضواء السلف .

٧ ـ « وسطية أهل السنة والجماعة » ، لمحمد باكريم ، دار طيبة .

٨ ـ « تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة » ، عفاف مختار ، مكتبة الرشد .

ثانيًا : في حقيقة الإيمان والكفر :

١ ـ « ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي » ، لسفر الحوالي ، مكتبة الطيب .



٢ ـ« الإيمان عند السلف » ، لمحمد محمود آل خضير ، مكتبة الرشد.

٣ ـ« نواقض الإيمان الاعتقادية » ، لمحمد بن عبد الله الوهيبي ، دار المسلم .

٤ ـ« نواقض الإيمان القولية والعملية » ، لعبد العزيز العبد اللطيف . دار الوطن.

٥ ـ« ضوابط التكفير » ، للقرني ، دار عالم الفوائد .

٦ ـ« منهج ابن تيمية في مسألة التكفير » ، لعبد المجيد المشعبي ، دار أضواء السلف .

٧ ـ« الجهل بمسائل الاعتقاد وأحكامه » ، لعبد الرزاق معاش ، دار الوطن .

٨ ـ« عارض الجهل » ، لأبي العلا راشد ، مكتبة الرشد .

٩ ـ« الحكم بغير ما أنزل الله » ، لبندر العتيبي نشر دار الفرقان.

١٠ ـ« الحكم بغير ما أنزل الله » ، لعبد الرحمن المحمود ، دار طيبة .

١١ ـ« الولاء والبراء » ، للقحطانى ، دار طيبة .

١٢ ـ« الولاء والبراء » لحاتم بن عارف العونى ، طبعة دار الصميعي .

١٣ ـ« سبيل النجاة في حكم تارك الصلاة » ، لأبي الحسن المأربي . دار الفضيلة .

ثالثًا : في مسائل التوحيد والشرك :

١ ـ« حقيقة التوحيد بين أهل السنة والأشاعرة » ، لخالد حمزة ، دار الغرباء الأثرية.

٢ ـ« حقيقة التوحيد بين أهل السنة ، والمتكلمين » ، لعبد الرحيم صمايل السلمي، دار العاصمى .

٣ ـ « منهج شيخ الإسلام في تقرير عقيدة التوحيد » ، لإبراهيم البريكان ، دار ابن عفان .

٤ ـ « الشرك في القديم والحديث » ، لأبى بكر زكريا ، مكتبة الرشد .

٥ ـ « الواسطة بين الله وخلقه عند أهل السنة ومخالفيهم » ، للمرابط الشنقيطي. دار الفضيلة .

٦ ـ « جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية » ، لشمس الحق الأفغاني ، دار الصميعي .

٧ ـ « جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة » ، عبد الله العنقري ، دار التوحيد بالرياض .

رابعًا : في الأسماء والصفات :

١ ـ « معتقد أهل السنة في أسماء الله الحسنى » ، لمحمد خليفة التميمي ، دار أضواء السلف .

٢ ـ « النهج الأسمى شرح أسماء الله الحسنى » ، لمحمد الحمود النجدي . دار الإمام الذهبي بالكويت .

٣ ـ « القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف » ، للبريكان ، دار ابن عفان .

٤ ـ « صفات الله عز وجل » ، للشيخ علوي السقاف ، نشر دار ابن عفان .

٥ ـ « الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات » ، لعبد القادر صوفي . دار الغرباء الأثرية .

٦ ـ « جناية التأويل الفاسد » ، لمحمد لوح ، دار ابن عفان .

٧ ـ « النفي في باب الصفات » ، لأرزقي سعيداني ، دار المنهاج بالرياض .



٨ ـ « التسبيح في الكتاب والسنة » ، لمحمد إسحاق كندو ، دار المنهاج بالرياض.

٩ ـ « جهود الإمام ابن القيم في توحيد الأسماء والصفات » ، لوليد العلي . دار البشائر الإسلامية .

خامسًا : باقي مسائل الإيمان وملحقاتها :

١ ـ « الملائكة المقربون » ، لمحمد العقيلي ، دار أضواء السلف .

٢ ـ « الرسل والرسالات » ، لعمر الأشقر ، دار النفائس .

٣ ـ « أشراط الساعة » ، ليوسف الوابل ، دار ابن الجوزي .

٤ ـ « المهدي وفقه أشراط الساعة » ، لمحمد إسماعيل المقدم . الدار العالمية بالإسكندرية .

٥ ـ « القيامة الصغرى » ، لعمر الأشقر ، دار النفائس .

٦ ـ « القيامة الكبرى » ، لعمر الأشقر ، دار النفائس .

٧ ـ « الجنة والنار » ، لعمر الأشقر ، دار النفائس .

٨ ـ « موقف المسلم من الفتن » ، لحسين الحازمي ، دار أضواء السلف .

٩ ـ « القضاء والقدر » للمحمود ، دار طيبة .

١٠ ـ « القضاء والقدر » ، لفاروق الدسوقي ، دار الفضيلة بمصر .

١١ ـ « عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة » ، لناصر بن علي الشيخ ؛ مكتبة الرشد .

١٢ ـ « حقيقة البدعة وأحكامها » ، لسعيد الغامدى ، مكتبة الرشد .

١٣ ـ « موقف أهل السنة من أهل الأهواء والبدع » ، لإبراهيم الرحيلي ، مكتبة العلوم والحكم .

سادسًا : الْفِرَق والجماعات :

١ ـ« دراسات في الأهواء والفرق والبدع » ، لناصر العقل . دار الوطن ، طبعة أخرى لدار إشبيليا .

٢ ـ« موقف شيخ الإسلام من الفلاسفة » ، لصالح الغامدي ، دار المعارف بالرياض.

٣ ـ« مقالة التعطيل » ، لمحمد خليفة التميمي ، دار أضواء السلف .

٤ ـ« المعتزلة » ، لعواد المعتق ، مكتبة الرشد .

٥ ـ« موقف ابن تيمية من الأشاعرة » ، لعبد الرحمن المحود ، مكتبة الرشد .

٦ ـ« الماتريدية » ، لأحمد الحربي ، دار الصميعى .

٧ ـ« آراء الكلابية العقائدية ، لهدى بنت ناصر الشلالي مكتبة الرشد.

٨ ـ« مقالة التشبيه » ، لجابر إدريس ، دار أضواء السلف .

٩ ـ« مذهب أهل التفويض » ، لأحمد القاضى ، دار العاصمة .

١٠ ـ« مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية » ، لإدريس محمود إدريس ، مكتبة الرشد .

١١ ـ« الفكر الصوفي » ، لعبد الرحمن عبد الخالق ، دار الحرمين .

١٢ ـ« أصول مذهب الشيعة » ، لناصر القفاري ، دار الرضا .

١٣ ـ« مسألة التقريب بين السنة والشيعة » ، لناصر القفاري ، دار طيبة .

١٤ ـ« الخوارج » لغالب عواجي ، مكتبة لينة بمصر .

١٥ ـ« مشكلة الغلو فى الدين » ، لعبد الرحمن اللويحق ، مؤسسة الرسالة .

١٦ ـ« التفجيرات والاغتيالات » ، لأبي الحسن المأربي ، دار الكيان .

١٧ ـ« العلمانية » ، لسفر الحوالي ، مكتب الطيب .



١٨ ـ « الانحرافات العقدية في أدب الحداثة » ، لسعيد الغامدي ، دار الأندلس الخضراء .

١٩ ـ « الاتجاهات العقلانية الحديثة » ، لناصر العقل . دار الفضيلة .

٢٠ ـ « دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية » ، لسعود الخلف ، دار أضواء السلف .

٢١ ـ « الديانات القديمة» لأبي زهرة ، دار الفكر العربي .

٢٢ ـ « التقريب بين الأديان » ، لأحمد القاضي ، دار ابن الجوزي .

المحور الثاني

ترتيب كتب الاعتقاد ترتيبًا زمنيًا من عصر الإمام أحمد ، وحتى أئمة الدعوة، ومطالعتها مطالعة داعية ناقدة :

وهذه قائمة بالمهم منها :

١ ـ « كتاب السنة » ـ لعبد الله ابن الإمام أحمد ، تحقيق محمد سعيد القحطاني، دار رمادى .

٢ ـ « كتاب السنة » ، لأبي بكر بن يزيد الخلال ، تحقيق عطية بن عتيق الزهراني، دار الراية .

٣ ـ « كتاب السنة » للحافظ أبي بكر بن أبى عاصم ، تحقيق باسم فيصل الجوابرة ، دار الصميعي .

٤ ـ « كتاب السنة » ، لمحمد بن نصر المروزي ، تحقيق عبد الله البصيرى ، دار العاصمة.

٥ ـ « شرح السنة» للإمام البربهاري، تحقيق عبد الرحمن الجميزي، دار المنهاج، وشرحها للشيخ عمرو عبد المنعم، دار ابن عفان وللشيخ الفوزان مكتبة الرشد.

٦ ـ شرح السنة ، للإمام الحسين بن مسعود البغوي ـ بتحقيق شعيب الأرناؤوط ، المكتب الإسلامي .

٧ ـ « أصول السنة » للإمام ابن أبي زمنين الأندلسي ، عبد الله البخاري ، دار الغرباء الأثرية .

٨ ـ « كتاب الرؤية » للإمام الحافظ علي بن عمر الدارقطني ، بتحقيق إبراهيم العلي وصاحبه ، دار المنار .

٩ ـ « كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل » للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة نشر دار الآثار أو العلوم والحكم .

١٠ ـ « الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ، ومجانبة الفرق المذمومة » ، لأبي عبد الله بن بطة العكبري الحنبلي ، بتحقيق مجموعة من طلبة العلم ، دار الراية .

١١ ـ « اعتقاد أئمة الحديث » ، للإمام أبي بكر الإسماعيلي ، بتحقيق محمد الخميس ، دار إيلاف .

١٢ ـ « عقيدة السلف أصحاب الحديث » ، للإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني ، بتحقيق ناصر الجديع ، دار العاصمة .

١٣ ـ « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » ، للإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسن ابن منصور الطبري اللالكائي ، بتحقيق نشأت كمال ، المكتبة الإسلامية .

١٤ ـ « الاعتقاد والهداية » ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، بتحقيق أحمد أبي العينين ـ دار الفضيلة .

١٥ ـ « المدخل إلى السنن الكبرى » ـ لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ـ بتحقيق ضياء الرحمن الأعظمي ، دار أضواء السلف .

١٦ ـ « البدع والنهي عنها » ، ابن وضّاح القرطبي ، بتحقيق عمرو عبد المنعم سليم ـ مكتبة ابن تيمية .

١٧ ـ « الحجة في بيان المحجة ، وشرح عقيدة أهل السنة » ، لأبي القاسم إسماعيل بن محمد التميمي الأصفهاني ، بتحقيق محمد أبو رحيم ، ومحمد ربيع المدخلي ، دار الراية .

١٨ ـ « كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته » ، الإمام محمد بن إسحاق بن منده ، بتحقيق علي ناصر الفقيهى ، دار العلوم والحكم .

١٩ ـ « كتاب الإيمان » ، الإمام محمد بن إسحاق بن منده ، بتحقيق على ناصر الفقيهي ، دار العلوم والحكم .

٢٠ ـ « كتاب الإيمان » ، الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام ، بتحقيق الشيخ الألباني ، المكتب الإسلامى .

٢١ ـ « كتاب الإيمان » ، الحافظ أبو بكر بن محمد بن أبي شيبة ، بتحقيق الشيخ الألباني ، المكتب الإسلامي .

٢٢ـ مطالعة مجلدات الاعتقاد من الدرر السنية جمع عبد الرحمن بن قاسم.

٢٣ ـ « المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة » ، الدكتور عبد الإله الأحمدى ، دار طيبة .

٢٤ ـ « الرد على الجهمية » ، الإمام الحافظ ابن منده ، بتحقيق علي ناصر الفقيهي ، مكتبة الرشد .

٢٥ ـ « الرد على الجهمية والزنادقة » ، الإمام أحمد بن حنبل ، بتحقيق دغش العجمي ، دار غراس .

٢٦ ـ « خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل » ، الإمام البخاري بتحقيق الفهيد ، دار أطلس الخضراء .

٢٧ ـ « العلو للعلي العظيم ، وإيضاح صحيح الأخبار من سقيمها » ، بتحقيق عبد الله البراك ، دار الوطن .

٢٨ ـ « منهاج السنة النبوية » ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، بتحقيق محمد رشاد سالم ، تصوير مكتبة ابن تيمية .

٢٩ ـ « درء تعارض العقل والنقل » ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، بتحقيق محمد رشاد سالم ، تصوير دار الفاروق .

٣٠ ـ « بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة وأهل الإلحاد » ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، بتحقيق موسى الدويش ، مكتبة العلوم والحكم .

٣١ ـ « اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم » ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، بتحقيق ناصر العقل ، دار العاصمة .

٣٢ ـ « الصارم المسلول على شاتم الرسول » ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، بتحقيق مجموعة من طلبة العلم ، دار رمادى للنشر .

٣٣ ـ « مجموع الفتاوى » ، جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ، النسخة التي في ٣٧ مجلداً . خاصته المجلدات الثمانية الأولى .

٣٤ ـ «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة » ، ابن القيم ، بتحقيق علي الدخيل ، دار العاصمة .

٣٥ ـ « اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية » ، لابن القيم ، بتحقيق رائد النشيري ، مكتبة عالم الفوائد .

٣٦ ـ «بيان تلبيس الجهمية» طبعة مجمع الملك فهد.

أُصُولُ الاعْتِقَادِ وَالْمِلَلِ وَالنِّحَلِ

هذا الباب من الأبواب الجليلة جدًّا ؛ إذ لا يكفيك دائمًا أنْ تعرف الحق لتنجو حتى تكون فقيهًا بالباطل ومساربه ومسالكه ، والباطل لا يكاد يوجد إلا مشوبًا بشيء من الحق ؛ لذا كان لزامًا أن تكون لصاحب الحق معرفة بالباطل تقيه الاشتباه وتؤمنه من دخول الباطل إلى قلبه في إهاب من الحق مدبوغ .

قال شيخ الإسلام : « لا ينفق الباطل فى الوجود إلا بشوب من الحق » .

[مجموع الفتاوى (٣٥ / ١٩٠)]

وقال الشيخ : « كل ذي مقالة فلابد أن تكون في مقالته شبهة من الحق ، ولولا ذلك لما راجت واشتبهت » .[قاعدة في المحبة (٢٨٩)] .

وقال شيخ الإسلام : « من عرف الشر وذاقة ، ثم عرف الخير وذاقه ، فقد تكون معرفته بالخير ومحبته له ومعرفته بالشر وبغضه له ـ أكمل ممن لم يعرف الخير والشر ويذقهما كما ذاقهما ؛ **بل من لم يعرف إلا الخير فقد يأتيه الشر ، فلا يعرف أنه شر ، فإما أن يقع فيه ، وإما أن لا ينكره كما أنكره الذي عرفه** .

ولهذا قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ : « إنما تُنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية » .

وهو كما قال عمر ؛ فإن كمال الإسلام هو بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتمام ذلك بالجهاد فى سبيل الله ، ومن نشأ في المعروف لم يعرف غيره ، فقد لا يكون عنده من العلم بالمنكر وضرره ما عند من علمه ، ولا يكون عنده من الجهاد لأهله ما عند الخبير بهم ؛ ولهذا يوجد الخبير بالشر وأسبابه إذا كان حسن القصد عنده من الاحتراز عنه ومنع أهله والجهاد لهم ما ليس عند غيره .

ولهذا كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أعظم إيمانًا وجهادًا ممن بعدهم ؛ لكمال معرفتهم بالخير والشر ، وكمال محبتهم للخير وبغضهم للشر لما علموه من حسن حال الإسلام والإيمان والعمل الصالح وقبح حال الكفر والمعاصي ؛ ولهذا يوجد من ذاق الفقر والمرض والخوف أحرص على الغنى والصحة والأمن ممن لم يذقْ ذلك .

ولهذا يقال : والضد يُظهر حسنَهُ الضد ، ويقال : وبضدها تتبين الأشياء .

وكان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يقول : « لست بخب ولا يخدعنى الخب».

فالقلب السليم المحمود هو الذي يريد الخير لا الشر ، وكمال ذلك بأن يعرف الخير والشر ، فأما من لا يعرف الشر فذاك نقص فيه لا يمدح به .

وليس المراد أنَّ كلَّ من ذاق طعم الكفر والمعاصى يكون أعلم بذلك وأكره له ممن لم يذقه مطلقًا ؛ فإنَّ هذا ليس بمطرد ، بل قد يكون الطبيب أعلم بالأمراض من المرضى، والأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ أطباء الأديان ، فهم أعلم الناس بما يصلح القلوب ويفسدها ، وإن كان أحدهم لم يذق من الشر ما ذاقه الناس . ولكن المراد أن من الناس من يحصل له بذوقه الشر من المعرفة به والنفور عنه والمحبة للخير إذا ذاقه ما لا يحصل لبعض الناس » [١٠ / ٣٠٠ ـ ٣٠١] .

وقال : « ونحن ـ ولله الحمد ـ قد تبين لنا بيانًا لا يحتمل النقيض فساد الحجج المعروفة للفلاسفة والجهمية والقدرية ونحوهم التي يعارضون بها كتاب الله ، وعلمنا بالعقل الصريح فساد أعظم ما يعتمدون عليه من ذلك ، وهذا ـ ولله الحمد ـ مما زادنا الله به هدى وإيمانا ؛ فإن فساد المعارض مما يؤيد معرفة الحق ويقويه ، **وكل من كان أعرف بفساد الباطل كان أعرف بصحة الحق** ، ويروى عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : « إنما تُنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية » .



وهذا حال كثير ممن نشأ في عافية الإسلام ، وما عرف ما يعارضه ليتبين له فساده، فإن لا يكون في قلبه من تعظيم الإسلام مثل ما في قلب من عرف الضدين». [«درء التعارض» (٥/ ٢٥٨)] .

وقال : « والآخرون يخرجون إلى الغفلة المذمومة ، فيبالغون في سلامة الباطن حتى يجعلون الجهل بما تجب معرفته من الشر الذي يجب اتقاؤه ـ من سلامة الباطن، **ولا يفرقون بين سلامة الباطن من إرادة الشر المنهي عنه ، وبين سلامة القلب من معرفة الشر المعرفة المأمور بها** » [١ / ١٦] .

ويقول : « فإذا افتقر العبد إلى الله ، ودعاه ، وأدمن النظر في كلام الله ، ، وكلام رسوله ، وكلام الصحابة والتابعين ، وأئمة المسلمين انفتح له طريق الهدى ؛ ثم إنْ كان قد خبَّرَ نهايات أقدام المتفلسفة والمتكلمين فى هذا الباب ؛ وعرف أنّ غالب ما يزعمونه برهانًا هو شبهة ورأي أن غالبَ ما يعتمدونه يؤول إلى دعوى لا حقيقة لها ؛ أو شبهة مركبة من قياس فاسد ؛ أو قضية كلية لا تصح إلا جزئية ؛ أو دعوى إجماع لا حقيقة له ؛ أو التمسك في المذهب والدليل بالألفاظ المشتركة . ثم إنَّ ذلك إذا رُكِّبَ بألفاظ كثيرة طويلة غريبة عمن لم يعرف اصطلاحهم أوهمت الغِرَّ ما يوهمه السراب للعطشان ، ازداد إيمانًا وعلمًا بما جاء به الكتاب والسنة ، فإنَّ الضد يُظهر حسنه الضد ، **وكل من كان بالباطل أعلم كان للحق أشد تعظيمًا وبقدره أعرف إذا هُدي إليه** » [٥ / ١١٨] .

وقال ابن القيم : « فالعالمون بالله وكتابه ودينه عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية ، وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية ، فاستبانت لهم السبيلان كما يستبين للسالك الطريق الموصل إلى مقصوده ، والطريق الموصل إلى الهلكة ، فهؤلاء أعلم الخلق وأنفعهم للناس ، وأنصحهم لهم وهم الأدلاء الهداة [وبهذا] برز الصحابة على جميع من أتى بعدهم إلى يوم القيامة ؛ فإنهم نشأوا في سبيل الضلال والكفر والشرك ، والسبل الموصلة إلى الهلاك وعرفوها مفصلة ، ثم جاءهم الرسول ،

فأخرجهم من تلك الظلمات إلى سبيل الهدى وصراط الله المستقيم ، فخرجوا من الظلمة الشديدة إلى النور التام ، ومن الشرك إلى التوحيد ، ومن الجهل إلى العلوم، ومن الغيِّ إلى الرشاد ، ومن الظلم إلى العدل ، ومن الحيرة والعمى إلى الهُدى والبصائر ، فعرفوا مقدار ما نالوه وظفروا به ، ومقدار ما كانوا فيه ، فان الضد يُظهر حسنه الضد ، وإنما تتبين الأشياء بأضدادها ، فازدادوا رغبة ومحبة فيما انتقلوا إليه، ونفرة وبُغضًا لما انتقلوا عنه ، وكانوا أَحبَّ الناس في التوحيد والإيمان والإسلام، وأبغض الناس في ضده ، عالمين بالسبيل على التفصيل .

وأما من جاء بعد الصحابة : فمنهم من نشأ في الإسلام غير عالم تفصيل ضده، فالتبس عليه بعض تفاصيل سبيل المؤمنين بسبيل المجرمين ، فإنَّ اللَّبسَ إنما يقع إذا ضعف العلم بالسبيلين أو أحدهما كما قال عمر بن الخطاب : « إنما تُنقض عُرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية ، وهذا من كمال علم عمر ـ رضي الله عنه ـ فإنه ، إذا لم يعرف الجاهلية وحكمها ، وهو كل ما خالف ما جاء به الرسول ، فإنَّه من الجاهلية ، فإنها منسوبة إلى الجهل وكل ما خالف الرسول فهو من الجهل ، **فمن لم يعرف سبيل المجرمين ولم تستبن له أوشك أن يظن في بعض سبيلهم أنها من سبيل المؤمنين** كما وقع في هذه الأمة من أمور كثيرة في باب الاعتقاد والعلم والعمل هي من سبيل المجرمين والكفار وأعداء الرسل أدخلها من لم يعرف أنها من سبيلهم في سبيل المؤمنين ودعا إليها ، وكفَّر من خالفها ، واستحلَّ منه ما حرمه الله ورسوله ، كما وقع لأكثر أهل البدع من الجهمية والقدرية والخوارج والروافض وأشباههم ممن ابتدع بدعة ودعا إليها وكفر من خالفها » . [« الفوائد » (ص/ ١٥٨)] .

ويدرس هذا الباب بالترتيب التالي:

المرحلة الأولى :

يدرس فيها ثلاثة كتب :

١ ـ « الموجز في المذاهب والفرق » نشر دار كنوز إشبيليا .

٢ ـ « دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية » ، لسعود الخلف ، نشر دار أضواء السلف.

٣ ـ « دراسات في الفرق والأهواء والبدع » ، للشيخ ناصر العقل ، نشر دار كنوز إشبيليا.

٤ ـ مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب نشر دار الشروق.

المرحلة الثانية :

تنبيه مهم : المرحلة السابقة تدرس بالتوازي مع المرحلة الثانية في الاعتقاد ، أما بداية من هذه المرحلة فلا يجوز دراستها إلا لمن أنهى مراحل ما قبل التخصص وأراد التخصص في الاعتقاد أو التفنن بمعناه العميق .

يقرأ فيها الطالب الكتب التالية وفقًا للتقسيم التالي :

أولا : الفلسفة .

وتقرأ فيها الكتب بالترتيب الآتي :

١ ـ « مبادئ التفكير الفلسفي » ، وهو الكتاب المقرر على الصف الثاني عشر الأدبي بدولة الكويت ، وهو متوفر على الشبكة، مع مباهج الفلسفة لول ديورانت.

٢ ـ « تبسيط الفلسفة » ، للدكتور رجب بو دبوس ، نشر دار الجماهيرية .

٣ ـ « أسس الفلسفة » ، للدكتور توفيق الطويل .

٤ ـ « قصة الفلسفة اليونانية » ، لزكي نجيب محمود .



٥ ـ « قصة الفلسفة الحديثة » ، لزكي نجيب محمود .

٦ ـ « تاريخ الفلسفة الغربية » ، لبرتراند راسل .

٧ ـ « الفلسفة الإسلامية » ، لإبراهيم مدكور ، طبعة دار المعارف .

٨ ـ « كواشف زيوف » ، لعبد الرحمن حبنكة ، نشر دار القلم .

٩ ـ « موقف شيخ الإسلام من آراء الفلاسفة » ، نشر دار المعارف بالرياض .

١٠ ـ « مصادر المعرفة»، لعبد الرحمن الزنيدي نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

١١ ـ « العلمانية » ، لسفر الحوالي .

١٢ ـ العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة لعبد الوهاب المسيري نشر دار الشروق.

١٣ ـ « حقيقة الليبرالية » ، لعبد الرحيم السلمي .

١٤ ـ نقد الليبرالية للطيب بوعزة نشر مجلة البيان.

١٥ ـ « الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها»، نشر دار الأندلس الخضراء.

١٦ ـ « صراع مع الملاحدة حتى العظم»، لعبد الرحمن حبنكة ، نشر دار القلم.

١٧ ـ « نقض أوهام المادية الجدلية » ، للبوطى نشر دار الفكر .

ثانيًا : الديانات والعقائد :

١ ـ « أديان الهند » ، للأعظمى ، نشر مكتبة الرشد .

٢ ـ « البوذية » ، لعبد الله نومسوك ، نشر أضواء السلف .

٣ ـ « دراسات فى العهد القديم » ، محمد على البار ، دار القلم .

٤ ـ « مصادر النصرانية » ، نشر دار التوحيد .

٥ ـ « تحريف مخطوطات الكتاب المقدس » ، على الريس ، دار النافذة .

٦ ـ « أجنحة المكر الثلاثة » ،لعبد الرحمن حبنكة نشر دار القلم .

ثالثًا : الفِرق الإسلامية :

١ ـ « مقالة الجهم بن صفوان » ، نشر دار أضواء السلف .

٢ ـ « المعتزلة » ، لعواد بن عبد الله المعتق ، نشر مكتبة الرشد .

٣ ـ « آراء الكلابية العقدية » ، نشر مكتبة الرشد .

٤ ـ « موقف ابن تيمية من الأشاعرة » ، نشر مكتبة الرشد .

٥ ـ « الماتريدية » ، نشر دار الصميعي .

٦ ـ « مذهب أهل التفويض » ، نشر دار العاصمة .

٧ ـ « موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الصوفية » ، نشر دار المنهاج .

٨ ـ « آراء المرجئة في مصنفات شيخ الإسلام » ، نشر دار التوحيد .

٩ ـ « أصول مذهب الشيعة » ، ناصر القفارى ، دار الرضا .

١٠ ـ « دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية » ، نشر دار ابن الجوزي .

١١ ـ « دعاوى المناوئين » ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، نشر مكتبة الرشد.

١٢ ـ فلسفة الفكر الصوفي لعبد القادر محمود.

١٣ ـ مذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي.



أما المنطق فى نفسه فليس شيئًا يُطلب أو يُراد ، وإنَّ أقل قواعده ،وقوانينه هي التي تعصم بمراعـاتها الذهن عن الخطأ كما يزعـمون ،وإن بعضًـا مما يكتب اليوم عن مناهج البحث ومهارات التفكير وعيوبه وأخطائه = هو أنفع في عصمة الذهن عن الخطأ من هذا المنطق اليوناني ، وجدير بالذكـر أنَّ هذا العلم عند واضعه كان مجـرد بيان للسان الذى يتخاطب الفـلاسفة به ، وبه يتحـاورون ، أشبه معجم المصطلحـات لعلم معين هو هنا الفلسفة ، وإنما رَفع شأنه وجعله عِلمًا فلاسفة المدرسيين والعرب من بعدهم . .

ثم لما اختلط هذا العلم بالنحو والصرف والبـلاغة وأصول الفقه وعلم الكلام لم يعد يسع طالب العلم أن يتجاهل تعلمه والوقوف عنـد حدود ؛ ليفقه هذا الباطل فلا يلتبس عليه ، وليستعين به على فهـم كتب العلوم المذكورة فهمًا هو أول منازل نقدها وقبول صوابها ورد خطئهـا ، ولسنا نرتضى أن يذم الرجل تلك العلوم لاحتوائها على المنطق والفلسفة اليونانية ذمًا مطلقًا ؛ لأنَّ فـيها صواب وحق لابد من طلبه وتخليصه من أوضار الباطل ، ولا يتم هذا الطلب المخلِّص من غيـر فهم تام لهذه العلوم ، أما مجرد الذم = فهو دعوى يحسنها كل قاعد ، وهدم ليس وراءه للعلم والدين عائد .

* * *

أَوْلاً : تَرْتِيبُ طَرِيقَةِ دِرَاسَةِ الْمَنْطِقِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمُتُونِ :

المرحلة الأولى :

المتون المناسبة لهذه المرحلة متنان يدرس أحدهما فقط :

١ ـ « التهذيب للتفتازاني » ، عليه شرح للخبيصي منشور بمكتبة الآداب .

٢ ـ « السلم المنورق » ، وله شروح مكتـوبة ومسموعة ، ومن أحـسن ما يضبط



به هذا العلم حفظ هذا المتن مع فهم شرح الدمنهوري ، ثم دراسة الشرح المختصر، ثم الشرح على شرح القويسني كلاهما للشيخ أحمد بن عمر الحازمي .

المرحلة الثانية :

* ليس فيها سوى متن واحد معتبر ، وهو « توشيح عبد السلام على السلم» ، وطبع بالإمارات مع شرح وجيز جداً مختصر ويمكن للطالب أن يستمع معه للشرح المطول للشيخ الحازمي على السلم.

* ثم يقرأ الطالب : منطق ابن تيمية نشر المكتب الإسلامى .

المرحلة الثالثة :

* يدرس فيها الطالب حاشية العطار على شرح الخبيصي أو حاشية الصبان على شرح الملوي على السلم.

* * *

ثانيًا على طريقة الكتب المدرسية :

المرحلة الأولى :

١ ـ « تسهيل المنطق » ، للشيخ عبد الكريم مراد الأثري ، وهو كالتلخيص للكتاب القادم فيدرسان معًا ،ونشرته أخيرًا دار إيلاف بالكويت .

٢ ـ « آداب البحث والمناظرة » ، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (القسم الأول الخاص بالمنطق) .

المرحلة الثانية :

يدرس فيها ثلاثة كتب :

١ ـ « ضوابط المعرفة » ، للشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني ، نشر دار القلم .

٢ ـ « طرق الاستدلال ومقدماتها » ، ليعقوب الباحسين ، نشر مكتبة الرشد ،



وهو مهم جداً .

المرحلة الثالثة :

يدرس فيها الطالب كتاب المنطق لمحمد رضا المظفر .

فائدة : الذي أراه في المنطق هو الجمع بين الطريقتين بدراسة المرحلة الأولى من طريقة المتون ، ثم المرحلة الثانية من طريقة الكتب المدرسية .

المرحلة الرابعة :

ويدرس فيها « علم آداب البحث والمناظرة » ، وفيه كتابان متدرجان ثم ثالث خاتم للجميع:

١ ـ « آداب البحث والمناظرة » ، للشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد . نشر دار الطلائع .

٢ ـ « آداب البحث والمناظرة » ، للشنقيطي.

٣ ـ المنطق الحديث ومناهج البحث لمحمود قاسم .

* * *

قائمة القراءة

١ ـ « تطور المنطق العربي » ، ترجمة محمد مهران .

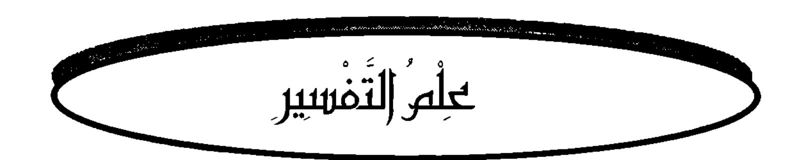
٢ ـ « المنطق عند ابن تيمية » ، لعفاف الغمرى نشر دار قباء .

٣ ـ « أثر المنطق الأرسطي في الإلهيات عند ابن تيمية » ، لعلى عبيد ، نشر دار الحكمة.

٤ ـ « الحد الأرسطى » ، لسلطان العميري ، رسالة علمية متوفرة على الشبكة .

٥ ـ « الرد على المنطقيين » ، لشيخ الإسلام الطبعة الهندية .

٦ ـ قواعد أساسية في البحث العلمي لمحمد سعيد صيني.



عِلْمُ التَّفْسِيرِ

دراسة التفسير بطريقة مدرسية أمر عسر جدًا لم يستو فيه منهج تام عند أكثر من كتب في هذا الباب ، وما نختاره هنا يشترك مع ما يذكره كثيرون غيرنا في أسماء الكتب . . إلا أنه يخالف كل أولئك في ترتيب طريق التعامل مع هذه الكتب وصولاً للمطلوب ، ولعلَّ هذا يستدعي أن نضبط ما هو المطلوب تحقيقه من دراسة علم التفسير ، فأقول :

قدمتُ أنَّ غرض هذا الكتاب هو رسم مراحل الطلب والتحصيل إلى ما قبل مرحلة التخصص مباشرة بحيث يكون من أتقن المراحل التي نذكرها قد تخطى عتبة المبتدئ والمتوسط والمشارك ، وانتهى من القدر الذي يجزيه ليكون إذا جمع غيره إليه متفننًا ، ووقف عند عتبة التخصص ، فإن شاء اجتازها ، وإن شاء لا .

ولكن تصور قدر التحصيل هذا وصورته في علوم التفسير خاصة يكتنفه غموض ظاهر عند أكثر من كتبوا في هذا الباب ، وإذا تولينا كشف هذا الغموض على ما نراه الحق في هذا الباب ، والأشبه بمناهج التعليم ، فإن الوصول لعتبة التخصص في هذا العلم يقتضي أن يكون الطالب ضابطًا ضبطًا تامًا لخلاف السلف ووفاقهم في كل مفردة وآية في كتاب الله عز وجل ، مُلِمًّا إلمامًا متوسطًا بالأقوال الزائدة بعد السلف سواء كانت من جنس خلاف التضاد أو التنوع ، والوصول لهذه الغاية ـ فيما نرى ـ يكون باجتياز المراحل التالية :

المَرْحَلَةُ الأُولَى : المُرُورُ عَلَى مَتْنِ التَّفْسِيرِ قِرَاءَةً وَاطِّلَاعًا

والغرض من هذه المرحلة هو تكسير قشرة الجهل البسيط وتمهيد الطريق لفقه كتاب الله عز وجل .



والكتب السائد اقتراحها عادة لهذا هي :

(١) « التفسير الميسر » ، طبعة مجمع الملك فهد الثالثة (١٤٣٠ هـ) .

(٢) « تفسير الجلالين » ، وأصح طبعاته دار البشائر بعناية الشيخ محمد أحمد كنعان .

(٣) « تفسير السعدى » وأصح طبعاته طبعة دار ابن الجوزي بالسعودية ، ولا تضارعها غيرها .

(٤) « زبدة التفسير » ، للشيخ محمد سليمان الأشقر اختصره من فتح القدير للشوكاني ، وطبعته دار النفائس .

(٥) « المنتخب في تفسير القرآن الكريم » ، إصدار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر .

(٦) « التفسير الميسر » ، لعائض القرني ، نشر مكتبة العبيكان .

وأفضل هذه الكتب ـ فيما أرى ويرى عدد من المتخصصين ـ هو الكتاب الأول ، ويقرأ هذا الكتاب في هذه المرحلة ثلاث مرات متتالية ، يقرأ الطالب في اليوم الواحد أربعين صفحة ؛ لتنتهي المرحلة في شهرين تقريبًا .

تنبيه : أكثر من كتب في مناهج التعليم يجعل هذه المرحلة مرحلة قراءة واستذكار وحفظ ، وهذا لا نرضاه ، ونرى الاكتفاء بالقراءة والاطلاع فحسب .

المرحلة الثانية:

وتكون العناية فيها بضبط ثلاثة أبواب :

الباب الأول : غريب القرآن .

والكتب المشهورة في هذا الباب هي :

١ ـ « كلمات القرآن » ، لحسنين مخلوف .



وطبعاته كثير ، وأكبر عيوبه أشعرياته .

٢ ـ« غريب القرآن » ، للسجستانى .

وأصح طبعاته طبعة دار المعرفة، وأكبر عيوبه هو ترتيبه على حروف المعجم ، فلم يرتب الألفاظ بترتيب سور القرآن ، وترتيب كتب الغريب بترتيب سور القرآن أنفع لطالب علم التفسير .

ومما صدر حديثًا خدمةً لكتاب السجستاني هذا : قيام الدكتور إبراهيم الشربيني بعمل تعليمي نافع جداً في هذا الكتاب ، أود لو حذا حذوه المصنفون في غريب القرآن ..

وبيان هذا العمل :

(١) أعاد ترتيب الكتاب على السور لا على حروف المعجم كما هو .

(٢) فرق في الترتيب عند ذكر المعاني بين المعنى الأصلي للكلمة ، والمعنى المغاير لهذا المعنى ، وأصل الكلمة ، والمعنى الفرعى بوضع علامة لكل .

(٣) أخر الشواهد الشعرية في آخر الكتاب كي لا تشتت من يحفظ .

(٤) علَّق على مخالفات الكتاب باختصار شديد .

(٥) صنع اختبارات للمراجعة والتقييم ، في كل اختبار مجموعة من السور ، وعدد الاختبارات أحد عشر اختباراً .

(٦) صنع اختبارين نهائيين في الكتاب .

(٧) صنع اختباراً جامعًا ، وفيه رتب الكلمات على حروف المعجم .

(٨) أرفق مع الكتاب قرصًا ممغنطًا فيه الكتاب الكترونيًا مع برنامج يسهل الوصول لأي كلمة ، ويمكنك اختبار نفسك من خلاله ، وهو يصحح لك خطأك تلقائيًا ، وفيه اختبارات أخرى متنوعة .

والكتاب بهذه الصورة مفيد جدًا من الناحية التعليمية .

يبقى أنَّ الكتاب ـ للأسف ـ كأنه لم يجدْ ناشرًا فهو مطبوع طبعة سيئة التغليف (لكن الكتاب من الداخل واضح).

٣ ـ « غريب القرآن لكاملة الكواري » ، نشر دار ابن حزم .

٤ ـ « السراج في غريب القرآن » ، لمحمد عبد العزيز الخضيري ، نشر دار البيان.

٥ ـ « وجه النهار » ، للشيخ عبد العزيز الحربي ، نشر دار ابن حزم .

وللأخ الكريم فهد الجريوي من أعضاء ملتقى أهل التفسير مقارنة نافعة بين الكتب الثلاثة الأخيرة نوردها ؛ لفائدتها :

« بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد صلى الله عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين : أما بعد فأسأل الله أنْ يجعلنا وإياكم من التالين المتدبرين لكتاب الله العظيم .

هذا تعريف موجز بثلاثة كتب ، صدرت حديثًا في غريب القرآن ،ومقارنة يسيرة بينها ، بعد أن رأيت جملة من الأسئلة عنها فأحببت الإفادة ، وأسأل الله أن أوفق لها، وسأبدأ بمقارنة يسيرة بين كتابي الشيخ الخضيري ، والأستاذة كاملة الكواري ، وأختم بكتاب وجه النهار للشيخ عبد العزيز الحربي ، وهي للتعريف أقرب منها للمقارنة ، لكن لعلها تعطي انطباعًا عامًّا على الكتب الواردة في هذا التعريف .

كتب الشيخ محمد الخضيري في مقدمة كتابه ـ وفقه الله ـ : « جمعت هذا الكتاب، ليكون تذكرة لمن يريد معرفة معاني غريب ألفاظ القرآن ، وقد جمعته من كتب التفسير ، وكتب غريب القرآن القديمة والمعاصرة ، وسهَّلت العبارة ، وحاولت صياغة الأقوال المختلفة في عبارة واحدة جامعة متى كان ذلك ممكنًا ، وإلا لجأت إلى الترجيح» .

وكتبت الأستاذة الفاضلة كاملة في مقدمتها ـ وفقها الله ـ : « اخترت فيه أهم الكلمات التي تحتاج إلى بيان ، ونقلت شرحها من كتب التفسير وغريب القرآن مما كتبه الأقدمون والمعاصرون » .

ذكر الشيخ محمد الخضيري أنه اعتمد على كتب الغريب القديمة والمعاصرة ، ولم يذكر المراجع ، أما الأستاذة كاملة فقد ذكرت المصادر والمراجع كاملة ، وهي :

١ ـ « إيجاز البيان عن معانى القرآن للنيسابوري . ٢ ـ « أيسر التفاسير » لأبى بكر الجزائرى . ٣ ـ « بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب» للتركمانى. ٤ ـ « التبيان في تفسير غريب القرآن » لشهاب الدين أحمد بن محمد ابن عماد. ٥ ـ « تذكرة الأريب في تفسير الغريب » لابن الجوزي . ٦ ـ « الترجمان عن غريب القرآن » لليمانى. ٧ ـ « تفسير البشائر ، وتنوير البصائر » للشربجى . ٨ ـ « تفسير القرآن الكريم » (جزء عم ـ سورة الحجرات وقاف وجزء الذاريات ـ آل عمران ـ سورة الصافات ـ سورة الفاتحة والبقرة ـ سورة الكهف ـ سورة ص ـ سورة يس ») جميعها للشيخ ابن عثيمين . ٩ ـ « تفسير الشيخ السعدي » . ١٠ ـ « زبدة التفسير» للأشقر . ١١ ـ «غرائب التفسير وعجائب التأويل» للكرماني. ١٢ ـ «غريب القرآن وتفسيره » لليزيدى . ١٣ ـ « المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير» للمباركفوري . ١٤ ـ « وجه النهار الكاشف عن معاني كلام الواحد القهار » . ١٥ ـ « معارج التفكر ودقائق التدبر » للميداني .

وهذا نموذج لبيان عدد الكلمات في الكتابين (سورة البقرة ، وسورة الحجرات وسورة ق ، والجزء السابع والعشرين ، والثامن والعشرين والتاسع والعشرين نموذجًا).

الرقم الأول يتعلق بكتاب الشيخ الخضيري والرقم الثاني يتعلق بكتاب الأستاذة كاملة . .

البقرة : (٢٣٠ ـ ٤٩٥) . الحجرات : (٢٧ ـ ٧) . ق : (٦٣ ـ ١٧) . الذاريات : (٥٠ ـ ١٩) . الطور : (٤٩ ـ ٢٠) . النجم : (٤٦ ـ ٢٣) . القمر : (٦٩ ـ ١٨) . الرحمن : (٦٤ ـ ٢٢) . الواقعة : (٨٢ ـ ٢٣) . الحديد : (٥٧ ـ ١٤) . المجادلة : (٣٤ ـ ٩) . الحشر : (٥١ ـ ٣٠). الممتحنة : (٣٣ ـ ٢٠) . الصف : (١٨ ـ ٩) . الجمعة : (١٨ ـ ١١) . المنافقون : (٢١ ـ ١٢) . التغابن : (١٨ ـ ٧) . الطلاق : (٢٥ ـ ١٧) . التحريم : (٢٣ ـ ٢٤) . الملك : (١٧ ـ ٤٠) . القلم : (٥٥ ـ ٤٨) . الحاقة: (٥١ ـ ٣٢) . المعارج : (٣٧ ـ ٣٠) . نوح : (٢٣ ـ ٢٣) . الجن : (٤٠ ـ ٢٩) . المزمل : (٢٩ ـ ٢٤) . المدثر : (٣٤ ـ ٣٨) . القيامة : (٣٢ ـ ١٩) . الإنسان : (٤٢ ـ ٢٨) . المرسلات : (٣٢ ـ ٢١) .

ففى هذا القدر من السور ، بلغت الكلمات التى بين معانيها الشيخ الخضيري ١٣٧٠ ، أما الأستاذة كاملة الكواري فبلغ عدد الكلمات المبينة ١١٢٩ .

الشيخ محمد الخضيرى تميز كتابه باستعياب غالب الكلمات مع الاقتضاب ، أما الأستاذة كاملة فبخلاف ذلك فالكلمات أقل مع إسهاب فى البيان ودونكم الأمثلة :

فى بيان قوله تعالى (آلم) فى سورة البقرة :

الشيخ الخضيري : هذا القرآن مؤلف من هذه الحروف ، ولا تستطيعون الإتيان بمثله. **الأستاذة كاملة الكواري** : أصح الأقوال فيها أنه حروف ليست لها معنى ؛ لأن القرآن نزل بلغة العرب ، وليس لهذه الحروف معنى في العربية ، وهذا قول (مجاهد)، وأما الحكمة منها فهي الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن ،وهذا اختيار (شيخ الإسلام وتلميذه) .

(كصيب) :

الخضيري : كمطر شديد .



الكواري : المطر ، من الصوب وهو النزول ؛ لأن المطر يصوب ، أي : ينزل من السحاب إلى الأرض ، والمراد : أصحاب الصيب ؛ لأن المشبه به الذين أصابهم الصيب .

(الغمام) :

الخضيري : السحاب .

الكواري : سمى السحاب غمامًا لأنه يغم السماء أى : يسترها .

(ذات الحبك) :

الخضيري : ذات الخلق الحسن وذات الطرق التى تسير فها الكواكب .

الكوارى : أقسم بالسماء صاحبة الخلق الحسن ، المستوي المنسق كتنسيق الزرد المتشابك المتداخل الحلقات ، وقِيلَ : ذات الزينة بالنجوم ، وقِيلَ : ذات الطرق التي تسير فيها الكواكب ، والحبك : جمع حبيكة ، قال (ابن الأعرابي) : كل شيء أحكمته وأحسنت عمله فقد احتبكته ، يقال : حبك الثوب يحبكه حبكًا ، أي : أجاد نسجه .

وبعض المواطن يأتى التفسير من الشيخ الخضيري أعمَّ ، ومن الأستاذة الكواري أخصَّ مثاله : (رجزًا) .

الخضيري : عذابًا .

الكواري : وباء الطاعون .

وبعد تأمل بين الكتابين ظهر لي أنَّ كتاب الشيخ الخضيري أدق وألصق بكتب الغريب لاقتضابه ودقته ، بخلاف كتاب الأستاذة كاملة الكوارى فهو توسط بين كتب الغريب وكتب التفسير ومَنْ أجال نظره في مراجع ومصادر الكتاب بان له ذلك ، فبعض المفردات التزمت الباحثة بالاقتضاب والدقة ، وفي بعضها أسهبت ورجحت وذكرت الأقوال ، بل في بعض الأحيان قد تذكر سبب نزول الآية وينظر مثلاً ، قوله

ـ تعالى ـ في سورة البقرة ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ﴾ [البقرة : ٢٠٧] .

أما كتاب « وجه النهار » فلا يصح جمعه مع كتب غريب القرآن ، وإن شابهها من وجه ، فقد قال مؤلفه في مقدمة كتابه : إنني لم أرد بما كتبته في مصنفي هذا أن أشرح آيات القرآن ، ولا أن أعرض أحكامه وحكمه على طريقة من سبق ، ولم أشأ أن أعمد إلى ألفاظه الغريبة فأشرحها ؛ كما صنع من صنف في (مفردات القرآن) ؛ ولكني نحوت منحى آخر : جمعت فيه بين تفسير مفردات القرآن ، وبين جمله الغريبة التي يشكل تركيبها أو معناها الجملي ، أو ضمائرها ، أو صيغها ، وحليته بالفوائد ، ونكات ، واستنباطات ؛ مما قرأته ، واطلعت عليه في كتب التفسير ، وغيرها من كتب الفقه والأصول والمعارف ، ومما سمعته من أهل العلم ، ومما فتح الله به عليَّ .

وهذا عرض موجز للكتاب وذكر جملة من فوائده :

أولا سبب تسمية الكتاب : لما أتى عند قوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ﴾ [آل عمران : ٧٢] .

قال : « وجه النهار » : أوله . وبهذا اللفظ الشريف سميت كتابي هذا وورد مثله في الشعر ، ومن ذلك قول الربيع بن زياد :

من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار .

قال المصنف عن كتابه : « ومن تأمل بإنصاف ما أجمعه من تفسير في اللفظ الواحد وما أذكر من لطائف ونكات يدرك صِدْقَ ما قلته » .

قلت : صدق ـ وفقه الله وحفظه ـ وإن كان لم يكثر من ذلك ، أقول هذا بعد الفراغ من قراءة الكتاب كاملاً .

هذه بعض اللطائف والنكات العلمية التى ساقها المصنف في كتابه ، والمصنف ـ



أمتع الله به ـ ساق جملة من النكات العلمية واللطائف لكنه لم يعزها ، وتمنيت لو وثَّق جميع هذه اللطائف ، وأعلمُ أنَّ هذا لا يخفى على شريف علمه ، ولعله آثر الاختصار ، أو أنه نقلها من الذاكرة :

١ ـ في سورة الشعراء لما ذكر الله ـ سبحانه ـ الأنبياء في الآية ١٠٥ بدأ ـ سبحانه ـ قصة نوح وقوله لقومه ، فقال ـ تعالى ـ: ﴿ **إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ** ﴾ ، ثم ذكر بعده ـ سبحانه ـ قصة هود وصالح ولوط ، في كل هذه القصص يذكر ـ سبحانه ـ أُخُوَّتهم لأقوامهم. فلمَّا أتى ـ سبحانه ـ لشعيب قال : ﴿ **إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ** ﴾ [الشعراء : ١٧٧] ولم يذكر لفظ الأخوة فما السر فى ذلك ؟ **قال المصنف لوجهين** :

أ ـ إما أنه ليس من قبيلتهم وهم غير مدين ، وأرسل إليهم أيضًا .

ب ـ أو لأنه حين نسبهم إلى الأيكة التي هلكوا فيها نُزِّهَ عن النسبة إليها .

٢ ـ في قوله ـ تعالى ـ في سورة النمل : ﴿ **وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ** ﴾ .

قال المصنف : وليس في القراءن شين مضمومة منونة غير هذه .

٣ ـ فى قوله تعالى في سورة عبس : ﴿ **يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ** ﴾ .

قال المصنف : قدم في الفرار الأخ ثم الأم فالأب فالصاحبة فالابن تدريجًا من القريب للأقرب ؛ لأن المقام مقام فرار فلو ذكر الأقرب لم يكن في ذكر من دونه فائدة.

قال المصنف : وقدم في المعارج الأقرب ؛ لأن المقام مقام افتداء يود المجرم لو يفتدى بهم كلهم .

٤ ـ قال ـ تعالى ـ في سورة آل عمران عن البيت الحرام : ﴿ **فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ** ﴾.

قال المصنف: « ومن المفسرين من جعل من آياته :

انحراف الطير عن المرور على هوائه في جميع الأزمان ، وهو مردود بالواقع

المشاهد ».

هذه قبسات يسيرة من هذا الكتاب الماتع المبارك رفع الله قدر مؤلفه في الدارين ، هذا ما تهيأ إعداده وتيسر إيراده والسلام عليكم » .

قلت : وبناء على هذه الدراسة الجيدة من الأخ فهد فأنا أرشح للطالب أولا العمل المدرسى النافع لإبراهيم الشربينى على كتاب السجستانى ، فإن لم يتوفر له تحصيله فأرى تقديم كتاب السراج للشيخ الخضيرى .

أما طريقة دراسته فأرى أن تكون بالتوازي مع المرحلة الأولى التي سيقرأ فيها كتاب التفسير الميسر ، بحيث تتم دراسة الكتابين في شهرين ، يقرأ الأول ثلاث مرات في شهرين ، ويحفظ كلمات حزب كامل كل يوم فينهيه في شهرين أيضًا ، وضابط الحكم بإتقان كتب غريب القرآن أن يجتاز اختبارين ، أحدهما شفهي ، والآخر تحريري يجيب فيهما عن معاني الكلمات على ألا تقل نسبة الإصابة في كل اختبار عن ثمانين بالمائة .

الباب الثاني من الأبواب التي يجب ضبطها في المرحلة الثانية : أسباب النزول.

وهناك عدة كتب يقترحها المصنفون في المناهج لتدرس في هذا الموضع ، لكن الحق أن واحدًا منها فقط هو المعتبر ، والباقي عيوبه كثيرة خاصة من ناحية تحرير أسانيد الروايات ؛ **لذلك فالكتاب الذي نرشحه هنا هو :**

١ ـ « الصحيح المسند من أسباب النزول » للشيخ مقبل بن هادي الوادعي ، نشر دار الآثار بصنعاء .

وطريقة دراسة هذا الكتاب هي حفظ الأحاديث المذكورة وربطها بالآيات بحيث ينتهي الدارس من الكتاب وقد حفظ سبب نزول كل آية من الآيات التي ذكر الكتاب أسباب نزولها .

الباب الثالث من الأبواب التي يجب ضبطها فى المرحلة الثانية : إجماعات

المفسرين .

وهناك كتاب فرد واحد يصلح لهذه المرحلة وهو كتاب :

١ ـ « الإجماع فى التفسير » ، للشيخ محمد عبد العزيز الخضيري ، نشر دار الوطن .

المرحلة الثالثة :

وهى أول مراحل ضبط خلاف المفسرين فى الآيات .

والكتب المقترحة في هذه المرحلة لا تخرج عن الآتي :

١ ـ تفسير ابن كثير .

له طبعات ثلاثة مقاربة (طيبة ـ عالم الكتب ـ ابن الجوزي) ، وجميعها أصابت فأدركت أشياء وفاتتها أشياء ، وربما كانت أقربها طبعة دار عالم الكتب .

وربما أوصى البعض بمختصرات هذا التفسير وأشهرها :

ـ « المصباح المنير » ، للمباركفوري ، طبعة دار السلام .

ـ « مختصر تفسير ابن كثير » ، للأشقر .

ـ « عمدة التفسير » ، لأحمد شاكر .

ـ « مختصر تفسير ابن كثير » ، لمصطفى العدوي .

وأحسنها عندي اختصار الأشقر ، إلا أني من الناحية المنهجية لا أحبذ كتب مختصرات ابن كثير كمرحلة دراسية منهجية وأراها تصلح ككتاب يقرأه المثقف ؛ لكنها لا تناسب مناهج التعليم إلا إنْ وضعت كمرحلة الأولى ، وتكون عندها أصعب من أن تصلح كمرحلة أولى ، فهذه المختصرات أثقل من أن يبتدأ بها ، وأخف من أن يتوسط بها . أما سبب كونها أخف فهو أنه بتخليصها من الإسرائيليات والأحاديث الضعيفة تُبعد الدارس عن الصعوبة التي ينبغي أن يعانيها ليكتسب باجتياز

هذه الصعوبة الملكة التي تؤهله للانتقال للمرحلة القادمة ، وهذه نكتة في استراتيجية التعلم والتعليم يغفل عنها من يحول كل مراحل التدرج التعليمي لكتب سهلة ، ويشرح المتن الأصعب بنفس لسان ولغة المتن الأسهل ، فلا يكون الطالب متدرجًا حقًّا وإنما يدور في حلقات متشابهة لا تُرَقِّيهِ .

٢ ـ « فتح القدير » للشوكاني .

وهو المعتمد في عدد من الجامعات ، وأصح طبعاته (نسبيًا) هي طبعة دار الوفاء ، وبلغني أن محمد صبحي حلاق بصدد إخراجه محققًا عن دار ابن الجوزي .

وأمر الكتابين عندي متقارب ، وإن كنت أميل لابن كثير .

أما كيف يستذكر الطالب الكتاب ، فهاهنا طريقتان :

الأولى : تكرار قراءة الكتاب خمس مرات .

الثانية : قراءته مرة واحدة مع تلخيص التفسير تلخيصًا بضبط ما يذكره من أقوال تحت كل آية ، ثم ضبط هذا الملخص .

وفي الطريقتين فسينتهي الكتاب في حدود أربعة أشهر (تذكر أننا خصصنا للمادة أربع ساعات يوميًا) .

المرحلة الرابعة:

وفيها كتابان ملزمان . .

١ ـ « زاد المسير » ، لابن الجوزي .

وله طريقة واحدة فقط لدراسته ، وهى تلخيص ما يذكره من الأقوال وضبطها .

٢ ـ المجلدات من (١١ ـ ١٧) من « مجموع الفتاوى » لشيخ الإسلام ابن تيمية. وتقرأ مرتان .

قائمة القراءة

(١) « تفسير الطبري » ، وأصح طبعاته طبعة عالم الكتب .

(٢) « تفسير ابن أبي حاتم » .

(٣) « نكت القرآن » ، للكرجي القصاب ، طبعة دار ابن عفان .

(٤) « تفسير ابن جزي الكلبي » .

(٥) « تفسير ابن عطية » ، وأصح طبعاته طبعة قطر .

(٦) « تفسير القرطبي » ، وأصح طبعاته طبعة الرسالة .

(٧) « تفسير الألوسى » ، وأصح طبعاته طبعة الرسالة .

(٨) « تفسير التحرير والتنوير » ، للطاهر ابن عاشور ، طبعة تونس .

(٩) « أحكام القرآن لابن العربي » ، طبعة على البجاوي .

(١٠) « البحر المحيط » لأبي حيان الطبعة البولاقية التي بحاشيتها النهر الماد .

(١١) « تفسير القاسمي » ، طبعة الحلبي بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

(١٢) « بدائع التفسير المجموع من مصنفات ابن القيم»، طبعة دار ابن الجوزي.

(١٣) « الأجزاء الصادرة من التسهيل لتأويل التنزيل » ، لأبي عبد الله مصطفى العدوى.

(١٤) « الأجزاء الصادرة من تفسير ابن عثيمين » نشر دار الثريا ودار ابن الجوزي.

علوم القرآن وأصول التفسير

المرحلة الأولى :

١ ـ يقرأ الطالب رسالة أصول في التفسير للشيخ ابن عثيمين بشرح الشيخ نفسه عليها .

٢ ـ ثم يدرس فيها الطالب كتابًا واحدًا وهو « المحرر في علوم القرآن » للشيخ مساعد الطيار ، توزيع دار ابن الجوزي .

* ـ يقرأ الطالب كتاب : « مفهوم التفسير والاستنباط والتدبر والتأويل » للشيخ مساعد الطيار نشر دار ابن الجوزي .

* ـ يقرأ الطالب كتاب : « أنواع التصانيف المتعلقة بالقرآن الكريم » للشيخ مساعد الطيار ، نشر دار ابن الجوزي .

* ـ يستمع الطالب لمحاضرات « بداية المفسر » ، ويجدها على موقع « ملتقى أهل التفسير » .

المرحلة الثانية :

١ ـ يدرس الطالب كتاب : « المقدمات الأساسية في علوم القرآن » ، للشيخ عبد الله بن يوسف الجديع ، نشر مؤسسة الريان.

٢ ـ ثم يدرس رسالة مساعد الطيار « فصول في أصول التفسير » ، نشر دار ابن الجوزي .

٣ ـ ثم يدرس « مقدمة أصول التفسير » ، لشيخ الإسلام بشرح الشيخ مساعد الطيار ، نشر دار ابن الجوزي .

* ـ مطالعة كتاب « مناهل العرفان » في طبعة دار السلام مع قراءة الدراسة التي قام بها عنه الشيخ خالد السبت ، ونشرتها دار ابن عفان .

* ـ يستمع الطالب لمحاضرات شرح مختصر الإتقان للشيخ البويحياوي.

* ـ يستمع الطالب لمحاضرات تاريخ القرآن ، وتاريخ التفسير التي ألقاها الشيخ مساعد الطيار .

المرحلة الثالثة :

١ ـ يقرأ الطالب بعناية كتاب « علوم القرآن بين الإتقان والبرهان » لحازم حيدر، نشر دار الزمان ، ثم يقرأ « الإتقان » في طبعة مجمع الملك فهد ، ويستمع لمحاضرات الشيخ مساعد في التعليق عليه . ثم يقرأ « البرهان » للزركشي في طبعة دار المعرفة ، أو دار الحضارة .

٢ ـ يستمع الطالب لمحاضرات الشيخ مساعد الطيار في شرح مقدمات عدد من التفاسير .

قائمة القراءة

١ ـ « المفسر » ـ أحمد سهيل ـ مكتبة الرشد .

٢ ـ « مقدمات في علم القراءات » ـ لمحمد مفلح القضاة وزميلاه ـ دار عمار .

٣ ـ « القراءات القرآنية » ـ عبد الحليم قابة ـ نشر دار الغرب الإسلامي .

٤ ـ « رسم المصحف » ـ غانم قدوري الحمد ـ بغداد .

٥ ـ شرح المقدمة الجزرية ـ غانم قدوري الحمد ـ دار ابن الجوزي .

٦ ـ « الدراسات الصوتية عند علماء التجويد » ـ غانم قدوري الحمد ـ دار عمار.

٧ ـ « الإجماع في التفسير » ـ محمد الخضيري ـ دار الوطن .

٨ ـ « الأقوال الشاذة في التفسير » ـ عبد الرحمن الدهش ـ الحكمة .

٩ ـ « أسباب الخطأ في التفسير » ـ طاهر يعقوب ـ دار ابن الجوزي .

١٠ ـ « اختلاف السلف في التفسير » ـ محمد صالح ـ دار ابن الجوزي .

١١ ـ « أسباب اختلاف المفسرين » ـ سعود الفنيسان ـ دار إشبيليا .

١٢ ـ « قواعد الترجيح بين المفسرين » ـ حسين الحربي ـ دار القاسم .

١٣ ـ « قواعد التفسير» ـ خالد السبت ـ دار ابن عفان .

١٤ ـ « استدراكات السلف في التفسير » ـ نايف الزهراني ـ دار ابن الجوزي .

١٥ ـ « منهج الاستنباط من القرآن الكريم » ـ فهد الوهبي ـ دار ابن الجوزي .

١٦ ـ « المحرر فى أسباب النزول » ـ خالد المزيني ـ دار ابن الجوزي .

١٧ ـ « المجلد الثالث عشر » من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية .

١٨ ـ « تفسير التابعين » ـ محمد الخضيري ـ دار الوطن .

١٩ ـ « المكي والمدني » ـ عبد الرزاق حسين ـ دار ابن عفان .

٢٠ ـ « تاريخ القرآن » لنولدكه مع العناية بالكتب التي ناقشته .

٢١ ـ الشاهد الشعري ـ عبد الرحمن الشهري ـ دار المنهاج.

٢٢ ـ إمتاع ذوي العرفان بما اشتملت عليه كتب شيخ الإسلام ابن تيمية من علوم القرآن ـ دار الإمام البخاري.

علم التجويد [١]

أولاً : ترتيب دراسة التجويد بطريقة المتون :

المرحلة الأولى :

يدرس فيها الطالب منظومة تحفة الأطفال ، للشيخ سليمان الجمزوري .

ولهذا المتن عدة شروح منها :

- شرح الناظم المسمى : فتح الأقفال ، تحقيق : أحمد إسماعيل نشر دار ابن عباس .
- منحة ذي الجلال ، للشيخ علي الضباع ، تحقيق : أشرف عبد المقصود .
- تقريب المنال ، للشيخ حسن دمشقية ، دار البشائر الإسلامية .
- يحفظ الطالب نظم تحفة الأطفال ، وله عدة تحقيقات ، من أجودها تحقيق الشيخ محمد فلاح المطيري في كتابه المسمي : الإحكام في ضبط المقدمة الجزرية وتحفة الأطفال ، وتحقيق الشيخ الزعبي ، وتحقيق أيمن سعيد .
- يكثر الطالب خلال هذه المرحلة السماع للقراء المتقنين ، برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية ، ويلاحظ أثناء استماعه الأحكام التي يدرسها . ومن المصاحف المرتلة التي يُنصح بها : المصحف المرتل للشيخ علي بن عبد الرحمن الحذيفي ، والمصحف المرتل للشيخ محمد أيوب .
- بعد هذه المرحلة يبدأ الطالب عرض القرآن على شيخ متقن ، برواية حفص من طريق الشاطبية ، ويتحرى الشيخ المتقن الضابط ، وإن نزل سنده .

(١) وضع منهج التجويد والقراءات الشيخ ضيف الله الشمراني المعيد بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية خصيصًا لكتابنا.



المرحلة الثانية :

يدرس فيها الطالب منظومة المقدمة الجزرية ، للإمام ابن الجزري .

وشروحها كثيرة منها :

الحواشي المفهمة لابن الناظم ، والطرازات المعلمة ، لعبد الدائم الأزهري (طبعة دار عمار) والحواشي الأزهرية ، لخالد الأزهري (طبعة دار الغواثاني) ، واللآلئ السنية ، للقسطلاني ، والدقائق المحكمة ، لزكريا الأنصاري ، وشرح طاش كبري زادة (طبعة مجمع الملك فهد) ، والفوائد السرية لابن الحنبلي ، والمنح الفكرية ، لملا علي القاري (طبعة دار الغوثاني) ، والفوائد المسعدية ، للمسعدي ، والجواهر المضية للفضالي ، طبعة الرشد ، والفوائد المفهمة ، لابن يالوشة .

ومن الشروح المعاصرة : شرح الشيخ غانم قدوري شرح كبير ، وهو من أنفس ما كتب على هذه المنظومة ، ثم لخصه في الشرح الوجيز ، والفوائد التجويدية ، للشيخ عبد الرازق موسى ، والأنوار البهية، لعبد الباسط هاشم، والشرح العصري، لمحمد حوا .

وأهم الشروح : شرح زكريا ، وشرح الملا علي القاري ، وشرح غانم قدوري الكبير .

ـ يحفظ الطالب نظم الجزرية ، وله تحقيقات كثيرة ، من أفضلها تحقيق الشيخ محمد فلاح المطيري في كتابه المسمى : الإحكام في ضبط المقدمة الجزرية وتحفة الأطفال ، وتحقيق الشيخ غانم قدوري ، وتحقيق الشيخ أيمن سويد ، وتحقيق الشيخ تميم الزعبي .

ـ كتب الشيخ تميم الزعبي دراسة قيمة لمنظومة الجزرية في مقدمة تحقيقه لها ، وهي جديرة بالقراءة لأهميتها .

ـ يستحسن بعد دراسة الجزرية قراءة كتاب التمهيد لابن الجزري ، تحقيق : غانم

قدوري ، وقراءة ما يتعلق بالتجويد في كتاب النشر لابن الجزري .

ـ يواصل الطالب خلال هذه المرحلة عرض القرآن على شيخ متقن برواية حفص من طريق الشاطبية ، وإن انتهى أخذ عن شيخ آخر ، ويحرص على علو السند في هذه المرحلة .

المرحلة الثالثة : يدرس فيها الطالب أحد المتنين التاليين :

ـ منظومة السلسبيل الشافي ، للشيخ عثمان مراد ، بتحقيق : حامد خير الله سعيد .

وقد شرحها ناظمها شرحًا موجزًا ، حققه الشيخ حامد خير الله سعيد ، طبعة دار الزمان . وعليها شرح آخر اسمه الوافي للشيخ توفيق حمارشة والشيخ محمد خالد منصور .

ـ أو منظومة التحفة السمنودية ، للشيخ إبراهيم السمنودي ، بتحقيق حامد خير الله سعيد ، ولكنها لم تشرح حتى الآن .

ـ يحسن حفظ زوائد النظمين السابقين على التحفة والجزرية ، أو حفظ الشواهد المختارة من المنظومات المحررة في التجويد ، للشيخ إلياس البرماوي .

ـ يعرض الطالب القرآن في هذه المرحلة على شيخ متقن برواية حفص بقصر المنفصل .

ثم بعد الانتهاء من هذه المرحلة يقبل الطالب على قراءة كتب المتقدمين والتأمل فيها ، وأبرزها :

ـ منظومة الخاقاني الرائية ، بتحقيق غانم قدوري أو علي البواب ، وعليها شرح نفيس للإمام الداني ، حقق في جامعة أم القرى ، ولم يطبع حتى الآن ، ولكنه متداول بين أهل الفن المعتنين .

ـ التنبية على اللحن الخفي واللحن الجلي ، للسعيدي ، بتحقيق غانم قدوري .



- التحديد للداني ، بتحقيق غانم قدوري .

- الرعاية لمكي بن أبي طالب ، بتحقيق أحمد فرحات .

- الموضح للقرطبي ، بتحقيق غانم قدوري .

- بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء ، لابن البناء ، بتحقيق غانم قدوري.

- التمهيد ، لأبي العلاء الهمذاني ، بتحقيق غانم قدوري .

- منظومة السخاوية النونية ، شرحها ابن قاسم المرادي ، ولهذا الشرح طبعة بتحقيق علي البواب ، وهي غير متوفرة حالياً ، وطبعة بتحقيق جمال رفاعي .

- للشيخ عبد العزيز القارئ تحقيق وشرح لمنظومتي الخاقاني والسخاوي .

- من كتب المتأخرين النفسية جهد المقل للمرعشي ، تحقيق سالم قدوري ، وبيان جهد المقل للمرعشي كذلك .

- من الدراسات الحديثة التي يحسن الاعتناء بها كتابات الشيخ غانم قدوري ، ومن أبرزها : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، وأبحاث في علم التجويد .

- من المهم لطالب التجويد العناية بعلم الوقف والابتداء ،ومن أجمع التصانيف فيه منار الهدى للأشموني . ومن المفيد في هذا الباب المصاحف المطبوعة تحت إشراف لجان علمية كمصحف الملك فهد في طبعتيه الأولى والثانية .

- أفضل معجم مختص لمصطلحات علم التجويد هو التجريد لمعجم مصطلحات التجويد ، للشيخ إبراهيم الدوسري .

* ثانيا : ترتيب دراسة التجويد بطريقة الكتب المدرسية :

المرحلة الأولى :

يدرس فيها طالب العلم واحداً من الكتب الثلاثة الآتية :

١ ـ الإتقان لتجويد القرآن ، للشيخ عبد الله العبيد ، طبعة دار العاصمة .



٢ ـ قواعد التجويد ، للشيخ عبد العزيز القاري . طبعة مؤسسة الرسالة .

٣ ـ البرهان في تجويد القرآن للشيخ محمد الصادق قمحاوي .

المرحلة الثانية :

يدرس فيها الطالب واحدًا من الكتب الثلاثة الآتية :

١ ـ التجويد الميسر ، لنخبة من أهل العلم ، صدر عن مجتمع الملك فهد .

٢ ـ غاية المريد ، للشيخ عطية قابل نصر .

٣ ـ تيسير علم التجويد ، للشيخ أحمد الطويل ، طبعة دار ابن خزيمة .

المرحلة الثالثة :

يدرس فيها الطالب واحداً من الكتابين التاليين :

١ ـ هداية القارئ ، للشيخ عبد الفتاح المرصفي ، وهو أوسع وأفضل كتاب في التجويد في العصر الحديث .

٢ ـ فن الترتيل وعلومه ، للشيخ أحمد الطويل ، طبعة مجمع الملك فهد .

علم القراءات [١]

ملاحظة مهمة : لا ينبغي البدء بدراسة علم القراءات قبل إنهاء المرحلة الثانية من دراسة علم التجويد .

ترتيب دراسة علم القراءات

المرحلة الأولى :

يدرس فيها الطالب دراسة حفظ وفهم منظومة حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع المعروفة اختصاراً بلشاطبية ، للإمام أبي القاسم الشاطبي .

ولهذا النظم تحقيقات كثيرة أفضلها تحقيق الشيخ الضباع ، وتحقيق الشيخ الزعبي، وتحقيق الشيخ أيمن سويد .

وهي مسجلة بصوت الشيخ طه الفهد .

وشروح الشاطبية كثيرة جداً منها :

فتح الوصيد للسخاوي (طبعة الرشد) ، واللآلئ الفريدة للفاسي ، وكنز المعاني لشعلة ، وإبراز المعاني لأبي شامة ، وسراج القارئ المبتدي لابن القاصح .

ومن الشروح المتأخرة : إرشاد المريد للضباع ، والوافي للقاضي ، وتقريب المعاني لسيد لاشين ، وخالد الحافظ ،والنفحات الإلهية لمحمد عبد الدايم خميس ، والمزهر لأحمد شكري وزملائه ، وتقريب الشاطبية لإيهاب فكري .

ومن الشروح النفيسة التي طبع جزء منها : العقد النضيد للسمين الحلبي (تحقيق أيمن سويد ـ دار نور المكتبات) ، وكنز المعاني للجعبري (تحقيق أحمد اليزيدي) .

---

(١)وضعه الشيخ ضيف الله الشمراني.



- وللعلماء على من متن الشاطبية تحريرات ، وفيها مؤلفات أشهرها :

منظومة إتحاف البرية للحسيني ، شرحها الضباع في مختصر بلوغ الأمنية ، بتحقيق عمر سالم - طبعة أضواء السلف ، ومنظومة كنز المعاني للجمزوري ، شرحها الناظم في الفتح الرحماني ، بتحقيق عبد الرازق موسى - دار ابن عفان .

- بعد دراسة الطالب للشاطبية يبدأ بعرض ختمة كاملة بالقراءات السبع على شيخ متقن .

- من الكتب المفيدة في التحضير للقراءة على الشيخ كتاب غيث النفع للصفاقسي تحقيق سالم الزهراني ، والبدور الزاهرة للشيخ القاضي ، وأفضل طبعاته التي حققها الشيخ عبد الرازق موسي .

- من الكتب المعينة على تعلم طريقة جمع القراءات كتاب المنح الإلهية في جمع القراءات السبع من طريق الشاطبية للشيخ خالد الحافظ ، والتحفة المرضية للشيخ محمد إبراهيم محمد سالم ، وفي هذا الأخير استيعاب لتحريرات القراءات السبع.

- يقرأ الطالب في بداية هذه المرحلة مدخلاً لعلم القراءات ، ومن أفضل الكتب في ذلك كتاب مقدمات في علم القراءات للشيخ محمد خالد منصور وزملائه ، ثم يقرأ بعده كتاب علم القراءات للشيخ نبيل آل إسماعيل .

- من الكتب المهمة التي تُقرأ أثناء هذه المرحلة كتاب حديث الأحرف السبعة للشيخ عبد العزيز قارئ .

المرحلة الثانية :

يدرس فيها الطالب دراسة حفظ وفهم منظومة الدرة المضية في القراءات الثلاث المتممة للعشر ، للإمام ابن الجزري .

ولهذه المنظومة عدة تحقيقات أفضلها تحقيق الضباع ، وتحقيق الزعبي .

وهي مسجلة بصوت الشيخ طه الفهد .



ولهذه المنظومة عدة شروح منها :

شرح الزبيدي ، بتحقيق عبد الرازق موسى ، وشرح النويري بتحقيق عبد الرافع رضوان ، وشرح السمنودي المنيّر .

ومن الشروح المتأخرة : شرح الضباع ، وشرح القاضي ، والمزهر لأحمد شكري وزملائه ، وتقريب الدرة لإيهاب فكري .

ـ التحريرات على الدرة قليلة ، ومن الكتب التي جمعت التحريرات على الشاطبية والدرة حل المشكلات للخليجي ، تحقيق عمر سالم ، ومنظومة دواعي المسرة للسمنودي .

ـ بعد دراسة الطالب للدرة يبدأ بعرض ختمة كاملة بالقراءات الثلاث على شيخ متقن .

ـ بعض مشايخ الإقراء يجعل الشاطبية والدرة في مرحلة واحدة ، والأنسب من وجهة نظري تقسيمها على مرحلتين ، ويحبذ للطالب قراءة ختمة كاملة بالعشر من طريقي الشاطبية والدرة على شيخ متقن بعد إنهاء المرحلتين .

ـ يوجد تسجيل كامل لجمع القراءات العشر من طريقي الشاطبية والدرة بصوت الشيخ طه الفهد ،وهو مفيد في التحضير والمراجعة لمن جمع أو يجمع العشر في ختمة واحدة ، أما من يجمع السبع فقط فلا أنصحه به ؛ لأنه قد يشوش عليه .

المرحلة الثالثة :

يدرس فيها الطالب دراسة حفظ وفهم منظومة طيبة النشر في القراءات العشر ، للإمام ابن الجزري .

ولهذه المنظومة عدة تحقيقات أفضلها تحقيق الضباع ، وتحقيق الزعبي .

وهي مسجلة بصوت الشيخ طه الفهد .

وشروح الطيبة قليلة أشهرها شرح ابن الناظم ، وشرح النويري .



ومن الشروح المعاصرة : الهادي لمحمد محيسن .

وللعلماء على الطيبة تحريرات واسعة متشعبة نظم خلاصتها الشيخ الزيات في تنقيح فتح الكريم ، ثم شرحه شرحا مختصرا جداً .

- ومن الكتب المهمة في تحريرات الطيبة كتب العلامة الإزميري ككتاب عمدة العرفان ، وكتاب بدائع البرهان ، وكتاب إتحاف البررة تحقيق باسم السيد وعبد الله الجار الله ، والروض النضير للعلامة المتولي، بتحقيق خالد أبو الجود ، وقواعد التحرير ومختصر القواعد وشرحه للشيخ محمد جابر ، وفتح القدير للشيخ عامر السيد عثمان ، وفريدة الدهر للشيخ محمد إبراهيم .

- بعد دراسة الطالب للطيبة يبدأ بعرض ختمة كاملة بمضمنها على شيخ متقن .

- من الكتب المفيدة في التحضير للقراءة بمضمن الطيبة كتاب فريدة الدهر للشيخ محمد إبراهيم محمد سالم .

وفي المرحلة وبعدها يعتني الطالب بكتاب النشر لابن الجزري غاية العناية ويقرأه قراءة تحقيق وتدقيق مراجعاً له على أصوله التي ذكرها في مقدمته .

المرحلة الرابعة :

يدرس فيها الطالب منظومة الفوائدة المعتبرة في القراءات الأربع الزائدة على العشر للعلامة المتولي ، بتحقيق الشيخ علي الغامدي ، وسيطبع قريباً إن شاء الله .

وعليها شرح للناظم سماه : موارد البررة ، حققه الشيخ علي الغامدي ، وسيطبع قريباً إن شاء الله .

فوائد مهمة :

- أفضل معجم لمصطلحات علم القراءات هو مختصر العبارات للشيخ إبراهيم الدوسري .

- توجد عدة معاجم للقراءات تجمع شتى أنواع القراءات من متواتر وصحيح



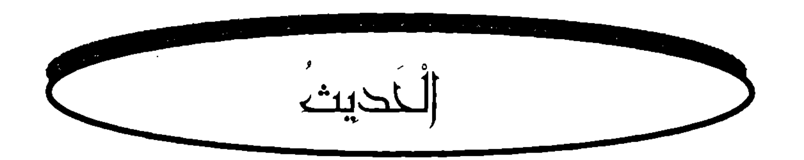
وشاذ من كتب التفسير واللغة وغيرها ، وأفضلها معجم عبد اللطيف الخطيب .

ـ ينبغي أن يعتني الطالب خلال هذه المراحل كلها بدراسة توجيه القراءات ، ومن الكتب المهمة في ذلك كتاب الكشف لمكي بن أبي طالب طبعة الرسالة ، وكتاب الحجة لأبي علي الفارسي طبعة دار المأمون ، والحجة لابن زنجلة تحقيق سعيد الأفغاني، والحجة لابن خالويه تحقيق عبد العال مكرم ، وتوجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية لعبد العزيز الحربي ، والمحتسب لابن جني ، والقراءات الشاذة وتوجيهها لعبد الفتاح القاضي .

ومن الكتب النفيسة في توجيه القراءات ، وإن لم يكن مختصاً به الدر المصون للسمين الحلبي تحقيق أحمد الخراط .

ولبعض المفسرين عناية بتوجيه القراءات كمكي بن أبي طالب في كتابه الهداية،وابن عطية في المحرر الوجيز ، والآلوسي في روح المعاني ، والطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير ، وغيرهم .

ـ لا يمكن دراسة علم القراءات بالطريقة المدرسية الحديثة ؛ لأنه مبني على حفظ المتون ، ومن النادر جداً في عصرنا وجود من يحفظ القراءات دون استحضار للمتون.



الحديث

والمراد به هنا هو علم الرواية ، أي متون السنة وشروحها .

أولاً: الحفظ :

والأسئلة كثيرة في مسألة حفظ السنة ،وليس هناك جواب واحد يصلح لكل الطلبة ، والذي أراه يمكن تلخيصه في النقاط التالية :

١ ـ محل ما أتكلم عنه هو من يريد أن يكتفي بقدر من الحفظ ، أما أهل الحفظ وجمع السنن فهؤلاء لا يحدهم حد بارك الله لهم في مواهبهم .

٢ ـ الحد الأدنى للحفظ عندي هو الأربعون النووية ، ومختصر ابن أبي جمرة .

٣ ـ الوعاظ والدعاة ونحوهم أرشح لهم الجمع بين حفظ عمدة الأحكام ، وحفظ رياض الصالحين .

٤ ـ المتخصصون في الفقه والأصول أرشح لهم حفظ بلوغ المرام ، وعدم الاكتفاء بالعمدة ، ومن أطاق فليحفظ المنتقى للمجد ، والفقيه لا يستغني عن البلوغ على الأقل .

٥ ـ المتخصص في علوم الحديث أرشح له الطريقة التي عرضها الشيخ حاتم العوني في كتابه النافع : « نصائح منهجية لطالب علم السنة النبوية » ، وهي أن يحفظ بقدر طاقته ، وملكته ، وعندي أن يبدأ بالموطأ فالصحيحين ، ولو حفظ بطريقة الزوائد التي يقوم بها الشيخ يحيى اليحيى أو صالح الشامي = يكن خيراً .

وأما من لم تسعفه ملكته على الحفظ النصي المرتب ، فليدم النظر في كتب السنة ، ويكون له ورد ثابت؛ فإنه بتكرار القراءة والنظر يثبت قدر عظيم من متون الأحاديث مع خلل في دقة الضبط .

٦ ـ غير المتخـصص فيما تقدم يحفظ الأربعين ، ومختـصر ابن أبى جمرة ، ثم يحفظ أكثر الأحاديث دورانًا في علمه .

ثانياً: القراءة :

اتخاذ جرد كتب السنة عادة هو من الأشياء النافعة جدًّا لطالب العلم ، وحبذا لو كان بهذا الترتيب :

١ ـ « الموطأ » طبعـة الأعظمي المنشورة بالإمارات أو طبـعة بشار عواد مـعروف المنشورة بدار الغرب .

٢ ـ « صحيح البخاري » ، الطبعة السلطانية (صورتها دار طوق النجاة ، ثم دار الطبري) ، أو طبعة مؤسسة الرسالة .

٣ ـ « صحيح مسلم » ، طبعة المطبعـة العامرة باستنبول (صورتها دار المودة) أو دار طيبة .

٤ ـ « سنن النسائي » ، طبعة دار البشائر .

٥ ـ « سنن أبي داود » ، طبعة دار المنهاج بجدة .

٦ ـ « سنن الترمذي » ، طبعة مؤسسة الرسالة .

٧ ـ « سنن الدارمي » ، طبعة دار المغنى .

٨ ـ « سنن الدارقطني » ، طبعة مؤسسة الرسالة .

٩ ـ « سنن البيهقي » ، الطبعـة الهندية ، وبلغني أن الإخوة في دار هجر فرغوا من تحقيقها .

١٠ ـ ثم خاتمة المطالعـة والنظر ، ديوان الإسلام ، مـسند أحمد ، طبـعة المكنز الإسلامي وتوزعها دار المنهاج .

ثالثًا: الشروح :

١ ـ « الموطأ » .

* « التمهيد » طبعة دار هجر ، والترتيب الفقهي المنشور بدار الفاروق متوسط المستوى ، وهو أحسن الموجود .

٢ ـ « صحيح البخاري » .

* « فتح الباري » ، وأصح طبعات « فتح الباري » طبعة دار طيبة، فبولاق، فأبي حيان ، فالسلفية الأولى ، والكتاب بحاجة لتحقيق جديد . وغلو سعر طبعة دار طيبة ليس يعدل المجهود الذي بذل فيها . .

* « فتح الباري » لابن رجب ، طبعة دار ابن الجوزي .

٣ ـ « صحيح مسلم » .

* « شرح النووي » ويحتاج لتحقيق ، ونسخه مقاربة ، ومن أقربها طبعة مؤسسة قرطبة ، والمعرفة، ودار ابن رجب .

* « شرح الأثيوبي » الذي ينشره منجمًا بدار ابن الجوزي .

٤ ـ « سنن النسائي » .

* « شرح الأثيوبي » وتوزعه دار ابن الجوزي .

٥ ـ « عون المعبود » .

* نشر دار المعارف بتحقيق مشهور حسن ، وقد نشرت دار المعارف تهذيب السنن لابن القيم أيضًا .

٦ ـ « تحفة الأحوذي » .

* ليس له طبعة مميزة .

٧ ـ «عمدة الأحكام» « الإعلام بفوائد عمدة الأحكام » لابن الملقن هو أوسع

شروحه ، وأكثرها فوائد. ومما أرشحه في دراسة شرح هذا المتن أن يجمع الطالب بين تيسير العلام للشيخ البسام طبعة دار الميمان ، وبين الشرح الصوتي للشيخ محمد المختار الشنقيطي. أما إحكام الأحكام لابن دقيق العيد فأصح طبعاته طبعة مكتبة أولاد الشيخ، وهو من كتب المطالعة لمن كان قد تقدم في دراسة الفقه والأصول .

٨ ـ بلوغ المرام شرح ابن عثيمين على بلوغ المرام نشر دار الوطن أو المكتبة الإسلامية هو أوسع شروح المتن ، ويدرس المتن بالجمع بينه وبين توضيح الأحكام للبسام طبعة دار الميمان ثم بعد الانتهاء يطالع الطالب « سبل السلام » للصنعاني .

٩ ـ منتقى الأخبار « نيل الأوطار » هو أوسع شروح « منتقى الأخبار » للمجد ابن تيمية ، وفيه فوائد في تمرين الطالب على النظر فى الخلاف الفقهي ، وأنصح بمطالعته لمن انتهى من دراسة المرحلة الثانية فى الفقه والأصول .

نقل نفيس:

يقول الشيخ أحمد محمد شاكر ـ رحمه الله ـ : « ينبغي للطالب أن يقدم الاعتناء بالصحيحين ، ثم بالسنن ، كسنن أبي داود والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، وصحيحي ابن خزيمة وابن حبان ، والسنن الكبرى للبيهقي ، وهو أكبر كتاب في أحاديث الأحكام ، ولم يصنف في باب مثله ، ثم بالمسانيد ، وأهمها « مسند أحمد بن حنبل » ، ثم بالكتب الجامعة المؤلفة في الأحكام وأهمها « موطأ مالك » ، ثم كتب ابن جريج ، وابن أبي عروبة ، وسعيد بن منصور ، وعبد الرزاق ، وابن أبي شيبة، ثم كتب العلل ، ثم يشتغل بكتب رجال الحديث وتراجمهم وأحوالهم ، ثم يقرأ كثيراً من كتب التاريخ وغيرها » .

قلت (أحمد): واللهِ الذى لا إله غيره ، إنِّى لأعلم من الناس ناسًا ، تزيوا بزي أهل الحديث ، ورفعوا شعارهم ، وكتبوا ، وصنفوا ، وقالوا : هذا عندنا ضعيف ، وهذا عندنا ثقة ، ولسوف نردُّ على فلان ، وننقض رأي فلان . **أقول** : إنَّ هؤلاء إذا

رأيتهم فلربما أعجبك سمتهم وهـالك رسمهم ، وإنِّي ـ والذى رفع السماء بلا عمد ـ أعرف منهم مـن لم يتم أحد الصحـيحين قـراءة ولو مرة واحدة ، وأعـرف منهم من يشتغل بـتحقيق الحديث الواحـد أيامًا طوالاً ، فإذا سألتـه عن متن هذا الحديث الذي يحققـه ، حار وأبلس وصار لسانه مضـغة لحم خرساء تجوب الحنك ، فالله المسـتعان على رفع بلاء أولئك ، واقرأ كـلام الشارح أبي الأشبـال وتفكر فيه واعـمل به فتلك لعمـر الله طرائق أهل العلم وسنن الربانيين من أهل الفهم ، والسـلام . [« الباعث الحثيث » (ص ٢٣٦)].

عُلُومُ الْحَدِيثِ

المرحلة الأولى :

الكتب المرشحة لهذه المرحلة كثيرة جدًّا ومنها :

١ ـ « البيقونية » ، وأحسن شروحها شرح أبي الحسن السليماني مصطفى بن إسماعيل المأربي ، ونشرته دار الكيان .

٢ ـ « مصطلح الحديث في سؤال وجواب » ،للشيخ مصطفى العدوي ، نشر دار مكة مع كتاب شرح علل الأحاديث .

٣ ـ « المدخل إلى علوم الحديث » ، للشيخ طارق عوض الله ، نشر دار ابن عفان .

٤ ـ « المعلم في علوم الحديث » لعمرو عبد المنعم ، نشر دار الضياء .

والذي أختاره أنا : هو دراسة كتاب الشيخ مصطفى العدوى مع قراءة سلسلة المعلم لعمرو عبد المنعم .

المرحلة الثانية :

والكتب المرشحة لهذه المرحلة كثيرة منها :

١ ـ « نخبة الفكر » بشرحها نزهة النظر لمؤلفها الحافظ ابن حجر طبعة دار ابن الجوزي . وشرح الشيخ الخضير نشر دار المنهاج مع شرح الشيخ حاتم العوني الصوتي للنزهة .

* هناك شروح كثيرة للنخبة وللنزهة ، وهذا أفضل ما أراه ، وهناك شرح للنخبة نشرته دار الكيان لحازم الشربيني ، وهو جيد يمكن مطالعته .



* وله منظومة قصيرة شرحها الشيخ عبد المحسن الزامل ونشرتها دار ابن الجوزي.

٢ - « الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث » ،نشر دار الكيان أو مكتبة السنة.

٣ - « تيسير مصطلح الحديث للطحان » ، نشر دار المعارف .

٤ - « تيسير علوم الحديث » لعمرو عبد المنعم، نشر دار ابن عفان .

* والذي أختاره أنا لهذه المرحلة هو دراسة النخبة مع شرحها للخضير، وشرح شرحها لحاتم العوني، مع دراسة تيسير علوم الحديث لعمرو عبد المنعم طبعة دار ابن عفان.

* يُطالع الطالب بعد الانتهاء كتاب : « الموقظة » ، للذهبي طبعة الشيخ عبد الفتاح أبى غدة ، وأفضل شروحها شرح الشيخ حاتم العوني ، نشر دار ابن الجوزي.

المرحلة الثالثة :

وبداية منها سيتم توزيع الدراسة على محاور تستوعب علوم الحديث . .

المحور الأول : مصطلح الحديث .

١ - يدرس فيه الطالب كتاب : « علوم الحديث لأبى عمرو ابن الصلاح » مع التقييد والإيضاح والنكت مجموعين في طبعة دار ابن عفان ، ويستمع للشرح الصوتي للشيخ حاتم العوني على الكتاب ، وهو شرح نفيس جدًا .

٢ - يطالع الطالب كتاب « تدريب الراوي » للسيوطي طبعة دار ابن الجوزي؛ و«النكت على ابن الصلاح » للزركشي طبعة أضواء السلف .

المحور الثانى : علم الجرح والتعديل :

يدرس فيه الطالب الكتب التالية :

١ -« خلاصة التأصيل في علم الجرح والتعديل » ، للشريف حاتم العوني مع شرحها الصوتي له.

٢ ـ « مباحث في علم الجرح والتعديل » ، قاسم على سعد .

٣ ـ « تحرير قواعد الجرح والتعديل » ، للشيخ عمرو عبد المنعم سليم ، نشر دار ابن عفان .

ويضم لأحد هذه الكتب مبحث ألفاظ الجرح والتعديل من كتاب « تحرير علوم الحديث » للشيخ عبد الله بن يوسف الجديع .

المحور الثالث علم العلل :

هناك كتابان مهمان يصلحان كمدخل لهذا العلم ، فينصح الطالب باختيار أحدهما ولو درسهما معًا لكان أحسن :

١ ـ « شرح علل الأحاديث » ، للشيخ مصطفى العدوي ، نشر مكتبة مكة .

٢ ـ « مذكرة علل الحديث من تيسير علوم الحديث » ، للشيخ عمرو عبد المنعم سليم ، نشر دار الضياء .

المحور الرابع علم التخريج ودراسة الأسانيد :

بالنسبة للتخريج فقد وضعت في هذه المرحلة عدة كتب نذكر للطالب أهمها وأحسنها :

١ ـ « أصول التخريج ودراسة الأسانيد » ، للدكتور محمود الطحان ، نشر دار المعارف بالرياض .

٢ ـ « علم تخريج الأحاديث » ، للشيخ عمرو عبد المنعم سليم ، نشر دار ابن عفان .

٣ ـ « طرق تخريج حديث رسول الله ﷺ » ، للدكتور عبد المهدي عبد القادر، نشر دار الفضيلة .

* أما بالنسبة لدراسة الأسانيد ، فأفضل كتبه على الإطلاق هو كتاب الشيخ عمرو عبد المنعم سليم « تيسير دراسة الأسانيد » ، نشر دار ابن عفان .

المحور الخامس التطبيق العملى :

بعد انتهاء الطالب من كتب المرحلة الأولى بقسميها ، وانتهائه من كتب المرحلة الثانية بمحاورها ، فيسرنا أن نبشره أنه صار مؤهلاً من الناحية النظرية لخوض معمعة التطبيق العملي لما درس ، وذلك بدراسة وتخريج الأحاديث ودراسة الأسانيد دراسة ميدانية ، ثم الحكم عليها حكمًا تدريبيًا ، لا الحكم الذي يبنى عليه عمل أو عبادة ، ومن المؤسف أن معظم الدراسات الأكاديمية لا تستطيع إيفاء هذه المرحلة حقها ؛ لكثرة عدد الطلبة وضيق وقت المدرسين ، ولكننا نوجه حديثنا هنا لطالب العلم الرباني الذى حمل على عاتقه مهمة الذبٍ عن حديث رسول الله ﷺ ، وإنها لغاية يهون أمامها كل عسير .

فليستعن الطالب بمكتبته الخاصة أو مكتبة الجامعة أو المكتبات العامة ، ثم بطالب علم ذكي مُتقدم ليشير عليه وليدله وليكون عونًا له بعد الله ـ عز وجل ـ على ما يصبو إليه ، ثم ليسهر ليله ، ويكد نهاره حتى تستوى ثمرة درسه على سوقها ، وليخرج من ضيق الدراسة النظرية المهمة إلى سعة الدراسة العملية التى تكمل للدراسة النظرية أهميتها ، ولا ينسى قبل كل ذلك ومعه وبعده أن يدعو الله ، وأن يسأله التوفيق والرشاد .

المَرْحَلَةُ الرَّابعَةُ:

عمومًا نحن لا ننصح غير مريد التخصص أن يصل لهذه المرحلة ، ولسنا نزعم كذلك أن هذه المرحلة هى مرحلة المتخصصين .

وإنما نقول : أن هذه المرحلة هي أولى عتبات التخصص ، وأول مراحل السفر الطويل إلى ديار أهل الحديث ، وما قبلها بالنسبة لها كسير من لم يفارق العمران . والله المستعان .

المحور الأول علم الرواية :

أولاً المطالعة : يتم الطالب قراءة الأمات الست ، ثم يعقبها « بمسند أحمد » و«موطأ مالك » و « مسند الدارمي » و « صحيحا » ابن حبان وابن خزيمة . و « سنن الدارقطني » ، و « مستدرك الحاكم » و « سنن البيهقي الكبير » .

ثانيًا : الحفظ : ما زال الطالب ـ غالبًا ـ لم يتم الكتب التي ذكرناها في المرحلة الثانية ، فعليه أن يتمها ـ ولا حرج إن توقف عند ما يطيق ـ وعليه أن يشغل نفسه أثناء الحفظ بمطالعة سريعة لشروح ما يحفظ مع العناية بأسماء الصحابة ، وكناهم ووفياتهم كما قدمنا في المرحلة الثانية .

المحور الثاني مصطلح الحديث :

هي ثلاثة كتب يشتغل الطالب بمطالعتها ، وبحفظ ما يحتاجه منها ، وهي على الترتيب :

١ ـ « فتح المغيث » ، للسخاوي ، نشر دار المنهاج بالرياض .

٢ ـ « إتحاف النبيل » ، لأبي الحسن مصطفى بن إسماعيل المأربي . نشر دار الفرقان.

المحور الثالث علم الجرح والتعديل :

١ ـ « الرفع والتكميل » ، للكنوي ، نشر دار السلام .

هناك بعد ذلك كتابان مهمان في هذه المرحلة يخير القارئ بين أحدهما ، مع التأكيد على أهمية قراءة الآخر ، وهما :

١ ـ « دراسات في الجرح والتعديل » ، للدكتور محمد مصطفى الأعظمي ، نشر دار السلام بالرياض .

٢ ـ « الجرح والتعديل » ، للدكتور إبراهيم اللاحم ، نشر مكتبة الرشد .

* أما بالنسبة لألفاظ الجرح والتعديل فلا مناص من قراءة الكتاب الذى أوفى



على الغاية وهو : « شـفاء العليل في ألفاظ الجرح والتعـديل » لأبى الحسن المأربي ، نشر مكتبة ابن تيمية .

ـ ويبقى كـتاب واحد من لم يقـرأه فلم يقرأ شيـئًا ، إنه الذهب والتبـر الأصيل المسمى بـ « التنكيل » لفخر اليمن وعلامتها ذهبي العصر المعلمي اليماني ـ عليه رحمة الله .

المحور الرابع علم العلل :

هناك كتابان مهمان في هذه المرحلة يدرسان معًا .

١ ـ « العله وأجناسها » ، لأبي سفيان مصطفى باجو ، نشر دار الضياء .

٢ ـ « الجامع في العلل والفوائد » لماهر الفحل نشر دار ابن الجوزي .

ـ مع العناية بكتاب « التتبع » للدارقطني ، والاستعانة عليه بثلاثة كتب :

١ ـ « الأحاديث المنتقدة على الصحيحـين » ، لأبي سفيان مصطفى باحو ، نشر دار الضياء .

٢ ـ « تحقيق الشيخ مقبل بن هادي الوداعي على التتبع » ، نشر دار الآثار.

٣ ـ « بين الإمامين مسلم والدارقطني » ، للـشيخ ربيع بن هادى المدخلى ، نشر مكتبة الرشد .

المحور الخامس علم الرجال :

وهو محور جديد تمامًا ، ويُعنى الطالب فيه بمحـاولة ضبط أسماء مشاهير الرواة ومشاهير أصحابهم بحيث يستطيع استحضارهم وقت الحاجة ، وأحسن كتاب في هذا هو كتاب : « معرفة الرواة المكثرين » لفهد بن عبد الله العمار ، نشر مكتبة الرشد.

ثم العناية برجال الصحيحين وضبط أسماءهم وكناهم ، وليستعن بكتاب : « قرة العين في تراجم رجال الصحيحين » للشيخ محمد الأثيوبي ، نشر دار ابن الجوزي.

أما من رام فوق هذا ، فالعلم بحر لا ساحل له ، ولا يستطاع العلم براحة الجسم.

* ولا غنى للطالب عن مطالعة كتاب الدكتور محمد مطر الزهراني الموسوم بـ«علم الرجال نشأته وتطوره » ، نشر دار ابن عفان .

* ولا غنى للطالب أيضًا عن قراءة مقدمة « الجرح والتعديل » لابن أبي حاتم ، ومقدمة « التقريب » ، و « اللسان » ، و « ميزان الاعتدال » ، وقراءة « هدي الساري » للحافظ ابن حجر العسقلاني ، كذلك قراءة مطالعته .

المحور السادس السنة تاريخها وحجيتها ومكانتها :

وهذا المحور من الأهمية بمكان في ظل الهجمة الاستشراقية العلمانية العقلانية التي نتعرض لها منذ نحو نصف قرن متواصلة ، وكل الكتب التي سنذكرها هنا لازمة القراءة والاطلاع .

أولاً: تاريخ السنة :

١ ـ « السنة قبل التدوين» ، لمحمد عجاج الخطيب .

٢ ـ «بحوث في تاريخ السنة»، لأكرم ضياء العمرى، نشر مكتبة العلوم والحكم.

٣ ـ « دراسات في الحديث النبوى » ، للدكتور محمد مصطفى الأعظمي .

ثانيًا: حجية السنة :

١ ـ « حجية السنة » ، للدكتور عبد الغني عبد الخالق ، نشر دار الوفاء .

٢ ـ « دفاع عن السنة » ، لمحمد محمد أبي شهبة ، نشر مكتبة السنة .

٣ ـ « الأنوار الكاشفة » ، للمعلمى اليمانى .

ثالثًا: مكانة السنة :

١ ـ « السنة ومكانتها في التشريع » ، لمصطفى السباعى ، نشر المكتب الإسلامي.



المحور السابع التخريج ودراسة الأسانيد :

يُعنى الطالب في هذه المرحلة بقراءة الكتب التالية :

١ ـ « التلخيص الحبير » ، وأصله « البدر المنير » ، وصنوهما : « نصب الراية».

٢ ـ « إرواء الغليل » .

٣ ـ « السلسلة الصحيحة » .

٤ ـ « السلسلة الضعيفة » .

٥ ـ تعليقات الشيخ أحمد محمد شاكر على الترمذي ، وعلى مسند أحمد ، ثم العناية بقراءة تحقيقات وتخريجات المحققين المتقنين من أمثال :

١ ـ الشيخ مقبل بن هادي الوادعي .

٢ ـ الشيخ محمد عمرو عبد اللطيف .

٣ ـ الشيخ أبو إسحاق الحويني .

٤ ـ الشيخ طارق عوض الله .

٥ ـ الشيخ سعد الحميد . وغيرهم ممن يُوصي بقراءة تحقيقاتهم الحديثية أهل العلم ، والعلة في كل ذلك أن تستوى مع الوقت ملكة عرض الطرق والأسانيد واختزالها وبسطها حسب الحاجة من غير إضرار بالمادة العلمية .

مَرْحَلَةُ التَّخَصُّص

إذا أتممت أخي الكريم المراحل السابقة ، فهذا بيان ببعض ما ينبغي عليك الاشتغال به :

١ ـ ترتيب كتب المصطلح ترتيبًا زمنيًا من الأقدم إلى الأحدث ، ومطالعتها، وتسجيل الفوائد .

٢ ـ ترتيب كتب الرجال ترتيبًا زمنيًا من الأقدم إلى الأحدث ، ومطالعتها، وتسجيل الفوائد .

٣ ـ قراءة الأبحاث المعاصرة المميزة سواء كنت تتفق مع وجهة نظر كاتبها أم لا ؟ فإن في هذه الأبحاث خيرًا كثيرًا وهذا قائمة بأهم هذه الأبحاث :

١ ـ « المنهج المقترح لفهم المصطلح » ، للشريف حاتم بن عارف العوني ، نشر دار الهجرة .

٢ ـ « الأحاديث المنتقدة على الصحيحين » ، لأبي سفيان مصطفى باجو .

٣ ـ « الموازنة بين منهج المتقدمين والمتأخرين في تصحيح الأحاديث وتعليلها» ، لحمزة المليباري ، نشر دار ابن حزم .

٤ ـ « إجماع المحدثين على عدم اشتراط العلم بالسماع بين المتعاصرين » ، للشريف حاتم ، دار عالم الفوائد .

٥ ـ « الاتصال والانقطاع » ، لإبراهيم اللاحم، مكتبة الرشد .

٦ ـ « موقف الإمامين البخاري ومسلم من الحديث المعنعن » ، لخالد الدريس ، دار ابن حزم .

٧ ـ « عبقرية مسلم في ترتيب أحاديث مسند الصحيح » ، لحمزة المليباري .

٨ ـ « ما هكذا تورد يا سعد الإبل » ، لحمزة المليباري ، دار ابن حزم .

٩ ـ « التنكيل بما في توضيح المليباري من الأباطيل » ، لربيع المدخلي .

١٠ ـ « طليعة فقه الإسناد » ، لطارق عوض الله .

١١ ـ « الإرشادات لتقوية الأحاديث بالشواهد والمتابعات » ، لطارق عوض الله، مكتبة ابن تيمية .

١٢ ـ « الثقات الذين ضعفوا في بعض شيوخهم » ، لصالح بن حامد الرفاعي.

١٣ ـ « الحديث الحسن » ، لخالد الدريس ، دار أضواء السلف .

١٤ ـ « التدليس أحكامه وآثاره النقدية» لصالح بن سعيد الجزائري، دار ابن حزم.

١٥ ـ « المقترب في بيان المضطرب » ، لأحمد عمر بازمول .

ثم ينطلق طالب العلم باحثًا محررًا في أبواب هذا العلم الشريف.

وأختم هذا المنهج بهذا النص العالي لِعَلَمٍ من أعلام علوم الحديث في هذا الزمان وهو الشيخ الشريف حاتم بن عارف العوني قال في رسالته « نصائح لطالب علم السنة النبوية » (ص ٤٧) :

« بعد ذكر المميزات السابقة لعلم الحديث ، وما تستلزمه كل ميزة منها من أسلوب معين تواجه به في الطلب والتحصيل ؛ بقي وضع تصور عام لمنهج القراءة والتعلم في كتب الحديث وعلومه :

ولن أكون في هذا المنهج بعيدًا عن الواقع ، فأطالب جيل اليوم بما كان يلزم به السلف طلاب العلم في زمانهم ؛ كما سئل الإمام أحمد « عن الرجل يكون معه مائة ألف حديث ، يقال إنه صاحب حديث ؟ قال : لا ، قيل : عنده مائتا ألف حديث، يقال له صاحب حديث ؟ قال : لا ، قيل له : ثلاثمائة ألف حديث ؟ فقال بيده يمنة ويسرة » . وقال أبو بكر ابن أبي شيبة : « من لم يكتب عشرين ألف حديث إملاء لم يعد صاحب حديث » .

بل لن أزن طلاب اليوم بعرف أهل العلم في القرن الثامن الهجرى !! فقد قال تاج الدين السبكي (ت ٧٧١ هـ) : « إنما المحدث من عرف الأسانيد والعلل وأسماء الرجال وللعالي والنازل ، وحفظ من ذلك جملة مستكثرة من المتون ،وحفظ البعض من الأسانيد ، وسمع الكتب الستة ومسند أحمد وسنن البيهقي ومعجم الطبراني ، وضم إلى هذا القدر ألف جزء من الأجزاء الحديثية ، هذا أقل درجاته ؛ فإذا سمع ما ذكرناه ، وكتب الطباق ، ودار على الشيوخ ، وتكلم في العلل والأسانيد ، كان في أول درجات المحدثين ، ثم يزيد الله من شاء ما شاء » .

فهذا كله بحسب عرفهم !! لكن (لكل زمان دولة ورجال) . فلن أخاطب إلا أهل زماني ، بضعف هممهم ، وكثرة الصوارف لهم عن طلب العلم . . وفي الله الخلف وهو المستعان !

فأول ما يلزم طالب الحديث : هو إدمان النظر في الصحيحين « صحيح البخارى وصحيح مسلم » ، بل ينبغي أن يضع الطالب لنفسه مقدارًا معينًا من الصحيحين يقرؤه كل يوم ، ليختم الصحيحين قراءة في كل سنة مرة في أقل تقدير ، ويستمر على ذلك أربع سنوات مثلاً ، خلال دراسته الجامعية أو الثانوية ؛ فلا يتخرج إلا وقد قرأ الصحيحين عدة مرات ، ليكون مستحضراً غالب متون الصحيحين .

ثم ينتقل بعد ذلك إلى بقية الكتب التي اشترطت الصحة ، كصحيح ابن خزيمة، وصحيح ابن حبان ،وموطأ مالك ، ومنتقي ابن الجارود .

ويتمم هذه بسنن أبي داود والنسائى ،وجامع الترمذي ، وسنن الدارمي ، وسنن الدارقطني ، والسنن الكبرى للبيهقي .

فيقرأ الطالب هذه الكتب ، بعناية وتدقيق ، ويكثر من القراءة فيها ، وخاصة التي اشترطت الصحة ، وعلى رأسها الصحيحان .

فإن كان طالب العلم هذا ممن أوتي موهبة الحفظ ، فليجمع عزمه على ما



يستطيعـه من هذه الكتب . ويمكنه أن يبدأ بحفظ « الأربعين النووية » ومـا ألحقه ابن رجب بها لتمام خمسين حديثًا ، ثم ينتقل إلى « عمدة الأحكام » لعبد الغني ابن عبد الواحد المقدسي ، ثم إلى « بلوغ المرام » لابن حجر ، أو « اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ؟» لمحمد فؤاد عبـد الباقي ، ثم إلى الصحيحين ؛ ثم ما شاء مما يوفقه الله تعالى إليـه من الكتب . وأنصحه أن ألا يضـيف إلى محفوظه إلا مـا حكم عليه بالصحة والقبول من إمام معتبر ، إلا بعد أن يستوعب ذلك .

ويمكن طالب الحديث أن يكمل قراءته لكتب السنة بقراءة شـروح مختصرة لكتب الحديث ، مـثل « أعلام الحـديث » في شرح صحـيح البخارى للـخطابي ، وشرح النووى لصحيح مـسلم ، وشرح الطيبي لمشكاة المصابيح ، وفـيض القدير للمناوي . وأسهل من ذلك كله ، أن يضع الطالب بجواره أثناء قراءته لكتب السنة كتاب «النهاية في غريب الحديـث والأثر » لابن الأثير ، لأنه كتاب يُعنى بتـفسير الكلمـات الغريبة لغويا الواردة في الأحـاديث والآثار ؛ ليسـتطيع من خلال ذلك أن يفهـم المعنى العام للحديث ، وأن لا يروي مـا لا يدري . فإن أراد التوسع : فـعليه بمثل « التمهـيد » لابن عبد البر ، و « طرح التثريب » للعراقي ، و « فتح البارى » لابن حجر .

أما بالنسبة لكتب علوم الحديث والمصطلح : فـإن كان الطالب صغير السن « في مثل المرحلة الدراسية المتوسطة » ، فيبدأ بالبـيقونية ، أو « نخبة الفكر » لابن حجر ، مع شرح مـيسر لها ؛ وإن كـان في المرحلة الثانوية أو بداية الجـامعة فيـبدأ بـ « نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر » لابن حجر ، أو « الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير » لأحمد محمد شاكر ، أو « الغاية شرح الهداية » للسخاوي . ثم ينتقل إلى كـتاب ابن الصلاح في علوم الحـديث ، ويضم إليه شروحـه كـ « التقيـيد والإيضاح » للعـراقي و « النكت على كتاب ابن الصلاح » لابن حـجر ، ويتلو ذلك كتـاب « الموقظة » للذهبي . ثم ينتقل إلى الكتب المـوسعة في علوم الحـديث ، مثل «تدريب الراوى » للسيوطي ، و « فتح المغـيث » للسخاوي ، و « توضيح الأفكار »

للصنعاني . ثم يدرس بعمق كتاب « الكفاية » للخطيب ، و « معرفة علوم الحديث » للحاكم ، و « شرح علل الترمذي » لابن رجب ، ومقدمة « التمهيد » لابن عبد البر ، ومقدمة « الإرشاد » للخليلي . ثم ينتهي بالتفقه في كلام الشافعي في «الرسالة»، ومسلم في مقدمة « الصحيح » ، وأبي داود في « رسالته إلى أهل مكة»، ونحوها .

وبعد تعلمه لـ « نزهة النظر » أو ما ذكرناه في درجتها ، وأثناء قراءته لكتاب ابن صلاح ، عليه أن يكثر مطالعة كتب التخريج ، مثل « نصب الراية » للزيلعي ، و«البدر المنير » لابن الملقن ، و « التلخيص الحبير » لابن حجر ، و « تنقيح التحقيق» لابن عبد الهادي ، والسلسلتين و « إرواء الغليل » للألباني . ويحاول خلال هذه القراءة أن يوازن بين ما عرفه من كتب المصطلح وما يقرؤه في كتب التخريج تلك ، ليرى نظريًا طريقة التطبيق العملي لتلك القواعد ومعاني المصطلحات .

وإذا ما توسع في قراءة كتب التخريج السابقة ، ويدرس كتابًا من الكتب الحديثة في أصول التخريج ، مثل « أصول التخريج ودراسة الأسانيد » للدكتور محمود الطحان . ثم يدرس كتابًا أو أكثر في علم الجرح والتعديل ، مثل « الرفع والتكميل » للكنوي ، وأحسن منه « شفاء العليل » لأبي الحسن المصري . ويدرس أيضًا كتابًا من الكتب التي تعرف بمصادر السنة ، كـ « الرسالة المستطرفة » للكتاني ، و « بحوث في تاريخ السنة والنبوية » للدكتور أكرم ضياء العمري .

ثم يبدأ بالتخريج ودراسة الأسانيد بنفسه ، وكلما بكر في ذلك (ولو من أوائل طلبه) كان ذلك أعظم فائدة وأكبر عائدة ؛ لأن ذلك يجعله يطبق القواعد فلا ينساها، ويتعرف على مصادر السنة ومناهجها ، ويتمرن في ساحات هذا العلم . والغرض من هذا التخريج ـ كما سبق ـ هو الممارسة للتعلم ، لا للتأليف ؛ وقد تقدم الحديث عن أهمية هذه الممارسة في علم الحديث .

وأثناء قيامه بالتخريج ، عليه أيضًا أن يخص علم الجرح والتعديل التطبيقي بمزيد عناية كذلك ؛ وذلك بقراءة كتبه الكبار ، مثل : « تهذيب التهذيب » لابن حجر ، و«ميزان الاعتدال » للذهبي ؛ وكتبه الأصول ، مثل : « الجرح والتعديل » لابن أبي

حاتم ، و « الضعفاء » للعقيلي ، و « المجروحين » لابن حبان ، و « الكامل » لابن عدي ، وكتبه التي هي أصول الأصول ، مثل : تواريخ يحيى بن معين وسؤالاته هو والإمام أحمد ، « التاريخ الكبير » للبخاري ، ونحوها . وهو خلال قراءته هذه يحاول أن يوازن بين استخدام الأئمة لألفاظ الجرح والتعديل ، وما ذكر عن مراتب هذه الألفاظ في كتب المصطلح . وإن مرَّ به أحد الرواة للذين كثر الاختلاف فيهم ، فعليه أن يطيل في دراسته ، فإن هؤلاء الرواة مادة خصبة للدراسة والاستفادة .

وما يزال الطالب في الترقي العلمي في قراءة كتب علوم الحديث ، فلا يدع منها شاردة ولا واردة ، وفي التوسع في التخريج ، وفي تمحيص علم الجرح والتعديل ؛ حتى يصل إلى منزلة يصبح قادراً فيها على دراسة كتب العلل ، مثل : « العلل » لابن المديني ، والترمذي ، وابن أبي حاتم ، وأجلها « علل الأحاديث » للدراقطني. فيقرأ الطالب هذه الكتب قراءة تدقيق شديد ، وتفقه عميق ؛ ليدري بعضًا من أساليب الأئمة في عرض علل الأحاديث ، وطرائق اكتشاف تلك العلل ، وقواعد الحكم على الأحاديث .

فإذا وصل طالب الحديث إلى هذه المرحلة ، فلا بد أن رأسه قد أمتلأ بالمشاريع العلمية والبحوث الحديثية ، التي تزيده تعمقًا في علم الحديث . فليبدأ (على بركة الله) مشوار العلم الطويل ، منتفعًا ونافعًا مستفيداً مفيداً .

فإن بلغ طالب الحديث هذه الرتبة ، وأسبغ الله عليه نعم توفيقه وتسديده ، ومد عليه عمره في عافية ، وطالت ممارسته لهذا العلم ؛ فيا بشرى العالم الإسلامي ، فقد ولد له محدث !!

وأنبه ـ أخيراً ـ أن هذه المنهج التعلمي إنما نطرحه للطالب الذي لم يجد من يوجهه . أما من وجد عالمًا ربانيًا يعتني به توجيهًا وتعليمًا ، فعليه أن يقبل عليه بكليته ، وأن يلزم عتبة داره ؛ فهو على خير عظيم ، وعلى معارج العلم يترقى ، ما دام جاثيًا في حلقة ذلك العالم .

والله أعلم .



علم أصول الفقه

قال ابن خلدون : اعلم أنَّ أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية ، وأجلها قدرًا، وأكثرها فائدة ، وهو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتكاليف ، وأصول الأدلة الشرعية هي الكتاب الذي هو القرآن ، ثم السنة المبينة له، فعلى عهد النبي ﷺ كانت الأحكام تتلقى منه بما يوحى إليه من القرآن ، ويبينه بقوله وفعله بخطاب شفاهى لا يحتاج إلى نقل ، ولا إلى نظر وقياس . ومن بعده - صلوات الله وسلامه - عليه تعذر الخطاب الشفاهي وانحفظ القرآن بالتواتر . وأما السنة فأجمع الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - على وجوب العمل بما يصل إلينا منها قولاً أو فعلاً بالنقل الصحيح الذي يغلب على الظن صدقة . وتعينت دلالة الشرع في الكتاب والسنة بهذا الاعتبار ، ثم ينزل الإجماع منزلتهما لإجماع الصحابة على النكير على مخالفيهم ، ولا يكون ذلك إلا عن مستند ؛ لأن مثلهم لا يتفقون من غير دليل ثابت مع شهادة الأدلة بعصمة الجماعة ، فصار الإجماع دليلاً ثابتًا في الشرعيات ، ثم نظرنا في طرق استدلال الصحابة والسلف بالكتاب والسنة ، فإذا هم يقيسون الأشباه بالأشباه منهما ، ويناظرون الأمثال بالأمثال بإجماع منهم ، وتسليم بعضهم لبعض في ذلك ، فإن كثيرًا من الواقعات بعده - صلوات الله وسلامه عليه - لم تندرج في النصوص الثابتة فقاسوها بما ثبت ، وألحقوها بما نص عليه بشروط في ذلك الإلحاق تصحح تلك المساواة بين الشبيهين ، أو المثلين حتى يغلب على الظن أن حكم الله - تعالى - فيهما واحد ، وصار ذلك دليلاً شرعيًا بإجماعهم عليه ، وهو القياس وهو رابع الأدلة . واتفق جمهور العلماء على أن هذه هي أصول الأدلة ، وإن خالف بعضهم في الإجماع والقياس إلا أنه شذوذ . وألحق بعضهم بهذه الأدلة الأربعة أدلة أخرى لا حاجة بنا إلى ذكرها لضعف مداركها وشذوذ القول فيها . فكان

أول مباحث هذا الفن النظر في كون هذه أدلة فأما الكتاب فدليله المعجزة القاطعة في متنه . والتواتر في نقله فلم يبقَ فيه مجال للاحتمال وأما السنة وما نُقل إلينا منها فالإجماع على وجوب العمل بما يصح منها كما قلناه معتضداً بما كان عليه العمل في حياته ـ صلوات الله وسلام عليه ـ من إنفاذ الكتب والرسل إلى النواحي بالأحكام والشرائع آمراً وناهياً ، وأما الإجماع فلا تفاقهم ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ على إنكار مخالفتهم مع العصمة الثابتة للأمة ، وأما القياس فبإجماع الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ عليه ، كما قدمناه هذه أصول الأدلة ، ثم إن المنقول من السنة محتاج إلى تصحيح الخبر بالنظر في طرق النقل ، وعدالة الناقلين ، لتتميز الحالة المحصلة للظن بصدقة الذي هو مناط وجوب العمل . وهذه أيضاً من قواعد الفن ويلحق بذلك عند التعارض بين الخبرين ، وطلب المتقدم منها معرفة الناسخ والمنسوخ ، وهي من فصوله أيضاً وأبوابه . ثم بعد ذلك يتعين النظر في دلالة الألفاظ وذلك أن استفادة المعاني على الإطلاق من تراكيب الكلام على الإطلاق يتوقف على معرفة الدلالات الوضعية مفردة ومركبة ، والقوانين اللسانية في ذلك هي علوم النحو والتصريف والبيان . وحين كان الكلام ملكة لأهله لم تكن هذه علوماً ولا قوانين ، ولم يكن الفقيه حينئذ يحتاج إليها ؛ لأنها جبلته وملكته ، فلما فسدت الملكة في لسان العرب قيدها الجهابذة المتجردون لذلك بنقل صحيح ومقاييس مستنبطة صحيحة ، وصارت علوماً يحتاج إليها الفقيه في معرفة أحكام الله ـ تعالى ـ ، ثم إن هناك استفادات أخرى خاصة من تراكيب الكلام وهي استفادة الأحكام الشرعية بين المعاني من أدلتها الخاصة من تراكيب الكلام ، وهو الفقه ، ولا يكفي فيه معرفة الدلالات الوضعية على الإطلاق ، بل لابد من معرفة أمور أخرى تتوقف عليها تلك الدلالات الخاصة ، وبها تستفاد الأحكام بحسب ما أَصَّلَ أهلُ الشرع وجهابذة العلم من ذلك وجعلوه قوانين لهذه الاستفادة مثل أن اللغة لا تثبت قياساً ، والمشترك لا يراد به معنياه معاً ، والواو لا تقتضي الترتيب ، والعام إذا أخرجت أفراد الخاص منه هل يبقى حجة فيما عداها ،

والأمر للوجوب أو الندب وللفور أو التراخي ، والنهي يقتضي الفساد أو الصحة، والمطلق هل يحمل على المقيد ، والنص على العلة كافٍ في التعدد أم لا ؟ وأمثال هذه ، فكانت كلها من قواعد هذا الفن ولكونها من مباحث الدلالة كانت لغوية . ثم إن النظر فى القياس من أعظم قواعد هذا الفن ؛ لأن فيه تحقيق الأصل والفرع فيما يقاس ويماثل من الأحكام ، وتنقيح الوصف الذي يغلب على الظن أن الحكم علق به في الأصل من بين أوصاف ذلك المحل ، أو وجود ذلك الوصف في الفرع من غير معارض يمنع من ترتيب الحكم عليه في مسائل أخرى من توابع ذلك . كلها قواعد لهذا الفن . واعلم أن هذا الفنَّ من الفنون المستحدثة في الملة ، وكان السلف في غنية عنه بما أن استفادة المعاني من الألفاظ لا يحتاج فيها إلى أزيد مما عندهم من الملكة اللسانية ، وأما القوانين التي يحتاج إليها في استفادة الأحكام خصوصًا فمنهم أخذ معظمها ، وأما الأسانيد فلم يكونوا يحتاجون إلى النظر فيها لقرب العصر ، وممارسة النقلة ، وخبرتهم بهم . فلما انقرض السلف وذهب الصدر الأول ، وانقلبت العلوم كلها صناعة ـ كما قررناه من قبل ـ احتاج الفقهاء والمجتهدون إلى تحصيل هذه القوانين والقواعد لاستفادة الأحكام من الأدلة ، فكتبوها فنًا قائمًا برأسه سموه أصول الفقه ، وكان أول من كتب فيه الشافعي ـ رضي الله تعالى عنه ـ ، أملى فيه رسالته المشهورة تكلم فيها في الأوامر والنواهي والبيان والخبر والنسخ وحكم العلة المنصوصة من القياس ، ثم كتب فقهاء الحنفية فيه وحققوا تلك القواعد وأوسعوا القول فيها ، وكتب المتكلمون أيضًا كذلك إلا أن كتابة الفقهاء فيها أمسّ بالفقه وأليق بالفروع لكثرة الأمثلة منها ، والشواهد وبناء المسائل فيها على النكت الفقهية ، والمتكلمون يجردون صور تلك المسائل عن الفقه ، ويميلون إلى الاستدلال العقلي ما أمكن ؛ لأنه غالب فنونهم ومقتضى طريقتهم ، فكان لفقهاء الحنفية فيها اليد الطولى من الغوص على النكت الفقهية ، والتقاط هذه القوانين من مسائل الفقه ما أمكن ، وجاء أبو زيد الدبوسي من أئمتهم فكتب في القياس بأوسع من جميعهم ، وتمم الأبحاث والشروط التي يحتاج إليها فيه ، وكملت صناعة أصول الفقه بكماله ، وتهذيب مسائله ، وتمهدت قواعده ،وعني الناس بطريقة المتكلمين فيه ، وكان من أحسن ما كتب فيه

المتكلمون كتابه « البرهان » لإمام الحرمين ، و « المستصفى » للغزالي ، وهما من الأشعرية ، وكتاب « العمد » لعبد الجبار ، وشرحه « المعتمد » لأبي الحسين البصري[1] ، وهما من المعتزلة وكانت الأربعة قواعد هذا الفن وأركانه . ثم لخص هذه الكتب الأربعة فحلان من المتكلمين المتأخرين وهما الإمام فخر الدين بن الخطيب في كتاب « المحصول » ، وسيف الدين الآمدى في كتاب « الإحكام » ، واختلفت طرائقهما في الفن بين التحقيق والحجاج ، فابن الخطيب أميل إلى الاستكثار من والاحتجاج ، والآمدى مولع بتحقيق المذاهب وتفريع المسائل ، فأما كتاب المحصول فاختصره تلميذ الإمام سراج الدين الأرموي في كتاب « التحصيل » ، وتاج الدين الأرموي في كتاب « الحاصل » ، واقتطف شهاب الدين القرافي منهما مقدمات وقواعد في كتاب صغير سماه « التنقيحات » ، وكذلك فعل البيضاوي في كتاب «المنهاج » ، وعني المبتدئون بهذين الكتابين وشرحهما كثير من الناس ، وأما كتاب الإحكام للآمدى ، وهو أكثر تحقيقًا في المسائل ، فلخصه أبو عمر بن الحاجب في كتابه المعروف « بالمختصر الكبير » ، ثم أختصره في كتاب آخر تداوله طلبة العلم وعني أهل اسمشرق والمغرب به وبمطالعته وشرحه ، وحصلت زبدة طريقة المتكلمين في هذا الفن في هذه المختصرات . وأما طريقة الحنفية فكتبوا فيها كثيرًا ، وكان من أحسن كتابة فيها للمتقدمين تأليف أبي زيد الدبوسي ، وأحسن كتابة المتأخرين فيها تأليف سيف الإسلام البزدوي من أئمتهم ،وهو مستوعب . وجاء ابن الساعاتي من فقهاء الحنفية فجمع بين كتاب « الإحكام » وكتاب « البزدوي » في الطريقتين ، وسمى كتابه « بالبدائع » فجاء من أحسن الأوضاع وأبدعها ، وأئمة العلماء لهذا العهد يتداولونه قراءة وبحثًا ، وأولع كثير من علماء العجم بشرحه والحال على ذلك لهذا العهد .

هذه حقيقة هذا الفن وتعيين موضوعاته وتعديد التآليف المشهورة لهذا العهد فيه، والله ينفعنا بالعلم ويجعلنا من أهله بمنه وكرمه إنه على كل شيء قدير [٣/ ٩٦٠].

---

(١) كذا قال وتلقفها منه كثير من المعاصرين، وهذا غير صحيح ، فالمعتمد كتاب منفصل عن شرح العمده والأول نشره المعهد العلمي الفرنسي والثاني نشرته مؤسسة الرسالة.



أولا : ترتيب دراسة علم أصول الفقه بطريقة المتون

المرحلة الأولى :

يدرس فيها الطالب واحداً فقط من المتون التالية :

١ - « الورقات » ، لإمام الحرمين الجويني ، ومن أنفع شروحه للمبتدئين شرح الشيخ عبد السلام الحصين : « إضاءات على متن الورقات » وهو شرع مبدع .

* شرحه المحلي ، وله نشرة مع «أوضح العبارات» للدكتور محمد يسرى ، نشر دار اليسر ، وهو مفيد في التقييم الذاتي والاختبارات .

* شرحه الشيخ عبد الله الفوزان بشرح مفيد ، نشرته دار المنهاج .

* أوسع شروحه هو « الشرح الكبير » ، لابن قاسم العبادي ، نشر مؤسسة قرطبة، ولا يصلح للمبتدئين مطلقًا .

٢ - « نظم الورقات » للعمريطي بشرح الشيخ ابن عثيمين ، نشر دار ابن الجوزي، ولها شرح مختصر دقيق لعبد الحميد قدس نشر بمطبعة الحلبي.

* شرحه الشيخ أحمد الحازمي بشرحين أحدهما مطول والآخر مختصر ، وهما مفيدان لمن أراد التمرن على لغة العلم ودقتها .

٣ - «الأصول من علم الأصول » ، للشيخ ابن عثيمين بشرح المؤلف الذي نشرته مكتبة الرشد .

* وله شرح مفيد للشيخ عبد الله بن مانع نشرته دار ابن الجوزي .

وله شرح صوتي للشيخ أحمد الحازمي.

* للمتن نظم نشرته دار الحضارة لأحد الشناقطة .



المرحلة الثانية :

يدرس الطالب فيها واحداً فقط من المتون الآتية :

١ ـ « قواعد الأصول ومعاقد الفصول » للصفي الهندي بشرح الشيخ عبد الله الفوزان نشر دار ابن الجوزي .

* شرحه الشيخ سعد الشثرى ، ونشرته دار إشبيليا .

* شرحه الشيخ أحمد الحازمي مطولاً ومختصراً.

٢ ـ البلبل في أصول الفقه للطوفي بشرح الشيخ سعد الشثرى نشرته دار التدمرية.

* له شرح مطول للمؤلف نفسه نشرته مؤسسة الرسالة ، لكنه لا يصلح لهذه الطبقة.

٣ ـ مختصر التحرير بشرح الشيخ الحازمي .

* شرحه المؤلف بكتابه « الكوكب المنير » نشر مكتبة العبيكان ، ولكنه لا يصلح لهذه الطبقة .

* شرحه ابن عثيمين ، ولم يتم شرحه ولم يطبع .

* للمتن طبعة جيدة نشرتها دار ابن الأثير بالكويت ، وله طبعة أخرى جيدة بتحقيق محمد مصطفى رمضان ، نشر دار الأرقم ، ولم أوازن بينهما .

* التحرير الذي هو أصل المختصر نشرته دار البصائر بالقاهرة ، وشرح التحرير للمرداوي نشرته مكتبة الرشد .

تنبيه : يستحسن بعد الانتهاء من هذه المرحلة مطالعة :

١ ـ كتاب الفكر الأصولي للدكتور عبد الوهاب أبو سليمان .

٢ ـ المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين نشر مكتبة الرشد .

٣ ـ تفسير النصوص لمحمد أديب صالح نشر المكتب الإسلامي .

المرحلة الثالثة :

يدرس فيها الطالب واحداً فقط من المتون التالية :

١ ـ روضة الناظر وجنة المناظر بشرح الشيخ سعد الضويحي نشرته دار ابن الجوزي .

* شرحه الشيخ عبد الكريم النملة ، ويستفاد منه في توضيح بعض المواطن، لإسرافه في التسهيل.

* يستفاد أيضًا من شرح البلبل (مختصر الروضة) للطوفي نشر مؤسسة الرسالة.

* ويستفاد من مذكرة الشنقيطي على روضة الناظر نشر دار عالم الفوائد .

* للمتن طبعة جيدة نشرتها مكتبة الرشد بتحقيق الدكتور عبد الكريم النملة .

٢ ـ منهاج البيضاوى .

انظر : « الدليل إلى المتون العلمية » (ص / ٣٣٥) ، ومما يستدرك عليه :

١ ـ أحسن طبعات المنهاج هي التي حققها الدكتور أحمد قطب الدخميسي، ونشرتها مكتبة قرطبة بمصر . وله طبعة أصدرتها دار ابن حزم بتحقيق شعبان إسماعيل لم أنظر فيها .

٢ ـ صدر تحقيق الدكتور شعبان إسماعيل لشرح ابن الجزري ، وشرح ابن السبكي منفصلين فى طبعة جديدة عن دار ابن حزم .

٣ ـ صدرت طبعة رائعة جداً تجب ما قبلها لشرح ابن السبكي على المنهاج نشرتها دار البحوث والدراسات بدبي في سبعة مجلدات .

٤ ـ صدرت طبعة جديدة نشرتها دار ابن حزم لشرح الإسنوي على المنهاج بتحقيق الدكتور شعبان إسماعيل .



٥ ـ من الكتب المهمة التي تتصل بالمنهاج كتاب « أصول الفقه » للشيخ محمد أبي النور زهير ، وتنشره مكتبه الكليات الأزهرية وطبعة دار البصائر منه أصح، ويعتمد عليه طلبة الأزهر وأساتذته كثيرًا فى حل شرح الإسنوي على المنهاج .

٣ ـ جمع الجوامع لابن السبكي بشرح العراقي نشر مؤسسة قرطبة ، أو بشرح ابن حلولو نشر مكتبة الرشد .

* أوسع شروحه شرح الزركشي نشر مؤسسة قرطبة .

* شرح المحلي وجيز وله طبعة حسنة نشرتها مؤسسة الرسالة ونشرت مكتبة الرشد حاشية زكريا الأنصاري عليه .

* أُرجح في هذه الطبقة الاكتفاء بشرح العراقي أو ابن حلولو فقط .

٤ ـ مراقي السعود بشرح محمد الأمين الشنقيطي نشر عالم الفوائد .

* له شرح للناظم منشور بدار الكتب العلمية . له شرح صوتي مفيد للشيخ مصطفى مخدوم.

٥ ـ الكوكب الساطع للسيوطي بشرح محمد على آدم الأثيوبي نشر دار ابن الجوزي .

* شرحه الناظم ونشر شرحه أستاذنا الدكتور محمد إبراهيم الحفناوي بدار السلام.

* يشرحه حاليًا الشيخ أحمد الحازمي .

تنبيه : يستحسن بعد الانتهاء من هذه المرحلة أو معها قراءة :

١ ـ المجلدان (١٩ ، ٢٠) من مجموع الفتاوى .

٢ ـ حصول المأمول من كلام شيخ الإسلام في علم الأصول نشر دار الوطن .

مسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه نشر الجامعة الإسلامية أو الدار الأثرية.

ثانيا : ترتيب دراسة علم أصول الفقه بطريقة الكتب المدرسية

المرحلة الأولى :

يدرس فيها الطالب واحدًا من الكتب التالية :

١ ـ « علم أصول الفقه » ، لعبد الوهاب خلاف . [أرشحه].

٢ ـ « الواضح في أصول الفقه » ، لمحمد الأشقر .

٣ ـ « الوجيز فى أصول الفقه » ، لعبد الكريم زيدان .

٤ ـ « تيسير علم أصول الفقه » ، لعبد الله الجديع .

٥ ـ « الجامع في مسائل أصول الفقه » ، لعبد الكريم النملة .

المرحلة الثانية :

يدرس فيها الطالب واحدًا من الكتب التالية :

١ ـ « أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله » ، لعياض السلمي نشر المكتبة التدمرية . [أرشحه].

٢ ـ « أصول الفقه » ، لمحمد الخضرى نشر دار ابن رجب .

٣ ـ « أصول الفقه » ، لمحمد أبى زهرة نشر دار الفكر العربي .

٤ ـ معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة لمحمد بن حسين الجيزانى ، وتنشره دار ابن الجوزي بالدمام .

وله نظم قام به الشيخ محمد على آدم الأثيوبي ، وشرحه ، ونشرته مكتبة الرشد بالرياض وسماه : « المنحة المرضية » .

المرحلة الثالثة :



يؤلف المعاصرون كتبًا تستوعب هذه الطبقة ؛ فلا غنى عن دراستها بطريقة المتون ، أو الصبر على دراسـة كتاب أبي النور زهير وحده ، مع العلم أن كـتاب أبي النور زهير هو أشبه بالتعليقة على كتاب شرح المنهاج للإسنوي . .

قَائِمَةُ الْقِرَاءَةِ

ويعتني فيها الطالب بجرد الكتب المصنفة في هذا الفن بعد ترتيبها ترتيبًا تصاعديًا من الأقدم إلى الأحدث ، وحبذا لو جعل هذا الجرد على ثلاثة مراحل :

المرحلة الأولى : يطالع فيها الكتب التالية :

١ ـ « الرسالة للشافعي» ـ بتحقيق أحمد محمد شاكر ـ دار التراث .

٢ ـ « قواطع الأدلة » ، لأبي المظفر السمعاني ـ دار المكتبة المكية .

٣ ـ « جامع بيان العلم وفضله » ، لابن عبد البر ـ دا ابن الجوزي .

٤ ـ « الفقيه والمتفقه » ، للخطيب البغدادي ـ دار ابن الجوزي .

٥ ـ « الإحكام في أصول الأحكام » ، لابن حزم ـ دار الآفاق الجديدة .

٦ ـ « إعلام الموقعين » ، لابن القيم ـ دار ابن الجوزي .

٧ ـ « المباحث الأصولية التي كتبها شيخ الإسلام » ، ويستعان على الوقوف عليها بالفهرسة التي قام بها الشيخ محمد حسين الجيزاني في نهاية كتابه معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة .

٨ ـ « الموافقات » ـ أبو إسحاق الشاطبي ـ مشهور حسن سلمان ـ دار ابن عفان.

٩ ـ « مذكرة أصول الفقه » ، و « شرح مراقى السعود » ـ للشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

١٠ ـ « المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين » ـ محمد العروسي عبد القادر ـ مكتبة الرشد .

١١ ـ « آراء المعتزلة الأصولية » ـ على بن سعد الضويحي ـ مكتبة الرشد .



المرحلة الثانية : يطالع فيها الطالب كتب المتكلمين ، وليعتن بالكتب التالية :

١ ـ « شرح اللمع » ـ أبو إسحاق الشيرازي ـ تحقيق عبد الحميد التركي ـ دار الغرب.

٢ ـ « التقريب والإرشاد » ـ أبو بكر الباقلاني ـ عبد الحميد أبو زنيد ـ مؤسسة الرسالة .

٣ ـ « البرهان » ـ إمام الحرمين الجويني ـ عبد العظيم الديب ـ دار الوفاء .

٤ ـ « المعتمد » ـ أبو الحسين البصري ـ المعهد العلمى الفرنسى .

٥ ـ « المستصفى » ـ أبو حامد الغزالي ـ محمد سليمان الأشقر ـ مؤسسة الرسالة.

٦ ـ « المحصول » ـ فخر الدين الرازي ـ طه جابر العلواني ـ مؤسسة الرسالة .

٧ ـ « الإحكام في أصول الأحكام ـ الآمدي ـ عبد الرزاق عفيفي ـ المكتب الإسلامي ، أو دار الصميعي .

٨ ـ « شرح مختصر ابن الحاجب » ـ عضد الدين الإيجي ـ شعبان إسماعيل مكتبة الكليات الأزهرية .

٩ ـ « شرح منهاج البيضاوي » ـ ابن السبكي ـ دار البحوث والدراسات بدبي .

١٠ ـ « البحر المحيط » ـ الزركشي ـ مجموعة من أهل العلم ـ وزارة الأوقاف الكويتية .

١١ ـ « شرح جمع الجوامع » ـ المحلى ـ مرتضى الداغستاني ـ مؤسسة الرسالة.

١٢ ـ « شرح الكوكب المنير » ـ ابن النجار الفتوحي ـ نزيه حماد ومحمد الزحيلي ـ مكتبة العبيكان .

١٣ ـ « فواتح الرحموت على مسلم الثبوت » ـ لابن عبد الشكور ـ دار الكتب العلمية .

١٤ ـ « إرشاد الفحول » ـ الشوكاني ـ سامي العربي ـ دار الفاروق .

المرحلة الثالثة يطالع فيها الطالب كتب الأحناف ، وليعتن بالكتب التالية :

١ ـ « الفصول في الأصول »ـ الجصاص ـ عجيل جاسم النشمي ـ وزارة الأوقاف الكويتية .

٢ ـ « أصول السرخسي » ـ أبو الوفاء الأفغاني ـ دار الكتب العلمية .

٣ ـ « كشف الأسرار » ـ علاء الدين البخاري ـ دار الكتب العلمية .

٤ ـ « شرح المنار » ـ ابن نجيم ـ دار الكتب العلمية .

المرحلة الرابعة يعتنى فيها الطالب بقراءة الأبحاث المميزة للمعاصرين في هذا العلم ، ومنها :

١ ـ « الحكم الشرعي » ـ صلاح زيدان .

٢ ـ « السبب » ـ الدكتور عبد العزيز الربيعة .

٣ ـ « المانع » ـ عبد العزيز الربيعة .

٤ ـ « عوارض الأهلية » ـ عبد الله الجبوري ـ منشورات جامعة أم القرى .

٥ ـ « القطع والظن » ، سعد الشثرى ، دار الحبيب .

٦ ـ الأصول والفروع ، سعد الشثرى ، دار المسلم .

٧ ـ « دراسات في القرآن الكريم » ، محمد إبراهيم الحفناوي ، دار الحديث .

٨ ـ « حجية السنة » ، عبد الغنى عبد الخالق ، دار الوفاء .

٩ ـ السنة ومكانتها فى التشريع ، مصطفى السباعى ، المكتب الإسلامي .

ـ « خبر الآحاد » ، القاضي برهون ، مكتبة التراث الإسلامي .

ـ « حجية الإجماع » ، عدنان السرميني ، مؤسسة الريان .

ـ « أدلة التشريع المختلف فيها » ، عبد العزيز الربيعة .



١٣ ـ « القيـاس في القـرآن الكريم والسنة النبـوية » ، وليد بن على الحسين ، مكتبة الرشد .

١٤ ـ « القياس في العبادات » ، محمد منظور إلهي ، مكتبة الرشد .

١٥ ـ « مباحث العلة عند الأصوليين »، عبد الحكيم الأسعدي ، دار البشائر .

١٦ ـ « تفسير النصوص » ـ محمد أديب صالح ـ المكتب الإسلامي .

١٧ ـ « المنهج الفريد في الاجتهاد والتقليد » ، وميض العمري ـ دار النفائس .

١٨ ـ « التعارض والترجيح » ـ محمد إبراهيم الحفناوي ، دار الوفاء .

١٩ ـ « الاستدلال » ، أسعد عبد الغني ، دار السلام .

١٨ ـ « إرشاد النجباء إلى مـباحث الاجتهاد والتقليد والافتـاء » ـ محمد إبراهيم الحفناوي ، دار الحديث .

١٩ ـ « الاجتهاد بتحقيق المناط وسلطانه » ، دار الحديث .

٢٠ ـ « الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية » ، عابد السفياني ، دار الفرقان.

٢١ ـ القواعد الأصولية عند ابن تيمية ـ مكتبة الرشد.

٢٢ ـ دلالات الألفاظ عند ابن تيمية ـ كنوز إشبيليا.

عِلْمُ النَّحْوِ

أوَّلاً : تَرْتِيبُ دِرَاسَةِ عِلْمِ النَّحْوِ بِطَرِيقَةِ الْمَتُونِ

المرحلة الأولى :

يدرس فيها الطالب أحد المتون التالية :

١ ـ « المقدمة الأجرومية» بشرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين نشر دار العقيدة.

* أصح طبعات المتن بتحقيق حايف النبهان نشر دار الظاهرية.

* أوسع شروح الأجرومية نشرته دار السلام في مجلدين .

* أخصر شروحها شرح الشيخ عبد العزيز الحربي .

* من شروح المتن المفيدة شرح الشيخ حسن الحفظي ، ونشرته مكتبة الرشد .

* من الشروح المشهورة وهو شرح مدرسي لطيف انتفع الناس به : « التحفة السنية» لمحمد محيي الدين عبد الحميد نشر مكتبة السنة أو المكتبة العصرية ، عليه حاشية باسم : « الحلل السندسية » نشر دار الآثار .

٢ ـ نظم الأجرومية لعبيد ربه الشنقيطي بشرح زايد الأذان الشنقيطي .

أصح طبعات المتن التي صححها عبد الله الحكمي ، ومنشورة في موقع المتون العلمية.

* للمتن شرح صوتي لأحمد الحازمي (وقد طبعه) وشرح مختصر لعصام البشير وشرح مختصر مطبوع لرفيق الونشريسي نشر دار الإمام مالك .

* هنا شرح للنظم بطريقة الجداول قام به ياسر النشمي ، ونشرته دار الضياء بالكويت.

تنبيهات :

* يقرأ الطالب كتاب : « نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة » للطنطاوي .

* يقرأ الطالب ويمارس الإعراب في كتاب مفاتيح الإعراب لناصر الهويريني نشر دار الصميعي .

المرحلة الثانية :

الذي أختاره فى هذه المرحلة ربما يكون مستغربًا ؛ لكني جربته بنفسي وهو ألا يشغل الطالب نفسه فى هذه المرحلة بدراسة كتبها واستذكارها وإنما يكتفى بتكرار قراءة كل كتاب منها مرتين متتاليتين شريطة أن يكون سيدخل في دراسة المرحلة الثالثة ، أما من كان سيكتفي بالمرحلة التالية فلا بد له من دراسة كتب هذه المرحلة دراسة متقنة ، والكتب هي :

١ - « تعجيل الندى » ، لعبد الله الفوزان ، نشر دار ابن الجوزي .

٢ - « شرح قطر الندى » ، لابن هشام نسخة مصورة عن الطبعات القديمة ، فإن لم يستطع فطبعة دار الطلائع .

٣ - « شرح شذور الذهب » تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، لابن هشام نسخة مصورة عن الطبعات القديمة، فإن لم يستطع فطبعة دار الطلائع .

المرحلة الثالثة :

يدرس فيها الطالب متنًا واحدًا وهو :

* « ألفية ابن مالك » بشرح الشيخ عبد الله الفوزان .

* للألفية شروح كثيرة أوسعها شرح الشاطبي الذي نشرته جامعة أم القرى ، ولا يصلح لأهل هذه المرحلة .

* من شروح الألفية الميسرة شرح الشيخ عبد العزيز الحربي ، ورأيي أن يستعان به لفك الأبيات قبل الحفظ فقط ومثله وأحسن شرح المكودي.



* من الشروح القديمة المهمة شرح ابن عقيل ، ولابد لطالب العلم من مطالعته .

* من الشروح الصوتية المهمة والتي تعنى بإعراب أبيات الألفية شرح الشيخ أحمد الحازمي .

* صنع عماد جمعة عرضًا لقواعد النحو بطريقة الجداول يتناسب مع هذه الطبقة نشرته دار النفائس .

* يقرأ الطالب مع أو بعد الانتهاء من هذه المرحلة كتاب أصول النحو وابن مالك نشر مكتبة الآداب .

* يقرأ الطالب مع أو بعد هذه المرحلة كتاب : « معجم قواعد اللغة العربية » لعبد الغني الدقر نشر دار القلم.

* يقرأ الطالب مع هذه المرحلة كتاب قصة الإعراب نشر دار القلم .

ثانيًا : ترتيب دراسة النحو بطريقة الكتب المدرسية :

المرحلة الأولى :

يدرس فيها الطالب واحدًا من الكتب التالية :

١ ـ« النحو الواضح » ، نشر دار المعارف .

٢ ـ« الدروس النحوية » ، نشر دار العقيدة .

٣ ـ« التطبيق النحوى » ، لعبده الراجحي ، نشر دار المعارف بالرياض .

المرحلة الثانية :

يدس الطالب فيها واحدًا من الكتب التالية :

١ ـ« النحو الوظيفي » ، لعبد العليم إبراهيم ، نشر دار المعارف .

٢ ـ« ملخص قواعد اللغة العربية » ، لفؤاد نعمة .

٣ ـ« المغنى في تعليم النحو » نشر دار المآثر .

المرحلة الثالثة :

يدرس فيها الطالب واحدًا من الكتب التالية :

١ ـ « نحو العربية » ، لعبد اللطيف الخطيب وزميليه ، نشر دار العروبة .

٢ ـ « في علم النحو » ، لأمين السيد ، نشر دار المعارف .

* * *

قائمة القراءة

١ ـ « النحو الوافي » ، لعباس حسن نشر دار المعارف .

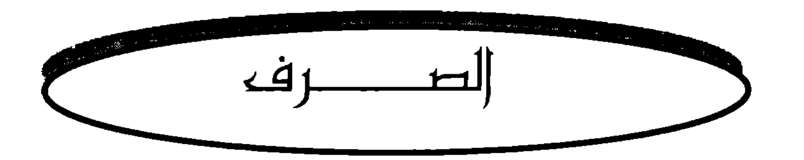
٢ ـ « شرح الرضى على الكافية » نشر دار عالم الكتب .

٣ ـ « المدارس النحوية » ، لشوقي ضيف .

٤ ـ « النحو العربي أصوله وقضاياه وكتبه » ، لمحمد إبراهيم عبادة ، نشر مكتبة الآداب .

٥ ـ « فيض نشر الانشراح من طي روضى الاقتراح » ، لمحمد بن الطيب الفاسي تحقيق محمود فجال ، نشر مؤسسة الأحمدية .

٦ ـ « الإنصاف في مسائل الخلاف » ، لابن الأنباري ، نشر مكتبة الخانجي .



وهو من العلوم المهمة التى يغفل الناس عنها في زحمة العناية بالنحو . .

أولا : ترتيب دراسة علم الصرف بطريق المتون .

المرحلة الأولى :

يدرس الطالب فيها واحدًا من المتنين التاليين :

١ ـ « تصريف العزي بشرح التفتازاني » ، ونشرته دار المنهاج بجدة .

٢ ـ « نظم المقصود » ، بشرح أحمد الحازمي .

المرحلة الثانية :

يدرس فيها الطالب متنان معًا .

الأول : تصريف الأسماء من ألفية ابن مالك مع الشرح المعتمد عنده فى الألفية.

الثانى : « لامية الأفعال » ، لابن مالك مع شرح علال نوريم المنشور بالمغرب.

* شرحها ابن الناظم ونشرت الشرح مكتبة الآداب .

* ولها مع الطرة شرح حسن نشرته دار المنهاج بالرياض اسمه : « حصول المسرة» للشيخ صلاح البدير .

ثانيًا : ترتيب دراسة علم الصرف بطريق الكتب المدرسية :

المرحلة الأولى :

يدرس الطالب فيها واحدًا من الكتب التالية :

١ ـ « مختصر الخطيب في التصريف » ، لعبد اللطيف الخطيب ، نشر دار



العروبة .

٢ ـ « التطبيق الصرفي » ، لعبده الراجحي .

* يطالع الطالب ويستعين بكتاب « دروس التصريف » ، لمحمد محيي الدين عبد الحميد.

المرحلة الثانية :

يدرس الطالب فيها واحدًا من الكتب التالية :

١ ـ « شذا العرف » ، للحملاوى طبعة دار المعارف .

٢ ـ « المستقصى في التصريف » ، لعبد اللطيف الخطيب ، نشر دار العروبة .

* يطالع الطالب ويستعين بالمغني في تصريف الأفعال ، لمحمد عبد الخالق عضيمة نشر دار الحديث .

قائمة القراءة

١ ـ « شرح الرضى على شافية ابن الحاجب » ، نشر المؤسسة العصرية بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، وزميليه .

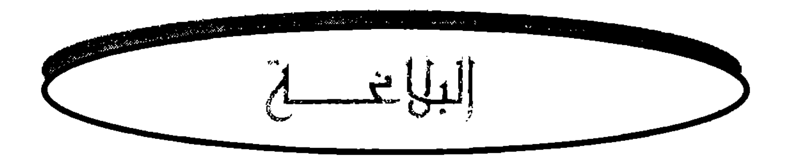
٢ ـ « شرح فصيح ثعلب » ، لابن هشام اللخمي ، نشر دار البشائر .

٣ ـ « اللحن في اللغة » ، نشر مكتبة الآداب .

٤ ـ « أزاهير الفصحى » ، نشر دار المعارف .

٥ ـ « قل ولا تقل » ، لمصطفى جواد .





البلاغة

والمراد بها البلاغة الصناعية التي يقتدر بها على تمييز البيان الحسن من غيره ويحصل الملكة بالدربة على تقبل أفانينها، أما أن يكون المتكلم نفسه صاحب بيان حسن ، فطريق هذا سنوضحه في علم الأدب .

أولا : مرحلة دراسة العلم على طريقة المتون

المرحلة الأولى :

ويدرس الطالب فيها متنًا واحدًا.

١ ـ « مائة المعانى والبيان » ، لابن الشحنة .

ولها عدة شروح أصلحها لأهل زماننا :

* نور البيان لمحمد محفوظ الشنقيطى .
* الشرح الصوتى للشيخ أحمد بن عمر الحازمي .
* الشرح المكتوب للشيخ محمد نصيف ، والذى ينشره تباعًا في ملتقى أهل التفسير وهو شرح لطيف حسن .

المرحلة الثانية:

ويدرس فيها واحدًا من المتون التالية:

١ ـ الجوهر المكنون للأخضرى .

وله عدة شروح منها :

* شرح الدمنهورى نشر مكتبة الحلبى .

شرح علال نوريم المنشور بالمغرب .

* الشرح الصوتى للشيخ أحمد بن عمر الحازمي .

* الشرح الصوتى للشيخ عصام البشير ، وهو أحسن شروحها .

٢ ـ تلخيص المفتاح للخطيب القزويني .

وهو الأصل الذي سارت عليه كتب المتأخرين ، وله شروح كثيرة مطبوعة مجموعة ومفرقة ، من أحسنها :

* الإيضاح للخطيب القزوينى ، وعليه تعليقة مختصرة لعبد المتعال الصعيدى سماها: « بغية الإيضاح » ونشرتها مكتبة الآداب بالقاهرة .

« عروس الأفراح » ، لابن السبكى .

* المطول للتفتازانى .

المرحلة الثالثة :

ويدرس الطالب فيها واحدًا من المتنين التاليين :

١ ـ « عقود الجمان » للسيوطي ، وقد شرحه السيوطي نفسه وطبعه الحلبي.

٢ ـ « لآليء التبيان » ، للدكتور حسن إسماعيل عبد الرزاق ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ، وهى ألفية رائعة جدًا لكنها غير مشروحة .

ثانيا : مراحل دراسة العلم على طريقة الكتب المدرسية

المرحلة الأولى :

ويدرس فيها الطالب كتاب البلاغة الواضحة لعلي الجارم ، وأحمد أمين ، نشر دار المعارف .

المرحلة الثانية :

ويدرس فيها الطالب واحدة من سلاسل الكتب التالية :



١ ـ « سلسلة علوم البلاغة » ، لعبد العزيز عتيق ، نشر دار الآفاق العربية .

٢ ـ « سلسلة علوم البلاغة» ، للدكتور بسيونى فيود ، نشر دار المختار .

٣ ـ « سلسلة المنهاج الواضح فى البلاغة » ، لحامد عونى .

٤ ـ « سلسلة علوم البلاغة » ، لفضل عباس ، نشر دار المنار .

وأحسنها ـ عندي ـ الثالثة ، فالثانية .

* يقرأ الطالب مع هذه المرحلة كتاب : « الشعر والشعراء لابن قتيبة » .

ثم تشترك الطريقتان في المرحلة القادمة وهي :

تدرس فيها الكتب التالية بعناية :

١ ـ التصوير البياني .

٢ ـ دلالات التراكيب .

٣ ـ خصائص التراكيب .

٤ ـ مدخل إلى كتابى عبد القاهر الجرجاني .

وجميعها لشيخنا الدكتور محمد محمد أبي موسي ، ونشرتها مكتبة وهبة بالقاهرة .

ثم يقرأ الطالب فيها الكتب التالية بعناية :

١ ـ « البلاغة تطور وتاريخ » ، للدكتور شوقي ضيف .

٢ ـ « البيان العربى » للدكتور بدوي طبانة .

٣ ـ « النقد المنهجي عند العرب » للدكتور محمد مندور ، نشر دار نهضة مصر . .

٤ ـ « النقد الأدبي الحديث » ، لمحمد غنيمى هلال ، نشر دار نهضة مصر .

ثم يقرأ الطالب هذين الكتابين بعناية :

١ ـ أسرار البلاغة .

٢ ـ دلائل الإعجاز .

كلاهما فى النشرة التى قرأها وشرحها الشيخ محمود شاكر .

* * *

قائمة القراءة

١ ـ « طبقات فحول الشعراء » ، لمحمد بن سلام الجمحي ، نشر مكتبة الخانجي .

٢ ـ « البيان والتبيين » و«الحيوان»، للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون.

٣ ـ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن نشر دار المعارف .

٤ ـ « إعجاز القرآن » ، للباقلاني تحقيق السيد أحمد صقر.

٥ ـ « الصناعتين » ، لأبي هلال العسكري ، بتحقيق علي البجاوي .

٦ ـ « البديع » ، لابن المعتز .

٧ ـ « الوساطة بين المتنبي وخصومه » ، للجرجاني طبعة محمد أبي الفضل إبراهيم .

٨ ـ « العمدة » ، لابن رشيق القيرواني ، نشر مكتبة الخانجي .

٩ ـ « الطراز للعلوي » ، نشر دار الكتب العلمية .

١٠ ـ « المثل السائر » ، لابن الأثير نشر دار نهضة مصر .

١١ ـ سر الفصاحة للخفاجي نشر دار العلياء.

منهج علمي في علمي العروض والقوافي[1]

يمكن الإحاطة بما يحتاج إليه من هذا العلم في مرحلتين فقط .

المرحلة الأولى :

يعمد الطالب كتاب (ميزان الذهب) للسيد الهاشمي . ويقرأه قراءة درس وتحقيق، مع الحرص على إنجاز التمرينات ، وتقطيع الأبيات تقطيعا كاملا .

المطالعة .

* (شرح كتاب أهدى سبيل إلى علمي الخليل) لمحمود مصطفى . وينجز أسئلة التمرين .

* شفاء الغليل في علم الخليل لمحمد بن علي المحلي . وهو كتاب تعليمي نافع جدا .

المرحلة الثانية :

يحفظ منظومة (مجدد العوافي من رسمي العروض والقوافي) لمحمد بن عبد الله العلوي الشنقيطي . وهو على قلة اشتهاره ، نافع جدا ، ومحيط ـ مع الاختصار ـ بكل ما يحتاج إليه الطالب في هذا العلم ، مع سلاسة في النظم ، ويسر في التعبير .

وهو بلا شك يغني عن المتون المتداولة في هذا الفن كالرامزة للخزرجي ، ومنظومة الصبان ، ومتن الكافي .

وعيبه الوحيد أن شروحه قليلة . ويمكن الاكتفاء في حل ألفاظه بطرة الناظم ، وبشرح عصام البشير الصوتي عليه .

ويطالع في هذه المرحلة :

* العيون الغامزة للدماميني .

---

(١) وضع منهج العروض الشيخ عصام البشير المراكشي خصيصًا لكتابنا .



* الوافي في العروض والقوافي للخطيب التبريزي .

* الإرشاد الشافي شرح متن (الكافي في علمي العروض والقوافي) للدمنهوري .

* في علم العروض والقافية لأمين السيد نشر دار المعارف .

ثم ينطلق ـ بعد أن أتقن علم الخليل ـ إلى ما شاء من كتب المتقدمين والمعاصرين .

* * *

علم الدلالة

هذا من العلوم المهمة التي لا ينتبه لها الناس وهو أجل علوم العربية ؛ لأنه طريق ضبط أحد أجل أبواب الدين ، وهو باب دلالات الألفاظ التي كانت العرب قوم النبي ﷺ يتكلمون بها ، ومعرفة فرق ما بين دلالات الألفاظ عندهم وبين دلالاتها عند من بعدهم من أهل الألسنة المولدة ؛ كي لا يفسر كلام الله ـ سبحانه ـ أو كلام نبيه ﷺ على معانٍ ودلالات لم تكن العرب أهل الطبقة الأولى التي بُعث النبي فيهم أهل اللسان الأولى يعرفونها أو يتكلمون بها .

وطريق فقه هذا الباب يكون بمراعاة النقاط التالية :

أولاً : قراءة بعض الكتب المعتنية بباب الدلالة وتطورها ومنها :

* « علم الدلالة » ، لمحمد رضوان الداية ، نشر دار الفكر بدمشق .

* « التطور اللغوي » ، للدكتور رمضان عبد التواب ، نشر مكتبة الخانجي .

ثانياً: التنبه لبنية المعجمات العربية ، وأنها تفسر الألفاظ العربية غالبًا بمعانيها التي استعملت فيها تاريخيًا، ولا تعتني ـ في كثير من الأحيان ـ بالبيان والفصل بين دلالة اللفظ التي كان يتكلم بها أهل اللسان الأول قبل دخول طبقات المولدين واختلاف الألسنة وبين الدلالات بعد ذلك .

ثالثًا: من المعاجم الجيدة جداً والواجب الاعتناء بها : « تهذيب اللغة » لأبي منصور الأزهري .

رابعًا: العناية التامة بالشعر الجاهلي ، وشعر صدر الإسلام ، ثم في رتبة تالية شعر الأمويين إلى المائة الهجرية الأولى .

والدراسة النصية لهذا تكون على النهج التالي [١] :

(١) المفضليات .

أحسن طبعاتها التي قام عليها الشيخ أحمد شاكر والأستاذ عبد السلام هارون وأصدرتها دار المعارف بالقاهرة . ولها شروح أهمها شرح التبريزي وأحسن طبعاته طبعة دار الفكر بدمشق بتحقيق فخر الدين قباوة . وشرح الأنباري بتحقيق تشارلز لايل وتوزعه مصوراً الآن مكتبة الآداب بالقاهرة .

(٢) الأصمعيات :

أحسن طبعاتها التي قام عليها الشيخ أحمد شاكر والأستاذ عبد السلام هارون، وأصدرتها دار المعارف بالقاهرة .

(٣) المعلقات السبع أو العشر .

على جلالتها لم تفرد المعلقات بنسخة مضبوطة مصححة ، وإنما يطلبها الناس فى تضاعيف شروحها . أو من نسخ الدواوين . وأحسن تلك الشروح شرح ابن الأنباري على السبع ، والذي حققه عبد السلام هارون ونشرته دار المعارف ، وشرح التبريزي للقصائد العشر الذي حققه فخر الدين قباوة ونشرته دار الفكر ، أما طبعات شرح الزوزني والشنقيطي فكلها سقيمة .

(٤) جمهرة أشعار العرب .

أحسن طبعاته هي التي حققها محمد على الهاشمي وأصدرتها دار القلم ، وهي طبعة حسنة جداً . وغيرها لا يطاولها .

(٥) ديوان الهذليين .

أحسن طبعاته هي التي حققها عبد الستار فراج ، وأخرجتها دار التراث ، وتجنب نشرتهم التي أعادوا فيها صف الكتاب . ولو جمع الطالب إليها نشرة دار الكتب المصرية أيضًا = لرأيته صنيعًا حسنًا .

---

(١) لابد من المرور على جميع الكتب القادمة .

(٦) لأحمد صفوت كتابان هما : « جمهرة رسائل العرب » ، و« جمهرة خطب العرب » ، فيُقرأ منهما ما يتعلق بالجاهلية وصدر الإسلام مع ملاحظة أن الثقة بنصوصهما ليست كبيرة .

أما قسم الدراسة الموضوعية والتحليلية :

فأقول : هناك كتب عدة في هذا الباب لكن الذي أرشحه هو أن تكون الدراسة بالصورة التالية :

أولا : دراسة كتاب « الأدب الجاهلي » ، للدكتور علي الجندي .

ثانيًا : دراسة كتاب « الحياة العربية في الشعر الجاهلي » ، للدكتور أحمد الحوفي نشر مكتبة نهضة مصر .

ثالثًا : دراسة كتاب « قراءة في الأدب القديم » ، للدكتور محمد محمد أبي موسى .

رابعًا : دراسة كتاب « الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء » ، للدكتور محمد أبي موسى نشر مكتبة وهبة .

تنبيه : من الكتب المهمة المكملة :

١ - حفظ أشهر الألفاظ الجاهلية من كتاب :« كفاية المتحفظ » ، لابن الأجداني، نشرة ليبيا أو نشرة دار الفكر .

٢ - دراسة كتاب : « أيام العرب في الجاهلية » نشر المكتبة العصرية .

فإذا انتهينا من توضيح طريق ضبط هذا الباب من شعر العرب ننتقل إلى ما تلاه زمنًا :

خامسًا: العناية التامة بالقرآن الكريم والتفقه في دلالاته بكثرة النظر ، وتتبع موارد اللفظ في القرآن الكريم .

سادسًا: العناية التامة بالسُّنَّة النبوية خاصة أحاديث الموطأ والصحيحين ، وخاصة ما اتفقت عليه هذه الثلاثة .



هذا من العلوم التي يغفل عنها من شغل قلبه ظنُ أن العربية هي النحو والصرف. والقدر الذي يؤهل للتفنن يحصل بمطالعة الكتب التالية :

١ ـ دراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح نشر دار العلم للملايين.

٢ ـ فصول في فقه العربية لرمضان عبد التواب.

٣ ـ العربية خصائصها وسماتها لعبد الغفار هلال.

٤ ـ المدخل إلى علم اللغة لرمضان عبد التواب.

وأنقل هنا مبحثًا جليلاً للدكتور رمضان عبد التواب ـ رحمه الله ـ يغنى الطالب عن النظر في غيره من مقدمات هذا العلم .

بين فقه اللغة وعلم اللغة

تطلق كلمة « فقه اللغة » عندنا الآن على العلم الذي يحاول الكشف عن أسرار اللغة ، والوقوف على القوانين التي تسير عليها في حياتها ، ومعرفة سر تطورها ، ودراسة ظواهرها المختلفة ، دراسة تاريخية من جانب ، ووصفية من جانب آخر .

وهو بهذا المعنى يضم كل الدراسات اللغوية ، التي تبحث في نشأة اللغة الإنسانية ، واحتكاك اللغات المختلفة بعضها ببعض ، ونشأة اللغة الفصحى واللهجات، وكذلك تلك التي تبحث في أصوات اللغة ، ودلالة الألفاظ وبنيتها ، من النواحي التاريخية المقارنة ، والنواحي الوصفية ، وكذلك في العلاقات النحوية بين مفرادتها ، كما تبحث أخيرًا فى أساليبها ، واختلاف هذه الأساليب ، باختلاف فنونها من شعر ونثر ، وغير ذلك .



وهذا هو ما يطلق عليه فى الغرب اسم philology، وإن كانت هذه الكلمة: قد تحددت عند الألمان ، بدراسة النصوص اللغوية ، دراسة تاريخية مقارنة ؛ لمحاولة فهمها ، والاستعانة بذلك في دراسة الفروع اللغوية الأخرى ، التي يبحث فيها علم آخر عندهم هو « علم اللغة » .

ويرى « ماريو باى » : « أن موضوع فقه اللغة لا يختص بدراسة اللغات فقط ، ولكن يجمع إلى ذلك دراسات تشمل الثقافة والتاريخ ، والنتاج الأدبي للغات موضوع الدراسة .

أما علم اللغة فيركز على اللغة نفسها ، ولكن مع إشارات عابرة أحيانًا ، إلى قيم ثقافية وتاريخية » .

وكل علم من هذين العلمين ، لا ينفصل في الواقع عن الآخر ، انفصالاً حادًا، ولا يمكن لأحدهما أن يستغني عن الآخر مطلقًا . وفى هذه المسألة يقول « لومل » فى رسالة به بعنوان : « كيف يُدرس علم اللغة ؟ » : « إن علم اللغة من أهم الوسائل المساعدة للدراسات الفيلولوجية من جانب ، ومن جانب آخر فإنه علم قائم بذاته ، له وظيفة معينة ، وطرق وميادين معروفة ، ولا يستغني علم اللغة عن الفيلولوجيا ؛ لأن أهم مصادره هي النصوص اللغوية . والعلاقة وثيقة بين العلمين ، إلى درجة أن الاستعمال الشائع للكلمتين ، لا يكاد يفرق بينهما » .

وقد ظهرت كلمة « فقه اللغة » في العالم العربي الحديث ، في الجامعة المصرية، وبخاصة عندما استقدم جماعة من المستشرقين ، ليعاونوا في التدريس ، كما « ذكر السنيور جويدى » فى محاضرته الأولى بالجامعة المصرية [٧] أكتوبر سنة (١٩٢٦م)، أن كلمة philologie تصعب ترجمتها بالعربية ، وأن لها في اللغات الغربية معنى خاصًا ، لا يتفق عليه أصحاب العلم والأدب ؛ فمنهم من يرى أن هذا العلم مجرد درس لقواعد الصرف والنحو ، ونقد نصوص الآثار الأدبية . ومنهم من يرى أنه ليس درس اللغة فقط ، ولكنه بحث عن الحياة العقلية من جميع وجوهها ، وإذا

صح ذلك ، فمن الممكن أن يدخل في دائرة الفيلولوجي ، علم اللغة وفنونها المختلفة، كتاريخ اللغة ،ومقابلة اللغات، والنحو، والصرف، والعروض ، وعلوم البلاغة، وعلم الأدب في معناه الأوسع؛ فيدخل تاريخ الأدب، وتاريخ العلوم من حيث تصنيف الكتب العلمية ، وتاريخ الفقه من حيث تدوينه في المجاميع والمجلات، وتاريخ الأديان من حيث درس الكتب المقدسة، وتأليف الكتب الدينية واللاهوتية ، وتاريخ الفلسفة من حيث تأليف كتب الحكمة وكتب الكلام. ولا سبيل إلى معرفة كنه هذه الحياة العقلية، إلا بدرس أحوال المركز ، الذي نشأت فيه تلك الآثار الأدبية».

وقد تخصص « فقه اللغة » في الجامعات العربية ، بدراسة « فقه اللغة العربية»، وإن اختلفت مناهجه فيها ، بين الدراسة التقليدية القديمة ، ومحاولات لتطبيق المناهج الحديثة في الدرس اللغوي .

أما «علم اللغة » ويطلق عليه أحيانًا اسم : « علم اللغة العام » ، فقد دخل بعض الجامعات العربية حديثًا ، وتعالج فيه عادة قضايا اللغة ، مجردة عن الارتباط بأية لغة من اللغات ؛ فاللغة التي يبحث فيها هذا العلم ، ليست هي اللغة العربية ، أو الإنجليزية ، أو الألمانية ، وإنما هي « اللغة فى ذاتها ومن أجل ذاتها » كما يقول ذي سوسير ، هي اللغة التي تظهر وتتحقق في أشكال لغات كثيرة ، ولهجات متعددة، وصور مختلفة من صور الكلام الإنساني ، فمع أن اللغة العربية تختلف عن الإنجليزية ، وهذه تختلف عن الألمانية ، فإن هناك أصولاً وخصائص جوهرية ، تجمع بين هذه اللغات من جانب ، كما تجمع بينها وبين سائر اللغات ، وصور الكلام الإنساني من جانب آخر ، وهو أن كلاً منها لغة ، أو نظام اجتماعي معين تتكلمه جماعة معينة ، بعد أن تتلقاه عن المجتمع وتحقق به وظائف معينة ، وينتقل من جيل إلى جيل ، فيمر بأطوار من التطور ، متأثرًا في ذلك بسائر النظم الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والدينية ، وغير ذلك .

وهكذا نرى أن « علم اللغة » يستقي مادته من النظر في اللغات على اختلافها، وهو يحاول أن يصل إلى فهم الحقائق والخصائص التي تجمع اللغات الإنسانية كلها في إطار واحد .

جهود علماء العربية في فقه اللغة (١)

اسم « فقه اللغة » قديم عند العرب ، وإن لم يكن شاملاً لكلٍّ فروعه ، التي نهتم بها الآن ، في « فقه اللغة العربية » . ولدينا بهذا الاسم كتاب لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى (المتوفى سنة ٤٢٩ هـ) ، المسمى « فقه اللغة وسر العربية». وفي تسمية هذا الكتاب بهذا الاسم ، شيء من التجوز في الواقع ؛ إذا ليس فيه من مسائل فقه اللغة ، التي تحدثنا عنها فيما مضى ، سوى باب : « سر العربية » في آخره ،وما عداه عبارة عن معجم للغة العربية ، رتبه على حسب الموضوعات ، تمامًا كما فعل من قلبه أبو عبيد القاسم بن سلام (المتوفى سنة ٢٢٤ هـ) في كتابه « الغريب المصنف فى اللغة » ، وكما فعل في عصره ابن سيده الأندلسي (المتوفى سنة ٤٥٨ هـ) في كتابه الضخم « المخصص في اللغة » . وسنعود لذلك بالتفصيل ، عند حديثنا عن « المعاجم العربية » فيما بعد .

ولدينا كتاب آخر اسمه : « الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها »، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (المتوفى سنة ٣٩٥ هـ) ، ضمنه كثيرًا من مسائل فقه اللغة العربية ، مثل نشأة اللغة وخصائص اللسان العربي ، واختلاف لغات العرب ، ولغات العامة من العرب ، والقياس والاشتقاق في اللغة العربية ، وآثار الإسلام في اللغة العربية .

وهذا الموضوع ألف فيه أبو حاتم الرازي كتابه : « الزينة في الكلمات الإسلامية»، والمترادف ، وحروف الهجاء العربية ، وحروف المعنى ، وأسماء الأشخاص ومأخذها ، وغير ذلك .

ولابن فارس كتاب آخر اسمه « مقاييس اللغة » ، وهو معجم لألفاظ اللغة العربية ، مرتب على الحروف الهجائية ، إلى حد ما ، غير أن فيه فكرتين جديدتين

(١) لا يزال الكلام للدكتور رمضان عبد التواب رحمه الله .

على حركة التأليف في المعاجم في عصره ، وتعدان فى الواقع من صميم « فقه اللغة»، وهما فكرتا « الأصول » و « النحت » ؛ فهو يحاول بالفكرة الأولى أن يدرج مفردات المادة اللغوية الواحدة ، تحت أصل أو أصلين ؛ مثل قوله : « الظاء الفاء والراء : أصلان صحيحان ، يدل أحدهما على القهر والفوز والغلبة ، والآخر على قوة فى الشيء ، ولعل الأصلين يتقاربان فى القياس ، فالأول : الظفر ، وهو الفوز بالشيء . . . والأصل الآخر : الظفر ، ظفر الإنسان . . إلخ » .

[« مقاييس اللغة » (٣ / ٤٦٥)] .

أما فكرة النحت ، فخلاصتها أن ابن فارس جمع ما زاد على الثلاثي ، من كل مادة ، تحت أبواب معينة ، وحاول تفسير بعضها بما يسمى النحت ، مثل قوله : «بُحتُر ، وهو القصير المجتمع الخلق ، فهذا منحوت من كلمتين : الباء والتاء والراء، وهو من بترته فبتر ، كأنه حرم الطول فبتر خلقه . والكلمة الثانية : الحاء التاء والراء، وهو من حترت واحترات ، وذلك ألا تفضل على أحد .

يقال : أحتر على نفسه وعياله ، أي ضيق عليهم ؛ فقد صار هذا المعنى في القصير ؛ لأنه لم يعط ما أعطيه الطويل » . [مقايس اللغة » (١ / ٣٢٩)] .

ويذهب ابن فارس إلى هذه النظرية كذلك في كتابه « الصاحبي في فقه اللغة » ؛ فيقول : « هذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف ، فأكثرها منحوت ؛ مثل قول العرب للرجل الشديد : ضبطر ، منضبط وضبر ، وفي قولهم : صهصلق، أنه من : صهل وصلق ، وفي الصلدم أنه من : الصلد والصدم » .

[« الصاحبى» (ص ٢٧١)] .

ولا تقتصر جهود علماء العربية في فقه اللغة ، على ما ألفه الثعالبي وابن فارس، فهناك أبو الفتح عثمان بن جني (المتوفى سنة ٣٩٢ هـ) ، الذي ألف كتابه «الخصائص » ، وضمنه كثيراً من البحوث اللغوية القيمة ، كبحثه في أصل اللغة ،

ومقاييس العربية ، وتعليل اللغة ، والقياس ، والاشتقاق ، وغير لك .

وهناك بعض البحوث ، التى ضمنها ابن سيدة الأندلسي كتابه « المخصص» ، الذي أشرنا إليه من قبل ، كالبحوث التي تناول بها الترادف ، والاشتراك ، والتغريب، والاشتقاق ، والتذكير والتأنيث ، والمقصور والممدود ، وغير ذلك .

وهناك أيضًا تلك البحوث القيمة ، التي أودعها جلال الدين السيوطي (المتوفى سنة ٩١١ هـ) كتابه « المزهر في علوم اللغة وأنواعها » ، وهو كتاب ضخم في مجلدين ، مليء بالبحوث اللغوية المختلفة ؛ مثل البحث في نشأة اللغات ، والمصنوع، والفصيح والحوشي والغريب ، والمستعمل والمهمل ، وتوافق اللغات ، وتداخلها ، والمولد والمعرب ، والاشتقاق ، والترادف والاشتراك والتضاد ، والإبدال، والقلب ، والنحت ، وغير ذلك .

وهو دائرة معارف واسعة ، اعتمد فيها على الكثير من المؤلفات اللغوية المتخصصة ، والتي فُقد معظمها ، وبقي منها تلك الاقتباسات ، التي أدخلها السيوطي في كتابه « المزهر » .

هذا ، وللمحدثين من العرب جهود مشكورة ، في التأليف في موضوعات فقه اللغة العربية ، وعلم اللغة العام ، والترجمة فيهما من اللغات الأجنبية المختلفة ، وهذه قائمة بأهم المصادر العربية فى الدرس اللغوى ، مرتبة على حسب أسماء أصحابها :

الدكتور إبراهيم أنيس :

١ ـ الأصوات اللغوية .

٢ ـ في اللهجات العربية .

٣ ـ دلالة الألفاظ .



الدكتور إبراهيم السامرائي :

١ ـ دراسات في اللغة .

٢ ـ التطور اللغوي التاريخي .

أحمد حسين شرف الدين :

١ ـ اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام .

الدكتور أحمد مختار عمر :

١ ـ من قضايا اللغة العربية والنحو .

٢ ـ دراسة الصوت اللغوي .

الدكتور أحمد نصيف الجنانى :

الدراسات اللغوية والنحوية في مصر ، حتى القرن الرابع الهجري .

الدكتور تمام حسان :

١ ـ مناهج البحث في اللغة .

٢ ـ اللغة بين المعيارية والوصفية .

٣ ـ اللغة العربية ، معناها ومبناها .

الدكتور حسين نصار :

١ ـ المعجم العربي ، نشأته وتطوره .

الدكتور رمضان عبد التواب :

١ ـ لحن العامة والتطور اللغوي .

٢ ـ التذكير والتأنيث في اللغة .

٣ ـ فصول في فقه العربية .

٤ ـ التطور اللغوي وقوانينه .



٥ ـ اللغة العبرية ، قواعد ونصوص ومقارنات باللغات السامية .

٦ ـ نصوص من اللغات السامية ، مع الشرح والتحليل والمقارنة .

٧ ـ اللغات السامية ، لنولدكه « ترجمة » .

٨ ـ فقه اللغات السامية ، لبروكلمان « ترجمة » .

٩ ـ العربية ، ليوهان فك « ترجمة » .

١٠ ـ المدخل إلى علم العام .

وكتبه جميعًا لدى مكتبة الخانجي .

الدكتور السيد يعقوب بكر :

١ ـ دراسات في فقه اللغة العربية .

٢ ـ دراسات مقارنة في المعجم العربي .

الدكتور صبحي الصالح :

١ ـ دراسات في فقه اللغة .

طبعة دار العلم للملايين .

الدكتور عبده الراجحي :

١ ـ اللهجات العربية في القراءات القرآنية .

الدكتور عبد الصبور شاهين :

١ ـ دراسات لغوية .

٢ ـ في التطور اللغوي .

الدكتور عبد الله درويش :

١ ـ المعاجم العربية ، مع اعتناء خاص بكتاب العين .

على عبد الواحد وافي :

١ ـ علم اللغة .

٢ ـ فقه اللغة .

الدكتور كمال بشر :

١ ـ قضايا لغوية .

٢ ـ دراسات في علم اللغة .

٣ ـ علم اللغة العام « الأصوات » .

محمد الخضر حسين :

١ ـ دراسات في العبرية وتاريخها .

محمد المبارك :

١ ـ فقه اللغة وخصائص العربية .

الدكتور محمود حجازي :

١ ـ علم اللغة العربية .

٢ ـ مدخل إلى علم اللغة .

الدكتور محمود السعران :

١ ـ علم اللغة ، مقدمة القارئ العربي .

[مستفاد من « فصول فى فقه العربية » للدكتور رمضان عبد التواب] .



هذا العلم شريف جدًّا ، وهو باب من أبواب طلب اللسان الأول الذي نزل به الوحي ؛ وإنما تدخل الآفة لصاحبه من الاشتغال بكتب المتأخرين اشتغالاً زائدًا ؛ لذلك فالذي نراه لطالب العلم هو أن يدرس تاريخ الأدب كاملاً دراسة وافية ، ويعتني بدراسة الأدب في العصر الجاهلى وعصر صدر الإسلام وبني أمية ، ثم يكتفي فقط بقراءة ما سنذكره في قائمة القراءة ، أما الدراسة الدقيقة في مرحلة التعلم هذه فتقتصر على طبقة اللسان الأول فقط .

المرحلة الأولى :

ويدرس فيها الطالب تاريخ الأدب العربى مجملاً . .

والكتب في هذه المرحلة كثيرة فمنها :

١ ـ « تاريخ آداب العرب » ، لمصطفى صادق الرافعي ، وليست له طبعة مميزة .

٢ ـ « تاريخ الأدب العربي » ، لأحمد حسن الزيات ، وليست له طبعة مميزة .

٣ ـ « المفصل في تاريخ الأدب العربى » ، لعلي الجارم وأصحابه ، نشرته مكتبة الآداب في طبعة جديدة قريبًا .

والذي أرشحه هو دراسة الكتاب الثالث مع قراءة الكتاب الأول .

المرحلة الثانية :

وتختص بدراسة الأدب الجاهلي بهذه الصورة :

المحور الأول : الدراسة التاريخية ويقرأ فيها :

١ ـ « العصر الجاهلى » ، لشوقي ضيف .



المحور الثاني : دراسة الشعر والنثر .

المرحلة الأولى :

الشعر والنثر في العصر الجاهلى وصدر الإسلام وبنى أمية . .

* والدراسة النصية فيهما تكون في [١] :

(١) المفضليات .

أحسن طبعاتها التي قام عليها الشيخ أحمد شاكر والأستاذ عبد السلام هارون وأصدرتها دار المعارف بالقاهرة . ولها شروح أهمها شرح التبريزي ، وأحسن طبعاته طبعة دار الفكر بدمشق بتحقيق فخر الدين قباوة ، وشرح الأنباري بتحقيق تشارلز لايل وتوزعه مصوراً الآن مكتبة الآداب بالقاهرة .

(٢) الأصمعيات .

أحسن طبعاتها التي قام عليها الشيخ أحمد شاكر والأستاذ عبد السلام هارون، وأصدرتها دار المعارف بالقاهرة .

(٣) المعلقات السبع أو العشر .

على جلالتها لم تفرد المعلقات بنسخة مضبوطة مصححة ، إنما يطلبها الناس فى تضاعيف شروحها . أو من نسخ الدواوين . وأحسن تلك الشروح شرح ابن الأنباري على السبع والذي حققه عبد السلام هارون ونشرته دار المعارف ، وشرح التبريزي للقصائد العشر الذي حققه فخر الدين قباوة ونشرته دار الفكر ، أما طبعات شرح الزوزني والشنقيطي فكلها سقيمة .

(٤) جمهرة أشعار العرب .

أحسن طبعاته هي التي حققها محمد على الهاشمي وأصدرتها دار القلم ، وهي طبعة حسنة جداً . وغيرها لا يطاولها .

---

(١) يلاحظ الاشتراك بين منهج دراسة الأدب وبين علم الدلالة.

(٥) ديوان الهذليين .

أحسن طبعاته هي التي حـققها عبد الستار فراج وأخـرجتها دار التراث ، وتجنب نشـرتهم التي أعادوا فـيهـا صف الكتاب . ولو جـمع الطالب إليه نشـرة دار الكتب المصرية أيضًا لرأيته صنيعًا حسنًا .

(٦) لأحمد صفوت كتابان هما : « جـمهرة رسائل العرب » ، وجمهرة خطب العـرب » فيـقرأ منهـما مـا يتعلق بالجـاهلية وصـدر الإسلام مع مـلاحظة أن الثـقة بنصوصهما ليست كبيرة .

(٧) قراءة الموطأ والكتب الستة في نسخ مضبوطة .

(٨) وإنما أخر ليكون آخـر العهـد فهو مـصاحب للمسلم وهـو إدمان النظر في القرآن الكريم .

أما قسم الدراسة الموضوعية والتحليلية :

فأقول : هناك كتب عدة في هذا البـاب لكن الذي أرشحه هو أن تكون الدراسة بالصورة التالية :

أولا : دراسة كتاب « الأدب الجاهلي » للدكتور علي الجندي .

ثانيًا : دراسة كتاب « الحياة العربية في الشعر الجاهلي » ، للدكتور أحمد الحوفي نشر مكتبة نهضة مصر .

ثالثًا : دراسة كـتاب « قراءة في الأدب القـديم » ، للدكتور محـمد محـمد أبي موسى .

رابعًا : دراسة كـتاب « الشعـر الجاهلى دراسة في مـنازع الشعراء » ، للدكـتور محمد أبي موسى نشر مكتبة وهبة .

خامسًا : «من أسرار التعبير القرآنى» للدكتور محمد أبو موسى .

سادسًا : « شرح مائة حديث من صحيح البخاري»، للدكتور محمد أبو موسى.

المرحلة الثالثة :

فصلنا في المرحلة الثانية في منهج درس الأدب الجاهلي ؛ لأهميته في معرفة دلالات الوحي ، وهذه المرحلة معقودة لمن أراد التوسع في دراسة أدب العصور التالية والكتب في هذه المرحلة كثيرة جدًّا ، لكن الذى نميل له طلبًا لوحدة أسلوب الكتابة واتفاق منهج النظر وسهولة الحصول على الكتب أن يقتصر الطالب على سلسلة تاريخ الأدب العربي التي ألفها الدكتور شوقي ضيف ـ رحمه الله ـ ونشرتها دار المعارف ، مع العناية بالكتب التي سنذكرها في قائمة القراءة .

ولابد أن تسير كتب الدكتور شوقي جنبًا لجنب مع دراسة الشعر والنثر في الفترة التي يؤرخ لها الدكتور ، وذلك بجمع الدواوين فى طبعاتها الموثقة ، وكتب أدباء النثر في العصر الذي يؤرخ له الدكتور .

قائمة القراءة

(١) « كليلة ودمنة » ، نشر دار المعارف .

(٢) «حماسة أبي تمام » ، طبعة دار الجيل ، وشرحها للمرزوقي بتحقيق عبد السلام هارون .

(٣) « ديوان المتنبي » ، بشرح الواحدى مع كتاب « العود الهندي » ، نشر دار المنهاج بجدة.

(٤) « البيان والتبيين للجاحظ » ،. تحقيق عبد السلام هارون ، ونشر دار الخانجي .

(٥) « الكامل » ، تحقيق محمد أحمد الدالي ، ونشر مؤسسة الرسالة . وقد أصدرت إحدى الدور المنشقة عن مؤسسة الرسالة طبعة أخرى لا قيمة لها والفيصل هو وجود اسم هذا المحقق على الطبعة .

(٦) « أمالي أبي علي القالي» . نشرة دار الكتب المصـرية مع الذيل للقالي والتنبيه للبكري. وتنشرها مصورة مع سمط اللآلي للراجكوتى عدد من الدور البيروتية.

(٧) «جمهرة الأمثال » لأبي هلال العسكري . حـققه محمد أبو الفضل إبراهيم وتنشره مصوراً دار الجيل .

(٨) « عيون الأخبار » ، تحقيق منذر سعيد أبو شعر ، ونشر المكتب الإسلامي ، وله طبعة أخرى بدار الكتب المصرية لكن الأولى أصح وأجمل .

(٩) « العقد الفريد » ، طبعة دار التأليف والترجمة والنشر ، بتحقيق أحمد أمين وزميلاه.

(١٠) « الأغاني » ، طبعة دار الكتب المصرية بتحقيق جماعة من مشايخها .

(١١) « الإمتاع والمؤانسة » لأبي حـيان بتحقيق أحمد الزين نشـر مطبعة التأليف والترجمة والنشر .

(١٢) « البصائر والذخائر » ، لأبي حيان نشر دار الجيل .

(١٣) « شرح نهج الـبلاغة » ، لابن أبي الحـديد بتحـقيق مـحمد أبـي الفضل إبراهيم ، نشر دار الجيل .

(١٤) « شرح مقامات الحريرى » للشريشي ، نشر دار الجيل .

(١٥) ديوان المعاني لأبي هلال العسكري طبعة مؤسسة العلياء.

مع العناية بالقراءة للأدباء المعاصرين التالية أسماؤهم :

(١) مصطفى صادق الرافعي .

* أصح طبعات وحي القلم هي طبعة دار ابن حزم .

(٢) مصطفى لطفى المنفلوطى .

أصح طبعات النظرات هي طبعة دار ابن حزم .

(٣) محمود محمد شاكر .

تنشر كتبه مكتبة الخانجي .

(٤) على الطنطاوي .

تنشر كتبه مكتبة المنارة بجدة ، وتوزعها دار ابن حزم .

(٥) أحمد حسن الزيات .

لا يتوفر «وحي الرسالة» إلا مصوراً .

(٦) محمود الطناحي .

وتنشر مؤلفاته وتحقيقاته مكتبة الخانجي ما عدا مقالاته فمزوعة بين دار البشائر ودار الغرب الإسلامي .

(٧) محمد البشير الإبراهيمي ، ونشرت مقالاته دار الغرب الإسلامي .

(٨) محمد الخضر حسين ، ونشرت مجموع مصنفاته دار النوادر .

(٩) السيد أحمد صقر، ونشرت مقالاته ومقدماته بدار التوحيد.



علم التاريخ من العلوم التي يزهد فيها طلبة العلم ، ومن يطلبها منهم لا يأتيها من وجهها ، أو يقصر في تتبع وجوهها فيقتصر منها على باب دون باب . وسنحاول في هذا الفصل استيفاء وجوه النظر في طريق التدرج العلمي في هذا العلم . .

المحور الأول : السيرة النبوية :

أولاً : طريقة المتون :

المتون في السيرة النبوية تتنوع بين المنظوم والمنثور ، وأشهر المنظوم منظومتان :

١ ـ « الأرجوزة الميئية في سيرة خير البرية » لها نسخة مضبوطة على الشبكة العنكبوتية ضبطها الأخ أبو مالك العوضي وقد شرحها الشيخ عبد الرزاق البدر.

٢ ـ « ألفية العراقي في السيرة النبوية » ، نشر دار المنهاج بجدة .

أما المنثور فأكثر من ذلك ومنه :

١ ـ « جوامع السيرة » ، لابن حزم بتحقيق إحسان عباس .

٢ ـ « الفصول في سيرة الرسول ﷺ » ، لابن كثير بتحقيق سليم الهلالي نشر دار غراس .

٣ ـ « السيرة » ، لابن سيد الناس نشر دار المنهاج بجدة .

٤ ـ « السيرة » للنووي ، بتحقيق خالد الشايع .

٥ ـ « الخلاصة البهية في السيرة النبوية » ، لوحيد عبد السلام بالي نشر دار رجب .



ثانيًا : الكتب المدرسية :

وأشهرها :

١ ـ « الرحيق المختوم » ، للمباركفوري ، وكله طبعاته متقاربة .

٢ ـ « السيرة النبوية الصحيحة » ، لأكرم العمري نشر مكتبة العبيكان .

٣ ـ « السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية » لمهدي رزق الله، نشر دار إمام الدعوة .

٤ ـ « مختصر سيرة ابن هشام » ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب .

٥ ـ « تهذيب سيرة ابن هشام » ، لعبد السلام هارون .

والذي أختاره :

١ ـ « ضبط الأرجوزة الميئية » ، أو « الخلاصة البهية » لوحيد بالي .

٢ ـ « دراسة كتاب السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية» نشر دار إمام الدعوة.

٣ ـ **قراءة** : مصادر دراسة السيرة النبوية لمحمد يسرى سلامة نشر دار الجبرتى .

ثم الاطلاع على :

١ ـ « السيرة النبوية » ، لعلي الصلابي .

٢ ـ « الروض الأنف شرح سيرة ابن هشام » للسهيلي بتحقيق عبد الرحمن الوكيل ونشر مكتبة ابن تيمية ، ويحتاج لتحقيق جديد .

٣ ـ « زاد المعاد » ، لابن القيم ، نشر مؤسسة الرسالة .

٤ ـ « قصص الأنبياء » ، لابن كثير طبعة دار ابن خزيمة .

المحور الثاني : تاريخ الخلفاء الراشدين والدولتين الأموية والعباسية إلى العثمانية:

والذي أراه في هذا أن يكون النهج هو قراءة كتب الدكتور على الصلابي في تاريخ الخلفاء والدول بالترتيب .



المحور الثالث : أصول التاريخ ونشأته وتدوينه :

وأرى أن يقرأ فيها :

١ ـ « المسلمون وكتابة التاريخ»، لعبد العليم خضر نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

٢ ـ « نشأة علم التاريخ عند العرب » ، لعبد العزيز الدوري . نشر مركز دراسات الوحدة العربية .

٣ ـ « الإعلان بالتوبيخ للسخاوي » نشر مؤسسة الرسالة .

٤ ـ « منهج كتابة التاريخ الإسلامي»، لمحمد صامل السلمي نشر دار ابن الجوزي.

٥ ـ « فلسفة التاريخ » ، لرأفت الشيخ .

المحور الرابع : الحضارة :

وأرى أن يقرأ فيها :

١ ـ « مقدمة ابن خلدون » ، بتحقيق إبراهيم شبوح ، فإن لم يجدها فبتحقيق علي عبد الواحد وافي ، نشر مكتبة نهضة مصر .

٢ ـ « فجر الإسلام وضحاه وظهره » ، لأحمد أمين .

٣ ـ « أوراق في التاريخ والحضارة » ، لعبد العزيز الدورى نشر مركز دراسات الوحدة العربية.

٤ ـ « رسالة في الطريق إلى ثقافتنا » ، لمحمود شاكر .

٥ ـ « حضارة العرب » ، لجوستاف لوبون .

المحور الخامس : التاريخ العام :

وأرى أن يقرأ فيه كتابين :

١ ـ « موجز تاريخ العالم » ، لهربوت جورج ويلز .

٢ ـ « معالم تاريخ الإنسانية » ، له أيضًا .



قائمة القراءة

١ ـ تاريخ الطبري ، نشر دار المعارف .

٢ ـ « البداية والنهاية » ، نشر دار هجر أو دار ابن كثير .

٣ ـ « سير أعلام النبلاء » ، نشر مؤسسة الرسالة .

٤ ـ « تاريخ الجبرتي » .

٥ ـ « التاريخ الإسلامي » ، لمحمود شاكر السوري نشر المكتب الإسلامي .

٦ ـ « قصة الحضارة » ، لول ديورانت .

٧ ـ التاريخ والمؤرخون لشاكر مصطفى .

٨ ـ جميع مصنفات الدكتور نور الدين حاطوم.

٩ ـ سلسلة التاريخ الإسلامي للدكتور جمال عبد الهادي نشر دار السلام.

١٠ ـ الأعلام للزركلي.

١١ ـ النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين للدكتور محمد رجب البيومي نشر دار القلم.

عِلْمُ الْمَخْطُوطَاتِ

وهذا علم يأتيه كثير من الناس من غير الباب الذي يُؤتى منه العلم ، وإنما يأتونه بمجرد خبرات متلقاة أشتاتًا لا يجمعها نهج علمي .

وإني أنصح من أراد الاشتغال بنشر الكتب المخطوطة أو ما يتصل بهذا الباب أن يلتحق بالخطة الدراسية التي يقيمها معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة .

وفروع هذا العلم :

١ ـ تاريخ المخطوط العربى .

٢ ـ صناعة المخطوط .

٣ ـ التوثيق والتقييم .

٤ ـ الحفظ والصيانة والترميم والتصوير .

٥ ـ الفهرسة والضبط البيليوجرافي .

٦ ـ التحقيق والنشر .

وانظر عرضًا لتفاصيلها في الكتاب الرائد : « نحو علم مخطوطات عربي »، لأستاذنا وبَلَدِيِّنا الدكتور عبد الستار الحلوجي ، نشر دار القاهرة .

وسأذكر في هذا العلم قائمة قراءة تغطي جانب الصنعة في هذا العلم ، ولا غنى عن قراءتها جميعًا :

١ ـ « تحقيق النصوص ونشرها » ، لعبد السلام هارون نشر مكتبة الخانجي .

٢ ـ « تحقيق النصوص » لرمضان عبد التواب نشر مكتبة الخانجى .

٣ـ « الوافي في أسس وخطوات تحقيق ونشر المخطوطات » ، لعبد الله الحوثي، نشر وزارة الثقافة بصنعاء في مجلدين جامعين .

٤ ـ « مدخل لتاريخ نشر التراث العربي » ، لمحمود الطناحي ، نشر مكتبة الخانجي .

٥ ـ « المخطوط العربي » لعبد الستار الحلوجى ، نشر الدار المصرية اللبنانية .

٦ ـ « الكتاب العربى المخطوط وعلم المخطوطات » ، لأيمن فؤاد سيد .

٧ ـ فهرسة المخطوطات العربية لعابد المشوخى نشر مكتبة المنار .

٨ ـ « قبس من عطاء المخطوط المغربي » لمحمد المنوني نشر دار الغرب الإسلامي .

علم الفقه

قال ابن خلدون: وأما الخلافيات ، فاعلم أن هذا الفقة المستنبط من الأدلة الشرعية كثر فيه الخلاف بين المجتهدين باختلاف مداركهم وأنظارهم خلافًا لابد من وقوعه لما قدمناه ، واتسع ذلك في الملة اتساعًا عظيمًا ، وكان للمقلدين أن يقلدوا من شاءوا منهم . ثم لما انتهى ذلك إلى الأئمة الأربعة من علماء الأمصار ، وكانوا بمكان من حسن الظن بهم اقتصر الناس على تقليدهم ، ومنعوا من تقليد سواهم لذهاب الاجتهاد لصعوبته، وتشعب العلوم التي هي موادة ؛ باتصال الزمان وافتقاد من يقوم على سوى هذه المذاهب الأربعة . فأقيمت هذه المذاهب الأربعة أصول الملة ، وأجري الخلاف بين المتمسكين بها والآخذين بأحكامها مجرى الخلاف في النصوص الشرعية والأصول الفقهية . وجرت بينهم المناظرات في تصحيح كل منهم مذهب إمامه تجري على أصول صحيحة ، وطرائق قويمة يحتج بها كل على مذهبه الذي قلده وتمسك به، وأجريت في مسائل الشريعة كلها ، وفي كل باب من أبواب الفقه . فتارة يكون الخلاف بين الشافعي ومالك، وأبو حنيفة يوافق أحدهما ، وتارة بين مالك وأبي حنيفة والشافعي يوافق أحدهما ، وتارة بين الشافعي وأبي حنيفة ومالك يوافق أحدهما ، وكان في هذه المناظرات بيان مآخذ هؤلاء الأئمة ومثارات اختلافهم ومواقع اجتهادهم ، وكان هذا الصنف من العلم يُسمى بالخلافيات ولابد لصاحبه من معرفة القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام كما يحتاج إليها . المجتهد إلا أن المجتهد يحتاج إليها للاستنباط وصاحب الخلافيات يحتاج إليها لحفظ تلك المسائل المستنبطة من أن يهدمها المخالف بأدلته . وهو ـ لعمري ـ علم جليل الفائدة في معرفة مآخذ الأئمة ، وأدلتهم ، ومران المطالعين له على الاستدلال فيما يرومون الاستدلال عليه ، وتآليف الحنفية والشافعية فيه أكثر من تآليف المالكية ؛ لأن القياس عند الحنفية أصل للكثير من فروع مذهبهم ـ كما عرفت ـ فهم لذلك أهل النظر والبحث ، وأما المالكية فالأثر أكثر معتمدهم ، وليسوا بأهل نظر ، وأيضًا فأكثرهم أهل المغرب وهم

بادية غفل من الصنائع إلا في الأقل . وللغزالى ـ رحمه الله تعالى ـ فيه كتاب «المآخذ» ، ولأبي بكر العربى من المالكية كتاب « التلخيص » جلبه من المشرق، ولأبي زيد الدبوسي كتاب « التعليقة » ، ولابن القصار من شيوخ المالكية « عيون الأدلة » ، وقد جمع ابن الساعاتي في مختصره في أصول الفقه جميع ما ينبنى عليها من الفقه الخلافي مدرجًا في كل مسألة ما ينبنى عليها من الخلافيات .

وأما الجدال وهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم، فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعًا ، وكل واحد من المناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج ، ومنه ما يكون صوابًا ، ومنه ما يكون خطأ ، فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آدابًا وأحكامًا يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول ، وكيف يكون حال المستدل والمجيب ، وحيث يسوغ له أن يكون مستدلاً وكيف يكون مخصوصًا منقطعًا ، ومحل اعتراضه أو معارضته ، وأين يجب عليه السكوت ، ولخصمه الكلام والاستدلال ، ولذلك قيل فيه إنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه ، كان ذلك الرأى من الفقه أو غيره . وهي طريقتان : طريقة البزدوي ، وهي خاصة بالأدلة الشرعية من النص والإجماع والاستدلال ، وطريقة العميدي وهى عامة في كل دليل يستدل به من أي علم كان ، وأكثره استدلال ، وهو من المناحي الحسنة ، والمغالطات فيه في نفس الأمر كثيرة . وإذا اعتبرنا النظر المنطقي كان فى الغالب أشبه بالقياس المغالطي والسوفسطائي إلا أن صور الأدلة والأقيسة فيه محفوظة مراعاة تتحرى فيها طرق الاستدلال كما ينبغي ، وهذا العميدي هو أول من كتب فيها ، ونسبت الطريقة إليه (١). وضع الكتاب المسمى بالإرشاد مختصرًا ، وتبعه من بعده من المتأخرين كالنسفي وغيره جاءوا على أثره ، وسلكوا مسلكه وكثرت في الطريقة التآليف . وهي لهذا العهد مهجورة لنقص العلم والتعليم في الأمصار الإسلامية ، وهي مع ذلك كمالية وليست ضرورية . والله ـ سبحانه وتعالي ـ أعلم ، وبه التوفيق [٣/ ٩٦٥].

(١) وينُظر: «تنبيه الرجل العاقل» لشيخ الإسلام طبعة دار عالم الفوائد.



الفقه الحنفي

يدرس الطالب في المرحلة الأولى :

١ ـ نور الفلاح مع شرحه مراقي الفلاح .

ويدرس في المرحلة الثانية :

١ ـ المختار مع شرحه الاختيار فى الطبعة القديمة التي علق عليها الشيخ محمود أبودقيقة .

* ويطالع الطالب في هذه المرحلة كتاب المذهب الحنفي لأحمد النقيب نشرة مكتبة الرشد .

ويدرس في المرحلة الثالثة :

١ ـ الهداية للمرغيناني طبعة دار السلام ، ويطالع شرحه فتح القدير .

ويطالع الطالب معه مجلة الأحكام العدلية مع الشرح الذي وضعه الشيخ مصطفى الزرقا في كتابه « القواعد الفقهية » نشرة دار القلم .

قائمة القراءة

١ ـ موطأ مالك برواية محمد بن الحسن نشرة دار البشائر .

٢ ـ الآثار لمحمد بن الحسن نشرة دار النوادر مع مطالعة تعليقة الأفغاني .

٣ ـ الآثار لمحمد بن الحسن نشرة دار النوادر مع مطالعة تعليقة الأفغاني .

٤ ـ الجامع الصغير نشرة عالم الكتب .

٥ ـ الحجة على أهل المدينة نشرة عالم الكتب .

٦ ـ المبسوط للسرخسي مصورة دار الكتب العلمية .

٧ ـ حاشية ابن عابدين طبعة دار المعرفة حتى تكتمل طبعة دار الفرفور فهي أولى.

٨ ـ غمز عيون البصائر للحموي .



أصول الفقه الحنفي

يدرس الطالب في المرحلة الأولى :

١ ـ تلخيص الأصول لحافظ ثناء الله الزاهدي طبعة دار ابن حزم .

٢ ـ متن المنار مع شرحه إفاضة الأنوار مع حاشية ابن عابدين طبعة عيسى الحلبي .

* يطالع الطالب في هذه المرحلة : تفسير النصوص لمحمد أديب صالح نشرة المكتب الإسلامي ، والاستفادة من طريقة عرضه وترتيبه للأقوال الأحناف .

ويدرس في المرحلة الثانية :

١ ـ شرح التلويح على التوضيح ، وليس له طبعة مميزة .

ويطالع فى هذه المرحلة كتاب : « تطور الفكر الأصولي الحنفي » لهيثم خزنة من منشورات دار الرازي .

ويدرس في المرحلة الثالثة :

١ ـ كشف الأسرار لعبد عبد العزيز البخاري ، وليس له طبعة مميزة .

قائمة القراءة

١ ـ الفصول في الأصول للجصاص بتحقيق عجيل النشمي منشورات وزارة الأوقاف بالكويت .

٢ ـ أصول السرخسي بحاشية الأفغاني .

٣ ـ بذل النظر نشر دار التراث .

٤ ـ التحرير لابن الهمام مع مطالعة شرحية « التقرير والتحبير » ، و « تيسير التحرير » .

الفقه المالكي (١)

المرحلة الأولى :

فى هذه المرحلة الخاصة بالمبتدئين ، يمكن اعتماد أحد المتون الثلاثة الآتي ذكرها .

١ ـ المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لعبد الواحد بن عاشر . وهو منظومة تشتمل على العقيدة ـ على طريقة الأشعرية ـ وفقه العبادات وبعض مبادئ التصوف . والمقصود هنا أبواب الفقه فقط .

٢ ـ مختصر الأخضري ، وهو متن نثري خاص بالطهارة والصلاة ، لكنه فيهما أوسع من نظم ابن عاشر ، خاصة فى مسائل سجود السهو .

٣ ـ مختصر العشماوية لمؤلفه عبد البارئ العشماوي ، وهو متن نثري خاص بالطهارة والصلاة والصيام .

والمختار من هذه المتون ، متن المرشد المعين ، وذلك للأسباب التالية :

١ ـ شهرته بين العلماء وطلبة العلم ، وكثرة شروحه والحواشي عليه .

٢ ـ إحاطته بفقه العبادات كلها .

٣ ـ كونه نظما فيسهل حفظه .

٤ ـ التزامه مشهور المذهب ، في أغلبه .

٥ ـ كثرة مسائله ، مع شدة اختصاره ، وذلك لبراعة ناظمه ، وإقلاله من الحشو. وشروحه كثيرة ، لكن أشهرها شرح (الدر الثمين والمورد المعين على متن المرشد المعين) لتلميذ الناظم : محمد بن أحمد الفاسي المشهور بميارة . ويكتفي المبتدئ بـ (مختصر الدر الثمين للمؤلف نفسه . وهذا المختصر يفي بالحاجة في فهم

(١) وضع المنهج الشيخ عصام البشير المراكشي خصيصًا لكتابنا.



مراد الناظم ، وتحقيق مذهب المالكية ، وإن أشكل على الطالب شيء فليرجع إلى حاشية الطالب بن حمدون ابن الحاج .

لكن هذا الشرح ضعيف في جانب الاستدلال . فيكمله الطالب بشرحين عصريين ، هما :

- المبين عن أدلة المرشد المعين لمحمد العمراوي .
- العرف الناشر في شرح وأدلة فقه متن ابن عاشر للمختار بن العربي الجزائري .

قائمة المطالعة

١ ـ منح العلي فى شرح كتاب الأخضري لمحمد بن محمد سالم الشنقيطي .

٢ ـ إيصال السالم في أصول الإمام مالك لمحمد يحيى الولاتي .

٣ ـ مدخل إلى أصول الفقه المالكي لمحمد المختار ولد اباه .

٤ ـ مباحث في المذهب المالكي بالمغرب لعمر الجيدي (وفيه مباحث كثيرة ليست خاصة بالمغرب) .

المرحلة الثانية :

هذه المرحلة يحفظ فيها الطالب متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني . وهو متن نثري عظيم الفائدة ، جمع فيه صاحبه بين العقيدة السنية السليمة ، والفقه المالكي . (وله نظم واحد للعلامة عبد الله بن الحاج الشنقيطي ، لكنه غير مخدوم بما يكفي من جهة الضبط والشرح) .

وشروح هذا المتن كثيرة جدا . والمقترح أن يعتمد الطالب شرح أبي الحسن المنوفي ، في حل الألفاظ وفهم المعاني الإجمالية (ويرجع لحاشية العدوي عند الحاجة فقط) .

ويدرس الطالب مع هذا الشرح :

- الفواكه الدواني لأحمد بن غنيم النفراوي .



- شرح ابن ناجي التنوخي .

- مسالك الدلالة لأحمد بن الصديق الغماري .

قائمة المطالعة

١ - اصطلاح المذهب عند المالكية لمحمد إبراهيم علي . يغني عن كل ما ألف في تاريخ المذهب ومدارسه ورجاله .

٢ - تبيين المسالك شرح تدريب السالك إلى أقرب المسالك لمحمد الشيباني بن محمد بن أحمد الشنقيطي (وهو كتاب نافع جدا ، خاصة في جانب الاستدلال) .

٣ - تهذيب المسالك في نصرة مطهب مالك للفندلاوي .

٤ - المعونة على مذهب عالم المدينة للقاضي عبد الوهاب .

٥ - مدونة الفقه المالكي للصادق الغرياني .

٦ - الفقه المالكي وأدلته الحبيب بن الطاهر .

المرحلة الثالثة :

يحفظ الطالب فيها مختصر الشيخ خليل بن إسحق . وهم متن نثري جامع لما عليه الفتوي في المذهب (ويحفظ النثر لأن منظوماته طويلة جدا)

والأصل في هذا الكتاب أني قرأه على شيخ ، لوعورة مسالكه ، وصعوبة ألفاظه .

فإن لم يجد شيخا يقرأه عليه ، فليدرسه عن طريق الشروح الكتابية ، ولكن عليه أن يكرره بشروح مختلفة ، حتى ترسخ معانيه .

وشروح المختصر كثيرة جدا ،.لكن المقترح - وهو الغالب في فعل المشايخ عندنا - ما يلي :

١ -يعتمد أولا شرح العلامة الدردير ، ويرجع للدسوقي عند الحاجة فقط .



٢ ـ ثم يقرأ شرح الخرشي ، يرجع للعدوي عند الحاجة أيضا .

٣ ـ ثم يقرأ شرح الزرقاني ، وحاشية البناني ، بتقريرات الرهوني .

ويكمل الشرح في المراحل كلها من شرح الحطاب المرسوم بـ (مواهب الجليل)، وهو من أجل شروح المختصر وأنفعها وله طبعة متوسطة نشرتها دار الحديث .

قائمة المطالعة

١ ـ نور البصر شرح خطبة المختصر لأحمد بن عبد العزيز الهلالي .

٢ ـ شرح التلقين للمازري .

٣ ـ البيان والتحصيل لابن راشد .

٤ ـ المنتقي لأبي الوليد الباجي .

٥ ـ شرحا تحفة ابن عاصم (المشهورة بالعاصمية) للتسولي وميارة (وإن حفظ التحفة فحسن) .

٦ ـ شرح المنهج المنتخب للزقاق للعلامة المنجور ، مع تكملة ميارة (وهذا من أفضل وأجمع ما نظم في القواعد الفقهية على مذهب المالكية) .

٧ ـ الفروق للقرافي نشر مؤسسة الرسالة.

٨ ـ أحكام القرآن لابن العربي .

٩ ـ شروح الحديث المالكية (القبس والعارضة لابن العربي ـ المعلم على صحيح مسلم للمازري وفروعه ـ التمهيد الاستذكار لابن عبد البر ـ المفم للقرطبي) .

الفقه الشافعي(١)

المرحلة الأولى :

يبدأ بدراسة متن سفينة النجاة لسالم بن سمير الحضرمي بشرحها نيل الرجاء لأحمد بن عمر الشاطري ، وهو شرح معاصر فيه تدليل يسير سهل ، طبعته دار المنهاج بجدة .

وهو خاص بفقه العبادات فقط ، مع مقدمة اعتقادية يسيرة الغرض تحفيظها للأطفال ، والمؤلف والشارح أشعريان .

ويرجع عند الحاجة فقط لكاشفة السجا لمحمد نووي الجاوي .

ثم يحفظ متن أبي شجاع ، ويذاكر شرحه للغزي (فتح القريب) ، وينظر فيما يشكل فقط في حاشية البيجوري على الغزي طبعة الحلبي ، وأحسن طبعات فتح القريب هي طبعة دار ابن حزم مع دار الجابي .

ويطالع معه التذهيب في أدلة الغاية والتقريب للدكتور البغا ليعرف أدلة المتن بشكل إجمالي ، وهناك كتاب آخر في نفس المعنى لماجد الحموي نشر دار ابن حزم .

قائمة المطالعة بعد هذه المرحلة :

١ ـ المدخل إلى مذهب الشافعي للقواسمي نشر دار النفائس .

٢ ـ الشافعي لأبي زهرة نشر دار الفكر العربي .

٣ ـ كفاية الأخيار ـ ويستفاد منه لسهولة عبارته ، وذكره للأدلة غالبا ، مع ملاحظة عدم اعتماده ، وله طبعة ممتازة نشرتها دار المنهاج بجدة .

---

(١) وضع المنهج الشيخ عمرو بسيوني خصيصًا لكتابنا.



المرحلة الثانية :

يقرأ غاية البيان شرح زيد ابن رسلان جرداً

ثم يذاكر الإقناع على أبي شجاع للشربيني .

وينظر في حاشية البجيرمي عند الحاجة فقط .

قائمة المطالعة

١ ـ تهذيب الأسماء واللغات للنووي طبعة دار النفائس .

٢ ـ عمدة السالك وعدة الناسك لابن النقيب المصري ، وينظر في شرح الغمراوي للحاجة أنور المسالك ، ويستخرة الأدلة من كتاب البغا تنوير المسالك بشرح وأدلة عمدة السالك .

٣ ـ المواهب السنية على القواعد الفقهية للأهدل بحاشية الفاداني .

المرحلة الثالثة :

يقرأ مغني المحتاج على المنهاج للنووي وليس له طبعة مميزة ، وللمنهاج نفسه طبعة جيدة نشرتها دار البشائر في ثلاثة مجلدات .

ثم يطالع تحفة المحتاج والنظر في حاشية الشبراملسي ، مع نهاية المحتاج وقراءة حاشية الشرواني كاملة .

ويطالع تحفة المحتاج لأدلة المنهاج لابن الملقن .

قائمة المطالعة

١ ـ الأم للشافعي نشر دار الوفاء.

٢ ـ المجموع للنووي نشر دار عالم الكتب.

٣ ـ نهاية المطلب للجويني .

٤ ـ خبابا الزوايا للزركشي .

٥ ـ الأشباه والنظائر للسيوطي نشر دار السلام.

٦ ـ طبقات الشافعية لابن السبكي طبعة دار هجر .



فقه الدليل

المرحلة الأولى :

يدرس فيها الطالب واحداً من الكتب التالية :

(١) الدرر البهية للشوكاني طبعة دار العاصمة .

* ومن شروحها :

١ ـ الدراري المضية للشوكاني طبعة دار الآثار .

٢ ـ الروضة الندية لصديق حسن خان طبعة دار الكوثر .

(٢) الوجيز في الفقه للشيخ عبد العظيم بدوي .

(٣) فقه السنة الميسر للشيخ عبد الله المطلق نشر دار إشبيليا .

(٤) الفقه الميسر نشر مجمع الملك فهد .

(٥) بداية المتفقه للشيخ وحيد عبد السلام بالي .

وله شرحان لتلميذين من تلاميذ الشيخ ، الأول نشر دار ابن عمر ، والثاني نشر دار ابن رجب .

* وهذا الكتاب الأخير هو ما أرشحه مع الاستعانة بالشرحين .

المرحلة الثانية :

يدرس فيها الطالب واحداً من الكتب التالية :

(١) فقه السنة للشيخ سيد سابق نشر دار الفتح للإعلام العربي .

(٢) تمام المنة للشيخ عادل العزازي نشر دار العقيدة .

(٣) صحيح فقه السنة لأبي مالك كمال سالم نشر المكتبة التوفيقية .



(٤) الموسوعة الفقهية الميسرة لحسين العوايشة نشر دار ابن حزم .

(٥) الفقه الميسر للشيخ عبد الله الطيار وزميليه نشر دار الوطن .

* وهذا الكتاب الأخير هو ما أرشحه .

المرحلة الثالثة :

يدرس فيها الطالب كتاباً واحداً :

١ ـ نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكاني نشر دار ابن الجوزي .

قائمة المطالعة

١ ـ سبل السلام للصنعاني نشر دار ابن الجوزي .

٢ ـ بداية المجتهد لابن رشد نشر مكتبة ابن تيمية .

٣ ـ التمهيد لابن عبد البر طبعة دار الفاروق .

٤ ـ فتح الباري لابن حجر العسقلاني نشر دار طيبة .

٥ ـ فتح الباري لابن رجب الجنبلي طبعة دار ابن الجوزي .

٦ ـ عمدة القاري للبدر العيني .

٧ ـ شرح صحيح البخاري لابن بطال طبعة مكتبة الرشد .

٨ ـ شرح صحيح مسلم للنووي نشر دار ابن رجب أو مؤسسة قرطبة .

٩ ـ إكمال المعلم للقاضي عياض طبعة دار الوفاء .

١٠ ـ جامع أحكام النساء لمصطفى العدوي نشر دار ابن عفان.

الفقه الحنبلي

ويرشح فيها الناس الكتب التالية :

١ ـ « عمدة الفقه » لابن قدامة المقدسي :

انظر : « الدليل إلى المتون العلمية » (ص / ٤٣٦) ، ومما يستدرك عليه :

* ـ أفضل طبعات كتاب « العدة شرح العمدة » هي التي حققها الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي ، ونشرتها مؤسسة الرسالة .

* ـ هناك شرح مسجل على العمدة للشيخ محمد بن محمد المختار الشنقيطى ولم يكتمل بعد .

* هناك شرح ننشره دار الوطن للدكتور عبد الله الطيار ولم يكتمل.

٢ ـ أخصر المختصرات للبلباني :

انظر : « الدليل إلى المتون العلمية » (ص / ٤٥٩) ، ومما يستدرك عليه :

* طبع شرح عثمان النجدي بتحقيق البرجس ، والبشر عند مؤسسة الرسالة في أربعة مجلدات .

٣ ـ منهج السالكين للشيخ عبد الرحمن السعدي .

له طبعتان :

الأولى : بتحقيق محمد الخضيري ، نشر دار الوطن ، وهناك طبعة أخرى لنفس المحقق دار ابن الجوزي .

الثانية : بتحقيق أشرف عبد المقصود ، نشر دار أضواء السلف .

وشرحه الشيخ عبد الله الجبرين ونشرته دار الوطن .



وشرحه سليمان القصير ونشرته كنوز إشبيليا.

٤ ـ عمدة الطالب بشرحه هداية الراغب نشر مؤسسة الرسالة .

المرحلة الثانية :

ويدرس فيها الطالب واحداً من المتون التالية :

١ ـ زاد المستقنع للحجاوي :

انظر : « الدليل إلى المتون العلمية » (ص / ٤٤١) ، ومما يستدرك عليه :

١ ـ هناك طبعة جيدة للزاد بتحقيق عبد الرحمن العسكر طبعتها دار مدار الوطن.

٢ ـ وأخرى أحسن للشيخ محمد الهبدان نشرته دار ابن الجوزي.

٣ ـ هناك شرح مسجل للزاد للشيخ محمد بن محمد المختار الشنقيطي .

٤ ـ وآخر منشور إلكترونيًا للشيخ حمد الحمد.

٢ ـ دليل الطالب للشيخ مرعي الحنبلي :

انظر : « الدليل إلى المتون العلمية » (ص / ٤٥٢) ، ومما يستدرك عليه :

١ ـ صدرت طبعة جديدة لتحقيق الفاريابي على المنار استدرك فيها أخطاء الطبعة الأولى ، ونشرتها دار طيبة .

٢ ـ هناك كتاب للشيخ عبد العزيز الطريفي اسمه : « التحجيل في تخريج ما لم يخرج من الأحاديث وآثار في إرواء الغليل » نشرته مكتبة الرشد ، وهو كتاب نفيس، ولم يخرج ما خرجه الشيخ صالح آل الشيخ في كتابه .

المرحلة الثالثة :

وهي المرحلة التي يستفرغ فيها الطالب وسعه في تحرير المذهب ومطالعة كتبه ويعتنى فيها بكتابين :

١ ـ « منتهى الإرادات » لابن النجار الفتوحى وشروحه وحواشيه .



٢ ـ الإقناع للحجاوى وشروحه وحواشيه .

ومما يوصى بقراءته في هذه المرحلة :

١ ـ كتب مسائل الإمام أحمد ، وكتب أصحابه إلى طبقة ابن قدامة المقدسى .

٢ ـ « المدخل المفصل » ، للشيخ بكر أبو زيد ، دار العاصمة .

٣ ـ « مفاتيح الفقه الحنبلي » ، سالم الثقفى .

٤ ـ المذهب الحنبلي لعبد الله التركي نشر مؤسسة الرسالة

٥ ـ « المغنى » لابن قدامة ، دار هجر .

٦ ـ « المقنع والشرح الكبير والإنصاف » ، دار هجر .

٧ ـ « الفروع » ، لابن مفلح ، مؤسسة الرسالة .

٨ ـ مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وأئمة الدعوة فى الفقه .

٩ ـ مجموع فتاوى الشيخ محمد إبراهيم آل الشيخ .

١٠ ـ مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز .

١١ ـ مجموع فتاوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين .

١٢ ـ مجموع فتاوى الشيخ صالح بن فوزان الفوزان .

١٣ ـ فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

علم مقاصد الشريعة

تعريف مقاصد الشريعة : هي المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية ، والمترتبة عليها ، سواء أكانت تلك المعاني حكماً جزئية ، أم مصالح كلية ، أم سمات إجمالية، وهي تتجمع في هدف واحد هو تقرير عبودية لله . ومصلحة الإنسان الدارين .

المرحلة الأولى

*** المختصر الوجيز في مقاصد التشريع ، للدكتور عوض بن محمد القرني . نشر دار الأندلس القراء :**

*** أو : مقاصد الشريعة لنور الدين الخادمي نشر كنوز إشبيليا.**

المرحلة الثانية

*** مقاصد الشريعة الإسلامية . للدكتور زياد محمد أحميدان . نشر مؤسسة الرسالة.**

*** مقاصد الشريعة للدكتور مسعود اليوبي نشر مؤسسة الرسالة.**

المرحلة الثالثة

*** كتاب الموافقات ، لأبي إسحاق الشاطبي ، تحقيق مشهور حسن سلمان . نشر دار ابن عفان .**

قائمة القراءات

١ ـ « مقاصد الشريعة » ، محمد الطاهر بن عاشور تحقيق محمد الطاهر الميساوى . دار البصائر .

٢ ـ « مقاصد الشريعة » . علال الفاسى .



٣ ـ « مقاصد الشريعة عند ابن تيمية » ، يوسف أحمد البدوي . دار النفائس .

٤ ـ « قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي » ، عبد الرحمن الكيلاني . دار الفكر بدمشق .

٥ ـ« مقاصد الشريعة عند الإمام الشاطبي » ، أحمد الريسوني . دار الكلمة .

٦ ـ «الثابت والمتغير في فكر الإمام أبي إسحاق الشاطبي » ، مجدي عاشور دار البحوث والدراسات بدبي .

٧ ـ « طرق الكشف عن مقاصد الشارع » ، نعمان جغيم . دار النفائس .

٨ ـ « اعتبار المآلات ، ومراعاة نتائج التصرفات » ، عبد الرحمن السنوسى دار ابن الجوزي .

٩ ـ « الاجتهاد المقاصدي » ، نور الدين الخادمي . مكتبة الرشد .

علم القواعد الفقهية

وتعريفه : أنه هو العلم الذي يبحث فيه عن القضايا الفقهية الكلية ، التي جزئياتها فقهية كلية ، من حيث معناها وما له صلة به ، ومن حيث بيان أركانها وشروطها ،ومصدرها ، وحجيتها ، ونشأتها وتطورها ، وما تطبق عليه من الجزئيات، وما يستثنى منها . [القواعد الفقهية ليعقوب الباحسين (ص / ٢٥٦)].

المرحلة الأولى

١ ـ « منظومة القواعد الفقهية » ، لأنور الغصفري بشرحه عليها.

٢ ـ أو منظومة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، نشر دار أضواء السلف بتحقيق أشرف عبد المقصود .

وهذه قائمة بشروحها :

* ـ شرح الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، نشر دار التوعية الإسلامية بمصر ، وهناك طبعة أخرى لدار الحرمين بمصر ، وأخرى لدار البصيرة بمصر .

* ـ شرح الشيخ صالح بن محمد الأسمري ، نشر دار الصميعي .

٣ ـ القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة ، نشر مكتبة الرشد بالشرح الصوتي للشيخ أحمد الحازمي.

وله شرحان آخران:

١ ـ شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، ونشرته مكتبة السنة .

٢ ـ شرح الشيخ عبد المحسن الزامل ، نشر دار أطلس الخضراء .

المرحلة الثانية

يدرس الطالب واحداً من الكتب التالية:



١ ـ « الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية » ، للدكتور محمد صدقى البورنو، نشر مؤسسة الرسالة .

٢ ـ « الوجيز في القواعد الفقهية » ، للدكتور عبد الكريم زيدان . نشر مؤسسة الرسالة .

٣ ـ « القواعد الفقهية » ، للشيخ علي الندوي . نشر دار الفكر بدمشق .

٤ ـ « القواعد الفقهية » ، للشيخ أحمد الزرقا . نشر دار الفكر بدمشق .

المرحلة الثالثة

يدرس الطالب واحدًا من الكتب التالية:

١ ـ « الفرائد البهية في نظم القواعد الفقهية » ، لأبي بكر بن أبي القاسم الأهدل :

وقد شرحها عبد الله بن سليمان الجوهري ، شرحًا سماه « المواهب السنية » ، وقد نشره المكتب الإسلامي ببيروت .

وللشيخ محمد ياسين الفاداني ـ عفا الله عنه ـ حاشية جليلة على هذا الشرح أسماها « الفوائد الجليلة » ، وقد حقق الجميع الشيخ رمزي سعد الدين دمشقية . نشر دار البشائر بيروت .

٢ ـ « المدخل الفقهي العام » ، للشيخ مصطفى بن أحمد الزرقا . نشر دار الفكر بدمشق .

المرحلة الرابعة

وهى مرحلة التأهل للتخصص ، وتكون مطالعة الطالب فيها وفقًا لمرحلتين :

الأولى : جرد كتب القواعد الفقهية ، والأشباه والنظائر على اختلاف مذاهبهم، وليستعن بكتاب الندوى الآنف ذكره ، وبكتاب « القواعد الفقهية » للدكتور يعقوب الباحسين ، نشر مكتبة الرشد وهو مهم جدًا .

الثانية : مطالعة البحوث العلمية والمميزة في هذا الباب وهذه قائمة بها :

١ ـ « موسوعة القـواعد القفهية » ، محمد صدقى البورنو ، مؤسسة الرسالة وابن حزم .

٢ ـ « موسوعة القواعد الفقـهية في المعامـلات المالية » ، للدكتور علـي أحمد الندوي، منشورات مصرف الراجحي .

٣ ـ « القواعد الفقهية الخمس الكبـرى والقواعد المندرجة تحتها » ، جمع ودراسة من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، إسماعيل بن حسن ، دار ابن الجوزي .

٤ ـ « القواعد الفقهـية المستخرجة من كتاب إعلام المـوقعين لابن القيم » ، عبد المجيد جمعة ، دار ابن عفان .

٥ ـ « القواعد الفقهية المستخرجة من كتاب المدونة الكبرى » ، أحسن زقور ، دار ابن حزم .

٦ ـ « القواعـد الفقـهيـة من خلال كتـاب المغني لابن قدامـة » ، عبـد الواحد الإدريسي، دار ابن عفان .

٧ ـ « مقاصد المكلفين » ، عمر سليمان الأشقر ، دار ابن حزم .

٨ ـ « قاعدة الأمور بمقاصدها » ، يعقوب الباحسين ، مكتبة الرشد .

٩ ـ « قاعدة اليقين لا يزول بالشك » ، يعقوب الباحسين ، مكتبة الرشد .

١٠ ـ « قاعدة العادة محكمة » ، يعقوب الباحسين ، مكتبة الرشد .

١١ ـ « العرف والعادة في رأي الفقهاء » ، أحمد فتحي أبو سنة ، دار البصائر.

١٢ ـ « العرف حجتـه وأثره في فقه المعاملات المالية عند الحنـابلة » ، عادل عبد القادر قوته ، المكتبة المكية .

١٣ ـ « قاعدة المشقـة تجلب اليسر » ، صالح سليمـان اليوسف ، المطابع الأهلية للأوفست .

١٤ ـ « القواعد والضوابط الفقـهية المتضمنة للتيسيـر » ، عبد الرحمن بن صالح العبد اللطيف ، منشورات عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية .

١٥ ـ « رفع الحرج فى الشريعة الإسلامية » ، يعقوب الباحسين ، مكتبة الرشد.

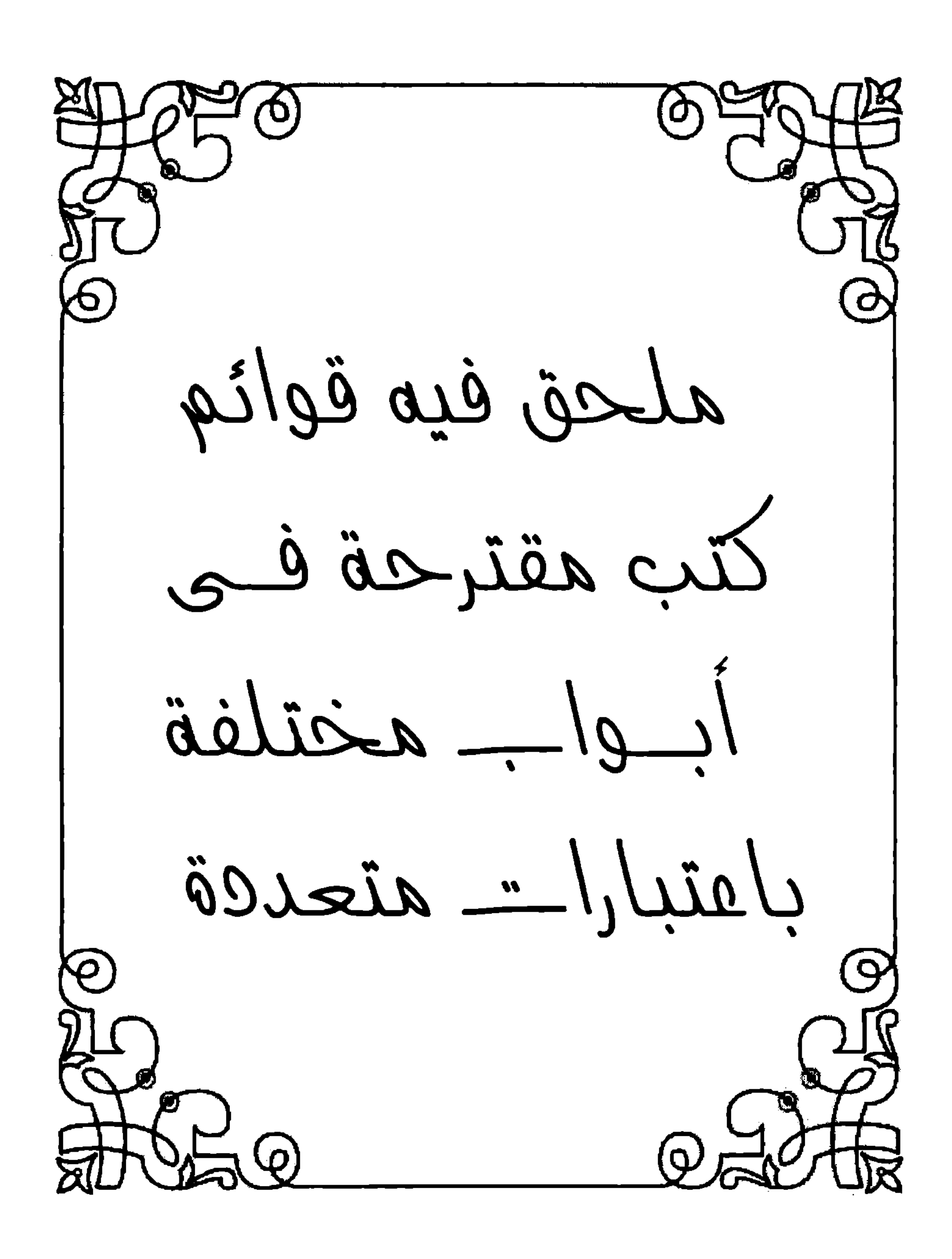
١٦ ـ « عموم البلوى » ، مسلم بن محمد الدوسري ، مكتبة الرشد .

١٧ ـ « الضرر في الفقه الإسلامي » ،أحمد موافي ، دار ابن عفان .

١٨ ـ « الفعل الضار والتعويض عن الضــرر فيه » ، مصطفى الزرقا ، دار الفكر بدمشق.

١٩ ـ « نظرية الضرورة الشرعية » ، وهبه الزحيلى ، دار الفكر بدمشق .

٢٠ ـ « قاعدة إعـمال الكلام أولى من إهماله » ، محمود المرقـوشي ، المؤسسة الجامعية بيروت .


ملحق فيه قوائم
كتب مقترحة في
أبواب مختلفة
باعتبارات متعددة

المهم من كتب الشيخين الإمامين

ابن تيمية

١ ـ مجموع الفتاوى طبعة ابن قاسم في سبعة وثلاثين مجلداً .

٢ ـ منهاج السنة بتحقيق محمد رشاد سالم في تسعة مجدات .

٣ ـ درء التعارض بتحقيق محمد رشاد سالم في أحد عشر مجلداً .

٤ ـ بيان تلبيس الجهمية نشرة مجمع الملك فهد في عشرة مجلدات .

٥ ـ الجواب الصحيح نشرة دار العاصمة في سبعة مجلدات .

٦ ـ الصارم المسلول طبعة دار رمادي في ثلاثة مجلدات .

٧ ـ الاستقامة نشرة دار الفضيلة في مجلد ضخم .

٨ ـ بيان الدليل نشرة دار ابن الجوزي .

٩ ـ شرح الأصبهانية طبعة دار المنهاج بالرياض .

١٠ ـ اقتضاء الصراط المستقيم بتحقيق ناصر العقل .

* لا تشتر أي طبعة هي إعادة تنضيد وصف للطبعة التي ذكرناها هاهنا .

ابن القيم

١ ـ زاد المعاد طبعة مؤسسة الرسالة .

٢ ـ بدائع الفوائد نشرة دار عالم الفوائد .

٣ ـ الكافية الشافية نشرة دار عالم الفوائد .

٤ ـ الطرق الحكمية نشرة دار عالم الفوائد .

٥ ـ كتاب الصلاة وحكم تاركها نشرة دار عالم الفوائد .

٦ ـ الصواعق المرسلة نشرة دار العاصمة ومختصرة نشرة دار أضواء السلف .

٧ ـ شفاء العليل نشر مكتبة العبيكان .

٨ ـ تهذيب السنن نشر دار المعارف بالرياض .

٩ ـ مفتاح دار السعادة نشرة دار عالم الفوائد .

١٠ ـ الداء والدواء نشرة دار عالم الفوائد .

كتب في الحضارة والفكر والدعوة والإصلاح الذاتي والعام

١ - نحو انطلاقه حضارية شاملة لعبد الكريم البكار في خمسة مجلدات نشر دار القلم .

٢ - تنمية الشخصية لعبد الكريم بكار في خمسة أجزاء نشر دار الأعلام .

٣ - فصول في التفكير الموضوعي لعبد الكريم البكار نشر دار القلم .

٤ - تجديد الوعي لعبد الكريم البكار نشر دار القلم .

٥ - فقه الدعوة لعبد الرحمن حسن حبنكة نشر دار القلم .

٦ - إحياء فقه الدعوة لمحمد أحمد الراشد سلسلة تصدرها دار البشير مع الحذر من بعض الأخطاء المبنية على أصول فكرية لجماعة الإخون المسلمين .

٧ - منهج الدعوة في ضوء الكتاب والسنة لعدنان عرعور .

٨ - أسس منهج السلف في الدعوة إلى الله للسحيمي نشر دار ابن عفان .

٩ - هكذا ظهر جيل صلاح الدين لماجد الكيلاني نشر دار القلم .

١٠ - علو الهمة لمحمد بن إسماعيل المقدم نشر دار الإيمان .

١١ - المجلد الأول من عودة الحجاب نشر دار طيبة .

١٢ - الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر لمحمد محمد حسين نشر دار الرسالة.

١٣ - الإسلام والحضارة الغربية لمحمد كرد علي .

١٤ - حوارات المسيري في أربعة أجزاء نشر دار الفكر بدمشق .

١٥ ـ ماذا حدث للمصريين لجلال أمين نشر دار الشروق .

١٦ ـ عصر الجماهير الغفيرة لجلال أمين نشر دار الشروق .

١٧ ـ خرافة التقدم والتخلف لجلال أمين نشر دار الشروق .

١٨ ـ وصف مصر في نهاية القرن العشرين لجلال أمين نشر دار الشروق .

١٩ ـ سلسلة مشكلات الحضارة لمالك بن نبي نشر دار الفكر بدمشق .

٢٠ ـ الإسلام بين الشرق والغرب لعلي عزت بيجوفيتش نشر دار الشروق .

٢١ ـ الإسلام كبديل ، والطريق إلى مكة كلاهما لمراد هوفمان نشر دار الشروق

٢٢ ـ الثوابت والمتغيرات لصلاح الصاوي نشر دار الأندلس الخضراء .

٢٣ ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبي الحسن الندوي نشر دار القلم .

٢٤ ـ النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين لمحمد رجب البيومي نشر دار القلم .

٢٥ ـ أصول الدعوة للدكتور محمد يسري نشر دار اليسر .

٢٦ ـ أمة واحدة لسلمان العودة نشر مؤسسة الإسلام اليوم.

٢٧ ـ «مغالطات» و«شبهات حول الإسلام» كلاهما لمحمد قطب نشر دار الشروق.

* * *

التربية والأخلاق والتزكية

١ ـ العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية نشر دار المغني .

٢ ـ التحفة العراقية لشيخ الإسلام ابن تيمية نشر مكتبة الرشد .

٣ ـ أمراض القلوب وشفاؤها لشيخ الإسلام ابن تيمية .

٤ ـ شفاء القلوب لمصطفى العدوي نشر مكتبة مكة .

٥ ـ فقه القلوب لمحمد بن إبراهيم التويجري نشر مؤسسة الريان .

٦ ـ فقه الأخلاق والمعاملات بين المؤمنين لمصطفى العدوي نشر دار ابن رجب .

٧ ـ الأخلاق الإسلامية لعبد الرحمن حبنكة نشر دار القلم .

٨ ـ روابط الإخوة الإسلامية لصادق البيضاني نشر دار الفضيلة .

٩ ـ مفسدات الإخوة لهشام عقدة نشر دار الصفوة .

١٠ ـ فلسفة الإسلام في التربية لماجد الكيلاني نشر دار الفتح .

١١ ـ منهج الإسلام في تزكية النفس لأنس كرزون .

١٢ ـ موسوعة نضرة النعيم نشر دار الوسيلة .

* * *

تربية الأولاد

١ ـ دليل التربية الأسرية لعبد الكريم بكار نشر دار الأعلام.

٢ ـ القواعد العشر في تربية الأبناء لعبد الكريم بكار نشر دارالسلام .

٣ ـ المراهق لعبد الكريم بكار نشر دار السلام .

٤ ـ مسار الأسرة لعبد الكريم بكار نشر دار السلام .

٥ ـ التواصل الأسري لعبد الكريم بكار نشر دار السلام .

٦ ـ بناء الأجيال لِعبد الكريم بكار نشر المنتدى الإسلامي .

٧ ـ مسؤولية الأب المسلم لعدنان باحارث نشر دار المجتمع .

٨ ـ منهج التربية النبوية للطفل لمحمد سويد نشر دار الوفاء في مجلدين .

٩ ـ تربية المراهق في رحاب الإسلام نشر دار المعالي .

١٠ ـ تربية الموهوب في رحاب الإسلام نشر دار المعالي .

* * *

أفضل الكتب في:

البدعة :

١ ـ المبتدعة لمحمد يسري دار اليسر.

٢ ـ حقيقة البدعة للغامدي مكتبة الرشد.

٣ ـ معيار البدعة وقواعد معرفة البدع للجيزاني دار ابن الجوزي.

٤ ـ موقف أهل السنة من أهل الأهواء والبدع لإبراهيم الرحيلي دار العلوم والحكم.

علم النفس :

* أصول علم النفس لأحمد عزت راجح نشر دار المعارف .

* مدخل إلى علم النفس ـ (لندال . دافيدوف) ـ نشر دار المريخ .

* سلسلة الدراسات النفسية من منشورات مكتبة مصر .

* الصحة النفسية من منظور إسلامي لصالح الصنيع نشر دار الفضيلة .

علم الاجتماع :

* الجماعة (ر . م . ماكيفر) نشر دار الفكر العربي .

* المدخل إلى عدم الاجتماع ـ مصطفى الخشاب ـ الأنجلو مصرية .

* منهج البحث الاجتماعي ـ محمد امزيان ـ نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

* العقد الاجتماعي ـ نشر الألف كتاب .

* مقدمة ابن خلدون ـ نشر دار نهضة مصر .



* المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ـ شكري فيصل ـ دار العلم للملايين .

السحر والحسد :

* موقف الإسلام من السحر ـ حياة با أخضر ـ دار المجتمع .

* المبين في التصدي للسحرة والشياطين فائق قرميش ـ دار المسلم .

* فقه الحسد ـ مصطفى العدوي ـ مكتبة مكة .

السياسة :

١ ـ السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية نشر دار عالم الفوائد .

٢ ـ الطرق الحكمية لابن القيم نشر دار عالم الفوائد .

٣ ـ الغياثي لإمام الحرمين الجويني بتحقيق عبد العظيم الديب .

٤ ـ الأحكام السلطانية للماوردي .

٥ ـ الأحكام الشرعية للنوازل السياسية لعطية عدلان نشر دار اليسر .

٦ ـ فقه المتغيرات الدولية لسعد بن مطر العتيبي نشر دار الفضيلة .

٧ ـ تطور الفكر السياسي نشر دار المعارف في مجلدين .

٨ ـ الفكر السياسي الغربي لمحمود ربيع ـ مطبوعات جامعة الكويت.

٩ ـ الحرية أو الطوفان وتحرير الإنسان كلاهما لحاكم المطيري .

فهارس الكتب وأدلتها

أولاً : ما صنف لرصد الكتب بقطع النظر عن طباعتها من عدمها :

١ ـ الفهرست للنديم نشر مؤسسة الفرقان بتحقيق أيمن فؤاد سيد .

٢ ـ كشف الظنون للحاج خليفة .

٣ ـ جامع الشروح والحواشي لعبد الله الحبشي .

٤ ـ معجم الموضوعات المطروقة لعبد الله الحبشي .

٥ ـ فهرس مصنفات تفسير القرآن الكريم نشر مجمع الملك فهد .

ثانيًا : فهارس المخطوطات :

١ ـ تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان .

٢ ـ تاريخ التراث العربي لفؤاد شزكين .

٣ ـ الفهرس الشامل نشر مؤسسة أهل البيت .

ثالثًا: فهارس المطبوعات :

١ ـ المعجم الشامل للتراث العربي المخطوط نشر معهد المخطوطات في سبعة أجزاء .

٢ ـ جمهرة تصانيف العرب لأحمد الشال نشر مكتبة السنة ببورسعيد .

٣ ـ التراث العربي المطبوع في مصر حتى القرن التاسع عشر لمحمود الطناحي نشر دار الهلال .

٤ ـ دليل المكتبة العقدية لمحمد الشايع شر دار زدني .

٥ ـ دليل مؤلفات الحديث الشريف نشر دار ابن حزم .



٦ ـ المعجم المصنف لمؤلفات الحديث الشريف نشر مكتبة الرشد .

٧ ـ التصنيف في السنة النبوية وعلومها لخلدون الأحدب نشر مؤسسة الريان .

٨ ـ الدليل الجامع إلى كتب أصول الفقه لشامل شاهين نشر دار غار حراء .

٩ ـ مصادر السنة النبوية لمحمد يسري سلامة نشر دار الجبرتي .

١٠ ـ معجم ما طبع من مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية لمحمد يسري سلامة نشر دار الجبرتي .

* * *

أمهات الكتب العالمية

١ ـ كتاب الموتى لكهنة هوليوبوليس .

٢ ـ شريعة حمورابي .

٣ ـ الافستا المقدسة لزرداشت .

٤ ـ الكتب الخمسة لكونفشيوس .

٥ ـ محاورات أفلاطون حقق بعضها عزت قرني وحقق «الجمهورية» فؤاد زكريا.

٦ ـ مجموعة مؤلفات أرسطو خاصة التي نشرها عبد الرحمن بدوي.

٧ ـ قواعد المنهج في علم الاجتماع لدور كايم .

٨ ـ الأمير لمكيافيلي .

٩ ـ روح الشرائع لمنتسكيو .

١٠ ـ هكذا تكلم زرداشت لنيتشه .

١١ ـ حضارة العرب لجوستاف لوبون .

١٢ ـ حضارة الهند لجوستاف لوبون .

١٣ ـ العقد الاجتماعي لجان جاك روسو .

١٤ ـ تدهور الحضارة الغربية لاشبنجلر .

١٥ ـ مختصر دراسة التاريخ لأرنولد توينبي .

١٦ ـ ثروة الأمم لآدم سميث .

١٧ ـ فلسفة التاريخ لهيجل .

١٨ ـ الأبطال لتوماس كارليل .



١٩ ـ البحث عن اليقين لجون ديوي .

٢٠ ـ مقال في المنهج لديكارت .

٢١ ـ فكرة التاريخ لكولنجوود .

٢٢ ـ أصل الأنواع لداروين .

٢٣ ـ النظرية النسبية العامة والخاصة لألبرت أينشتاين .

٢٤ ـ رأس المال لكارل ماركس .

* * *

عيون الأدب العالمي[١]

١ ـ الوصايا لبتاح حوتب .

٢ ـ أنشودة التوحيد لإخناتون .

٣ ـ الإلياذة والأدويسا لهوميروس .

٤ ـ أنشودة النيل .

٥ ـ الضفادع لأرستوفانيس .

٦ ـ أوديب ملكاً لسوفكليس .

٧ ـ ملحمة جلجاميش .

٨ ـ الشاهنامة للفردوسي .

٩ ـ كليلة ودمنة .

١٠ ـ الفردوس المفقود لجون ملتون ترجمة محمد عناني .

١١ ـ جحيم دانتي نشر دار المعارف .

١٢ ـ الديكاميرون لبوكاتشيو .

١٣ ـ مدام بوفاري لجوستاف فلوبير .

١٤ ـ البؤساء لفيكتور هوجو .

١٥ ـ البخيل لموليير .

١٦ ـ مسرحيات شكسبير ترجمة محمد عناني نشر الهيئة العامة للكتاب وترجمات دار المعارف في مالم يترجمه محمد عناني .

---

(١) لمطالعة هذه الأبواب أغراض مباحة ومندوبة لغيرها ليس هذا موضع بسطها.



١٧ ـ فاوست لجوتة .

١٨ ـ دون كيخوتة .

١٩ ـ الإخوة كرامازوف لدستوفيسكي .

٢٠ ـ الحرب والسلام لتولستوي .

٢١ ـ أحدب نوتردام لفيكتور هوجو .

٢٢ ـ العراب .

٢٣ ـ حكايات الأخوين جريم .

٢٤ ـ أليس في بلاد العجائب .

٢٥ ـ ذهب مع الريح لمارجريت متشيل .

٢٦ ـ مرتفعات ويذرنج وجين إير لإميلي بروتني .

٢٧ ـ بول وفرجيني تعريب المنفلوطي .

٢٨ ـ سيرانو دي برجراك تعريب المنفلوطي .

٢٩ ـ في سبيل التاج تعريب المنفلوطي .

٣٠ ـ تحت ظلال الزيزفون تعريب المنفلوطي .

٣١ ـ روبنسون كروزو لدانييل ديفو .

٣٢ ـ المحاكمة لكافكا .

٣٣ ـ مائة عام من العزلة جابرييل جارسيا مركيز .

٣٤ ـ الحب في زمن الكوليرا لجابرييل جارسيا ماركيز .

٣٥ ـ العجوز والبحر لإرنست هيمنجواي .

٣٦ ـ صورة دوريان جراي لأوسكار وايلد .

٣٧ ـ المجموعة القصصية لإدجار آلان بو .

٣٨ ـ دزرائيلي لأندريه جيد .

٣٩ ـ المجموعات القصصية لتشيخوف نشر دار الشروق .

٤٠ ـ المجموعات القصصية لعزيز نيسين .

٤١ ـ رياح الشرق والغرب لبيرل باك .

٤٢ ـ أمير الذباب لوليام جولدينج .

٤٣ ـ أحلام الناي لهيرمان هيه .

٤٤ ـ الغريب لألبيركامو .

٤٥ ـ الطاعون لألبير كامو .

٤٦ ـ مراعي الفردوس لجون شتاينبك .

٤٧ ـ اللاأخلاقي لأندريه جيد .

٤٨ ـ ولم يقل كلمة لهاينريش بل .

٤٩ ـ أنطوانيت لرومان زولان .

٥٠ ـ الآلهة عطشى لأناتول فرانس .

٥١ ـ عالم جديد شجاع لهكسلي .

٥٢ ـ شيفرة دافنشي لدان براون .

٥٣ ـ نادي القتال لتشانيك بولانيك .

❊ ❊ ❊

الأدب العربي المعاصر

القصة والرواية:

١ ـ قصر الشوق .

٢ ـ السكرية .

٣ ـ بين القصرين .

٤ ـ زقاق المدق .

٥ ـ المرايا .

٦ ـ ثرثرة فوق النيل .

٧ ـ السمان والخريف .

٨ ـ حكايات حارتنا .

٩ ـ كفاح طيبة .

١٠ ـ أهل القمة . جميعها لنجيب محفوظ .

١١ ـ المجموعات القصصية ليوسف إدريس .

١٢ ـ أرض النفاق ليوسف السباعي .

١٣ ـ قرية ظالمة لمحمد كامل حسين .

١٤ ـ شجرة اللبلاب لمحمد عبد الحليم عبد الله .

١٥ ـ عمارة يعقوبيان لعلاء الأسواني .

١٦ ـ واحة الغروب لبهاء طاهر .

١٧ ـ نقطة النور لبهاء طاهر .

١٨ ـ موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح .

١٩ ـ عزازيل ليوسف زيدان .

٢٠ ـ قنديل أم هاشم ليحيى حقي .

٢١ ـ المجموعات القصصية ليحيى حقي .

٢٢ ـ سارة للعقاد .

٢٣ ـ إبراهيم الكاتب للمازني .

٢٤ ـ زينب لمحمد حسين هيكل .

٢٥ ـ دعاء الكروان لطه حسين .

٢٦ ـ القصص التاريخية وغيرها للرافعي في وحي القلم .

٢٧ ـ القصص التاريخية لمحمود شاكر في جمهرة مقالاته .

٢٨ ـ قصص من التاريخ لعلي الطنطاوي .

٢٩ ـ قصص من الحياة لعلي الطنطاوي .

٣٠ ـ روايات نجيب الكيلاني .

٣١ ـ سلاسل روايات الدكتور نبيل فاروق .

٣٢ ـ سلاسل روايات الدكتور أحمد توفيق ويصلحان لمن كان دون الثامنة عشرة من عمره.

مشاهير كتاب وأدباء مصر والعرب المعاصرين :

١ ـ مصطفى صادق الرافعي :

* وحى القلم .

* رسائل الأحزان .

* المساكين .



* حديث القمر .

* السحاب الأحمر .

* رسائل الرافعي .

* تحت راية القرآن .

* تاريخ الأدب العربي .

* ديوانه .

٢ ـ عبد العزيز البشري .

* قطوف .

* في المرآه .

٣ ـ مصطفى لطفي المنفلوطي .

* النظرات .

* المختارات كلاهما طبعة دار ابن حزم.

٤ ـ عباس محمود العقاد .

* الديوان مع المازني .

* مطالعات في الكتب والحياة .

* يوميات .

* سلسلة العبقريات .

ـ كتبه عن :

* ابن الرومي .

* أبو العلاء المعري .

* محمد عبده .

٥ ـ المازني .

* الديوان مع العقاد .

* حصاد الهشيم .

* قبض الريح .

٦ ـ طه حسين .

* حديث الأربعاء .

* في الأدب الجاهلي .

* مستقبل الثقافة في مصر .

* فلسفة ابن خلدون .

* أبو العلاء المعري .

٧ ـ محمود شاكر .

* جمهرة مقالاته .

* نمط صعب ونمط مخيف .

* أباطيل وأسمار .

* المتنبي .

* رسالة في الطريق إلى ثقافتنا .

* مدخل إلى إعجاز القرآن .

* قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام .

٨ ـ زكي مبارك .

* النثر الفني في القرن الرابع الهجري .

* التصوف الإسلامي .

٩ ـ علي الطنطاوي .

* رجال من التاريخ .

* في سبيل الإصلاح .

* من حديث النفس .

١٠ ـ أحمد أمين .

* فجر الإسلام .

* ضحى الإسلام .

* ظهر الإسلام .

* يوم الإسلام .

١١ ـ زكي نجيب محمود .

* حصاد السنين .

* قيم من التراث .

السير الذاتية

من أهم السير الذاتية :

١ ـ الاعتبار لأسامة بن منفذ .

٢ ـ التحدث بنعمة الله للسيوطي .

٣ ـ الأيام لطه حسين .

٤ ـ ذكريات علي الطنطاوي .

٥ ـ حياتي لأحمد أمين .

٦ ـ سيرة حياتي لعبد الرحمن بدوي .

٧ ـ اعترافات جان جاك روسو .

٨ ـ كفاحي لهتلر .

٩ ـ السيرة الذاتية لبرتراند راسل .

١٠ ـ قصة عقل لزكي نجيب محمود .

١١ ـ قصة نفس لزكي نجيب محمود .

١٢ ـ أنا للعقاد .

١٣ ـ قصة قلم للعقاد .

١٤ ـ سبعون . . حكاية عمر لميخائيل نعيمة .

١٥ ـ قصة حياتي لأحمد لطفي السيد .

١٦ ـ مذكرات طالب بعثة للويس عوض .

١٧ ـ قصة حياتي لخالد محمد خالد .

١٨ ـ زهرة العمر لتوفيق الحكيم .

١٩ ـ معي لشوقي ضيف .

٢٠ ـ رحلتي الفكرية لعبد الوهاب المسيري نشر دار الشروق.

٢١ ـ ماذا علمتني الحياة لجلال أمين .

٢٢ ـ رحيق العمر لجلال أمين نشر دار الشروق.

٢٣ ـ ذكريات زهير الشاويش وقد عرض في حلقات تليفزيونية على قناة دليل .

❊ ❊ ❊

كتب الرحلات

١ ـ رحلة ابن جبير .

٢ ـ ملء العيبة لابن رشيد الفهري .

٣ ـ مستفاد الرحلة والاغتراب لقاسم التجيبي .

٤ ـ رحلة ابن بطوطة .

٥ ـ في مهبط الوحي لمحمد حسين هيكل .

٦ ـ تلخيص الإبريز لرفاعة الطهطاوي .

٧ ـ الرحلة الحجازية لشكيب أرسلان .

٨ ـ الرحلة إلى البلد الحرام لمحمد الأمين الشنقيطي .

٩ ـ أرض النبوة لعلي الطنطاوي .

١٠ ـ رحلة الحجاز لمحمد رشيد رضا .

١١ ـ رحلات محمد العبودي.

❊ ❊ ❊

مصنفون ومحققون أوصي بقراءة جميع أعمالهم

١ ـ محمد بن صالح العثيمين .

٢ ـ محمد ناصر الدين الألباني .

٣ ـ حمد الجاسر .

٤ ـ محمود محمد شاكر .

٥ ـ أحمد محمد شاكر .

٦ ـ محمد الأمين الشنقيطي .

٧ ـ الشريف حاتم بن عارف العوني .

٨ ـ محمد عمرو عبد اللطيف .

٩ ـ مساعد الطيار .

١٠ ـ بكر بن عبد الله أبو زيد .

١١ ـ شوقي ضيف .

١٢ ـ محمد محمد أبو موسى .

١٣ ـ عبد الرحمن بدوي .

١٤ ـ عبد العزيز الدوري .

١٥ ـ طه عبد الرحمن .

١٦ ـ السيد أحمد الهاشمي .

١٧ ـ عبد السلام هارون .

١٨ ـ علي العمران .

١٩ ـ محمد عزيز شمس .

٢٠ ـ محمود الطناحي .

٢١ ـ أيمن فؤاد سيد .

٢٢ ـ عبد الستار الحلوجي .

٢٣ ـ محمد عبد الهادي المنوني .

٢٤ ـ بشار عواد معروف .

٢٥ ـ عادل سليمان جمال .

٢٦ ـ رمضان عبد التواب .

٢٧ ـ محمد أجمل الإصلاحي .

٢٨ ـ ناصر الدين الأسد .

٢٩ ـ محمد رشاد سالم .

٣٠ ـ عبد الحميد أبو زنيد .

٣١ ـ السيد أحمد صقر.

٣٢ ـ محمد إسماعيل المقدم.

* * *

الشبكة العنكبوتية

بحر لا ساحل له ، من أصاب موضع الفائدة منها رُزق الانتفاع بالعلم والاتساع فى الأفق ، ومن عام فيها أكلت وقته وأرته حسناً ما ليس بالحسن .

وهذه وصايا تعين على هذا الهداية لموضع الفائدة من غير إضاعة وقت . .

١ - اعتن بالمواقع الجادة كل في تخصصه ولا تنظر في غيرها إلا للضرورة .

٢ - اعتن بالقراءة لمشاركين من طلبة العلم المتقنين .

٣ - تصفح المواقع تكفي له ساعة يومياً واجعلها آخر اليوم ؛ كي لا تأخذ زهرة وقتك ، ولتكن في وقت محكوم مغلق لا يسمح بالتوسع كبين المغرب والعشاء أو قبل خروجك لموعد مهم بساعة .

٤ - إذا كنت تكتب فلا تكتب إلا للفائدة ، وقلل الجدال ما استطعت .

٥ - لا تبتئس بمن يقع فيك فهذا عالم مفتوح والتواصي بالحق يلزم له التواصي بالصبر .

قائمة بالمواقع المهمة :

١ - ملتقى أهل التفسير .

٢ - ملتقى أهل الحديث .

٣ - المجلس العلمي بموقع الألوكة والموقع ككل.

٤ - ملتقى العقيدة والمذاهب المعاصرة .

٥ - ملتقى المذاهب الفقهية .

٦ - طريق الإسلام . [لتحميل المواد الصوتية ونحوها] .

٧ - الإسلام سؤال وجواب [للفتاوى] .

٨ ـ الإسلام اليوم [موقع متنوع وفيه مقالات ومتابعات فكرية ودعوية مهمة].

٩ ـ صيد الفوائد [موقع علمي ودعوي مفيد جداً خاصة للدعاة والخطباء].

١٠ ـ معهد آفاق التيسير [لمتابعة دارسي العلوم الشرعية وترتيب دروس المتون والاختبار فيها] .

١١ ـ مجموعة عبد العزيز قاسم البريدية [مهمة لمتابعة الحراك الفكري في المملكة العربية السعودية] .

١٢ ـ موقع التيسير للمتون العلمية المسموعة .

قائمة ببعض كتاب المنتديات الذين ينتفع بكتاباتهم .

١ ـ الشيخ الدكتور مساعد الطيار .

٢ ـ الشيخ الدكتور عبد الرحمن الشهري .

٣ ـ الشيخ الدكتور فهد الوهبي .

٤ ـ الشيخ الدكتور نايف الزهراني .

٥ ـ عصام البشير .

٦ ـ أبو مالك العوضي .

٧ ـ المسيطير .

٨ ـ النقاد .

٩ ـ الفهم الصحيح .

١٠ ـ أبو حازم الكاتب .

١١ ـ عبد الباسط الغريب .

١٢ ـ أبو المظفر السناري .

١٣ ـ أبو فهر السلفي .

١٤ - الأزهري السلفي .

١٥ - فيصل .

١٦ - ابن مفلح (الحنبلي السلفي) .

١٧ - المقرئ .

١٨ - ابن وهب .

١٩ - عبد الرحمن السديس .

٢٠ - عدنان البخاري (أبو عمر السمرقندي) .

٢١ - أبو خالد السلمي (وليد إدريس المنيسي) .

القنوات الفضائية

الغالب عليها هي الجوانب الوعظية وما يخدم طالب العلم منها قليل ومنه :

١ ـ قناة المجد العامة .

٢ ـ قناة المجد العلمية .

٣ ـ قناة المجد للقرآن الكريم .

٤ ـ قناة المجد للحديث الشريف .

٥ ـ قناة دليل الفضائية .

ومن البرامج النافعة على تلك القنوات .

١ ـ الجواب الكافي .

٢ ـ فتوى .

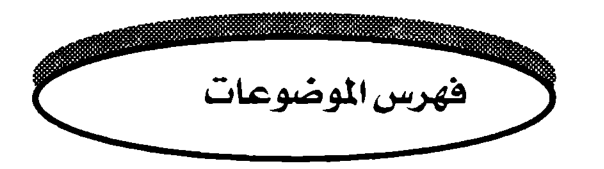
٣ ـ مداد وهو مهم جداً لطالب العلم ويذاع يوم الأحد في التاسعة مساء على قناة دليل .

٤ ـ ساعة حوار .

٥ ـ البيان التالي .

٦ ـ دروس أكاديمية المجد .

٧ ـ ربيع القوافي .



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
عرفانا بالجميل	٣
ديباجة الكتاب	٥
الباب الأول: مدارج الطلب	١٠
معرفة شرف العلم وفضله	١١
السعي في استكمال شعب الإيمان	١٣
مختارات من كتب أدب الطلب	١٤
تحديد الهدف	٢٨
تضييع الغاية العظمى من طلب العلم جناية عظيمة	٣١
هجر جناحي الاجتهاد أو التقصير في رعايتهما « العربية ، والحديث »	٤٠
العزم	٤٦
أمثلة لشحذ الهمة	٤٧
الشيخ	٥٥
الدراسة النظامية	٥٧
الاستقرار المالي والتفرغ للطلب	٥٨
شماعة المعوقات . . التواني في طلب العلم بدعوى ضعف المقومات	٦٠
من لزم بابا من العلم وانقطع له فتح له	٦٥
الحفظ	٧٠
وعلم المرء ما حواه الصدر	٧٣



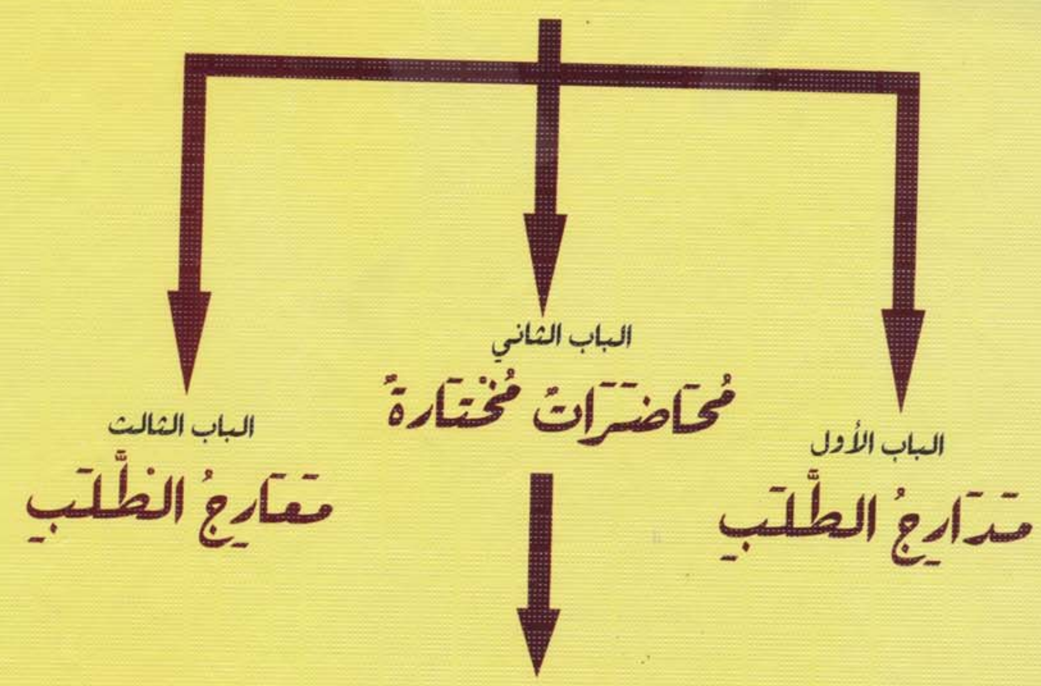












- وصايا في التحصيل العلمي - يوسف الغفيص
- مفاتيح طلب العلم - عبد الكريم الخضير
- وصايا لطالب العلم - عبد الكريم الخضير
- هل سأكون عالما - الشريف حاتم العوني



جمهورية مصر العربية - المنصورة - ٣ ش الهادى أمام جامعة الأزهر
٠١٠٢٢١٨٧٢٧ - ٠١٤٥٧٦٤٤٤٠

